الكِفايـة

في التَّفسيرِ بالمأثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الرابع والثلاثون

[سورة الذاريات، الآية: ٤٧]- [سورة الواقعة، الآية: ٦٢]

منشور إلكترونياً
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن
{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)} [الذاريات : ٤٧]

التفسير:

والسماء خلقناها وأتقناها، وجعلناها سَقْفًا للأرض بقوة وقدرة عظيمة، وإنا لموسعون لأرجائها وأنحائها.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات : ٤٧]، أي:" والسماء خلقناها وأتقناها، وجعلناها سَقْفًا للأرض بقوة وقدرة عظيمة"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوي والسفلي :{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا}، أي : جعلناها سقفا محفوظا رفيعا {بأيد}، أي : بقوة"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والسماء رفعناها سقفا بقوة"(٣).

عن ابن عباس، قوله: "{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، يقول: بقوة"(٤).

عن سعيد، قوله: "{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، قال: بقوة"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{بِأَيْدٍ}، قال: بقوة"(٦).

عن قتادة: "{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، أي: بقوّة"(٧).

عن منصور أنه قال في هذه الآية: "{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، قال: بقوة"(٨).

عن ابن زيد، وسفيان، في قوله:{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، قالا: "بقوة"(٩).

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات : ٤٧]، أي:" وإنا لموسعون لأرجائها وأنحائها"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد، حتى استقلت كما هي"(١١).

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : لموسعون في الرزق، قاله ابن عباس(١٢)، والحسن(١٣)، وبه قال ابن أبي زمنين(١٤).

عن ابن عباس، قال:" لَمُوسِعُونَ الرزق على خلقنا"(١٥).

وحكي الماوردي عن الحسن، قال:" لموسعون في الرزق بالمطر"(١٦).

الثاني : لموسعون السماء، قاله ابن زيد(١٧).

قال ابن زيد:" أوسعها جلّ جلاله"(١٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٧.
(٣) تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.
(٥) الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٢٢):ص٣٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٧.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٥.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢٩٠/٤.
(١٥) الكشف والبيان: ١١٩/٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.
(١٦) النكت والعيون: ٣٧٣/٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٢.

قال الزجاج:" جعلنا بينها وبين الأرض سعة"[١].

وجمع السعدي بين القولين، حيث قال:" {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون أيضا على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك الله دابة في مهامه القفار، ولجج البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها. فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات، وتبارك الذي وسعت رحمته جميع البريات"[٢].

الثالث : يعني: نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد. قاله مقاتل[٣].

الرابع : لموسعون بخلق سماء مثلها، قاله مجاهد[٤]، وابن أبي نجيح[٥]، وابن جريج[٦].

عن ابن أبي نجيح، في قوله: {وإنّا لَمُوسِعُونَ}، قال: "أن نخلق سماء مثلها"[٧].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: {وإنّا لَمُوسِعُونَ}، قال: لنخلق سماء مثلها"[٨].

الخامس : أحاط علمنا بكل شيء. حكاه الثعلبي عن الحسين بن الفضل[٩].

السادس : مطيقون. قاله الحسن[١٠].

عن الحسن: "{وإنّا لَمُوسِعُونَ} مُطيقون"[١١].

وروي عن ابن عباس:" {وإنّا لَمُوسِعُونَ} قادرون[١٢]

السابع : لذو سعة لا يضيق علينا شيء نريده[١٣]. حكي نحوه عن الضحاك[١٤].

عن الضحاك:" {وإنّا لَمُوسِعُونَ} أغنياء"[١٥]، ودليله قوله سبحانه : {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ} [البقرة: ٢٣٦][١٦].

قال الفراء:" أي: إنا لذو وسَعَةٍ لخَلْقِنا. وكذلك قوله جل ذكره: {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ} [البقرة: ٢٣٦]"[١٧].

قال ابن قتيبة:" أي: قادرون. ومنه قوله: {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ}"[١٨].

قال الطبري:" يقول: لذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقه وقدرة عليه. ومنه قوله {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ} [البقرة: ٢٣٦]، يراد به القويّ"[١٩].

قال الزمخشري:" {لَمُوسِعُون}: لقادرون، من الوسع وهو الطاقة. والموسع: القوى على الإنفاق"[٢٠].

---

(١) معاني القرآن: ٥٧/٥.
(٢) تفسير السعدي: ٨١١.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٢/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٥.
(٥) الدر المنثور: ٦٢٣/٧، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر.
(٦)أخرجه ابن أبي حاتم -في الفتح ٨/ ٦٠٠ -.
(٧)أخرجه ابن أبي حاتم -في الفتح ٨/ ٦٠٠ -.
(٨) الدر المنثور: ٦٢٣/٧، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.
(١١)تفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.
(١٢)تفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٥.
(١٤) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.
(١٥)الكشف والبيان: ١١٩/٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.
(١٦) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(١٧) معاني القرآن: ٨٩/٣.
(١٨) غريب القرآن: ٤٢٢.
(١٩) تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٢-٤٣٩.
(٢٠) الكشاف: ٤٠٤/٤.

القرآن

{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨)} [الذاريات : ٤٨]

التفسير:

والأرض جعناها فراشًا للخلق للاستقرار عليها، فنعم الماهدون نحن.

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا} [الذاريات : ٤٨]، أي:" والأرض جعناها فراشًا للخلق للاستقرار عليها"(١).

قال الطبري: يقول:" والأرض جعلناها فراشا للخلق"(٢).

قال ابن كثير:" أي : جعلناها فراشًا للمخلوقات"(٣).

قال السمعاني:" أي: بسطناها"(٤).

قال الثعلبي:" بسطنا ومهّدنا لكم"(٥).

قال السعدي:" أي: جعلناها فراشًا للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن، وغراس، وزرع، وحرث وجلوس، وسلوك للطرق الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم"(٦).

قال مقاتل:" مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من تحت الكعبة"(٧).

قوله تعالى:{فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} [الذاريات : ٤٨]، أي:" فنعم الماهدون نحن"(٨).

عن ابن جريج:" {فَنِعْمَ الماهِدُونَ}، قال: الفارشون"(٩).

قال الطبري: " يقول: فنعم الماهدون لهم نحن"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : وجعلناها مهدا لأهلها"(١١).

قال الثعلبي:" الباسطون، والمعنى في الجمع: التعظيم"(١٢).

قال السمعاني:" المعنى: أنا بسطنا الأرض على الهيئة التي يستقر عليها العباد، ولا تنكفئ بهم على ما يبسط الإنسان فرشا يمهد به لغيره موضع استقرار وسكون"(١٣).

قال السعدي:" ولما كان الفراش، قد يكون صالحًا للانتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها، وأثنى على نفسه بذلك فقال: {فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} الذي مهد لعباده ما اقتضته حكمته ورحمته وإحسانه"(١٤).

قال ابن عباس: "نعم ما وطأت لعبادي"(١٥).

القرآن

{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)} [الذاريات : ٤٩]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٢) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٧.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٦٢/٥.
(٥) الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٦) تفسير السعدي: ٨١١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٩) الدر المنثور: ٦٢٣/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر.
(١٠) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٧.
(١٢) الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(١٣) تفسير السمعاني: ٢٦٢/٥.
(١٤) تفسير السعدي: ٨١١.
(١٥) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط: ١٨٠/٤.

ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين; لكي تتذكروا قدرة الله، وتعتبروا.

قوله تعالى:{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذاريات : ٤٩]، أي:" ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين"[١].

قال الطبري: يقول: " وخلقنا من كل شيء خلقنا زوجين"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذاريات : ٤٩]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنه خلق كل جنس نوعين: الذكر والأنثى. قاله ابن زيد[٣].

عن ابن زيد، قوله :"{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قال: ذكرًا وأنثى، ذاك الزوجان، وقرأ: {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}، قال: امرأته"[٤].

قال الزجاج:" المعنى - والله أعلم - :على الحيوان لأن الذكر والأنثى يقال لهما زَوْجَانِ ومثله: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}، ويجوز أن يكون الزوجان من كل شيء، ويكون المعنى في كل شيء في الحيوان الذكر والأنثى ويكون في غيره صِنفان أصل كل حيوان ومَوَاتٍ"[٥].

الثاني : أنه خلق من كل شيء نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة والهدى والضلالة. قاله مجاهد[٦]. ومقاتل[٧]، وعن الحسن نحوه[٨].

مجاهد، قوله: "{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجنّ"[٩].

قال مقاتل:" يعني: صنفين يعني الليل والنهار، والدنيا والآخرة، والشمس والقمر، والبر والبحر، والشتاء والصيف، والبرد والحر، والسهل والجبل، والسبخة والعذبة"[١٠].

عن الحسن، قوله: "{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قال: الشمس والقمر"[١١].

قال ابن قتيبة:" أي ضِدَّين: ذكرًا وأنثى، وحلْوًا وحامضًا؛ وأشباهَ ذلك"[١٢].

واختار الطبري هذا القول قائلا:" إن الله تبارك وتعالى، خلق لكلّ ما خلق من خلقه ثانيا له مخالفا في معناه، فكلّ واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: «خلقنا زوجين»، وإنما نبه جلّ ثناؤه بذلك من قوله على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كلّ ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كلّ ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة"[١٣].

قال الفراء:" الزَّوجان من جميع الحيوان: الذكَرُ والأنثى، ومِن سوى ذَلِكَ: اختلافُ ألوان النبات، وطُعوم الثمار، وبعضٌ حلوٌ، وبعضٌ حامضٌ، فذانِك زوجان"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٢) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٢.
(٥) معاني القرآن: ٥٧/٥-٥٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(١٢) غريب القرآن: ٤٢٢.
(١٣) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٢.
(١٤) معاني القرآن: ٨٩/٣.

قال ابن كثير:" أي : جميع المخلوقات أزواج : سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات [جن وإنس، ذكور وإناث والنباتات "[١].

قال الماوردي :"وإنما جعل بينكم ما خلق وقضى زوجين ليكون بالوحدانية متفرداً"[٢].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات : ٤٩]، أي:" لكي تتذكروا قدرة الله، وتعتبروا"[٣].

قال مجاهد:" أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد"[٤].

قال مقاتل:" فيما خلق أنه ليس له عدل ولا مثيل، فتوحدونه"[٥].

قال الثعلبي:" فتعلمون أنّ خالق الأزواج فرد"[٦].

قال الطبري:" يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كلّ شيء لا ما لا يقدر على ذلك"[٧].

قال الزمخشري:" أي: فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه"[٨].

قال ابن كثير:" أي : لتعلموا أن الخالق واحدٌ لا شريك له"[٩].

قال السعدي:" {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} لنعم الله التي أنعم بها عليكم في تقدير ذلك، وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها، فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع"[١٠].

القرآن

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)} [الذاريات : ٥٠]

التفسير:

ففروا -أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بيِّن الإنذار.

قوله تعالى:{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات : ٥٠]، أي:" ففروا -أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله، واتباع أمره والعمل بطاعته"[١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : الجئوا إليه، واعتمدوا في أموركم عليه"[١٣].

قال الفراء:" معناه: فرُّوا إليْه إلى طاعتهِ من معصيته"[١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٧.
(٢) النكت والعيون: ٣٧٤/٥.
(٣) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٥):ص٣٤٢٤/١٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(٦) الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٧) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٢.
(٨) الكشاف: ٤٠٤/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٧.
(١٠) تفسير السعدي: ٨١١.
(١١) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(١٢) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٢.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٧.
(١٤) معاني القرآن: ٨٩/٣.

قال الزجاج:" المعنى: ففروا إلى اللّه من الشرك باللّه ومن مَعَاصِيه إليه"[١].
قال الثعلبي:" أي: فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان ومجانبة العصيان"[٢].
قال الزمخشري:" أي: إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه، ووحدوه ولا تشركوا به شيئا"[٣].
قال ابن عباس: "فرّوا منه إليه، واعملوا بطاعته"[٤].
وقال أبو بكر الورّاق: "فرّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرّحمن"[٥].
أخرج الثعلبي عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان في قوله سبحانه {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}، قال: اخرجوا إلى مكة"[٦].
عن الحسين بن الفضل: "احترزوا من كل شيء دونه، فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه"[٧].
قال الجنيد: "الشيطان داع إلى الباطل، فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ يمنعكم منه"[٨].
قال ذو النون: "ففرّوا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر"[٩].
قال عمرو بن عثمان: "فرّوا من أنفسكم إلى ربّكم"[١٠].
قال الواسطي: "فرّوا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم"[١١].
قال سهل بن عبد الله: "فرّوا مما سوى الله إلى الله"[١٢].
قال القشيري:" أي: فارجعوا إلى الله- والإنسان بإحدى حالتين إمّا حالة رغبة في شيء، أو حالة رهبة من شيء، أو حال رجاء، أو حال خوف، أو حال جلب نفع أو رفع ضرّ.. وفي الحالتين ينبغي أن يكون فراره إلى الله فإنّ النافع والضارّ هو الله. ويقال: من صحّ فراره إلى الله صحّ قراره مع الله. ويقال: يجب على العبد أن يفرّ من الجهل إلى العلم، ومن الهوى إلى التّقى، ومن الشّكّ إلى اليقين، ومن الشيطان إلى الله"[١٣].
قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات : ٥٠]، أي:" إني لكم نذير بيِّن الإنذار"[١٤].
قال الطبري:" يقول: إني لكم من الله نذير أنذركم عقابه، وأخوّفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذي قصّ عليكم قصصهم، والذي هو مذيقهم في الآخرة، وقوله: {مُبِينٌ}، يقول: يبين لكم نذارته"[١٥].
قال الزجاج:" أي: أنذركم عذابه وعقابه"[١٦].
قال الزمخشري:" وكرّر قوله: {إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} عند الأمر بالطاعة والنهى عن الشرك، ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما أنّ العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنه لا

---

(١) معاني القرآن: ٥٨/٥.
(٢) الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٣) الكشاف: ٤٠٤/٤-٤٠٥.
(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٦) الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(١٣) لطائف الإشارات: ٤٦٩/٣.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(١٥) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٢.
(١٦) معاني القرآن: ٥٨/٥.

يفوز عند الله إلا الجامع بينهما. ألا ترى إلى قوله تعالى {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام : ١٥٨]"[١].

القرآن

{وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)} [الذاريات : ٥١]

التفسير:

ولا تجعلوا مع الله معبودًا آخر، إني لكم من الله نذير بيِّن الإنذار.

قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الذاريات : ٥١]، أي:" ولا تجعلوا مع الله معبودًا آخر"[٢].

قال الطبري: يقول: " ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذي خلقكم معبودًا آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ولا تشركوا به شيئا"[٤].

قال المراغي:" أي: ولا تجعلوا مع معبودكم الذي خلقكم معبودا آخر سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره"[٥].

قال أبو السعود:" وفيه تأكيد لما قبله من الأمر بالفرار من العقاب إليه تعالى، لكن لا بطريق التكرير كما قيل، بل بالنهى عن سببه وإيجاب الفرار"[٦].

قال السعدي:" {وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} هذا من الفرار إلى الله، بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد من اتخاذ آلهة غير الله، من الأوثان، والأنداد والقبور، وغيرها، مما عبد من دون الله، ويخلص العبد لربه العبادة والخوف، والرجاء والدعاء، والإنابة"[٧].

قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات : ٥١]، أي:" إني لكم من الله نذير بيِّن الإنذار"[٨].

قال الطبري: " يقول: إني لكم أيها الناس نذير من عقابه على عبادتكم إلها غيره، مبين قد أبان لكم النذارة"[٩].

قال القشيري:" أخوّفكم أليم عقوبته إن أشركتم به- فإنّه لا يغفر أن يشرك به"[١٠].

عن ابن عباس:" {نذير}، قال: نذير من النار"[١١].

فوائد الآيات: [٤٧-٥١]:

١- تقرير التوحيد والبعث بمظاهر القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء ومظاهر العلم والحكمة المتجلية في كل شيء.

٢- ظاهرة الزوجية في الكون في الذرة انبهر لها العقل الإنساني وهي مما سبق إليه القرآن الكريم وقرره في غير موضع منه: سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون. فدل هذا قطعاً على أن القرآن وحي الله وأن من أوحى به إليه وهو محمد بن عبد الله لن يكون إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- التحذير من الشرك فإنه ذنب عظيم لا يغفر إلا بالتوبة الصحيحة النصوح.

---

(١) الكشاف: ٤/٤٠٤-٤٠٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٢/٤٤٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٧/٤٢٤.
(٥) تفسير المراغي: ٢٧/١٠.
(٦) تفسير أبي السعود: ٨/١٤٣.
(٧) تفسير السعدي: ٨١١.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٩) تفسير الطبري: ٢٢/٤٤١.
(١٠) لطائف الإشارات: ٣/٤٦٩.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٧٦):ص٨/٢٧٨٩.

القرآن

{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢)} [الذاريات : ٥٢]

التفسير:

كما كذبت قريش نبيَّها محمدًا صلى الله عليه وسلم، وقالوا: هو شاعر أو ساحر أو مجنون، فعلت الأمم المكذبة رسلها من قبل قريش، فأحلَّ الله بهم نقمته.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كما كذبت قريش نبيها محمدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وقالت: هو شاعر، أو ساحر أو مجنون، كذلك فعلت الأمم المكذّبة رسلها، الذين أحلّ الله بهم نقمته، كقوم نوح وعاد وثمود، وفرعون وقومه، ما أتى هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم، يعني من قبل قريش قوم محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من رسول إلا قالوا: ساحر أو مجنون، كما قالت قريش لمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(١).

قال الزجاج:" المعنى: الأمر كذلك، أي: كما فعل من قبلهم في تَكذيبِ الرسُل {إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}، أي: إلا قالوا هذا ساحر"(٢).

قال البغوي:" أي: كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك، {مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} من قبل كفار مكة، {مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم : وكما قال لك هؤلاء المشركون، قال المكذبون الأولون لرسلهم :{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}"(٤).

قال السمعاني:" وهذا تسلية للنبي، أي: كما قيل لك فقد قيل لمن قبلك من الرسل"(٥).

قال الشوكاني:" في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن هذا شأن الأمم المتقدمة، وأن ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله، ووصفه بالسحر والجنون، قد كان ممن قبلهم لرسلهم"(٦).

قال الصابوني:" هذه تسلية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي كما كذبك قومك يا محمد، وقالوا عنك إنك ساحرٌ أو مجنون، كذلك قال المكذبون الأولون لرسلهم، فلا تحزن لما يقول المجرمون"(٧).

عن قتادة: "{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}، يعزي نبيّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كما تسمعون، يقول: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}"(٨).

قال ابن عطية:" قوله تعالى: {كَذلِكَ}، تقديره: سيرة الأمم كذلك، أو الأمر في القديم كذلك. وقوله: {إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}، معناه: إلا قال بعض: هذا وبعض: الجميع ألا ترى أن قوم نوح لم يقولوا قط: «ساحِرٌ»، وإنما قالوا: {بِهِ جِنَّةٌ} [سبأ: ٨]، فلما اختلف الفرق جعل الخبر عن ذلك بإدخال أو بين الصفتين، وليس المعنى أن كل أمة قالت عن نبيها إنه ساحر أو هو مجنون، فليست هذه كالمتقدمة في فرعون، بل هذه كأنه قال: إلا قالوا هو ساحر وهو مجنون"(٩).

---

(١) تفسير الطبري: ٤٤١/٢٢.
(٢) معاني القرآن: ٥٨/٥.
(٣) تفسير البغوي: ٣٧٩/٧-٣٨٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(٥) تفسير السمعاني: ٢٦٣/٥.
(٦) فتح القدير: ١٠٩/٥.
(٧) صفوة التفاسير: ٢٤٠/٣. وأثناء هذا النقل-٢٠٢١/٣/١٩-، سمعنا نبأ وفاة الشيخ محمد علي الصابوني-رحمه الله-.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢١.
(٩) المحرر الوجيز: ١٨٢/٥.

القرآن
{أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)} [الذاريات : ٥٣]
التفسير:
أتواصى الأولون والآخرون بالتكذيب بالرسول حين قالوا ذلك جميعًا؟ بل هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فقال متأخروهم ذلك، كما قاله متقدموهم.
قوله تعالى:{أَتَوَاصَوْا بِهِ} [الذاريات : ٥٣]، أي:" أتواصى الأولون والآخرون بالتكذيب بالرسول حين قالوا ذلك جميعًا؟"(١).
قال الفراء:" معناه: أتواصى به أهلُ مكة، وَالْأمم الماضيةُ، إِذْ قَالُوا لَكَ كما قَالَتِ الأمَمُ لرُسلها"(٢).
قال أبو عبيدة:" أتواطئوا عليه وأخذه بعضهم عن بعض، وإذا كانت شيمة غالبة على قوم، قيل: كأنما تواصوا بكذا وكذا"(٣).
قال الزجاج:" معناه: أوصى أولهم آخرهم، وهذه «ألف» التوبيخ و«ألف» الاستفهام"(٤).
قال الطبري:" أأوصى هؤلاء المكذّبين من قريش محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على ما جاءهم به من الحق أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم، بتكذيب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقبلوا ذلك عنهم"(٥).
قال مقاتل:" يقول: أوصى الأول الآخر أن يقولوا ذلك لرسلهم"(٦).
قال ابن كثير:" أي : أوصى بعضُهم بعضا بهذه المقالة ؟"(٧).
قال قتادة:" أي: كان الأوّل قد أوصى الآخر بالتكذيب"(٨).
قال قتادة:" أوصى أولاهم أخراهم بالتكذيب"(٩).
قوله تعالى:{بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات : ٥٣]، أي:" بل هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فقال متأخروهم ذلك، كما قاله متقدموهم"(١٠).
قال مقاتل:" يعنى: عاصين"(١١).
قال الطبري: يقول:" ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم، لا يأتمرون لأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه"(١٢).
قال ابن كثير:" أي : لكن هم قوم طغاة، تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم"(١٣).
قال ابن عباس:" حمَلهم الطغيانُ فيما أعطيتهم ووسّعتُ عليهم على تكذيبك"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٢) معاني القرآن: ٨٩/٣.
(٣) مجاز القرآن: ٢٢٧/٢-٢٢٨.
(٤) معاني القرآن: ٥٨/٥.
(٥) تفسير الطبري: ٤٤١/٢٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ٤٤٢/٢٢.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(١٤) التفسير الوسيط للواحدي: ٤/ ١٨٠، وتفسير البغوي ٧/ ٣٨٠.

القرآن
{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤)} [الذاريات : ٥٤]
التفسير:
فأعرضْ -أيها الرسول- عن المشركين حتى يأتيك فيهم أمر الله، فما أنت بملوم من أحد، فقد بلَّغت ما أُرسلت به.
قوله تعالى:{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} [الذاريات : ٥٤]، أي:" فأعرضْ -أيها الرسول- عن المشركين حتى يأتيك فيهم أمر الله"(١).
قال مقاتل:" يعنى: فأعرض عنهم، فقد بلغت وأعذرت"(٢).
قال الزجاج:" معناه: أي: لا لوم عليك إذ أديت الرسَالة"(٣).
قال ابن كثير:" أي : فأعرض عنهم يا محمد"(٤).
قال أبو عبيدة:" أي: أعرض عنهم واتركهم، قال حصين بن ضمضم(٥):
أمَّا بَنُو عبس فإنَّ هَجِينَهُمْ ... ولَّى فَوَارسهُ وَأفْلتَ أعْوَرا
والأعور الذي قد عوّر فلم يقض حاجته ولم يصب ما طلب"(٦).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: فتولّ يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش، يقول: فأعرض عنهم حتى يأتيك فيهم أمر الله، يقال: ولى فلان عن فلان: إذا أعرض عنه وتركه"(٧).
قوله تعالى:{فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} [الذاريات : ٥٤]، أي:" فما أنت بملوم من أحد، فقد بلَّغت ما أُرسلت به"(٨).
قال مقاتل:" يقول: فلا تلام"(٩).
قال ابن كثير:" يعني : فما نلومك على ذلك"(١٠).
قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: فما أنت يا محمد بملوم، لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار، فقد أنذرت، وبلغت ما أرسلت به"(١١).
عن مجاهد، قوله: "{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ}، قال: محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(١٢).
قال ابن زيد:" قد بلغت ما أرسلناك به، فلست بملوم، قال: وكيف يلومه، وقد أدّى ما أمر به"(١٣).

القرآن
{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)} [الذاريات : ٥٥]
التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(٣) معاني القرآن: ٥٨/٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(٥)«حصين بن ضمضم» : له ذكر فى الأغانى ٩/ ١٤٢- ١٤٣. والبيت في تفسير الطبري: ٤٤٢/٢٢.
(٦) مجاز القرآن: ٢٢٨/٢.
(٧) تفسير الطبري: ٤٤٢/٢٢.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(١١) تفسير الطبري: ٤٤٢/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.

ومع إعراضك -أيها الرسول- عنهم، وعدم الالتفات إلى تخذيلهم، داوم على الدعوة إلى الله، وعلى وعظ من أُرسلتَ إليهم; فإن التذكير والموعظة ينتفع بهما أهل القلوب المؤمنة، وفيهما إقامة الحجة على المعرضين.

سبب النزول:

قال مجاهد:" خرج عليّ معتجرًا ببرد، مشتملا بخميصة، فقال لما نزلت: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ}، أحزننا ذلك وقلنا: أمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يتولى عنا حتى نزل: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}"[1].

قال قتادة:" ذُكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية-{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} [الذاريات : ٥٤]-، اشتدّ على أصحاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}"[2].

قال مقاتل:" فحزن النبي- صلى الله عليه وسلم- مخافة أن ينزل بهم العذاب[3]، فأنزل الله- تعالى- {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِين}"[4].

قال الثعلبي:" قال المفسرون: فلمّا نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، واشتدّ ذلك على أصحابه، ورأوا أن الوحي قد انقطع وأنّ العذاب قد حضر، فأنزل الله سبحانه: { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِين}"[5].

قوله تعالى:{وَذَكِّرْ} [الذاريات : ٥٥]، أي:" ومع إعراضك -أيها الرسول- عنهم، وعدم الالتفات إلى تخذيلهم، داوم على الدعوة إلى الله، وعلى وعظ من أُرسلتَ إليهم"[6].

قال الطبري:" يقول: وعظ يا محمد من أرسلت إليه"[7].

قال الزجاج:" أي: ذكرهم بأيام الله وعذابه وعقابه ورحمته"[8].

عن مجاهد: "{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: وعظهم"[9].

قوله تعالى:{فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات : ٥٥]، أي:" فإن التذكير والموعظة ينتفع بهما أهل القلوب المؤمنة، وفيهما إقامة الحجة على المعرضين"[10].

قال الطبري: يقول:" فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله"[11].

قال ابن كثير:" أي : إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة "[12].

عن سليمان بن حبيب المحاربي، قال: "مَن وجد للذكرى في قلبه موقعًا فليعلم أنّه مؤمن؛ قال الله: {وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}"[13].

القرآن

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)} [الذاريات : ٥٦]

التفسير:

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(٣) أي: بعد نزول قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} [الذاريات : ٥٤].
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(٥) الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٧) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(٨) معاني القرآن: ٥٨/٥.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(١١) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(١٣) الدر المنثور: ٦٢٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

وما خلقت الجن والإنس وبعثت جميع الرسل إلا لغاية سامية، هي عبادتي وحدي دون مَن سواي.

قال ابن كثير:" أي : إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم "[١].

واختلف في تفسير قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : ٥٦]، على وجوه:

أحدها : إلا ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرهاً ، قاله ابن عباس[٢].

وبه قال الطبري، قائلا:" الصواب: القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا، فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جار عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه"[٣].

الثاني : معناه: إلّا لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي. قاله علي بن أبي طالب[٤]. واعتمد الزجاج هذا القول[٥]، ويؤيده قوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا} [التوبة : ٣١]، وقوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة : ٥].

قال الزجاج:" اللَّه - عزَّ وَجَلّ - قد علم من قبل أن يَخْلُقَ الجنَّ والإنسَ من يعبده مِمَّنْ يكفر به، فلو كان إنما خلقهم ليجبرهم على عِبَادَتِه لكانوا كلهم عباداً مؤمنين ولم يكن منهم ضُلَّالٌ كافِرونَ. فالمعنى: وما خلقت الجنَّ والإنس إلا لأدعوهم إلى عِبَادَتِي. وأنا مريدٌ العِبَادَةَ مِنْهُمْ، يعني من أهلها"[٦].

وحكي الماوردي عن مجاهد، قال:" إلا لآمرهم وأنهاهم"[٧].

الثالث : إلا لأجبلهم على الشقاء والسعادة ، قاله زيد بن أسلم[٨].

قال زيد بن اسلم:" ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة"[٩].

وفي رواية:" جَبَلَهم على الشقاء والسعادة"[١٠].

وفي رواية:" ما جبلوا عليه من الطاعة والمعصية"[١١].

وعن سفيان: "{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ}، قال: من خلق للعبادة"[١٢].

قال الفراء:" إلا ليوحِّدوني، وَهذه خاصّةٌ يقولُ: وَما خلقت أهلَ السعادةِ من الفريقين إلا ليُوحِّدُوني"[١٣].

الرابع : إلا ليعرفوني، قاله مجاهد[١٤]، والضحاك[١٥]، وابن جريج[١٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٢.
(٣) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٢.
(٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(٥) انظر: معاني القرآن: ٥٨/٥.
(٦) معاني القرآن: ٥٨/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٢.
(١١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٩٧):ص٢٤١/٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٢.
(١٣) معاني القرآن: ٨٩/٣.
(١٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٥/٥.
(١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.

وحكي الثعلبي عن مجاهد هذا القول وحسّنه، إذ قال:" ولقد أحسن في هذا القول لأنّه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده، ودليل هذا التأويل قوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم} [العنكبوت : ٦١] الآيات"[١].

الخامس : إلا للعبادة، وهو الظاهر، وبه قال الربيع بن انس[٢].

قال الإمام الشافعي:" خلق الله تعالى الخلق لعبادته"[٣].

قال ابن كثير: "وقال السدي : من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان : ٢٥] هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع الشرك "[٤].

وقال عكرمة:" إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ويطيعون. فأثيب العابد وأعاقب الجاحد"[٥].

السادس: أي: إلا ليوحّدون. قاله مقاتل[٦]، وابن قتيبة[٧].

قال ابن قتيبة:" يعني: المؤمنين منهم؛ أي: ليوحِّدوني، ومثله قوله: {فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: ٨١]، أي: الموحِّدين"[٨].

وقال الضحاك وسفيان: "هذا خاص لأهل عبادته وطاعته"[٩].

قال الثعلبي: "يدلّ عليه ما قرأه ابن عباس: «وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ من المؤمنين إِلَّا لِيَعْبُدُونِ». قال في آية أخرى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْس} [الأعراف : ١٧٩]"[١٠].

وروى حيّان عن الكلبي: "إلّا ليوحّدون، فأمّا المؤمن فيوحّده في الشدّة والرخاء، وأمّا الكافر فيوحده في الشدّة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله سبحانه: فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الآية"[١١].

قال مقاتل:" يعنى: إلا ليوحدون، وقالوا: إلا ليعرفون، يعني: ما أمرتهم إلا بالعبادة ولو أنهم خلقوا للعبادة، ما عصوا طرفة عين"[١٢].

قال الثعلبي في الآية:" ووجه الآية في الجملة أنّ الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة وإجبار وإنّما خلقه لهم خلق تكليف واختيار، فمن وفّقه وسدّده أقام العبادة التي خلق لها، ومن خذله وطرده حرمها وعمل بما خلق لها. كقوله صلّى الله عليه وسلّم: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[١٣]"[١].

---

(١) الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(٣) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٨٨/٣.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(٧) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢١٧، وغريب القرآن: ٤٢٢.
(٨) غريب القرآن: ٤٢٢.
(٩) حكاه عنهما الثعلبي في :الكشف والبيان: ١٢٠/٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧. حكاه عن الضحاك بلفظ:«المراد بذلك المؤمنون».
(١٠) الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(١١) الكشف والبيان: ١٢٠/٩.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.
(١٣)حديث ذي اللحية الكلابي: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٦٧/٤، رقم ١٦٦٨١) ، والطبراني (٢٣٧/٤، رقم ٤٢٣٥) ، قال الهيثمي (١٩٤/٧) : رواه ابن أحمد، والطبراني ورجاله ثقات. وأخرجه أيضا: أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٠٣٢/٢ رقم ٢٦١٩) ، وأورده الحافظ فى الإصابة (٤١٧/٢ ترجمة ٢٤٦٩ ذو اللحية الكلابي) وعزاه للبغوي، والطبراني، والحسن بن سفيان، وابن قانع، وابن أبى خيثمة عن ذي اللحية الكلابي أنه قال يا رسول الله أنعمل في أمر مستأنف أم في أمر قد فرغ منه الحديث.

قال ابن كثير:" معنى الآية : أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب"[٢].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« قال الله : "يا ابن آدم، تَفَرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غِنًى، وأسدّ فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك»"[٣].

عن سلام أبي شُرحْبيل، سمعت حَبَّة وسواء ابني خالد يقولان : "أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملا أو يبني بناء - وقال أبو معاوية : يصلح شيئا - فأعناه عليه، فلما فرغ دعا لنا وقال : «لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يعطيه الله ويرزقه»"[٤].

قال ابن كثير:" وقد ورد في بعض الكتب الإلهية : "يقول الله تعالى : ابن آدم، خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبني تجدني ؛ فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء"[٥].

القرآن

{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧)} [الذاريات : ٥٧]

التفسير:

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، فأنا الرزاق المعطي. فهو سبحانه غير محتاج إلى الخلق، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم والغني عنهم.

قوله تعالى:{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ} [الذاريات : ٥٧]، أي:" لا أريد منهم أن يرزقوني أو يرزقوا أنفسهم أو غيرهم، بل أنا الرزَّاق المعطي"[٦].

قال مقاتل:" يقول: لم أسألهم أن يرزقوا أحدا"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما أريد ممن خلقت من الجنّ والإنس من رزق يرزقونه خلقي"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: ما أريد أن يَرزُقوا أنفُسَهم"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} [الذاريات : ٥٧]، أي:" ولا أُريد منهم أن يطعموا خلقي ولا أن يطعموني فأنا الغني الحميد"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: أن يرزقون"[١].

حديث ابن عباس: أخرجه الطبراني (١٨/١١، رقم ١٠٨٩٩) ، قال الهيثمي (١٩٥/٧) : رجال الطبراني ثقات. وأخرجه أيضا: البزار كما فى كشف الأستار (١٩/٣، رقم ٢١٣٩) .

حديث على بن أبى طالب: أخرجه البخاري (١٨٩١/٤ رقم ٤٦٦٦) ، ومسلم (٢٠٤٠/٤، رقم ٢٦٤٧) . وأخرجه أيضا: أحمد (٨٢/١، رقم ٦٢١) ، والترمذي (٤٤٥/٤، رقم ٢١٣٦) ، والبزار (١٩٨/٢، رقم ٥٨٢) .

حديث أبى بكر الصديق: أخرجه البزار (٨٣/١، رقم ٢٨) .

حديث سعد بن أبى وقاص: أخرجه القضاعي (٣٩٣/١، رقم ٦٧٤) .

حديث سراقة بن مالك: أخرجه الطبراني (١١٩/٧، رقم ٦٥٦٢).

(١) الكشف والبيان: ١٢١/٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.

(٣)المسند (٣٥٨/٢) وسنن الترمذي برقم (٢٤٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٠٧)، قال ابن كثير٤٢٦/٧: "حسن غريب".

(٤)المسند (٤٦٩/٣).

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٧.

(٦) صفوة التفاسير: ٢٤٠/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٤/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٢.

(٩) غريب القرآن: ٤٢٢.

(١٠) صفوة التفاسير: ٢٤٠/٣.

قال الفراء:" يقول: ما أريدُ منهم أن يرزقوا أنفسهم"[٢].
قال الطبري:" يقول: وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم، ومن طعام أن يطعموهم"[٣].
قال الفراء وابن قتيبة:" أي: يُطعموا أحدًا من خلقي"[٤].
عن ابن عباس: "{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ}، قال: يطعمون أنفسهم"[٥].
قال الحسن:" أن يرزقوا أنفسهم"[٦].
قال ابن كثير:" أخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم"[٧].

القرآن
{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)} [الذاريات : ٥٨]
التفسير:
إن الله وحده هو الرزاق لخلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القوة المتين، لا يُقْهَر ولا يغالَب، فله القدرة والقوة كلها.
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ} [الذاريات : ٥٨]، أي:" إن الله وحده هو الرزاق لخلقه، المتكفل بأقواتهم"[٨].
قال النحاس:" أي: الرّزاق خلقه المتكفل بأقواتهم"[٩].
قال الزجاج:" لأني أنا الرزاقُ المطعِمُ"[١٠].
قوله تعالى:{ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات : ٥٨]، أي:" ذو القوة المتين، لا يُقْهَر ولا يغالَب، فله القدرة والقوة كلها"[١١].
قال الزجاج: يعني: " ذو الاقْتِدَارِ الشديد"[١٢].
قال ابن قتيبة:" {الْمَتِين}: الشديد القويّ"[١٣].
عن ابن عباس، قوله: "{ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}، يقول: الشديد"[١٤].
قال مقاتل:" {ذُو الْقُوَّةِ}، يعني: البطش في هلاكهم ببدر، {الْمَتِينُ}، يعني: الشديد"[١٥].
قال الزجاج:" القراءة، الرفْعُ وهو في العربية أحسن يكون رفع {الْمَتِينُ} صفة لِلّهِ عزّ وجَل، ومن قرأ {ذو القوةِ المتين} - بالخفض - جعل «المتين» صفة للقوة، لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة، كما قال: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ} [البقرة : ٢٧٥]، المعنى: فمن جاءه وَعظ"[١٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٤/٤.
(٢) معاني القرآن: ٩٠/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٢.
(٤) معاني القرآن: ٩٠/٣، وغريب القرآن: ٤٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٢.
(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/ ٢٩٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٩) إعراب القرآن: ١٦٨/٤.
(١٠) معاني القرآن: ٥٩/٥.
(١١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(١٢) معاني القرآن: ٥٩/٥.
(١٣) غريب القرآن: ٤٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٢.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٤/٤.
(١٦) معاني القرآن: ٥٩/٥.

القرآن

{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩)} [الذاريات : ٥٩]

التفسير:

فإن للذين ظلموا بتكذيبهم الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم نصيبًا من عذاب الله نازلا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضَوْا من قبلهم، فلا يستعجلون بالعذاب، فهو آتيهم لا محالة.

قوله تعالى:{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ} [الذاريات : ٥٩]، أي:" فإن للذين ظلموا بتكذيبهم الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم نصيبًا من عذاب الله نازلا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضَوْا من قبلهم"(١).

قال الطبري: يقول:" فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبا وحظا نازلا بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على منهاجهم من العذاب"(٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ} [الذاريات : ٥٩]، وجوه:

أحدها : عذاباً مثل عذاب أصحابهم، قاله قتادة(٣)، وعطاء(٤).

الثاني : يعني: سجلا من العذاب. قاله سعيد بن جبير(٥)، ومجاهد(٦)، وقتادة(٧)، وابن زيد(٨).

عن مجاهد: "{ذَنُوبا}، قال: سجلا"(٩).

قال قتادة:" سجلا من عذاب الله"(١٠).

قال ابن زيد:" يقول: لهم سجل من عذاب الله، وقد فعل هذا بأصحابهم من قبلهم، فلهم عذاب مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون"(١١).

الثالث: طَرَفا من العذاب. قاله إبراهيم(١٢).

الرابع : يعني بالذنوب: الدلو ، قاله ابن عباس(١٣)، والحسن(١٤)،قال الشاعر(١٥) :

لَنا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبُ ... فإنْ أَبَيْتُم فَلَنا القَلِيبُ (١٦)

قال الحسن:" دلوا مثل دلو أصحابهم"(١٧).

قال الماوردي:" ولا يسمى الذنوب دلواً حتى يكون فيه ماء"(١٨).

وقال الحسن:" دولة مثل دولة أصحابهم"(١٩).

الخامس : يعني بالذنوب: النصيب، قاله أبو عبيدة(٢٠). واستشهد بقول علقمة بن عبدة(١) :

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٥/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٩/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(١٥) الرجز بلا نسبة في لسان العرب: ١/ ٣٩٢، وتفسير الثعلبي: ١٢٢/٩، والنكت والعيون: ٣٧٥/٥.
(١٦)في «القاموس» القليب: البئر.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٢.
(١٨) النكت والعيون: ٣٧٥/٥.
(١٩) تفسير إسحاق البستي(١١٢٠):ص٤٣٧/٢.
(٢٠) انظر: مجاز القرآن: ٢٢٨/٢.

وفى كل يوم قد خبطت بنائل ... فحقّ لشأش من نداك ذنوب

قال الزجاج:" «الذَّنُوب» -في اللغة- النصيب، و«الدلو»، يقال لها: الذنوب. المعنى: فإن للذين ظلموا نصيباً من العذاب مثلَ نَصيبِ أصْحَابِهم الذين أهلكوا نحو عاد وثمود وقوم لوط"[٢].

قال ابن قتيبة:" « الذَّنوب »: الحظ والنصيب. وأصله: الدَّلْوُ العظيمة. وكانوا يَسْتَقون فيكون لكل واحدٍ ذنوبٌ. فجُعل «الذَّنوب» مكان «الحظ والنصيب»: على الاستعارة"[٣].

قال الطبري: المعنى:" فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوبا، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضا إذا مُلئت أو قاربت الملء، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظّ والنصيب"[٤].

قال الماوردي: "ويعني بأصحابهم من كذب بالرسل من الأمم السالفة ليعتبروا بهلاكهم"[٥].

قوله تعالى:{فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ} [الذاريات : ٥٩]، أي:" فلا يستعجلون بالعذاب، فهو آتيهم لا محالة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : فلا يستعجلون ذلك، فإنه واقع بهم لا محالة"[٧].

قال الطبري: يقول:" فلا يستعجلون بالعذاب"[٨].

قال الزجاج:" أي: إن أُخِّرُوا إلى يَوْمِ القيامَةِ"[٩].

القرآن

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)} [الذاريات : ٦٠]

التفسير:

فهلاك وشقاء للذين كفروا بالله ورسوله من يومهم الذي يوعدون فيه بنزول العذاب بهم، وهو يوم القيامة.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فالوادي السائل في جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد"[١٠].

قال الماتريدي:" وهو يوم القيامة"[١١].

قال ابن كثير:" يعني : يوم القيامة "[١٢].

قال النحاس:" أي: يوعدون فيه بنزول العذاب"[١٣].

قال الشوكاني:" قيل: هو يوم القيامة، وقيل: يوم بدر، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها"[١].

---

(١)ديوانه من الستة: ص ١٠٧، والكتاب: ٢/ ٤٧٣، وتفسير الطبري: ٤٤٧/٢٢، والشنتمرى: ٢/ ٤٢٣ وتفسير القرطبي: ١٧/ ٥٧، وشواهد الكشاف: ٤٣.

(٢) معاني القرآن: ٥٩/٥.

(٣) غريب القرآن: ٤٢٢.

(٤) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٢.

(٥) النكت والعيون: ٣٧٥/٥.

(٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٢.

(٩) معاني القرآن: ٥٩/٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٤٩/٢٢.

(١١) تأويلات أهل السنة: ٤٧٠/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٧.

(١٣) إعراب القرآن: ١٦٩/٤.

قال السعدي:" وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والسلاسل والأغلال، فلا مغيث لهم، ولا منقذ من عذاب الله تعالى -نعوذ بالله منه-"[٢].

فوائد الآيات: [٥٢-٦٠]:

١- بيان سنة بشرية وهي التكذيب والاتهام بالباطل وقلب الحقائق لكل من جاءهم يدعوهم إلى خلاف مألوفيهم وما اعتادوه من باطلٍ وشرٍ فيدفعون بالقول فإذا أعياهم ذلك دفعوا بالفعل وهي الحرب والقتال.

٢- بيان أن طغيان النفس يتولد عنه كل شر والعياذ بالله.

٣- مشروعية التذكير، وأنه ينتفع به من أراد الله إيمانه ممن لم يؤمن، ويزداد به إيمان المؤمنين الحاليين.

٤- بيان علة خلق الإنس والجن وهي عبادة الله وحده.

٥- بيان غنى الله تعالى عن خلقه، وعدم احتياجه إليهم بحال من الأحوال.

٦- توعد الرب تبارك وتعالى الكافرين وأن نصيبهم من العذاب نازل بهم لا محالة.

«آخر تفسير سورة (الذاريات)، والحمد لله وحده»

---

(١) فتح القدير: ١١١/٥.

(٢) تفسير السعدي: ٨١٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الطور»

«سورة الطور» هي السورة الثانية والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والسبعون وفق ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة نوح»، وقبل «سورة المؤمنين». عدد آياتها تسع وأربعون في عد الكوفة والشأم، وثمان في البصرة، وسبع في الحجاز. كلماتها ثلاثمائة واثنتا عشرة. وحروفها ألف وخمسمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {وَالطُّورِ} [الطور : ١]، {دَعًّا} [الطور : ١٣]، مجموع فواصل آياتها: «من رعا»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أسمها التوقيفي: «سورة الطور»:**

سميت هذه السورة عند السلف «سورة الطور» دون «واو» قبل «الطور»[٢]، وكذلك وقعت تسميتها في ترجمتها من «جامع الترمذي»[٣]، وسنن النسائي[٤]، وفي المصاحف التي رأيناها، وكثير من التفاسير[٥]. وهذا على التسمية بالإضافة، أي: سورة ذكر الطور كما يقال: سورة البقرة، وسورة الهدهد، وسورة المؤمنين[٦].

وفي ترجمة هذه السورة من تفسير «صحيح البخاري»: «سورة والطور»[٧]، بالواو على حكاية اللفظ الواقع في أولها، كما يقال: «سورة قل هو الله أحد».

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير اسمها المشهورة به.

ووجه تسميتها بسورة «الطور»، لافتتاحها بقسم الله تعالى بالطور، وذلك في قوله تعالى: {وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)} [الطور : ١ - ٢]، وقد ورد هذا اللفظ في عدة سور من القرآن الكريم، مثل سورة البقرة[٨]، والنساء[٩]، ومريم[١٠]، وطه[١١]، والمؤمنون[١٢]، والقصص[١٣]، والتين[١٤].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤١.

(٢) كما سيأتي الروايات في فضائل السورة.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٤٥/٥.

(٤) انظر: سنن النسائي: ٢٧٢/١٠.

(٥) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٢، وتفسير السمعاني: ٢٦٦/٥، وتفسير البغوي: ٣٨٢/٧، وتفسير القرطبي: ٨/١٧، وغيرها.

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥/٢٧.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٣٩/٦.

(٨) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٦٣]، وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة : ٩٣] .

(٩) وذلك في قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء : ١٥٤].

(١٠) وذلك في قوله تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم : ٥٢].

(١١) وذلك في قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [طه : ٨٠].

(١٢) وذلك في قوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} [المؤمنون : ٢٠].

(١٣) وذلك في قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [القصص : ٢٩]، وقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص : ٤٦].

(١٤) وذلك في قوله تعالى: {وَطُورِ سِينِينَ} [التين : ٢].

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سُورَة الطّور بِمَكَّة"[١]. وروي عن ابن الزبير -رضي الله عنه- مثله[٢].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين والرواة"[٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلها بإجماعهم"[٤].

قال القرطبي:" سورة «والطور» مكية كلها في قول الجميع"[٥].

قال ابن عاشور:" هي مكية جميعها بالاتفاق"[٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- إن في ابتداء كل منهما وصف حال المتقين.

٢- إن في نهاية كل منهما وعيد للكافرين.

٣- إن كلا منهما بدئت بقسم بآية من آياته تعالى الكونية التي تتعلق بالمعاش أو المعاد، ففي الأولى أقسم بالرياح الذاريات التي تنفع الإنسان في معاشه، وهنا أقسم بالطور الذي أنزل فيه التوراة النافعة للناس في معادهم.

٤- في كل منهما أمر النبي بالتذكير والإعراض عما يقول الجاحدون من قول مختلف.

٥- تضمنت كلتاهما الحجاج على التوحيد والبعث، إلى نحو ذلك من المعاني المتشابهة في السورتين[٧].

٦- ومن المناسبة بين «الطور» و«الذاريات» أنه تعالى ذكر تكذيب الكافرين، ورد عليهم في إيجاز في الذاريات بقوله: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات: ٥٢]، وما بعدها، ثم فصل ذلك في الطور من قوله: {فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ} [الطور: ٢٩] إلى آخر السورة.

قال السيوطي:" وجه وضعها بعد «الذاريات»: تشابههما في المطلع والمقطع؛ فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين بقوله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ} [الذاريات: ١٥]، [الطور: ١٧]، الآيات، وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار، بقوله في تلك: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [الذرايات:٦٠]، وفي هذه: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا } [الطور : ٤٢]"[٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يدور موضوع سورة «الطور» حول معالجة الجاحدين بيوم الدين، والمكذبين برسالة سيد المرسلين، والمعرضين عن القرآن المبين، ومعالجة جاحدي ربوبيته جلَّ وعلا، ومُدَّعِي أكاذيب اعتقادية، تناقض ما يجب أن يؤمنوا به، ومعالجة مريدي تدبير الكيد؛ للتخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الذين آمنوا به واتبعوه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، ومعالجة المشركين بالإنذار والإهلاك.

والسورة في جملتها تضمنت المقاصد التالية:

١- قَسَمَه سبحانه في أول سورة الطور بخمسة أشياء، لها شأن عظيم على وقوع العذاب يوم القيامة بالمكذبين، وبيان ألوانه وضروبه، مع ذكر بعض التغييرات الكونية والآيات الإلهية التي تقع في ذلك اليوم.

---

(١)الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ١٨٥/٥.

(٤) زاد المسير: ١٧٥/٤.

(٥) تفسير القرطبي: ٥٨/١٧.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٥/٢٧.

(٧) انظر: تفسير المراغي:١٦/٢٧.

(٨) أسرار ترتيب القرآن: ١٣٣.

٢- ذِكْرُ ما أعده الله للمتقين من جنات ونعيم، وما يتلذذون به ويلقونه من صنوف التَّكريم، حيث يُلْحِقُ الله بهم ذريتهم المؤمنة، ويرفعهم إلى درجتهم؛ لتقرّ بذلك عيونهم، ويتم سرورهم.
٣- دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المداومة على تبليغ رسالته، فهو -بفضل ما أنعم الله به عليه من النبوة ورجاحة العقل- ليس بكاهن، ولا مجنون، ولا شاعر، كما تدعوه إلى عدم الالتفات إلى ما يتقوّله عليه المتقولون، وعدم المبالاة بما يصفون به القرآن، الذي عجزوا عن الإتيان بمثله.
٤- توبيخ الكافرين والمشركين، وتقبيح آرائهم الضالة، وتسفيه معتقداتهم الفاسدة، وبيان ضلالهم، وإعلان سوء تقديرهم.
٥- إبطال خليط من أكاذيب الكافرين الجاحدين، بإعادة الخلق، وببعثه رسول صلى الله عليه وسلم ليس من كبرائهم، وبكون الملائكة بنات الله.
٦- إبطال تعدد الآلهة، وذكر استهزائهم بالوعيد.
٧- توكيد حقيقة البعث والقيامة ويوم الدين، مع تقديم بعض مشاهد من يوم الدين للكافرين الجاحدين، وبعض مشاهد للمؤمنين المتقين.
٨- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأن يتابع تذكيره مَن لم يصلوا إلى دَرَكَةٍ ميؤوس معها من استجابتهم عن طريق إراداتهم الحرة، مع معالجة الكافرين بشأن هذه القضايا.
٩- توصية الرسول صلى الله عليه وسلم بما ينبغي أن يتصرفه، تجاه الكافرين، الذين وصلوا إلى دَرَكَة ميؤوس معها من استجابتهم عن طريق إرادتهم الحرة، مع بيان الدواء الديني الذي عليه صلى الله عليه وسلم أن يداويَ نفسه به.
١٠- في ختام السورة توصية من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم؛ بالتصرف الحكيم الذي ينبغي له أن يتصرفه مع الكفرة المجرمين المعاندين في مواجهة المواقف التي كانوا عليها إبَّان تنزيل السورة وقبلها، وهو تركهم يمعنون في كفرهم، والاشتغال بغيرهم من الذين لم يبلغوا دَرَكة الميؤوس من استجابتهم عن طريق إراداتهم الحرة[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

ذكر أهل التفسير ثلاثة آيات من اللواتي إدعي عليهن النسخ في **هذه السورة:**

إحداها: قوله تعالى: {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} [الطور: ٣١].

قال ابن الجوزي:" قال المفسرون: معناها: انتظروا فيّ ريب المنون فإني منتظر عذابكم، فعذّبوا يوم بدر بالسيف، وزعم بعضهم أنها منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح؛ إذ لا تضاد بين الآيتين"[٢]..

الثانية: قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} [الطور: ٤٥]

قال ابن الجوزي:" زعم بعضهم: أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وإذا كان معنى ذرهم الوعيد لم يقع نسخ"[٣].

الثالث: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا} [الطور: ٤٨].

قال ابن الجوزي:" زعم بعض المفسرين: أن معنى الصبر منسوخ بآية السيف وليس بصحيح، لأنه يجوز أن يصبر لحكم ربه ويقاتلهم، ولا تضاد بين الآيتين"[٤].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٦/٢٧.
(٢) نواسخ القرآن:٢٠٠.
(٣) نواسخ القرآن:٢٠٠.
(٤) نواسخ القرآن:٢٠٠.

- عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أشتكي فقال: " طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، قالت: فطفت راكبة بعيري ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلي إلى جانب البيت وهو يقرأ بالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ"[١].

أي: يقرأ بسورة الطور ولم ترد يقرأ بالآية لأن الآية فيها والطور بالواو وهي لم تذكر الواو.

- وعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «قرأ بالطور في المغرب»[٢].
- عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ}، " قال: كاد قلبي أن يطير"[٣].

وكان جبير بن مطعم مشركا قدم على النبيء صلى الله عليه وسلم في فداء أسرى بدر وأسلم يومئذ.

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) موطأ مالك(١٢٣):ص٣٧٠. تح: محمد فؤاد عبد الباقي.
(٢) موطأ مالك(٢٣):ص٨٧.
(٣) صحيح البخاري(٤٨٥٤):ص١٤٠/٦.

القرآن
{وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦)} [الطور : ١-٦]

التفسير:

أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم الله سبحانه وتعالى موسى عليه، وبكتاب مكتوب، وهو القرآن في صحف منشورة، وبالبيت المعمور في السماء بالملائكة الكرام الذين يطوفون به دائمًا، وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا، وبالبحر المسجور المملوء بالمياه.

قوله تعالى:{وَالطُّورِ} [الطور : ١]، أي:" أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم الله سبحانه وتعالى موسى عليه"(١).

قال الطبري: يعني:" والجبل الذي يُدعى الطور"(٢).

قال مقاتل لما كذب كفار مكة أقسم الله- تعالى- فقال: {وَالطُّورِ}"(٣).

وفي هذا الطور الذي أقسم الله به، أقوال:

أحدها : إنه اسم جبل بعينه، ثم اختلفوا في تحديده على وجهين:

الأول: أنه اسم الجبل، الذي كلم الله عليه موسى، وأنزلت عليه التوراة دون غيره، وهذه رواية ابن جريج عن ابن عباس(٤).

وحكي الماوردي عن السدي قال:" أنه طور سيناء"(٥).

قال الفراء: "وهو الجبل الذي بمدين، الذي كلّم الله جلَّ وَعزَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام عنده تكليما"(٦).

قال ابن الجوزي:" {وَالطُّورِ} هذا قَسم بالجبل الذي كلّم الله عزّ وجلّ عليه موسى عليه السلام، وهو بأرض مَدْيَن واسمه: «زَبير»"(٧).

والثاني : إنه جبل بالشام(٨)، قال ذو الرمة(٩):

أعاريبُ طُورِيُّونَ عن كُلِّ بلدة ... يَحيدونَ عنها مِنْ حِذَارِ المَقادِرِ

فقوله «طوريون»، أي: "وحشيون، يحيدون عن القرى حذار الوباء والتلف، كأنهم نسبوا إلى الطور وهو جبل بالشام"(١٠).

القول الثاني : أن الطور اسم لكل جبل، وهو قول قتادة(١١)، ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس(١٢)، وعطاء(١٣)، وعكرمة(١٤) والحسن(١٥)، والضحاك(١)، والربيع بن أنس(٢)، وأبي صخر(٣)، ومجاهد(٤)، وابن زيد(٥).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٣/٤.
(٤) أنظر: تفسير الطبري(١٢٢٤):ص١٥٩/٢.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٧/٥.
(٦) معاني القرآن: ٩١/٣.
(٧) زاد المسير: ١٧٥/٤.
(٨) أنظر: تفسير البسيط: ٦٢٩/٢، والمحرر الوجيز: ٣٣٠/١، و٥٠٢/١٥.
(٩)ورد البيت في "التهذيب" (طور) ٣/ ٢٢٢٩، "اللسان" (طرأ) ٥/ ٢٦٤٩، و (طور) ٥/ ٢٧١٨، "الخزانة" ٧/ ٣٥٥، و"ديوان ذي الرمة" ٣/ ١٦٩٨، وفي بعضها (قرية) بدل (بلدة).
(١٠) التفسير البسيط: ٦٣٠/٢.
(١١) أنظر: تفسير الطبري(١١١٨):ص١٥٨/٢.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٢):ص١٢٩/١.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٣):ص١٢٩/١.
(١٤) أنظر: تفسير الطبري(١١٢١):ص١٥٩/٢.
(١٥) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤..

عن ابن عباس قال: "الطور: جبل"[٦]. وروي عن مجاهد، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وأبي صخر نحو ذلك[٧].

قال الحسن:" كل جبل يُدعى: طورًا"[٨].

قال عكرمة:" جبل يقال له: الطور"[٩].

قال ابن جريج: قال لي عطاء: "رفعنا فوقكم الطور قال رفع فوقهم الجبل على بني إسرائيل فقال: لتؤمنن به أو ليقعن عليكم"[١٠].

قال قتادة:" الطور الجبل؛ كانوا بأصله، فرفع عليهم فوق رؤوسهم، فقال: لتأخذن أمري، أو لأرمينكم به[١١].

الثالث: أنه جبل مبهم ، قاله الكلبي[١٢]. وأقسم الله به تذكيراً بما فيه من الدلائل .

الرابع : أن الطور ما أَنْبَتَ من الجبال خاصة، دون ما لم ينبت، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس[١٣]. ومنه قول الشاعر[١٤]:

لَوْ مَرَّ بِالطُّوْرِ بَعْضُ نَاعِقَةٍ ... مَا أَنْبَتَ الطُّوْرُ فَوْقَهُ وَرَقَهْ

قال ابن كثير:" الطور هو : الجبل الذي يكون فيه أشجار، مثل الذي كلم الله عليه موسى، وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طورا، إنما يقال له : جبل"[١٥].

قال الماوردي :"وقال بعض المتعمقة : إن الطور ما يطوى على قلوب الخائفين"[١٦].

واختلف في الأصل اللغوي لكملة «الطور»، على وجهين:

أحدهما : أنها كلمة عربية، قال العجاج[١٧] :

داني جناحيه من الطور فمر ... تقضّي البازي إذا البازيُّ كر

الثاني : أنه اسم للجبل بالسريانية، قاله مجاهد[١]، وابن زيد[٢].

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤..

(٢) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤..

(٣) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤..

(٤) أنظر: تفسير الطبري(١١١٦)، و(١١١٧):ص١٥٨/٢.

(٥) أنظر: تفسير الطبري(١١٢٣):ص١٥٩/٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٢٠١):ص١١٠٥/٥.

(٧) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤.

(٨) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤، وذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٩٣ -.

(٩) تفسير عبدالرزاق(٢٩٩٨):ص٢٤٢/٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٣):ص١٢٩/١.

(١١) أنظر: تفسير الطبري(١١١٨):ص١٥٨/٢.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٧/٥.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(١١٢٥):ص١٥٩/٢، و تفسير ابن أبي حاتم(٦٥١):ص١٢٩/١.

(١٤) البيت غير منسوب في النكت والعيون: ٣٧٦/٥.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧.

(١٦) النكت والعيون: ٣٧٧/٥.

(١٧)ديوانه : ١٧، ومجاز القرآن: ٣٠٠/٢، وغريب الحديث: ١٨٠، وهو من قصيدة جيدة يذكر فيها مآثر عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وقد ولي الولايات العظيمة ، وفتح الفتوح الكثيرة ، وقاتل الخوارج . والضمير في قوله : " دانى " يعود إلى متأخر ، وهو " البازي " المذكور في البيت بعده . فإن قبله ، ذكر عمر بن عبيد الله وكتائبه من حوله :

حول ابن غراء حصان إن وتر فات ، وإن طالب بالوغم اقتدر

إذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر دانى جناحيه من الطور فمر

يريد : " ابتدر منقضا انقضاض البازي من الطور ، دانى جناحيه . . فمر " فقدم وأخر . وهو من جيد التقديم والتأخير . وقوله : " دانى " أي ضم جناحيه وقر بهما وضيق ما بينهما تأهبا للانقضاض من ذروة الجبل . ومر : أسرع إسراعا شديدا . وقوله : " تقضى " أصلها " تقضض " ، فقلب الضاد الأخيرة ياء ، استثقل ثلاث ضادات ، كما فعلوا في " ظنن " " وتظنى " على التحويل . وتقضض الطائر : هوى في طيرانه يريد الوقوع . والبازي : ضرب من الصقور ، شديد . وكسر الطائر جناحيه : ضم منهما شيئا - أي قليلا - وهو يريد السقوط .

قال مقاتل:" يعني: الجبل بلغة النبط، الذي كلم الله عليه موسى- عليه السلام- بالأرض المقدسة"[٣].

والقول الأول أقرب إلى الصواب، لأنه جاء «الطور» بمعنى الجبل في كلام العرب، كما سبق الاستشهاد بقول العجاج، وبه قال الإمام الطبري[٤]، ومنه قول جرير[٥]:

فإن ير سليمان الجنّ يستأنسوا بها ... وإن ير سليمان أحب الطّور ينزل

عن نَوْف البكالي -من طريق أبي عمران الجوني- قال: "أوحى الله إلى الجبال: أني نازل على جبلٍ منكنّ. قال: فشَمخت الجبالُ كلّها رجاء أن يكون الأمر عليها. قال: وتواضع طور سيناء، وقال: أرضى بما قسم الله لي. فكان الأمرُ عليه"[٦].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الطُّور من جبال الجنة»[٧].

عن عمرو بن عوف، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الطُّور جبل من جبال الجنة»[٨].

قوله تعالى:{وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣)} [الطور : ٢ - ٣]، أي:" وبكتاب مكتوب، وهو القرآن في صحف منشورة"[٩].

قال الطبري:" يقول: وكتاب مكتوب، في ورق منشور"[١٠].

قال النحاس:" واو عطف، وليست واو قسم"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ} [الطور: ٢]، أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ، قاله أبو صالح عن ابن عباس[١٢]. وبه قال ابن كثير[١٣].

الثاني: يعني: كتب أعمال بني آدم، قاله مقاتل[١٤]، والزجاج[١٥].

قال الزجاج:" «الكتاب» -ههنا-: ما أثبت على بني آدم من أعمالهم"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٢.

(٢) أنظر: تفسير الطبري(١١٢٣):ص١٥٩/٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٣/٤.

(٤) انظر: تفسيره: ١٥٧/٢. وانظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٩٤.

(٥) البيت من شواهد الثعلبي في تفسيره: ٢١٢/١.

(٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٧)أخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ٣٤٢ (٧٦٧٣)، من طريق الحسن بن كثير، عن يحيى بن سعيد اليمامي، عن نصر بن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة بنحوه.

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير إلا ابنه نصر، ولا رواه عن نصر إلا يحيى بن أبي سعيد اليمامي، تفرد به الحسن بن كثير». وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٧١: «فيه مَن لم أعرفهم». وقال الألباني في الضعيفة ١٤/ ٩٣٠: «منكر جدًا».

(٨)أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ١/ ٨٠ - ٨١، والطبراني في الكبير ١٧/ ١٨ (١٩) كلاهما مطولًا، من طريق كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده به.

قال ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٤٨: «هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ١/ ٣٨٣ (٤٦٢): «رواه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده. وكثير ضعيف». وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ١٤ (٥٩١٤): «فيه كثير بن عبد الله، وهو ضعيف». وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/ ٨٦: «لا يصح؛ كثير كذاب». وقال الألباني في الضعيفة ١١/ ٨٤٨ (٥٤٩٠): «موضوع بهذا التمام».

(٩) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٢-٤٥٤.

(١١) إعراب القرآن: ١٧٠/٤.

(١٢) انظر: زاد المسير: ١٧٥/٤.

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٣/٤.

(١٥) انظر: معاني القرآن: ٦١/٥.

(١٦) معاني القرآن: ٦١/٥.

الثالث: التوراة. قاله ابن بحر[١].
الرابع: أنه القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ، حكاه الماوردي[٢].
الخامس: أنه الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارا ؛ ولهذا قال :{فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ}. حكاه ابن كثير[٣].

عن مجاهد، قوله: "{وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ}، قال: صحف"[٤].

قال قتادة:" المسطور: المكتوب"[٥]. وروي عن الضحاك مثله[٦].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: "{وكِتابٍ} قال: الذِّكر، {مَسْطُورٍ} قال: مكتوب"[٧].

قال أبو عبيدة:" أي: مكتوب، وقال رؤبة[٨]:

إني وآياتٍ سُطِرْنَ سَطْرًا"[٩].

وفي قوله تعالى:{فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ} [الطور: ٢]، قولان:

أحدهما : أن «الرَّقّ»: الصحائفُ التي تُخْرَجُ إلى بني آدَمَ، فآخِذٌ كتابَه بيمينهِ، وآخِذٌ كتابَه بشمالِه. قاله الفراء[١٠].وهذا كقوله: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء: ١٣].

قال ابن قتيبة:" يقال: هي الصحائف التي تخرج يوم القيامة إلى بني آدمَ"[١١].

قال الماوردي: "الصحيفة المبسوطة وهي التي تخرج للناس أعمالهم، وكل صحيفة فهي رق لرقة حواشيها، قال المتلمس[١٢]:

فكأنما هي من تقادم عهدها ... رق أتيح كتابها مسطور"[١٣].

قال مجاهد:" الرقّ: الصحيفة"[١٤].

وقال مجاهد:" يعني: صحفا مكتوبة"[١٥].

عن ابن عباس، {فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ}، قال: في الكتاب"[١٦].

الثاني : أن «الرق»: الورق، قاله أبو عبيدة[١٧].

وقال الليث: "الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء"[١٨].

وقال المبرد: "الرق، ما رُقّق من الجلد ليكتب فيه. والمنشور: المبسوط يتباعد أطرافه"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٧/٥.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٧/٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٢.
(٧) الدر المنثور: ٦٢٧/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٨) البيت من مشطور الرجز، وبعده بيت يكمله (اللسان: سطر) وهو قوله: «لقائل يا نصر نصر نصرا». والشاهد لرؤبة في ديوانه ١٧٤، وخزانة الأدب ٢/ ٢١٩، والخصائص ١/ ٣٤٠، والدرر ٤/ ٢٢، وشرح شواهد الإيضاح ٢٤٣، وشرح المفصّل ٢/ ٣، ولسان العرب (نصر) ، وبلا نسبة في أسرار العربية ٢٩٧، والأشباه والنظائر ٤/ ٨٦، والدرر ٦/ ٢٦، ولسان العرب (سطر) ، ومغني اللبيب ٢/ ٣٨٨، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٠٩، والمقتضب ٤/ ٢٠٩، وهمع الهوامع ٢٤٧.
(٩) مجاز القرآن: ٢٣٠/٢.
(١٠) انظر: معاني القرآن: ٩١/٣.
(١١) غريب القرآن: ٤٢٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٧/٥، وتفسير القرطبي: ٥٩/٥١٧. والبيت ليس في ديوانه.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٧/٥.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٢.
(١٥) تفسير مجاهد: ٦٢٢.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٧٢):ص٣٣١٤/١٠.
(١٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٣٠/٢.
(١٨) انظر: تهذيب اللغة" ٢/ ٢٨٤ (رقق).

قال السمعاني:" الرق: هو الأديم الذي يكتب فيه الشيء. وقوله: {منشو} أي: مبسوط، وهذا يؤيد القول الذي قلنا إن الكتاب هو صحائف الأعمال في الآخرة، لأن الله تعالى قد قال في موضع آخر: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير : ١٠]، والمراد منه: صحائف الأعمال في الآخرة"[٢].

قال مقاتل:" يعني: أعمال بني آدم مكتوبة، يقول: أعمالهم تخرج إليهم يومئذ، يعني: يوم القيامة {فِي رَقٍّ}، يعني: أديم الصحف {مَنْشُور}"[٣].

قال الواحدي:" ولم يثبت أن اللوح المحفوظ من الرق. ولا أن ما كتب لموسى كان على الرق. والمراد بالكتاب، المكتوب، سُمّي بالمصدر. والرق: مما كتب فيه"[٤].

قوله تعالى:{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُور} [الطور : ٤]، أي:" وبالبيت المعمور في السماء بالملائكة الكرام الذين يطوفون به دائمًا"[٥].

قال الطبري:" يقول: والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته"[٦].

قال أبو عبيدة:" الكثير الغاشية"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُور} [الطور : ٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : ما روى قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" رفع إلي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم"[٨]. وبه قال علي بن أبي طالب[٩]، وابن عباس[١٠].

وروي عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما عرج بي الملك إلى السماء السابعة انتهيت إلى بناء فقلت للملك: ما هذا؟ قال: هذا بناء بناه الله للملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يقدسون الله ويسبحونه، لا يعودون فيه"[١١].

قال قتادة:" ذكر لما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه: "هل تدرون ما البيت المعمور" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه مسجد في السماء تحته الكعبة لو خر لخر عليها، أو عليه، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم"[١٢].

روي عن خالد بن عرعرة ؛ أن رجلا قال لعلي : "ما البيت المعمور ؟ قال : بيت في السماء يقال له : "الضُّراح" وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، لا يعودون فيه أبدا"[١٣].

عن مجاهد، في قوله: "{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُور}، قال: بيت في السماء يقال له: «الضراح»"[١٤].

---

(١) نقلا عن التفسير البسيط للواحدي :٤٧٧/٢٠، وانظر: "اللسان" ١٠/ ١٢٩ (رقق)، "القرطبي" ١٧/ ٥٩، "فتح القدير" ٥/ ٩٤.

(٢) تفسير السمعاني: ٢٦٧/٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٣/٤.

(٤) التفسير البسيط: ٤٧٦/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٢.

(٧) مجاز القرآن: ٢٣٠/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

عن ابن عباس، قوله: "{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}، قال: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه"[١].

عن حسين، قال: "سُئل عكرمة وأنا جالس عنده عن البيت المعمور، قال: بيت في السماء بحيال الكعبة"[٢].

وعن ابن زيد، في قوله: "{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}، قال: بيت الله الذي في السماء"[٣].

وروي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "في السماء السابعة بيت يقال له : "المعمور"؛ بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له : "الحيوان" يدخله جبريل كل يوم، فينغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا فيه فيفعلون، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا، ويولي عليهم أحدهم، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة"[٤].

الثاني : أن البيت المعمور، هو بيت فوق ست سموات ، ودون السابعة ، يدعى :«الضراح»، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس لا يرجعون إليه أبداً ، وهو بحذاء البيت العتيق. قاله السدي[٥]، وعن الضحاك نحوه[٦].

قال الضحاك:" يزعمون أنه يروح إليه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس، يقال لهم الجن"[٧].

وقال مقاتل:" {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}، واسمه «الصراح»، وهو في السماء الخامسة، ويقال في سماء الدنيا حيال الكعبة في العرض والموضع غير أن طوله كما بين السماء والأرض وعمارته أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه يقال لهم الجن، ومنهم كان إبليس- وهم حي من الملائكة- لم يدخلوه قط ولا يعودون فيه إلى يوم القيامة، ثم ينزلون إلى البيت الحرام فيطوفون به ويصلون فيه، ثم يصعدون إلى السماء فلا يهبطون إليه أبدا"[٨].

الثالث : أن البيت المعمور كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم ، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا، فأبوا عليه وعصوه ، فما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا ، فيعمره، فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان ، قاله الله تعالى : {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} [الحج : ٢٦] ،الآية. قاله الربيع بن أنس[٩].

الرابع : أن البيت المعمور هو البيت الحرام. قاله الحسن[١٠].

وفي {الْمَعْمُورِ} [الطور : ٤]، وجهان[١١]:

أحدهما : أنه معمور بالقصد إليه. حكاه الماوردي[١٢].

الثاني : بالمقام عليه، حكاه الماوردي-أيضا-[١]، وانشد قول الشاعر[٢]:

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧، قال ابن كثير:" هذا حديث غريب جدا، تفرد به روح بن جناح هذا، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعد الدمشقي، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم : الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم. قال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة، ولا سعيد، ولا الزهري".

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٢.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٣/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

عمر البيت عامر ... إذ أتته جآذر
من ظباء روائح ... وظباء تباكر

قال سهل:" قوله تعالى: {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}، ظاهرها ما حكى محمد بن سوار بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليلة أسري بي إلى السماء رأيت البيت المعمور في السماء الرابعة- ويروى السابعة- يحجه كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه بعده أبداً»[٣]، الحديث بطوله ... وباطنها القلب قلوب العارفين معمورة بمعرفته ومحبته، والأنس به، وهو الذي تحجه الملائكة لأنه بيت التوحيد"[٤].

قال الماوردي :"وتأول سهل أنه القلب، عمارته إخلاصه، وهو بعيد"[٥].

قال ابن كثير: "ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الإسراء - بعد مجاوزته إلى السماء السابعة - : «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[٦]. يعني : يتعبدون فيه ويطوفون، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت، هو كعبة أهل السماء السابعة ؛ ولهذا وجد إبراهيم الخليل، عليه السلام، مسندا ظهره إلى البيت المعمور ؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة"[٧].

قوله تعالى:{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} [الطور : ٥]، أي:" وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} [الطور : ٥]، وجهان:

أحدهما : أنه السماء، قاله علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، وابن زيد[١٢]، يدل عليه قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ٣٢].

قال مقاتل:" يعنى: السماء رفع من الأرض مسيرة خمسمائة عام، يعني: السموات"[١٣].

الثاني : أنه العرش ، قاله الربيع[١٤].

قال الطبري:" يعني بـ«السقف» -في هذا الموضع-: السماء، وجعلها سقفا، لأنها سماء للأرض، كسماء البيت الذي هو سقفه"[١٥].

قوله تعالى:{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور : ٦]، أي:" وبالبحر المسجور المملوء بالمياه"[١٦].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.
(٢) لم أعثر على قائله، والجؤذر: ولد البقرة الوحشية، والجمع جآذر. الصحاح«جأذر»: ص٦١٠/٢.
(٣)صحيح مسلم (١٦٢):ص١٤٥/١.
(٤) تفسير التستري: ١٥٥.
(٥) النكت والعيون: ٣٧٨/٥.
(٦) أخرجه أحمد (١٤٨/٣، رقم ١٢٥٢٧) ، ومسلم (١٤٥/١، رقم ١٦٢) ، وأبو يعلى (١٠٩/٦، رقم ٣٣٧٥) ، وفى (٢١٦/٦، رقم ٣٤٩٩) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٣٣٣/٧، رقم ٣٦٥٧٠) ، وأبو عوانة (١١٣/١، رقم ٣٤٤).
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٧-٤٢٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٢-٤٥٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٢.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٣/٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.
(١٥) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٢.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.

وفي قوله تعالى:{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور : ٦]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه جهنم، رواه صفوان بن يعلى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[١].
عن شمر بن عطية، في قوله: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، قال: بمنزلة التنور المسجور"[٢].
عن سعيد بن المسيب، قال: "قال عليّ رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا، {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} مخففة"[٣].
الثاني : هو بحر في السماء تحت العرش، رواه أبو صالح عن عليّ -رضي الله عنه-[٤]، وبه قال عبدالله بن عمرو[٥].
وقال مقاتل:" {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، تحت العرش الممتلئ من الماء يسمى بحر: «الحيوان»، يحيي الله به الموتى فيما بين النفختين"[٦].
وقال عكرمة:" بحر دون العرش"[٧].
الثالث : هو بحر الأرض، وهو الظاهر[٨].
وفي قوله تعالى:{الْمَسْجُورِ} [الطور : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : المحبوس، قاله ابن عباس-في رواية-[٩]، والسدي[١٠].
الثاني : أنه المرسل، قاله سعيد بن جبير[١١].
الثالث : الموقد ناراً ، قاله مجاهد[١٢]، وابن زيد[١٣].
عن مجاهد: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، قال: الموقد"[١٤].
عن ابن زيد: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، قال: الموقد، وقرأ قول الله تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، قال: أوقدت"[١٥].
الرابع : أنه المختلط ، قاله ابن بحر[١٦].
الخامس : أنه الذي قد ذهب ماؤه. قاله ابن عباس[١٧].
قال ابن عباس:" سجره حين يذهب ماؤه ويفجر"[١٨].
وروي ابن أبي وحشية عن سعيد بن جبير:" أنه الذي قد ذهب ماؤه ويبس"[١٩].
السابع : هو الذي لا يشرب من مائه ولا يسقى به زرع ، قاله العلاء بن زيد[٢٠].
الثامن : أنه الممتلئ، قاله قتادة [٢١]، والكلبي[١]. وبه قال أهل اللغة[٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٠/٢٢، ٤٦١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٣/٤.
(٧) تفسير إسحاق البستي(١١٤٠):ص٤٤٦/٢.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢.

قال الفراء: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُور}، بعضه في بعض من الماء"[٣].
قال الفراء:" «المسجورُ» -فِي كلام العرب-: المَمْلوء"[٤].
قال ابن قتيبة:"المملوء"[٥].
قال القاسم بن سلام:" {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُور}، يعني: الممتلئ بلغة عامر بن صعصعة.
{سُجِّرَتْ} [التكوير : ٦] جمعت بلغة خثعم"[٦].
عن الكلبي, في قوله تعالى: "{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: ٦]، قال: ملئت, ألا تراه يقول: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور: ٦]"[٧].
قال الزجاج:" جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم. وأما أهل اللغة، فقالوا: البحر المسجور المملوء. وأنشدوا[٨]:
إذا شاء طالَعَ مَسْجُورَةً ... تَرى حَوْلَها النَّبْعَ والسَّاسَما
يعني: ترى حولها عيناً مملوءة بالماء"[٩].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنى: أوقدت، أو الامتلاء على ما وصفت، كما قال لبيد[١٠]:
فتوسطا عُرْضَ السَّرِيِّ وصدعا ... مسجورةً متجاورًا قُلامُها
وكما قال النمر بن تولب العكلي[١١]:
إذَا شاءَ طالَعَ مَسْجورةً ... تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسمّا
سَقَتْها رَوَاعِدُ مِنْ صَيّفٍ ... وَإنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعدمَا
فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السَّجْر، وكان البحر غير مُوقَد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحّت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء، لأنه كلّ وقت ممتلئ"[١٢].
قال الماوردي:" هذا آخر القسم ، وجوابه : {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} [الطور : ٧]"[١٣].

القرآن

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣٥٠٥):ص٣/٣٩٥.
(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٥/٦٢.
(٣) معاني القرآن: ٢/٢٣٠.
(٤) معاني القرآن: ٣/٩١.
(٥) غريب القرآن: ٤٢٣.
(٦) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٠.
(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣٥٠٥):ص٣/٣٩٥.
(٨) البيت لنمر بن تولب في "ديوانه": ص ١٦٥.
(٩) معاني القرآن: ٥/٦٢.
(١٠)البيت ورد في "ديوانه" ص ١٠، وفي "شرح المعلقات السبع" (معلقة لبيد) للزوزني ص ٨٢، "جمهرة أشعار العرب" ص ٦٨، "المُحتسب" ٢/ ٣٧١، وقوله: (قُلاَمُهَا) ضرب من شجر الحمض، ويروى (أقلامها) وهو قصب اليراع. والسَّرِيُّ: النهر الصغير والجمع الأسرية.
والبيت في وصف العير والأتان، وقد توسطا جانب النهر الصغير وشقا عينًا مملوءة ماء، قد كثر نبتها.
(١١) البيتان من كلمة في مختارات شعراء العرب ٢٠٥ والعيني ١/ ٥٧٥، ٤/ ١٥١ وشواهد المغني ص ٦٥ والخزانة ٤/ ٤٣٤ وهما في الطبري ٢٢/٤٦٠، والأول في الشنتمري ١/ ١٣٥ والقرطبي ١٧/ ٦١ والثاني: الكتاب ١/ ١١٣ والشنتمري ١/ ١٣٥، ٤٧١.
معناه: إما من صيف وإما من خريف فلن بعدم الري البتة، المسجورة الروضة المملوءة عشبا والنبع والساسم من شجر الجبال والصيف مطر الصيف وأراد بالخريف مطر الخريف (الشنتمرى).
والساسم: قيل هو جمع سِمْسِم، وقد يكون من الخشب يشبه الأبنوس. "اللسان" ١/ ٥٦٩ (نبع) ٢/ ١٤٢ (سسم)
(١٢) تفسير الطبري: ٢٢/٤٥٩-٤٦٠.
(١٣) النكت والعيون: ٥/٣٧٩.

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)} [الطور : ٧-١٠]

التفسير:

إن عذاب ربك -أيها الرسول- بالكفار لواقع، ليس له مِن مانع يمنعه حين وقوعه، يوم تتحرك السماء فيختلُّ نظامها وتضطرب أجزاؤها، وذلك عند نهاية الحياة الدنيا، وتزول الجبال عن أماكنها، وتسير كسير السحاب.

قوله تعالى:{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} [الطور : ٧]، أي:" إن عذاب ربك -أيها الرسول- بالكفار لواقع"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} يا محمد، لكائن حالّ بالكافرين به يوم القيامة"(٢).

قال ابن كثير:" يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة : أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم"(٣).

عن قتادة: "{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}، وقع القسم ها هنا، {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}، وذلك يوم القيامة"(٤).

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه جبير بن مطعم قال: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، لأكلمه في أسارى بدر، فوافقته، وهو يصلي بأصحابه المغرب، أو العشاء، فسمعته وهو يقول، أو يقرأ، وقد خرج صوته من المسجد {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨)} [الطور : ٧ - ٨]، فكأنما صدع قلبي "(٥).

قوله تعالى:{مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} [الطور : ٨]، أي:" ليس له مِن مانع يمنعه حين وقوعه"(٦).

قال الطبري:" يقول: ما لذلك العذاب الواقع بالكافرين من دافع يدفعه عنهم، فينقذهم منه إذا وقع"(٧).

قوله تعالى:{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور : ٩]، أي:" يوم تتحرك السماء فيختلُّ نظامها وتضطرب أجزاؤها، وذلك عند نهاية الحياة الدنيا"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن عذاب ربك لواقع: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا}"(٩).

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: تدور السماء دوراً، رواه عكرمة عن ابن عباس(١٠)، وبه قال مجاهد(١١)، وهو اختيار الفراء(١٢)، وابن قتيبة(١٣)، والزجاج(١٤)، قال طرفة بن العبد(١٥):

صُهابِيَّةُ العُثْنُون، مُؤْجَدَةُ القَرَا، ... بَعيدةُ وَخْدِ الرِّجْل، مَوَّارَةُ اليَدِ

فالمور: التكفي والترهيل في المشية(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٢.
(٥) المعجم الكبير للطبراني(١٤٩٩):ص١٦٦/٢.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٧) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٩) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.
(١٠) انظر: زاد المسير: ١٧٦/٤. بدون سند.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٢.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٩١/٣.
(١٣) انظر: غريب القرآن: ٤٢٣.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٦١/٥.
(١٥) انظر: اللسان «صهب»:ص٥٣١/١، والنكت والعيون: ٣٧٩/٥.

قال الطبري:" يعني بقوله: {تَمُورُ}: تدور وتكفأ"[٢].
قال ابن قتيبة:" تدور بما فيها"[٣].
قال الفراء:" تدورُ بما فيها، وتسيرُ الجبال عنْ وجه الأرض: فتستوي هِيَ والأرضُ"[٤].
قال النحاس:" يقال: مار الشيء إذا دار"[٥].
الثاني : تحرَّكُ تحرُّكاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٦]، وبه قال قتادة[٧].
قال قتادة:" مورها: تحريكها"[٨].
الثالث: يعني: استدارتها وتحريكها لأمر الله، وموج بعضها في بعض. قاله الضحاك[٩].
قال مقاتل:" يعني: استدارتها وتحريكها بعضها في بعض من الخوف"[١٠].
قال الشوكاني:" يطلق المور على الموج، ومنه ناقة موارة اليد، أي: سريعة تموج في مشيها موجا، ومعنى الآية: أن العذاب يقع بالعصاة ولا يدفعه عنهم دافع في هذا اليوم الذي تكون فيه السماء هكذا، وهو يوم القيامة"[١١].
الرابع : يوم تشقَّق السماء، قاله ابن عباس[١٢]، لقوله تعالى: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} [الواقعة : ٥].
الخامس : تجري السماء جرياً[١٣]، ومنه قول جرير[١٤]:
فَمَا زالَتِ القَتْلى تَمُور دِماؤها ... بِدِجْلَة، حَتَّى ماءُ دِجْلَة أشْكَل
قال القاسم بن سلام:" {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ} [الطور : ٩]، يعني: تنشق السماء شقا، وكذلك: {فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك : ١٦] بلغة قريش"[١٥].
السادس : تتكفأ بأهلها ، قاله أبو عبيدة[١٦]، وأنشد بيت الأعشى[١٧]:
كأنَّ مشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتها ... مَوْرُ السَّحابَة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ
وعلّق عليه قائلا:" وهو أن ترهيأ في مشيتها، أي: تكفّأ كما ترهيأ النخلة العيدانة[١٨]"[١٩].
السابع : تنقلب انقلاباً. حكاه الماوردي[٢٠].
الثامن : أن السماء -ها هنا-: الفلك ، ومورِه: اضطراب نظمه واختلاف سيره ، قاله ابن بحر[٢١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.
(٢) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.
(٣) غريب القرآن: ٤٢٣.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٩١/٣.
(٥) إعراب القرآن: ١٧١/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٤/٤.
(١١) فتح القدير: ١١٥/٥، وانظر: تفسير القرطبي: ٦٣/١٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(١٤) ديوانه: ٣٦٧، وانظر: اللسان والتاج والأساس: «شكل».
و«الأشكل» : ما فيه بياض وحمرة.
(١٥) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٠.
(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٣١/٢.
(١٧)هذا البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة: ص٥٥) ورواية الديوان: "مر السحابة".
(١٨)«ترهيأ ... العيدانة» : هذا الكلام فى اللسان (رهأ).
(١٩) مجاز القرآن: ٢٣١/٢.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٣٨٠/٥.
(٢١) انظر: النكت والعيون: ٣٨٠/٥.

وروي عن عطية بن سعد العَوفيّ: "{تَمُورُ} تختلف"[١].
وقال عطاء:" تختلف أجزاؤها بعضها في بعض"[٢].
وكل هذه العبارات متقاربة، وأصل "المور": الاضطراب والاختلاف[٣].
قال ابن زيد:" هذا يوم القيامة، وأما المور: فلا علم لنا به"[٤].
قوله تعالى:{وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} [الطور : ١٠]، أي:" وتزول الجبال عن أماكنها، وتسير كسير السحاب"[٥].
قال الطبري:" يقول: وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض سيرا، فتصير هباء منبثا"[٦].

القرآن
{فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢)} [الطور : ١١-١٢]
التفسير:
فهلاك في هذا اليوم واقع بالمكذبين الذين هم في خوض بالباطل يلعبون به، ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا.
قوله تعالى:{فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [الطور : ١١]، أي:" فهلاك في هذا اليوم واقع بالمكذبين"[٧].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فالوادي الذي يسيل من قيح وصديد في جهنم، يوم تمور السماء مورا، وذلك يوم القيامة للمكذّبين بوقوع عذاب الله للكافرين، يوم تمور السماء مورا"[٨].
قال السعدي:" الويل: كلمة جامعة لكل عقوبة وحزن وعذاب وخوف"[٩].
قال النحاس:" دخلت هذه «الفاء»، لأن في الكلام معنى المجازاة، ومثله: «فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى»، فالتقدير: إذا انتبهت له فهو كذا وكذا. الآية التقدير فيها: «إذا كان هذا فويل يومئذ للمكذّبين»"[١٠].
وفي معنى "الويل"، أقوال:
أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[١١]، وشقيق[١٢].
الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[١٣].
يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[١٤]:

---

(١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٢٦.
(٢) تفسير الثعلبي ٩/ ١٢٦، وتفسير البغوي ٧/ ٣٨٧ بنحوه.
(٣)انظر: "لسان العرب" لابن منظور ٥/ ١٨٦ (مور).
(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٢.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٦) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٢.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٨) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٢.
(٩) تفسير السعدي: ٨١٣.
(١٠) إعراب القرآن: ١٧١/٤.
(١١)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.
(١٣) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.
(١٤) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل
الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[١].
الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [٢].
قوله تعالى:{الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ} [الطور : ١٢]، أي:" الذين هم في خوض بالباطل يلعبون به، ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا"[٣].
قال الطبري:" يقول: الذين هم في فتنة واختلاط في الدنيا يلعبون، غافلين عما هم صائرون إليه من عذاب الله في الآخرة"[٤].
قال السعدي:" أي: خوض في الباطل ولعب به. فعلومهم وبحوثهم بالعلوم الضارة المتضمنة للتكذيب بالحق، والتصديق بالباطل، وأعمالهم أعمال أهل الجهل والسفه واللعب، بخلاف ما عليه أهل التصديق والإيمان من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة"[٥].
قال الزجاج:" أي: يشاغلهم بكفرهم لعب عاقِبتُه العذاب"[٦].
قال عطاء: "يخوضون في تكذيبك ويلهون بذكرك"[٧].
عن مجاهد:" {يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}، قال: كذبون أو يكذبون، -شك إسحاق-"[٨].
قال أبو عبيدة:" «الخوض»: الفتنة والاختلاط"[٩].

القرآن
{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)} [الطور : ١٣-١٤]
التفسير:
يوم يُدْفَع هؤلاء المكذبون دفعًا بعنف ومَهانة إلى نار جهنم، ويقال توبيخًا لهم: هذه هي النار التي كنتم بها تكذِّبون.
قوله تعالى:{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} [الطور : ١٣]، أي:" يوم يُدْفَع هؤلاء المكذبون دفعًا بعنف ومَهانة إلى نار جهنم"[١٠].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فويل للمكذبين يوم يدفعون بإرهاق وإزعاج، يقال منه: دعَعْت في قفاه: إذا دفعت فيه"[١١].
قال السعدي:" أي: يوم يدفعون إليها دفعا، ويساقون إليها سوقا عنيفا، ويجرون على وجوههم"[١٢].
وفي قوله تعالى:{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} [الطور : ١٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها : أن يدعهم زبانيتها بالدعاء عليهم. أفاده الماوردي[١٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٢.
(٥) تفسير السعدي: ٨١٣.
(٦) معاني القرآن: ٦٢/٥.
(٧)انظر: " التفسير الوسيط" ٤/ ١٨٥، و"التفسير البسيط" للواحدي: ٤٨٣/٢٠، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٣٨، "الجامع" للقرطبي ١٧/ ٦٤.
(٨) تفسير إسحاق البستي(١١٤٤):ص٤٤٧/٢.
(٩) مجاز القرآن: ٢٣١/٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(١١) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٢-٤٦٤.
(١٢) تفسير السعدي: ٨١٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٨٠/٥.

الثاني: يدفعون دفعاً عنيفاً. قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، والضحاك[٣]، وعكرمة[٤]، والسدي[٥]، وابن زيد[٦]. ومنه قول الراجز [٧]:
يدعّه بضفتي حيزومه ... دعّ الوصيّ جانبي يتيمه
قال ابن عباس:" يدفع في أعناقهم حتى يردوا النار"[٨].
قال مجاهد: يدفعون"[٩].
قال عكرمة:" يدفعون إلى نار جهنم دفعا"[١٠]. وروي عن القرظي مثله[١١].
قال ابن زيد:" يدفعون دفعا، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}، قال: يدفعه، ويغلظ عليه"[١٢].
قال الضحاك:" الدعّ: الدفع والإرهاق"[١٣].
قال أبو عبيدة:" أي: يدفعون، يقال: دعت في قفاه، أي: دفعت. وفى آية أخرى: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون : ٢]"[١٤].
الثالث : يزعجون إزعاجاً ، قاله قتادة[١٥].
قال الزجاج:" أي: يوم يزعجون إليها إزعاجاً شديداً، ويدفعون دفعاً عنيفاً، ومن هذا قوله: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون : ٢]، أي: يدفعه عما يجب له"[١٦].
قوله تعالى:{هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} [الطور : ١٤]، أي:" ويقال توبيخًا لهم: هذه هي النار التي كنتم بها تكذّبون"[١٧].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذه النار التي كنتم بها في الدنيا تكذّبون، فتجحدون أن تردوها، وتصلوها، أو يعاقبكم بها ربكم وترك ذكر يُقال لهم، اجتزاء بدلالة الكلام عليه"[١٨].

القرآن
{أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)} [الطور : ١٥-١٦]
التفسير:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٨٠/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(٧)الرجز لأبي نواس في ديوان المعاني: ١/ ٣٥٧، وهو في ربيع الأبرار ١/ ٤٩، والنكت والعيون: ٣٨٠/٥. وفيه:" يدعه بصفحتي"
(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(١١) الدر المنثور: ٦٣٠/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(١٤) مجاز القرآن: ٢٣١/٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(١٦) معاني القرآن: ٦٢/٥.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(١٨) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٢.

أفسحر ما تشاهدونه من العذاب أم أنتم لا تنظرون؟ ذوقوا حرَّ هذه النار، فاصبروا على ألمها وشدتها، أو لا تصبروا على ذلك، فلن يُخَفَّف عنكم العذاب، ولن تخرجوا منها، سواء عليكم صبرتم أم لم تصبروا، إنما تُجزون ما كنتم تعملون في الدنيا.

قوله تعالى:{أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطور : ١٥]، أي:" أفسحر ما تشاهدونه من العذاب أم أنتم لا تنظرون؟"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عما يقول لهؤلاء المكذبين الذين وصف صفتهم إذا وردوا جهنم يوم القيامة: أفسحر أيها القوم هذا الذي وردتموه الآن أم أنتم لا تعاينونه ولا تبصرونه؟ وقيل هذا لهم توبيخا لا استفهاما"(٢).

قال السعدي:" يحتمل أن الإشارة إلى النار والعذاب، كما يدل عليه سياق الآية، أي: لما رأوا النار والعذاب قيل لهم من باب التقريع:« أهذا سحر لا حقيقة له، فقد رأيتموه، أم أنتم في الدنيا لا تبصرون»، أي: لا بصيرة لكم ولا علم عندكم، بل كنتم جاهلين بهذا الأمر، لم تقم عليكم الحجة؟ والجواب انتفاء الأمرين:

- أما كونه سحرا، فقد ظهر لهم أنه أحق الحق، وأصدق الصدق، المخالف للسحر من جميع الوجوه، وأما كونهم لا يبصرون، فإن الأمر بخلاف ذلك، بل حجة الله قد قامت عليهم، ودعتهم الرسل إلى الإيمان بذلك، وأقامت من الأدلة والبراهين على ذلك، ما يجعله من أعظم الأمور المبرهنة الواضحة الجلية.
- ويحتمل أن الإشارة بقوله: {أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ}، إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الحق المبين، والصراط المستقيم أي: هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم سحر أم عدم بصيرة بكم، حتى اشتبه عليكم الأمر، وحقيقة الأمر أنه أوضح من كل شيء وأحق الحق، وأن حجة الله قامت عليهم"(٣).

قال أبو عبيدة:" {أَفَسِحْرٌ هذا} ليس باستفهام، بل هو توعّد"(٤).

قال الزجاج:" لفظ هذه الألف لفظ الاستفهام، ومعناها –ههنا-: التوبيخ والتقريع، أي: أتصدقون الآن أن عذاب الله لواقع"(٥).

قوله تعالى:{اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ} [الطور : ١٦]، أي:" ذوقوا حرَّ هذه النار، فاصبروا على ألمها وشدتها، أو لا تصبروا على ذلك، فلن يُخَفَّف عنكم العذاب، ولن تخرجوا منها، سواء عليكم صبرتم أم لم تصبروا"(٦).

قال الطبري:" يقول: ذوقوا حرّ هذه النار التي كنتم بها تكذبون، وردوها فاصبروا على ألمها وشدتها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا"(٧).

قال السعدي:" أي: ادخلوا النار على وجه تحيط بكم، وتستوعب جميع أبدانكم وتطلع على أفئدتكم. {فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ} أي: لا يفيدكم الصبر على النار شيئا، ولا يتأسى بعضكم ببعض، ولا يخفف عنكم العذاب، وليست من الأمور التي إذا صبر العبد عليها هانت مشقتها وزالت شدتها"(٨).

قوله تعالى: {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور : ١٦]، أي:" إنما تُجزون ما كنتم تعملون في الدنيا"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(٣) تفسير السعدي: ٨١٤.
(٤) مجاز القرآن: ٢٣١/٢.
(٥) معاني القرآن: ٦٢/٥.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٧) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(٨) تفسير السعدي: ٨١٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٣.

قال الطبري:" يقول: ما تجزون إلا أعمالكم: أي لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم"[١].

قال الزجاج:" معنى {إِنَّمَا} –ههنا-: «ما تجزون إلَّا ما كنتم تعملون»، أي: الأمر جارٍ عليكم على العدل، ما جوزيتم إلَّا أعمالكم"[٢].

قال السعدي:" وإنما فعل بهم ذلك، بسبب أعمالهم الخبيثة وكسبهم"[٣].

فوائد الآيات: [١-١٦]:

١- تقرير البعث والجزاء.

٢- لله تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير الله تعالى.

٣- عرض سريع لأهوال القيامة وأحوال المكذبين فيها.

٤- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل.

القرآن

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨)}

[الطور : ١٧-١٨]

التفسير:

إن المتقين في جنات ونعيم عظيم، يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذِّ المختلفة، ونجَّاهم الله من عذاب النار.

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ} [الطور : ١٧]، أي:" إن المتقين في جنات ونعيم عظيم"[٤].

قال الطبري: يقول: " إن الذين اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في جنات: يقول في بساتين ونعيم فيها، وذلك في الآخرة"[٥].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن حال السعداء فقال :{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ}، وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال"[٦].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٧].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٨].

قوله تعالى:{فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ} [الطور : ١٨]، أي:" يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذِّ المختلفة"[٩].

قال ابن كثير:" أي : يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصناف الملاذ، من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك"[١٠].

قال الفراء:" مُعْجَبِينَ بما آتاهم ربُّهم"[١١].

قال ابن قتيبة:" أي: ناعمين بذلك. وفكهين معجَبين بذلك"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(٢) معاني القرآن: ٦٢/٥.
(٣) تفسير السعدي: ٨١٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٥) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣١/٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٨) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣١/٧.
(١١) معاني القرآن: ٩١/٣.
(١٢) غريب القرآن: ٤٢٥.

قال الطبري: " يقول: عندهم فاكهة كثيرة بإعطاء الله إياهم ذلك.. وقوله: {فَاكِهِينَ}، يقول: عندهم فاكهة كثيرة، وذلك نظير قول العرب للرجل يكون عنده تمر كثير: رجل تامر، أو يكون عنده لبن كثير، فيقال: هو لابن، كما قال الحُطيئة[١]:
أغَرَرْتَني وَزَعمْتَ أنَّك ... لابنٌ في الصَّيف تامِرٌ"[٢].
عن ابن عباس:" {فاكِهُونَ}، قال فرحون"[٣].
عن الحسن:" {فاكِهُونَ} مسرورون"[٤].
عن السدي:" {فاكِهُونَ} ناعمون"[٥].
عن مجاهد:" {فاكِهُونَ}، قال: مُعجبون"[٦]. وروي عن الحسن وقتادة مثله[٧].
قال الضحاك:" مُعجبون بما هم فيه"[٨].
قوله تعالى:{وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [الطور : ١٨]، أي:" ونجَّاهم الله من عذاب النار"[٩].
قال الطبري:" يقول: ورفع عنهم ربهم عقابه الذي عذَّب به أهل الجحيم"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة، التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[١١].

القرآن
{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)} [الطور : ١٩-٢٠]
التفسير:
كلوا طعامًا هنيئًا، واشربوا شرابًا سائغًا؛ جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا. وهم متكئون على سرر متقابلة، وزوَّجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسانهنَّ.
قوله تعالى:{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور : ١٩]، أي:" كلوا طعامًا هنيئًا، واشربوا شرابًا سائغًا؛ جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا"[١٢].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كلوا واشربوا، يقال لهؤلاء المتقين في الجنات: كلوا أيها القوم مما آتاكم ربكم، واشربوا من شرابها هنيئا، لا تخافون مما تأكلون وتشربون فيها أذى ولا غائلة بما كنتم تعملون في الدنيا لله من الأعمال"[١٣].
قال ابن كثير:" قوله :{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، كقوله :{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة : ٢٤]. أي: هذا بذاك، تفضلا منه وإحسانا "[١٤].

---

(١) ديوانه: ١٧.
(٢) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٢.
(٣)أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٠. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٤)علقه يحيى بن سلّام في "التفسير": ٢/ ٨١٤.
(٥)تفسير الثعلبي ٨/ ١٣١.
(٦)تفسير مجاهد (٥٦١)، وأخرجه إسحاق البستي(٤٧٣):ص١٩٢/٢، والطبري: ٥٣٦/٢٠، بلفظ: "عجبون"، والفريابي -كما في التغليق ٤/ ٢٩١ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٤٥.
(٨)تفسير الثعلبي ٨/ ١٣١، وتفسير البغوي ٧/ ٢٢.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٢.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٣١/٧.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٢.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٣١/٧.

قال ابن عباس:" {هنيئا}، أي: لا يموتون فيها"[1]. وفي رواية:" أي لا تموتون فيها"[2].

عن عكرمة في قوله: "{كلوا واشربوا هنيئا} أي: لا موت"[3].

عن يوسف بن يعقوب الحنفي، قال: "بلغنا أن الله عز وجل يقول يوم القيامة: "يا أوليائي، طالما نظرت إليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وقد غارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية"[4].

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ} [الطور : ٢٠]، أي:" وهم متكئون على سرر متقابلة"[5].

قال مقاتل:" يعني: مصففة في الخيام"[6].

قال ابن كثير:" معنى {مصفوفة}، أي : وجوه بعضهم إلى بعض، كقوله :{عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الصافات : ٤٤]"[7].

قال الطبري:" قد جعلت صفوفا، وترك قوله: على نمارق، اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه"[8].

قال ابن عباس:" السرر في الحجال"[9].

عن صفوان بن عمرو ؛ أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه"[10].

قال ثابت: "بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة، عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك، فيقلن : قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيبا"[11].

قوله تعالى:{وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} [الطور : ٢٠]، أي:" وزوَّجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسانهنَّ"[12].

قال النحاس:" أي: قرنّاهم بهنّ"[13].

قال الطبري: يقول:" وزوّجنا الذكور من هؤلاء المتقين أزواجا بحور عين من النساء، و«الحُور»: جمع حَوْراء، وهي الشديدة بياض مقلة العين في شدة سواد الحدقة، والعين: جمع عَيْنَاء، وهي العظيمة العَيْن في حُسن وسعة"[14].

قال مقاتل:"{بِحُورٍ}، يعني: بيض الوجوه، {عِينٍ}، يعني: حسان العيون"[15].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٩٢):ص٣٢١٥/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٨٢):ص٣٣١٥/١٠، وانظرك الدر المنثور: ٩٥/٧- وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٣) الدر المنثور: ٣٨٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٩/٢٧-٣١٠، و أخرجه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ٤١١. [إسناده ضعيف؛ فيه المقدمي ضعيف، وكذلك عبد الله بن جعفر، ثم هو مرسل]

(٥) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٥/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٢.

(٩) تفسير سفيان الثوري(٨٠٤: ١٥: ١):ص٢٥١. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٣١/٧.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٣١/٧-٤٣٢.

(١١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(١٣) إعراب القرآن: ١٧٢/٤.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٢.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣-٨٢٦.

قال ابن كثير:" أي : وجعلناهم قرينات صالحات، وزوجات حسانا من الحور العين "[١].

قال النحاس:" «الحور»- في اللغة-: البياض، ومنه الخبز الحوّاريّ، و{عِينٍ} جمع عيناء"[٢].

عن قتادة، قوله: " {كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} [الدخان : ٥٤]، قال: بيضاء عيناء"[٣].

وقال مجاهد:" أنكحناهم بحور عين، والحُور: اللاتي يحار فيهنّ الطرف بادٍ مُخُّ سوقهنّ من وراء ثيابهنّ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهنّ كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون"[٤].

عن أنس - رفعه نوح - قال : "لو أن حوراء بَزَقَت في بحر لُجِّي، لعَذُبَ ذلك الماء لعذوبة ريقها"[٥].

وفي «العين»، وجهان من التفسير:

أحدهما : العظام الأعين، قاله الضحاك[٦] ،السدي[٧]، وابن زيد[٨]، ويحيى بن سلام[٩]، والأخفش[١٠]، وقطرب[١١]، وأبو عبيدة[١٢].

عن الضحاك:" العِين: العِظام الأعين"[١٣].

قال ابن زيد:" العيناء: العظيمة العين"[١٤].

قال يحيى:"بلغني عن عبد الله بن عمرو قال: شفر عينها أطول من جناح النسر"[١٥].

وروي عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قلت: "يا رسول الله أخبرني عن قول الله: {حور عين}، قال:«العين: الضخام العيون; شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر»"[١٦].

الثاني : الحسان العيون، قاله مجاهد[١٧]، ومقاتل[١٨]، وابن كثير[١٩].

عن مجاهد:" {عِينٌ}، قال: حِسان العيون"[٢٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٧.

(٢) إعراب القرآن: ١٧٢/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

قال الطبري:" وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها: أنه يحار فيها الطرف، قول لا معنى له في كلام العرب، لأن الحُور إنما هو جمع حوراء، كالحمر جمع حمراء، والسود: جمع سوداء، والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض، كما قيل للنقيّ البياض من الطعام الحُوَّاري". [تفسير الطبري: ٥٢/٢٢]

(٥) رواه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٨٦) من وجه آخر، فرواه من طريق محمد بن إسماعيل الحساني، عن منصور الواسطي، عن أبي النصر الأبار، عن أنس مرفوعا بنحوه.

(٦) الدر المنثور: ٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١.

(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٨/٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٨/٥.

(١٢) انظر: مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(١٣) الدر المنثور: ٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(١٧) الدر المنثور:٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.

(١٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.

(١٩) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤/٧.

(٢٠) الدر المنثور:٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.

قال ابن كثير:" أي : حسان الأعين، وقيل : ضخام الأعين. هو يرجع إلى الأول ، وهي النجلاء العيناء ، فوصف عيونهن بالحسن والعفة ، كقول زليخا في يوسف حين جملته وأخرجته على تلك النسوة ، فأعظمنه وأكبرنه ، وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره ، قالت : { فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ } [يوسف : ٣٢]، أي : هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي ، فأرتهن جماله الظاهر وأخبرتهن بجماله الباطن، وهكذا الحور العين { خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } [الرحمن : ٧٠] ، ولهذا قال : { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ }"[١].

قال الزجاج:" «عين»: كبار الأعين حسانها. الواحدة: عيناء"[٢].

فوائد الآيات: [١٧-٢٠]:

١- فضل التقوى وكرامة أهلها.

٢- بيان منة الله وفضله على أهل الإيمان والتقوى وهم أولياء الله تعالى.

٣- مشروعية الدعاء بكلمة هنيئا لمن أكل أو شرب ائتساء بأهل الجنة.

٤- الإيمان والأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة وليست ثمنا لها لأن الجنة أغلى من عمل الإنسان، وإنما العمل الصالح يزكى النفس فيؤهل صاحبها لدخول الجنة فالباء في قوله {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} سببية وليست للعوض كما في قولك بعتك الدار بألف مثلا.

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)} [الطور : ٢١]

التفسير:

والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في الإيمان، وألحقنا بهم ذريتهم في منزلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم; لتَقَرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيُجْمَع بينهم على أحسن الأحوال، وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم. كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور : ٢١]، أي:" والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في الإيمان، وألحقنا بهم ذريتهم في منزلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم; لتَقَرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيُجْمَع بينهم على أحسن الأحوال"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه : أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل، بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذاك"[٤].

قال الزمخشري:" فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم"[٥].

قال السعدي:" وهذا من تمام نعيم أهل الجنة، أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان أي: الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم، فصارت الذرية تبعا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون، يلحقهم الله

---

(١) تفسير ابن كثير :١٤/٧.

(٢) معاني القرآن: ٣٠٤/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٧.

(٥) الكشاف: ٤١١/٤.

بمنازل آبائهم في الجنة وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك، لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئا"[١].

وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ} [الطور : ٢١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن الله تعالى يعطي الذرية مثل أجور الآباء من غير أن ينقص الآباء من أجورهم شيئاً ، قاله إبراهيم[٢]، والربيع[٣].

قال إبراهيم:" أعطوا مثل أجور آبائهم، ولم ينقص من أجورهم شيئًا"[٤].

وعن الربيع: "{وأتْبَعْناهُم ذُرّيَّاتِهِمْ بإيمانٍ}، يقول: أعطيناهم من الثواب ما أعطيناهم، {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}، يقول: ما نقصنا آباءهم شيئا"[٥].

وروي عن سعيد بن جبير، قال:" ألحق الله ذرياتهم بآبائهم، ولم ينقص الآباء من أعمالهم، فيردَّه على أبنائهم"[٦].

وقال عامر:" فأدخل الله الذرّية بعمل الآباء الجنة، ولم ينقص الله الآباء من عملهم شيئا، قال: فهو قوله: {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}"[٧].

الثاني : أنه لما أدرك أبناؤهم الأعمال التي عملوها تبعوهم عليها فصاروا مثلهم فيها ، قاله ابن زيد[٨].

قال ابن زيد:" أدرك أبناؤهم الأعمال التي عملوا، فاتبعوهم عليها واتبعتهم ذرّياتهم التي لم يدركوا الأعمال، فقال الله جلّ ثناؤه :{وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}، قال: يقول: لم نظلمهم من عملهم من شيء فننقصهم، فنعطيه ذرّياتهم الذين ألحقناهم بهم، الذين لم يبلغوا الأعمال ألحقتهم بالذين قد بلغوا الأعمال"[٩].

الثالث : أنهم البالغون عملوا بطاعة الله مع آبائهم فألحقهم الله بآبائهم ، قاله قتادة[١٠].

قال مقاتل:" يعني: من أدرك العمل من أولاد بني آدم المؤمنين فعمل خيرا فهم مع آبائهم في الجنة"[١١].

الرابع : معنى ذلك: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّيَّاتهم التي بلغت الإيمان بإيمانٍ، ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التي لم تبلغ الإيمان، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء. رواه عطية العوفي عن ابن عباس[١٢]، وبه قال الضحاك[١٣].

قال ابن عباس:" الذين أدرك ذريتهم الإيمان، فعملوا بطاعتي، ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار نلحقهم بهم"[١٤].

عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق جويبر- في قوله: "{ذريتهم بإيمان}، يعني: الذين لم يبلغوا العمل، «ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ» يعني: الصغار الذين لم يبلغوا الحِنث فدخلوا الجنة"[١٥].

---

(١) تفسير السعدي: ٨١٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٢-٤٧٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٥/٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير إسحاق البستي(١١٥١):ص٤٥٠/٢، وتفسير الطبري: ٤٦٨/٢٢-٤٦٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٢.
(١٥) تفسير إسحاق البستي(١١٥١):ص٤٥٠/٢.

عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- في قوله: «والَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّياتِهُمْ بإيمانٍ ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ»، يقول: مَن أدرك ذُرّيته الإيمان، فعملوا بطاعتي ألْحقتُهم بآبائهم في الجنة، وأولادهم الصغار أيضًا على ذلك"[١].

الخامس: أن الله يدخل الذرية بإيمان الآباء الجنة، وإن كانوا لم يبلُغوا أعمال آبائهم تكرمةً من الله تعالى لآبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٢]. وبه قال الطبري[٣].

قال ابن عباس:" إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته، وإن كانوا دونه في العمل، ليقرّ الله بهم عينه"[٤].

قال ابن عباس:" هم ذرية المؤمن، يموتون على الإيمان : فإن كانت منازل آبائهم، أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوا شيئا"[٥].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - أظنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به»، وقرأ ابن عباس {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ} الآية"[٦].

قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وهو: والذين آمنوا بالله ورسوله، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان، وآمنوا بالله ورسوله، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان فآمنوا، في الجنة فجعلناهم معهم في درجاتهم، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكرمة منا لآبائهم، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئا. وإنما قلت: ذلك أولى التأويلات به، لأن ذلك الأغلب من معانيه، وإن كان للأقوال الأخر وجوه"[٧].

قال الشوكاني:" ومعنى هذه الآية: أن الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن إليه وإن كانوا دونه في العمل لتقر عينه، وتطيب نفسه، بشرط أن يكونوا مؤمنين، فيختص ذلك بمن يتصف بالإيمان من الذرية وهم البالغون دون الصغار، فإنهم وإن كانوا لاحقين بآبائهم فبدليل آخر غير هذه الآية. وقيل: إن الذرية تطلق على الكبار والصغار كما هو المعنى اللغوي، فيلحق بالآباء المؤمنين صغار ذريتهم وكبارهم، ويكون قوله: بإيمان في محل نصب على الحال، أي: بإيمان من الآباء. وقيل: إن الضمير في «بهم» راجع إلى الذرية المذكورة أولا، أي: ألحقنا بالذرية المتبعة لآبائهم بإيمان ذريتهم. وقيل: المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار فقط، وظاهر الآية العموم، ولا يوجب تخصيصها بالمهاجرين والأنصار كونهم السبب في نزولها إن صح ذلك، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[٨].

عن علي قال : "سألتْ خديجة النبي صلى الله عليه وسلم، عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هما في النار». فلما رأى الكراهة في وجهها قال : «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما». قالت : يا رسول الله، فولدي منك. قال : «في الجنة». قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٢-٤٦٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٢٢-٤٧١.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٢.
(٥) رواه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٣/٧.
(٦)رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٢٤٨):ص٤٤٠/١١، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به. ورواه في المعجم الصغير برقم (٦٤٠): ص٣٨٢/١، حدثنا عبد الله بن يزيد الدقيقي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به.
(٧) تفسير الطبري: ٤٧٠/٢٢-٤٧١.
(٨) فتح القدير: ١١٧/٥.

وأولادهم في النار». ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} الآية"[1].

قال ابن كثير:" هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد،...عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يا رب، أنى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك»[2] "[3].

روي عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[4].

قال الشَّافِعِي -رحمه الله-: "فإن قال قائل: فما الحجة أن للصبي حجاً، ولم يكتب عليه فرضه؟ قيل: إن اللَّه بفضل نعمته أناب الناس على الأعمال أضعافها، ومَن على المؤمنين بأن ألحقَ بهم ذرياتهم، ووفر عليهم أعمالهم. فقال: {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}الآية، فلما مَنَّ على الذراري بإدخالهم جنته بلا عمل، كان أن من عليهم بأن يكتب لهم عمل البر في الحج، وإن لم يجب عليهم من ذلك المعنى - ثم ذكر دليلاً حديث المرأة التي رفعت للنبي - صلى الله عليه وسلم - صبياً - فقالت: يا رسول ألهذا حج؟ قال - صلى الله عليه وسلم -: «نعم، ولكِ أجر»[5]، الحديث ــ"[6].

قال القشيري:" يكمل عليهم سرورهم بأن يلحق بهم ذرّياتهم فإنّ الانفراد بالنعمة عمّن القلب مشتغل به من الأهل والولد والذرية يوجب تنغص العيش، وكذلك كلّ من قلب الوليّ يلاحظه من صديق وقريب، ووليّ وخادم، قال تعالى في قصة يوسف: {وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} [يوسف : ٩٣] "[7].

---

(١)زوائد عبد الله على المسند (١٣٤/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢١٧/٧) : "فيه محمد بن عثمان ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح".

(٢)المسند (١٠٦١٠):ص٣٥٦/١٦-٣٥٧. إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود- وهو ابن بهدلة-، وباقى رجاله ثقات رجال الصحيح.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٩٦/١٠، وأحمد بن منيع كما في "أطراف المسند" ١٧٩/٧-١٨٠ عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٨٧/٣، وابن ماجه (٣٦٦٠) ، والبزار (٣١٤١- كشف الأستار) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، والطبراني في "الأوسط" (٥١٠٤) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٤٢/٢٣ من طرق عن حماد بن سلمة، به.

وأخرجه البيهقي ٧٨/٧-٧٩، والبغوي (١٣٩٦) من طريق حماد بن زيد، عن عاصم بن أبي النجود، به. وفي رواية البزار والبيهقي والبغوي: بدعاء ولدك لك.

وأخرجه ابن عبد البر ١٤٣/٢٣ من طريق سفيان الثوري، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: وأكبر ظني أنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكره.

وأخرجه موقوفا البخاري في "الأدب المفرد" (٣٦) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، به.

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند الطبراني في "الأوسط" (١٩١٥) .

ولفظه: "يتبع الرجل من الحسنات يوم القيامة أمثال الجبال، فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك". وإسناده ضعيف.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٣/٧-٤٣٤.

(٤)صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(٥) أخرجه أحمد في المسند(١٨٩٨):ص٤٤٤/٢، ومسلم(١٣٣٦):ص٩٧٤/٢، ونص الحديث: عن ابن عباس قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرَّوْحاء، فلقى ركْباً فسلم عليهم، فقال: "من القوم؟ " قالوا: المسلمون، قال: فمن أنتم، قال: رسول الله، ففزعت امرأة فأخذت بعَضُد صبيّ فأخرجته من محَفَّتها، فقالت: يا رسول الله، هل لهذا حجٌّ؟ قال: "نعم، ولكِ أجْرٌ".

(٦) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٨٩/٣.

(٧) لطائف الإشارات: ٤٧٤/٣.

قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والحسن وقتادة وأهل مكة: «واتبعتهم ذريتهم» «بهم ذريتهم»، وقرأ نافع وأبو جعفر وابن مسعود بخلاف عنه وشيبة والجحدري وعيسى، «وأتبعناهم ذريتهم» «بهم ذرياتهم»، وروى خارجة عنه مثل قراءة حمزة. وقرأ ابن عامر وابن عباس وعكرمة وابن جبير والضحاك: «واتبعتهم ذريتهم» «بهم ذريتهم» . وقرأ أبو عمرو والأعرج وأبو رجاء والشعبي وابن جبير والضحاك: «وأتبعناهم ذريتهم» «بهم ذريتهم»[١].

قال ابن عطية:" فكون الذرية جمعا في نفسه حسن الإفراد في هذه القراءات، وكون المعنى يقتضي انتشار أو كثرة حسن جمع الذرية في قراءة «ذرياتهم»[٢].

وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «وأتبعنهم»، بالنون[٣].

قوله تعالى:{وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الطور : ٢١]، أي:" وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما ألتنا الآباء، يعني بقوله: {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ}، وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئا، فنأخذه منهم، فنجعله لأبنائهم الذين ألحقناهم بهم، ولكنا وفَّيناهم أجور أعمالهم، وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم، تفضلا منا عليهم. والألت في كلام العرب: النقص والبخس"[٥].

قال القشيري:" أي: ما أنقصنا من أجورهم من شيء بل وفينا ووفّرنا. وفي الابتداء نحن أولينا وزدنا على ما أعطينا"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الطور : ٢١]، وجهان من التفسير:

أحدهما : ما نقصناهم ، قاله ابن عباس[٧]، ومجاهد[٨]، والربيع بن انس[٩]، قال رؤبة[١٠]:

وليلةٍ ذات نَدى سَرَيتُ ... ولم يَلتني عنْ سُرَاها لَيْت

أي: لم ينقصني.

قال مجاهد:" ما نقصنا الآباء للأبناء"[١١].

قال الربيع بن انس:" يقول: ما نقصنا آباءهم شيئا"[١٢].

الثاني : معناه: وما ظلمناهم ، قاله سعيد بن جبير[١٣]، وقتادة[١٤]، والضحاك[١٥]، وابن زيد[١٦]، قال الحطيئة[١٧]:

أبلغ سراة بني سعد مغلغلة ... جهد الرسالة لا ألتاً ولا كذباً

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١٨٩/٥.
(٢) المحرر الوجيز: ١٨٩/٥.
(٣) انظر: السبعة في القراءات: ٦١٢.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٥) تفسير الطبري: ٤٧١/٢٢.
(٦) لطائف الإشارات: ٤٧٤/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٢.
(١٠) نسبه في مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٢١/٢، والمحتسب: ٢٩١/٢، لرؤبة، ولم أجده في ديوانه ولا في ديوان أبيه العجاج ، وهو في الطبري: ٢٦/ ٨٢، والمقتضب لابن جنى: ص ٧، وتفسير القرطبي: ١٦/ ٣٤٩ وفتح الباري: ٨/ ٤٥٢.، ورواه في اللسان "ليت"، لم ينسبه.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.
(١٧) ديوانه: ٧. ومغلغة: رسلة تغلغل حتى تصل إليهم.

أي: لا ظلماً ، ولا كذباً .

قال قتادة:" يقول: وما ظلمناهم من عملهم من شيء"[١].

قال ابن زيد:" يقول: لم نظلمهم من عملهم من شيء: لم ننتقصهم فنعطيه ذرّياتهم الذين ألحقناهم بهم لم يبلغوا الأعمال ألحقهم بالذين قد بلغوا الأعمال: {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}، قال: لم يأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار، وأدخلهم برحمته، والكبار عملوا فدخلوا بأعمالهم"[٢].

ومعنى الكلام : "لم نظلم الآباء بما أعطينا الأبناء، وإنما فعل تعالى ذلك بالأبناء تكرمة للآباء"[٣].

قرأ جمهور القراء: «ألتناهم» بفتح الألف من ألت. وقرأ ابن كثير وأبو يحيى وشبل: «ألتناهم» من ألت بكسر اللام. وقرأ الأعرج: «ألتناهم» على وزن أفعلناهم. وقرأ أبيّ بن كعب وابن مسعود: «لتناهم» من لات، وهي قراءة ابن مصرف. ورواها القواس عن ابن كثير[٤].

قوله تعالى:{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور : ٢١]، أي:" كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس"[٥].

قال ابن عباس: "ارتهن أهل جهنم بأعمالهم"[٦].

عن علي بن أبي طالب -عليه السلام-: "{كل نفس بما كسبت رهينة} [المدثر: ٣٨] ، يعني: «مرتهنة»"[٧].

عن الضحاك:" {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}، قال: كل نفس سبقت له كلمة العذاب يرتهنه الله في النار، لا يرتهن الله أحدا من أهل الجنة، ألم تسمع أنه قال: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ}، يقول: ليسوا رهينة {فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ}"[٨].

قال الطبري:" يقول: كلّ نفس بما كسبت وعملت من خير وشرّ مرتهنة لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه"[٩].

قال ابن كثير:" أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد، بل {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}، أي : مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبا أو ابنا، كما قال :{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ} [المدثر : ٣٨ - ٤١]"[١٠].

قال السعدي:" ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك، يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكما واحدا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بذنب، ولهذا قال: {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} أي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يحمل على أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور"[١١].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢٢.
(٣) النكت والعيون: ٣٨٢/٥.
(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١٨٩/٥.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٦) التفسير البسيط للواحدي: ٩١/٢٠، وتفسير القرطبي: ٦٨/١٧.
(٧) تفسير مجاهد: ٦٨٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤.
(٩) تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٧.
(١١) تفسير السعدي: ٨١٥.

{وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣)} [الطور : ٢٢-٢٣]

التفسير:

وزدناهم على ما ذُكر من النعيم فواكه ولحومًا مما يستطاب ويُشتهى، ومن هذا النعيم أنهم يتعاطَوْن في الجنة كأسًا من الخمر، يناول أحدهم صاحبه؛ ليتم بذلك سرورهم، وهذا الشراب مخالف لخمر الدنيا، فلا يزول به عقل صاحبه، ولا يحصل بسببه لغو، ولا كلام فيه إثم أو معصية.

قوله تعالى:{وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [الطور : ٢٢]، أي:" وزدناهم على ما ذُكر من النعيم فواكه ولحومًا مما يستطاب ويُشتهى"(١).

قال ابن عباس: "يعني: غير الذي كان لهم زيادة من الله تعالى أمدهم بها"(٢).

قال الطبري:" وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله، واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجنة، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان"(٣).

قال ابن كثير:" أي : وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى، مما يستطاب ويشتهى"(٤).

قال السعدي:" أي: أمددنا أهل الجنة من فضلنا الواسع ورزقنا العميم، {بِفَاكِهَةٍ} من العنب والرمان والتفاح، وأصناف الفواكه اللذيذة الزائدة على ما به يتقوتون، {وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} من كل ما طلبوه واشتهته أنفسهم، من لحم الطير وغيرها"(٥).

قوله تعالى:{يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا} [الطور : ٢٣]، أي:" يتعاطون في الجنة كأساً من الخمر، يتجاذبها بعضهم من بعض تلذذاً وتأنسا"(٦).

قال أبو عبيدة:" يتعاطون، أي: يتداولون، قال الأخطل(٧):

نَازَعْتُهُ طيِّبَ الرَّاح الشَّمول وقَدْ ... صَاحَ الدَّجاجُ وحَانَتْ وَقْعَةُ السَّاري"(٨).

قال الطبري:" يقول: يتعاطون فيها كأس الشراب، ويتداولونها بينهم"(٩).

قال السعدي:" أي: تدور كاسات الرحيق والخمر عليهم، ويتعاطونها فيما بينهم، وتطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب وأباريق وكأس"(١٠).

قال القرطبي:" أي: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره"(١١).

قال الزجاج:" «الكأسُ» -في اللُّغة-: الإنَاءُ المملوء، فإذا كان فارغاً فليس بكأس"(١٢).

قال مجاهد:" الكأس: كل شيء يشرب فيه الخمر ""(١٣).

قوله تعالى:{لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} [الطور : ٢٣]، أي:" لا يقع بينهم بسبب شربها هذيان حتى يتكلموا بساقط الكلام، ولا يلحقهم إثم كما يلحق شارب الخمر في الدنيا"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٢) "التفسير البسيط": ٤٩٢/٢٠، و"التفسير الوسيط": ٤/ ١٨ للواحدي، و"تفسير البغوي": ٤/ ٢٣٩.
(٣) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٧.
(٥) تفسير السعدي: ٨١٥.
(٦) صفوة التفاسير: ٢٤٧/٣.
(٧)ديوانه ص ١١٦، وتفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢، وتفسير القرطبي: ١٧/ ٦٨.
(٨) مجاز القرآن: ٢٣٢/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(١٠) تفسير السعدي: ٨١٥.
(١١) تفسير القرطبي: ٦٨/١٧.
(١٢) معاني القرآن: ٦٣/٥.
(١٣) تفسير مجاهد: ٦٩٦.
(١٤) صفوة التفاسير: ٢٤٧/٣.

قال الطبري:" يقول: لا باطل في الجنة، ولا فعل فيها يُؤْثم صاحبه. وقيل: عنى بالتأثيم: الكذب"[١].

قال السعدي:" أي: ليس في الجنة كلام لغو، وهو الذي لا فائدة فيه ولا تأثيم، وهو الذي فيه إثم ومعصية، وإذا انتفى الأمران، ثبت الأمر الثالث، وهو أن كلامهم فيها سلام طيب طاهر، مسر للنفوس، مفرح للقلوب، يتعاشرون أحسن عشرة، ويتنادمون أطيب المنادمة، ولا يسمعون من ربهم، إلا ما يقر أعينهم، ويدل على رضاه عنهم ومحبته لهم"[٢].

وفي قوله تعالى:{لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} [الطور : ٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : لا باطل في الخمر ولا مأثم ، قاله ابن عباس[٣].

قال قتادة:" أي: لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان"[٤].

وقال قتادة:" ليس فيها لغو ولا باطل، إنما كان اللغو والباطل في الدنيا"[٥].

قال الزجاج:" معناه: لا يجري بينهم ما يُلْغَى، أي: لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لِشَرَبَةِ الخمر"[٦].

الثاني : لا كذب فيها ولا حلف، قاله الضحاك[٧]، ومقاتل[٨].

قال مقاتل:" يعني: لا حلف في شربهم، ولا مأثم، يعني: ولا كذب كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمير"[٩].

الثالث : لا لغو في الجنة ولا كذب ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً[١٠]. و«اللغو» -ها هنا-: فحش الكلام كما قال ذو الرمة[١١]:

فلا الفحش فيه يرهبون ولا الخنا ... عليهم ولكن هيبة هي ما هيا

لِمُسْتَحْكِمٌ جَزْلُ المُرُوءَةِ مؤمِنٌ ... مِنَ القَوْمِ، لَا يَهْوى الكَلَامَ اللَّواغِيا

الرابع : لا يتسابون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضاً، قاله مجاهد[١٢].

عن مجاهد، قوله: "{لا لَغْوٌ فِيهَا}، قال: لا يستبون، {وَلا تَأْثِيمٌ}، يقول: ولا يؤثمون"[١٣].

وعن ابن زيد:" لا سباب ولا تخاصم فيها"[١٤].

قال ابن قتيبة:" أي: لا تَذهبُ بعقولهم فيَلْغُوا أو يَرفُثوا فيأثموا. كما يكون ذلك في خمر الدنيا"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : لا يتكلمون عنها بكلام لاغ، أي : هَذَيَان ولا إثم، أي : فُحْش، كما تتكلم به الشربة من أهل الدنيا، فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فنفى عنها - كما تقدم - صداع الرأس، ووجع البطن، وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هَذَيَانا وفُحشا، وأخبر بحسن منظرها، وطيب طعمها

---

(١) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(٢) تفسير السعدي: ٨١٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٢-٤٧٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٢.
(٦) معاني القرآن: ٦٣/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٨٣/٥. وفي المطبوع: «ولا خلف».
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٨٣/٥.
(١١) البيتان في النكت والعيون: ٣٨٣/٥، و باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن للنيسابوري: ١٣٨٥/٣، والبيت الثاني في تهذيب اللغة واللسان، وتاج العروس، مادة «حكم».
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(١٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٩/٩.
(١٥) غريب القرآن: ٤٢٥.

ومخبرها فقال :{بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزفُونَ} [الصافات : ٤٦، ٤٧]، وقال {لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزفُونَ} [الواقعة : ١٩]، وقال هاهنا :{يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ}"[١].

وقال ابن عطاء: "أي: لغو يكون في مجلس محلّه جنة عدن، والساقي فيه الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة، والقوم أضياف الله"[٢].

وقرئ:«لا لَغْوَ فيها وَلا تَأْثِيَمَ»، نصبا غير منوّن على وجه التبرئة[٣].

القرآن

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤)} [الطور : ٢٤]

التفسير:

ويطوف عليهم غلمان مُعَدُّون لخدمتهم، كأنهم في الصفاء والبياض والتناسق لؤلؤ مصون في أصدافه.

قوله تعالى:{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ} [الطور : ٢٤]، أي:" ويطوف عليهم غلمان مُعَدُّون لخدمتهم"[٤].

قال الطبري: يقول:" ويطوف على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في الجنة غلمان لهم"[٥].

قال السعدي:" أي: خدم شباب"[٦].

قال مقاتل:" لا يكبرون أبدا {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُون}، يقول كأنهم في الحسن والبياض مثل اللؤلؤ المكنون في الصدف لم تمسسه الأيدي، ولم تره الأعين، ولم يخطر على قلب بشر"[٧].

قال سعيد بن جُبَير:" {ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}، يعني: في الصّدف"[٨].

قال سعيد بن المسيب: "{ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} هو مخزون في الصّدف"[٩].

عن ابن جُرَيْج، "{كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}، قال: الذي لم تمرّ عليه الأيدي"[١٠].

قال عبد الله بن عمر -من طريق قتادة- "{ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}: وما من أحدٍ من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألفُ غلامٍ، وكلّ غلام على عملٍ ما عليه صاحبه"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ} [الطور : ٢٤]، وجهان[١٢]:

أحدهما : أن يكون الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم ، فأقَرَّ الله بهم أعينهم .

الثاني : أنهم من أخدمهم الله إياهم من أولاد غيرهم .

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٧.

(٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٩/٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٥) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٢.

(٦) تفسير السعدي: ٨١٥.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤.

(٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٢٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٠. وفي تفسير الثعلبي (ط: دار التفسير) ٢٤/ ٣٦ بلفظ: لم تمسه الأيدي.

(٩)تفسير الثعلبي (ط: دار التفسير) ٢٤/ ٣٦.

(١٠) الدر المنثور: ٦٣٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١)أخرجه الثعلبي ٩/ ١٢٩، والبغوي ٧/ ٣٩٠.

(١٢) حكاه الماوردي عن ابن بحر، انظر: النكت والعيون: ٣٨٣/٥.

قال ابن كثير: " إخبار عن خَدَمهم وحَشَمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب، المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} [الواقعة : ١٧، ١٨]"(١).

قال قتادة: "ذُكر لنا أن رجلا قال: يا نبيّ الله هذا الخادم، فكيف المخدوم؟ قال: "والذي نفس محمد بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"(٢).

قال قتادة: "بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ، فكيف المخدوم؟ قال: "والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ فَضْلَ ما بَيْنَهُمَا كفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدر على النجوم"(٣).

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} [الطور : ٢٤]، أي:" كأنهم في الصفاء والبياض والتناسق لؤلؤ مصون في أصدافه"(٤).

قال الطبري: يقول:" كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون، يعني: مصون في كنّ، فهو أنقى له، وأصفى لبياضه. وإنما عنى بذلك أن هؤلاء الغلمان يطوفون على هؤلاء المؤمنين في الجنة بكئوس الشراب التي وصف جل ثناؤه صفتها"(٥).

قال السعدي:" {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} من حسنهم وبهائهم، يدورون عليهم بالخدمة وقضاء ما يحتاجون إليه وهذا يدل على كثرة نعيمهم وسعته، وكمال راحتهم"(٦).

عن عبد الله بن أبي الهذيل: أنّ موسى أو غيره من الأنبياء قال: يا ربّ، كيف يكون هذا منك؟! أولياؤك في الأرض خائفون يُقتلون، ويطلبون فلا يُعطون، وأعداؤك يأكلون ما شاؤوا، ويشربون ما شاؤوا! ونحو هذا، فقال: انطلِقوا بعبدي إلى الجنة. فينظر ما لم يَر مثله قطّ؛ إلى أكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابيّ مبثوثة، وإلى الحُور العين، وإلى الثمار، وإلى الخدم كأنهم لؤلؤ مكنون، فقال: ما ضرّ أوليائي ما أصابهم في الدنيا إذا كان مصيرهم إلى هذا؟! ثم قال: انطلِقوا بعبدي. فانطُلق به إلى النار، فخرج منها عُنق، فصَعِق العبد، ثم أفاق، فقال: ما نفع أعدائي ما أعطيتُهم في الدنيا إذا كان مصيرهم إلى هذا؟ قال: لا شيء"(٧).

القرآن

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)} [الطور : ٢٥-٢٨]

التفسير:

وأقبل أهل الجنة، يسأل بعضهم بعضًا عن عظيم ما هم فيه وسببه، قالوا: إنا كنا قبل في الدنيا -ونحن بين أهلينا- خائفين ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه يوم القيامة. فمنَّ الله علينا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب سموم جهنم، وهو نارها وحرارتها. إنا كنا من قبلُ نضرع إليه وحده لا نشرك معه غيره أن يقينا عذاب السَّموم ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا، إنه هو البَرُّ الرحيم. فمن بِره ورحمته إيانا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا مِن سخطه والنار.

قوله تعالى:{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الطور : ٢٥]، أي:" وأقبل أهل الجنة، يسأل بعضهم بعضًا عن عظيم ما هم فيه وسببه"(٨).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٧.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٥) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٦) تفسير السعدي: ٨١٥.
(٧)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١٥.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٤.

قال مقاتل:" يقول إذا زار بعضهم بعضا في الجنة فيتساءلون بينهم عما كانوا فيه من الشفقة في الدنيا،"[١].

قال ابن كثير: " أي : أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم"[٢].

قال الطبري: يقول: "وأقبل بعض هؤلاء المؤمنين في الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضا. وقد قيل: إن ذلك يكون منهم عند البعث من قبورهم"[٣].

عن ابن عباس، قوله: "{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}، قال: إذا بعثوا في النفخة الثانية"[٤].

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} [الطور : ٢٦]، أي:" قالوا: إنا كنا قبل في الدنيا -ونحن بين أهلينا- خائفين ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه يوم القيامة"[٥].

قال ابن كثير: " أي : قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه"[٦].

قال الطبري: يقول: " قال بعضهم لبعض: إنا أيها القوم كنا في أهلنا في الدنيا مُشفقين خائفين من عذاب الله وجلين أن يعذبنا ربنا اليوم"[٧].

قال السعدي:" أي: خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك العيوب"[٨].

عن إبراهيم التيمي، قال: "ينبغي لمن يحزن أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن}، وينبغي لمن يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا :{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ}"[٩].

قوله تعالى:{فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور : ٢٧]، أي:" فمنَّ الله علينا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب سموم جهنم، وهو نارها وحرارتها"[١٠].

قال الطبري: يقول: " {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} بفضله، {وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}، يعني: عذاب النار، يعني فنجَّانا من النار، وأدخلنا الجنة"[١١].

قال ابن كثير: " أي : فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف"[١٢].

قال السعدي:" {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} بالهداية والتوفيق، {وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} أي: العذاب الحار الشديد حره"[١٣].

عن ابن زيد، قوله: "{عَذَابَ السَّمُومِ}، قال: عذاب النار"[١٤].

عن ابن جُرَيْج، "{ووَقانا عَذابَ السَّمُومِ}، قال: وهَج النار"[١٥].

قال الزجاج:" أي: عذاب سموم جهنم"[١٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٨) تفسير السعدي: ٨١٥.
(٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٧٩٩٨):ص٣١٨٣/١٠، والدر المنثور: ٢٩/٧.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٧.
(١٣) تفسير السعدي: ٨١٥.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٧٧/٢٢.
(١٥) الدر المنثور: ٦٣٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٦) معاني القرآن: ٦٤/٥.

قال الحسن: "السموم: اسم من أسماء النار وطبقة من طبقات جهنم"[١].

عن مسروق، عن عائشة أنها قرأت هذه الآية: "{فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} فقالت: اللهم منَّ علي وقني عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم"[٢].

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، قال: "غدوت يوما، وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة - رضي الله عنها - فأسلم عليها، فوجدتها ذات يوم تصلي السبحة[٣]، وهي تقرأ: {فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم (٢٧)} وترددها وتبكي، فقمت حتى مللت ثم ذهبت إلى السوق في حاجتي ثم رجعت، فإذا هي قائمة تقرؤها وتبكي وتدعو"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ} [الطور : ٢٨]، أي:" إنا كنا من قبلُ نضرع إليه وحده لا نشرك معه غيره أن يقينا عذاب السَّموم ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا"[٥].

قال الطبري: " يقول: إنا كنا في الدنيا من قبل يومنا هذا ندعوه: نعبده مخلصا له الدين، لا نشرك به شيئا"[٦].

قال الزجاج:" أي: نُوَحِّدُه ولا ندعو إلهاً غيره"[٧].

قال ابن كثير: أي : نتضرع إليه فاستجاب الله لنا وأعطانا سؤلنا"[٨].

قال السعدي: أي:" أن يقينا عذاب السموم، ويوصلنا إلى النعيم، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، أي: لم نزل نتقرب إليه بأنواع القربات وندعوه في سائر الأوقات"[٩].

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا، فيتحدثان، فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان، تدري أي يوم غفر الله لنا ؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله - عز وجل - فغفر لنا"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور : ٢٨]، أي:" هو البَرُّ الرحيم. فمن بره ورحمته إيانا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا مِن سخطه والنار"[١١].

قال الطبري: " {إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ}، يعني: اللطيف بعباده، {الرَّحِيمِ}، يقول: الرحيم بخلقه أن يعذّبهم بعد توبتهم"[١٢].

قال السعدي: " فمن بره بنا ورحمته إيانا، أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار"[١٣].

---

(١) تفسير الثعلبي: ٤٠/٢٥-٤١، (د. دار التفسير)، وأورده الماوردي ونسبه إلى الأصم، انظر: "النكت والعيون" ٥/ ٣٨٣، "الوسيط" للواحدي ٥/ ١٨٨، "معالم التنزيل" للبغوي ٧/ ٣٩١، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/ ٧٠.

(٢) تفسير إسحاق البستي(١١٦١):ص٤٥٣/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٨٦):ص٣٣١٦/١٠.

(٣)يقال للذكر ولصلاة النافلة سبحة. [انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير ٢/ ٣٣١].

(٤) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٢/٢٥، و أخرجه الإمام أحمد في "الزهد" (ص ٢٠٥). [صحيح، رجاله كلهم ثقات]

(٥) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٦) تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٢.

(٧) معاني القرآن: ٦٤/٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٧.

(٩) تفسير السعدي: ٨١٥.

(١٠)مسند البزار برقم (٣٥٥٣) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (٤٢١/١٠) : "رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح وهما ضعيفان وقد وثقا".

(١١) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٢.

(١٣) تفسير السعدي: ٨١٥.

وفي تفسير: {الْبَرُّ}[الطور : ٢٨]، أقوال:
أحدها : أن البر الصادق في قوله، قاله الضحاك[١]، وابن جريج[٢]، ومقاتل[٣].
عن الضحاك:" {إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ} الصادق فيما وعد"[٤].
الثاني : اللطيف ، قاله ابن عباس[٥].
الثالث : أنه فاعل البر المعروف به ، قاله ابن بحر[٦].
عن مسروق، عن عائشة ؛ "أنها قرأت هذه الآية :{فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} فقالت : اللهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم، إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش : في الصلاة ؟ قال : نعم"[٧].
عن أسماء: "أنها قَرأتْ هذه الآية، فوقفتْ عليها، فجَعلت تستعيذ وتدعو"[٨].
قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة {ندعوه إنه} بالكسر، وقرأ نافع والكسائى «أنه» نصبا، وقال ابن جماز عن نافع إنه كسر مثل حمزة[٩].
فوائد الآيات: [٢١-٢٨]:
١- وصف كامل لأهل الجنة وهو تقرير في نفس الوقت للبعث والجزاء بذكر ما يكون فيه.
٢- فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله بإلحاق الأبناء قليل العمل الصالح بآبائهم الكثيري العمل الصالح.
٣- تقرير قاعدة أن المرء يوم القيامة يكون رهين كسبه لا يفكه إلا الله عز وجل فمن استطاع أن يفك رقبته فليفعل وذلك بالإيمان والإسلام والإحسان.
٤- فضيلة الإشفاق في الدنيا من عذاب الآخرة.
٥- فضل الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

القرآن
{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)} [الطور : ٢٩]
التفسير:
فذكّر -أيها الرسول- مَن أُرسلت إليهم بالقرآن، فما أنت بإنعام الله عليك بالنبوة ورجاحة العقل بكاهن يخبر بالغيب دون علم، ولا مجنون لا يعقل ما يقول كما يَدَّعون.
قوله تعالى:{فَذَكِّرْ} [الطور : ٢٩]، أي:" فذكّر -أيها الرسول- مَن أُرسلت إليهم بالقرآن"[١٠].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم"[١١].
قال الزجاج:" أي: ذكرهم بما أعتَدْنَا للمتقِينَ المؤمنين والضلال للكافِرين"[١٢].

---

(١)تفسير البغوي ٧/ ٣٩١.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٨٣/٥.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤.
(٤)تفسير البغوي ٧/ ٣٩١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٨٧):ص٣٣١٧/١٠
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٨٣/٥.
(٧) رواه ابن أبي حاتم (١٨٦٨٦):ص٣٣١٦/١٠، وكما في تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٧، ورواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في شعيب الإيمان كما في الدر المنثور للسيوطي (٦٣٤/٧).
(٨)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢١١. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأحمد في الزهد.
(٩) انظر: السبعو في القراءات: ٦١٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(١١) تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٢.
(١٢) معاني القرآن: ٦٤/٥.

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه"[١].

عن مجاهد في قوله:" {وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ}، قال: ذكّر بالقرآن"[٢].

قوله تعالى:{فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} [الطور : ٢٩]، أي:" فما أنت بإنعام الله عليك بالنبوة ورجاحة العقل بكاهن يخبر بالغيب دون علم، ولا مجنون لا يعقل ما يقول كما يَدَّعون"[٣].

قال الطبري:" يقول: فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن، ولا مجنون له رئيّ يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، ولكنه ينصرك"[٤].

قال الزجاج:" أي: لست تقول ما تَقُولُه كهانَة، ولا تنطق إلَّا بَوَحي من الله عزَّ وَجَلَّ"[٥].

قال ابن كثير:" ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال :{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ}، أي : لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش. والكاهن : الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، {وَلا مَجْنُونٍ} : وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس"[٦].

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)} [الطور : ٣٠-٣١]

التفسير:

أم يقول المشركون لك -أيها الرسول-: هو شاعر ننتظر به نزول الموت؟ قل لهم: انتظروا موتي فإني معكم من المنتظرين بكم العذاب، وسترون لمن تكون العاقبة.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: :{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : ٣١]"[٧].

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : ٣١]، أي:" أم يقول المشركون لك -أيها الرسول-: هو شاعر ننتظر به نزول الموت؟"[٨].

قال الطبري: يقول:" بل يقول المشركون يا محمد لك: هو شاعر نتربص به حوادث الدهر، يكفيناه بموت أو حادثة متلفة"[٩].

وفي قوله تعالى:{رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : ٣١]، وجهان:

أحدهما : الموت ، قاله ابن عباس[١٠]، وقتادة[١١]، وابن زيد[١٢]. وأنشد قول الشاعر[١٣]:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.

(٢)أخرجه إسحاق بن راهويه -كما في المطالب (٤١١٥) -. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٣) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤) تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٢.

(٥) معاني القرآن: ٦٤/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.

(٧) أخرجه الطبري ٤٧٩/٢٢.

(٨) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٩) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٨٨):ص٣٣١٧/١٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٢.

(١٣)انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٢، والبيت في اللسان(ربص):ص٣/ ١٥٥٨، وتفسير القرطبي: ١٠٨/٣،

تَرَبَّصْ بِها رَيْبَ المَنُونِ لَعَلَّهَا ... سَيَهْلِكُ عَنْها بَعْلُها أو تُسَرَّحُ

قال ابن عباس:" يتربصون به الموت"[١].

قال قتادة:" قال ذلك قائلون من الناس: تربصوا بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان"[٢].

قال مقاتل:" يعني: حوادث الموت، قالوا توفي أبو النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَبْد اللَّه بن عبد المطلب وهو شاب، ونحن نرجو من اللات والعزى أن تميت محمدا شابا كما مات أبوه، يعني بريب المنون حوادث الموت"[٣].

الثاني : حوادث الدهر، قاله مجاهد[٤]، وهو مروي عن ابن عباس-في رواية أخرى عنه-، وبه قال ابن قتيبة[٥]، والزجاج[٦]، والمنون : الدهر ، قال أبو ذؤيب[٧]:

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِه تَتَوَجَّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ

عن ابن عباس:" {ريب} شكٌّ، إلا مكانًا واحدًا في الطور؛ {رَيْبَ المَنُونِ} يعني: حوادث الأمور، قال الشاعر:

تَرَبَّصْ بها رَيبَ المَنُون لعلّها ... تُطلّق يومًا أو يموت حَليلها"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: حوادثَ الدهر وأوجاعه ومصائبه و «المنون»: الدهر"[٩].

قال الفراء: {رَيْبَ الْمَنُونِ}: " أوجاعَ الدَّهر، فيشغل عنكم، ويتفرّقُ أصحابهُ أوْ عُمْر آبائه، فإنَّا قد عرفنا أعمارَهم"[١٠].

قال الزمخشري:" قالوا: ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء: زهير والنابغة"[١١].

وروي عن أبي سنان: "{رَيْبَ الْمَنُونِ}، قال: ريب الدنيا، والمنون: الموت"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : قوارع الدهر. والمنون : الموت : يقولون : ننظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه "[١٣].

قال الأصمعي: "المنون والليل والنهار، وسميا بذلك لأنهما ينقصان الأعمار ويقطعان الآجال. وعنه: أنه قيل للدهر منون، لأنه يذهب بمنة الحيوان أي قوته وكذلك المنية"[١٤].

قال الكسائي: "تقول العرب: لا أكلمك آخرَ المنون، أي آخرَ الدهر"[١٥].

قوله تعالى:{قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} [الطور : ٣١]، أي:" قل لهم: انتظروا موتي فإني معكم من المنتظرين بكم العذاب، وسترون لمن تكون العاقبة"[١٦].

و٧٢/١٧، والدر المنثور (٦/ ١٢٠) وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء، وهو أيضا في فتح القدير (١/ ٢٣٢) (٥/ ٩٩). ولم أقف على قائله.

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٧/٤.

(٤) انظر: تفسير مجاهد: ٦٢٤، وتفسير الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(٥) انظر: غريب القرآن: ٤٢٥.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٦٤/٥.

(٧)البيت مطلع مرثيته الجيدة. وهو في ديوانه ١/١، والمفضليات ٤٢١، واللسان ٣٠٣/١٧ و ٣٠٤، وتفسير القرطبي ١٧٠/١٦ و ٧٢/١٧، والبحر ٤٩٤/٧ و ١٥١/٨.

(٨) الدر المنثور: ٦٣٦/٧، وعزاه إلى ابن الأنباري في الوقف والابتداء.

(٩) غريب القرآن: ٤٢٥.

(١٠) معاني القرآن: ٩٣/٣.

(١١) الكشاف: ٤١٣/٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.

(١٤) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٧٢/١٧.

(١٥) نقلا عن: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٢٦.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٢٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك: إنك شاعر نتربص بك ريب المنون، تربصوا: أي: انتظروا وتمهلوا فيّ ريب المنون، فإني معكم من المتربصين بكم، حتى يأتي أمر الله فيكم"[١].

قال ابن كثير:" أي : انتظروا فإني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنّصرة في الدنيا والآخرة "[٢].

قال الزمخشري: أي:" أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي"[٣].

قال الحسن البصري: "قال الله للنبي: {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ}، كانوا يتربّصون بالنبي أن يموت، وكان النبي يتربّص بهم أن يأتيهم العذاب"[٤].

قال مقاتل:" فقتلهم الله ببدر"[٥].

قال الزجاج:" فجاء في التفسير أن هؤلاء الذين قالوا هذا - وكان فيهم أبو جهل - هلكوا كلهم قبل وفاة رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم -"[٦].

القرآن

{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢)} [الطور : ٣٢]

التفسير:

بل أتأمر هؤلاء المكذبين عقولهم بهذا القول المتناقض؟ ذلك أن صفات الكهانة والشعر والجنون لا يمكن اجتماعها في آن واحد، بل هم قوم متجاوزون الحدَّ في الطغيان.

قوله تعالى:{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا} [الطور : ٣٢]، أي:" بل أتأمر هؤلاء المكذبين عقولهم بهذا القول المتناقض؟"[٧].

قال الطبري: يقول:" يقول تعالى ذكره: أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر"[٨].

قال الزجاج:" أي: أتأمرهم أحْلامُهُم بترك القبول ممن يدعوهم إلى التوحيد وتأتيهم على ذلك بالدلائل، ويعملون أحْجَاراً ويعبدونها"[٩].

قال ابن كثير:" أي : عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور؟"[١٠].

قال الزمخشري:" المعنى: أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول، وهو قولهم: كاهن وشاعر، مع قولهم مجنون. وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى.. فإن قلت: ما معنى كون الأحلام آمرة؟ قلت: هو مجاز لأدائها إلى ذلك، كقوله تعالى: {أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود : ٨٧]"[١١].

قال الفراء: " الأحلامُ فِي هَذَا الموضع: العقولُ والألبابُ"[١٢].

عن زيد بن اسلم:"{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ}، قال: العقول"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.
(٣) الكشاف: ٤١٣/٤.
(٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٠ -.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٧/٤.
(٦) معاني القرآن: ٦٥/٥.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٨) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢٢.
(٩) معاني القرآن: ٦٥/٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.
(١١) الكشاف: ٤١٣/٤.
(١٢) معاني القرآن: ٩٣/٣.
(١٣)عزاه ابن حجر في "الفتح": ٨/ ٦٠٢ إلى الطبري من قول زيد بن أسلم، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير.

قال ابن زيد:" كانوا يعّون في الجاهلية أهل الأحلام، فقال الله: أم تأمرهم أحلامهم بهذا أن يعبدوا أصناما بُكما صما، ويتركوا عبادة الله، فلم تنفعهم أحلامهم حين كانت لدنياهم، ولم تكن عقولهم في دينهم، لم تنفعهم أحلامهم"[١].

قال الثعلبي:" كانوا يعدون في الجاهلية أهل الأحلام ويوصفون بالعقل، وقيل لعمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله سبحانه بالعقول؟. فقال: تلك عقول كادها الله، أي لم يصحبها التوفيق"[٢].

قيل لعمرو بن العاص: "ما بالُ قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم اللهُ سبحانه بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادَها الله"[٣].

قوله تعالى:{أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الطور : ٣٢]، أي:" بل هم قوم متجاوزون الحدَّ في الطغيان"[٤].

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم، وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به"[٥].

قال الزجاج:" أي: أم هم يكفرون طغياناً وقد ظهر لهم الحق"[٦].

قال ابن كثير:" أي : ولكن هم قوم ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك"[٧].

قال الزمخشري: أي:" مجاوزون الحدّ في العناد مع ظهور الحق لهم"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}، قال: بل هم قوم طاغون"[٩].

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)} [الطور : ٣٣]

التفسير:

بل أيقول هؤلاء المشركون، اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؟ بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ} [الطور : ٣٣]، أي:" بل أيقول هؤلاء المشركون، اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؟"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون: تقوّل محمد هذا القرآن وتخلّقه"[١١].

قال الزمخشري: "{تَقَوَّلَهُ}، اختلقه من تلقاء نفسه"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : اختلقه وافتراه من عند نفسه، يعنون القرآن"[١٣].

عن عطاء: {تَقَوَّلَهُ}: "افتعله"[١].

وأخرجه ابن جرير ٤٨٠/٢٢ مطولًا بمعناه من قول ابن زيد.

(١) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٢.

(٢) الكشف والبيان: ١٣١/٩.

(٣)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣١، وعقبه: أي لم يصحبها التوفيق.

(٤) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٥) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢٢.

(٦) معاني القرآن: ٦٥/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.

(٨) الكشاف: ٤١٣/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(١١) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٢.

(١٢) الكشاف: ٤١٣/٤.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.

وقال الكلبي: "تكذّبه من تلقاء نفسه"[٢].

قوله تعالى:{بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الطور : ٣٣]، أي:" بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه"[٣].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: كذبوا فيما قالوا من ذلك، بل لا يؤمنون فيصدّقوا بالحقّ الذي جاءهم من عند ربهم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة"[٥].

قال الزمخشري: " فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن، مع علمهم ببطلان قولهم، وأنه ليس بمتقوّل لعجز العرب عنه، وما محمد إلا واحد من العرب"[٦].

القرآن

{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)} [الطور : ٣٤]

التفسير:

فليأتوا بكلام مثل القرآن، إن كانوا صادقين -في زعمهم- أن محمدًا اختلقه.

قال الطبري:" يقول: جلّ ثناؤه: فليأت قائلو ذلك له من المشركين بقرآن مثله، فإنهم من أهل لسان محمد صلى الله عليه وسلم، ولن يتعذر عليهم أن يأتوا من ذلك بمثل الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم إن كانوا صادقين في أن محمدا صلى الله عليه وسلم تقوّله وتخلّقه"[٧].

قال الزجاج:" أي: إذا قالوا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تقوله فقد زعموا أنه من قول البشر، فليَقولوا مثلَهُ فما رام أحَدٌ مِنهم أن يقول مثل عَشْرِ سُور ولا مثل سورةٍ"[٨].

قال الثعلبي:" أي: مثل هذا القرآن يشبهه إنْ كانُوا صادِقِينَ أنّ محمدا تقوّله من تلقاء نفسه، فإنّ اللسان لسانهم، وهم مستوون في البشرية واللغة والقوة"[٩].

قال ابن كثير:" أي : إن كانوا صادقين في قولهم : «تَقوَّله وافتراه» فليأتوا بمثل ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله"[١٠].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: "{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ}، قال: مثل القرآن"[١١].

قال ابن عباس: "بقرآن من تلقاء أنفسهم مثل هذا القرآن كما جاء به {إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} أن محمدًا تقوّله"[١٢].

عن مجاهد :"{سور مثله}، قال: مثل القرآن"[١٣].

---

(١) التفسير البسيط للواحدي: ٥٠٣/٢٠. وعلقه عليه:" والتقوّل: تكلف القول، ولا يستعمل إلا في الكذب، لأنه تكلف القول من غير حقيقة بمعنى يرجع إلى أجل".

(٢) التفسير البسيط للواحدي: ٥٠٣/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.

(٦) الكشاف: ٤١٣/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٢.

(٨) معاني القرآن: ٦٥/٥.

(٩) الكشف والبيان: ١٣١/٩.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٧.

(١١) الدر المنثور: ٦٣٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٢) التفسير البسيط: ٥٠٤/٢٠. وعلق عليه:" وهذا في دليل على الإعجاز؛ لأن الله تعالى تحداهم بالقرآن فما رام أحد منهم أن يعارضه بشيء واللسان لسانهم".

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٢٨):ص٢٠٠٩/٦.

عن الحسن، في قوله: {سور مثله}، قال: فلا يستطيعون والله أن يأتوا بسورة من مثله ولو حرصوا"[1].

قال الجصاص:" وقد تحدى الله الخلق كلهم من الجن والإنس بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن بقوله تعالى : {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]، فلما ظهر عجزهم قال: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} [هود : ١٣]، فلما عجزوا قال: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور : ٣٤]، فتحداهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه"[2].

قال ابن أبي زمنين:" أي: لا يأتون بمثله، وليس ذلك عندهم"[3].

وقرئ: «بحديث مثله»، على الإضافة"[4]. قال الزمخشري: " والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعناه: أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب، فإن قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه، فليأتوا بحديث ذلك المثل"[5].

فوائد الآيات: [٢٩-٣٤]:

١- وجوب التذكير والوعظ والإرشاد على أهل العلم بالكتاب والسنة لأنهم خلفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته.

٢- ذم الكهانة بل حرمتها لأنها من أعمال الشياطين، والكاهن من يقول بالغيب.

٣- ذم الطغيان فإنه منبع كل شر ومصدر كل فتنة وضلال.

٤- حرمة الكذب مطلقا وعلى الله ورسوله وبخاصة لما ينشأ عنه من فساد الدين والدنيا.

القرآن

{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)} [الطور : ٣٥]

التفسير:

أخُلِق هؤلاء المشركون من غير خالق لهم وموجد، أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وكلا الأمرين باطل ومستحيل. وبهذا يتعيَّن أن الله سبحانه هو الذي خلقهم، وهو وحده الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له.

قوله تعالى:{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} [الطور : ٣٥]، أي:" أخُلِق هؤلاء المشركون من غير خالق لهم وموجد"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي من غير آباء ولا أمَّهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء"[7].

قال ابن كثير :" أي : أوجدوا من غير موجد"[8].

قال ابن عباس: "من غير ربّ"[9].

قال ابن كيسان: "أم خلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون"[10].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٣٠):ص٢٠٠٩/٦.

(٢) أحكام القرآن: ٣٤/١.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠١/٤.

(٤) الكشاف: ٤١٣/٤.

(٥) الكشاف: ٤١٣/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٧) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.

(٩) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.

(١٠) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.

قوله تعالى:{أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور : ٣٥]، أي:" أم هم الخالقون لأنفسهم، حتى تجرءوا فأنكروا وجود الله جل وعلا؟"[١].

قال الطبري:" يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي"[٢].

قال ابن كثير في الآية:" هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى :{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}، أي : أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ؟ أي : لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا"[٣].

القرآن

{أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦)} [الطور : ٣٦]

التفسير:

أم خَلَقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع؟ بل هم لا يوقنون بعذاب الله، فهم مشركون.

قوله تعالى:{أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الطور : ٣٦]، أي:" أم خَلَقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع؟"[٤].

قال الطبري:" يقول: أخلقوا السماوات والأرض فيكونوا هم الخالقين، وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض"[٥].

قال ابن كثير :" أي : أهم خلقوا السموات والأرض ؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده، لا شريك له"[٦].

قوله تعالى:{بَلْ لَا يُوقِنُونَ} [الطور : ٣٦]، أي:" بل هم لا يوقنون بعذاب الله، فهم مشركون"[٧].

قال ابن كثير : أي :" ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك"[٨].

قال الطبري:" يقول: لم يتركوا أن يأتمروا لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى، لأنهم خلقوا السموات والأرض، فكانوا بذلك أربابا، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعدّ لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة"[٩].

القرآن

{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)} [الطور : ٣٧]

التفسير:

أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء.

قوله تعالى:{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ} [الطور : ٣٧]، أي:" أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها"[١٠].

---

(١) صفوة التفاسير: ٢٤٩/٣.
(٢) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٥) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٩) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أعند هؤلاء المكذّبين بآيات الله خزائن ربك يا محمد، فهم لاستغنائهم بذلك عن آيات ربهم معرضون"[١].

قال الزجاج:" أي: عندهم ما في خزائن ربك من العلم. وقيل - في {خزائن ربك}، أي: رزق ربك"[٢].

قال ابن كثير : " أي : أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن"[٣].

عن ابن عباس: {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ} : "المطر والرزق"[٤].

وقال عكرمة: "يعني النبوّة"[٥].

قوله تعالى:{أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور : ٣٧]، أي:" أم هم الغالبون القاهرون حتى يتصرفوا في الخلق كما يشاءون؟ لا بل الله عَزَّ وَجَلَّ هو الخالق المالك المتصرف"[٦].

قال ابن كثير : "أي : المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك، بل الله، عز وجل، هو المالك المتصرف الفعال لما يريد "[٧].

وفي قوله تعالى:{أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور : ٣٧]،، وجوه من التفسير:

أحدها : المسلَّطون، قاله ابن عباس-أيضا-[٨]، والضحاك[٩].

قال مقاتل:" يعني: أم هم المسيطرون على الناس فيجبرونهم على ما شاءوا ويمنعونهم عما شاءوا"[١٠].

الثاني : أم هم المنزلون. قاله ابن عباس[١١].

الثالث : معناه : أم هم المتولون ، وهذا قد روي عن ابن عباس أيضاً[١٢].

الرابع : أنهم الأرباب ، قاله الحسن[١٣]، وعطاء[١٤]، وأبو عبيد[١٥]، وابن قتيبة[١٦].

قال عطاء: " أم هم أربابٌ قاهرون "[١٧].

قال أبو عبيد:" يقال: تصيطرت عليّ، اتخذتني خولا"[١٨].

الخامس : أنهم الحفظة ، مأخوذ من تسطير الكتاب ، الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظاً ما كتبه الله في اللوح المحفوظ ، قاله ابن بحر[١٩].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أم هم الجبَّارون المتسلطون المستكبرون على الله، وذلك أن المسيطر في كلام العرب الجبار المتسلط، ومنه قول الله: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]. يقول: لست عليهم بجبار مسلط"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٢.
(٢) معاني القرآن: ٦٦/٥.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٤) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.
(٥) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.
(٦) صفوة التفاسير: ٢٤٩/٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٨٩):ص٣٣١٧/١٠.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٨٥/٥.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٨/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٠):ص٣٣١٧/١٠.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٨٥/٥، وتفسير القرطبي: ٧٥/١٧.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٨٥/٥.
(١٤) انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ١٣١، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٢، وأورد عقبه: فلا يكونوا تحت أمر ونهي، يفعلون ما شاؤوا"، وانظر: تفسير القرطبي: ٧٥/١٧.
(١٥) انظر: مجاز القرآن: ٢٣٣/٢، وتفسير الطبري: ٤٨٢/٢٢.
(١٦) انظر: غريب القرآن: ٣٦٨.
(١٧) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.
(١٨) مجاز القرآن: ٢٣٣/٢. «الخول»: اسم يقع على العبد والأمه.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٣٨٥/٥.

قال الزجاج:" يقال: قد سيطر علينا وتسيطر وتسيطر. بالسين والصّاد. والأصل السين، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً، تقول: سيطر وصيطر، وسطا وصَطا"[٢].

القرآن

{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)} [الطور : ٣٨]

التفسير:

أم لهم مصعد إلى السماء يستمعون فيه الوحي بأن الذي هم عليه حق؟ فليأت مَن يزعم أنه استمع ذلك بحجة بينة تصدِّق دعواه.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} [الطور : ٣٨]، أي:" أم لهم مصعد إلى السماء يستمعون فيه الوحي بأن الذي هم عليه حق؟"[٣].

قال ابن كثير : " أي : مرقاة إلى الملأ الأعلى"[٤].

قال الطبري:" يقول: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحي، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حقّ، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه، والسُّلَّم في كلام العرب: السبب والمرقاة; ومنه قول ابن مقبل[٥]:

لا تُحرزِ المَرْءَ أحْجاءُ الْبلاد وَلا ... تُبْنَى لَهُ في السَّمَاواتِ السَّلاليمُ

ومنه قوله: جعلت فلانا سلما لحاجتي: إذا جعلته سببا لها "[٦].

قال الزجاج:" قال أهل اللغة: - معنى:{ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ}، يستمعون عليه، ومثله: {لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه : ٧١]، أي: على جذوع النخل"[٧].

عن قادة:"{أو سلما في السماء} [الأنعام: ٣٥] يعني: الدرج"[٨].

قوله تعالى:{فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [الطور : ٣٨]، أي:" فليأت مَن يزعم أنه استمع ذلك بحجة بينة تصدِّق دعواه"[٩].

قال الطبري: " يقول: فإن كانوا يدّعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك، فسمعه بسلطان مبين، يعني بحجة تبين أنها حقّ، كما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بها على حقيقة قوله، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله"[١٠].

قال الزجاج:" أي: بحجة واضحة، والمعنى - واللَّه أعلم - أنهم كجبريل الذي يأتي النبي - صلى الله عليه وسلم - بالوحي ويبيِّنُ تبيينه عن اللَّه، ما كان وما يكون"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٢.

(٢) معاني القرآن: ٦٦/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.

(٥)البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٩٠، وشرح شواهد المغني: ٢٢٧، واللسان (سلم) (حجا) ، والقرطبي ٧٦/١٧، وغيرها، وقبل البيت، وهي أبيات حسان:

إنْ يَنْقُصِ الدّهْرُ مِنِّي، فالفَتَى غَرَضٌ ... لِلدَّهْرِ، من عَوْدِهِ وَافٍ وَمَثْلُومُ

وَإنْ يَكُنْ ذَاكَ مِقْدَارًا أُصِبْتُ بِهِ ... فَسِيرَةَ الدَّهْرِ تَعْوِيجٌ وتَقْويمُ

مَا أطْيَبَ العَيْشَ لَوْ أن الفَتَى حَجَرٌ ... تَنْبُو الحَوَادِثَ عَنْهُ وهو مَلْمُومُ

لا يمنع المرءَ أنصارٌ وَرَابيةٌ ... تَأْبَى الهَوَانَ إذَا عُدَّ الجَرَاثِيمُ

لا يُحْرِزُ المَرْءَ. . . . .

و"أحجاء البلاد": نواحيها وأطرافها. ويروى"أعناء البلاد"، وهو مثله في المعنى.

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٢-٤٨٣.

(٧) معاني القرآن: ٦٦/٥.

(٨) تفسير عبدالرزاق(٧٩٦):ص٤٨/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٧٢٤٧):ص١٢٨٤/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.

(١١) معاني القرآن: ٦٦/٥.

قال ابن كثير : " أي : فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال، أي : وليس لهم سبيل إلى ذلك، فليسوا على شيء، ولا لهم دليل"[١].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: {فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ}، قال: صاحبهم"[٢].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[٣].

قال مجاهد:" «السلطان المبين»، البرهان والبينة، وقوله: {مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا} [سورة آل عمران: ١٥١ / سورة الأعراف: ٧ / سورة الحج: ٧١] ، قال: بينَةٌ وبرهانًا"[٤].

القرآن

{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩)} [الطور : ٣٩]

التفسير:

أَلِلهِ سبحانه البنات ولكم البنون كما تزعمون افتراء وكذبًا؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألربكم أيها القوم البنات ولكم البنون؟ ذلك إذن قسمة ضيزي"[٥].

قال الزجاج:" ثم سفر أحلامهم في جعلهم البنات للَّهِ فقال: {أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ}، أي: أنتم تجعلون للَّهِ ما تكرهون وأنتم حكماءْ عند أنفسكم"[٦].

قال ابن كثير : " ثم قال منكرا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجعلهم الملائكة إناثا، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله، فقال :{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ} وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد"[٧].

عن قتادة:"{أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ} [الصافات : ١٤٩]، قال: لأنهم قالوا: -يعني مشركي قريش-: لله البنات، ولهم البنون "[٨].

عن مجاهد في قوله: "{وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} [النحل : ٦٢]، قال: قول كفار قريش لنا البنون ولله البنات"[٩].

القرآن

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠)} [الطور : ٤٠]

التفسير:

بل أتسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركون أجرًا على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟

قوله تعالى:{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا} [الطور : ٤٠]، أي:" بل أتسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركون أجرًا على تبليغ الرسالة"[١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٢) الدر المنثور: ٦٣٧/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.
(٤) أخرجه الطبري(٢٠٦١٠م):ص٥٣٨/١٦.
(٥) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(٦) معاني القرآن: ٦٧/٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١، وابن أبي حاتم(١٨٣٠٢):ص٣٢٣١/١٠. بنحوه.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٥٤):ص٢٢٨٧/٧.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يا محمد على ما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ثوابا وعوضا من أموالهم؟"[١].

قال ابن كثير : "أي : أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله ؟ أي : لست تسألهم على ذلك شيئا"[٢].

قوله تعالى:{فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ} [الطور : ٤٠]، أي:" فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟"[٣].

قال الطبري: أي:" فهم من ثقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه؟"[٤].

قال ابن كثير : "أي : فهم من أدنى شيء يتبرمون منه، ويثقلهم ويشق عليهم"[٥].

قال الزجاج:" المعنى: أن الحجة واجبة عليهم من كل جهة، لأنك أتيتهم بالبيان والبرهان ولم تسألهم على ذلك أجراً"[٦].

عن قتادة، قوله: "{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ}، يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجرا يُجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام"[٧].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: "{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِن مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ}، يقول: أسألتَ هؤلاء القوم على الإسلام أجرًا، فمنعهم مِن أن يسلموا الجُعل؟!"[٨].

قال ابن زيد:" يقول: أسألتَهم على هذا أجرا، فأثقلهم الذي يُبْتَغَى أخذُه منهم"[٩].

القرآن

{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١)} [الطور : ٤١]

التفسير:

أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويخبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك; فإنه لا يعلم الغيب في السموات والأرض إلا الله.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ذلك للناس، فينبئونهم بما شاءوا، ويخبرونهم بما أرادوا"[١٠].

قال ابن كثير : " أي : ليس الأمر كذلك، فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله"[١١].

عن ابن عباس:" {أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ} أم عندهم اللوح المحفوظ؟"[١٢].

عن ابن جريج:"{أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ}، قال: القرآن"[١٣].

قال قتادة: "لمّا قالوا: {نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُون} قال الله تعالى: {أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ} حتى علموا بموت محمد، وإلى ما يؤول أمره؟"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٣) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٤) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٦) معاني القرآن: ٦٧/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.
(٨) الدر المنثور: ٦٣٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(١٢)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٢، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٣، وأورد عقبه: فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به.
(١٣) الدر المنثور: ٦٣٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٢].

القرآن

{أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢)} [الطور : ٤٢]

التفسير:

بل يريدون برسول الله وبالمؤمنين مكرًا، فالذين كفروا يرجع كيدهم ومكرهم على أنفسهم.

قوله تعالى:{أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا} [الطور : ٤٢]، أي:" بل يريدون برسول الله وبالمؤمنين مكرًا"[٣].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: بل يريد هؤلاء المشركون يا محمد بك، وبدين الله كيدا"[٤].

قال الزجاج:" أي: أم يريدون لكفرهم وطغيانهم كيداً"[٥].

قال ابن كثير : " يقول تعالى : أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه"[٦].

قال السعدي:" {أَمْ يُرِيدُونَ} بقدحهم فيك وفيما جئتهم به {كَيْدًا} يبطلون به دينك، ويفسدون به أمرك؟"[٧].

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ} [الطور : ٤٢]، أي:" فالذين كفروا يرجع كيدهم ومكرهم على أنفسهم"[٨].

قال الطبري: " يقول: فهم المكيدون الممكورُ بهم دونك، فثق بالله، وامض لما أمرك به"[٩].

قال ابن كثير : "فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم"[١٠].

قال الزجاج:" فاللَّه عزَّ وجل يكيدهم ويجزيهم بكيدهم العذاب في الدنيا والآخرة"[١١].

قال السعدي:" أي: كيدهم في نحورهم، ومضرته عائدة إليهم، وقد فعل الله ذلك -ولله الحمد- فلم يبق الكفار من مقدورهم من المكر شيئا إلا فعلوه، فنصر الله نبيه ودينه عليهم وخذلهم وانتصر منهم"[١٢].

القرآن

{أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)} [الطور : ٤٣]

التفسير:

أم لهم معبود يستحق العبادة غير الله؟ تنزَّه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ} [الطور : ٤٣]، أي:" أم لهم معبود يستحق العبادة غير الله؟"[١].

---

(١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٢.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٣) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٤) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(٥) معاني القرآن: ٦٧/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧-٤٣٨.
(٧) تفسير السعدي: ٨١٦.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٩) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(١١) معاني القرآن: ٦٦/٥.
(١٢) تفسير السعدي: ٨١٦.

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: أم لهم معبود يستحق عليهم العبادة غير الله، فيجوز لهم عبادته، يقول: ليس لهم إله غير الله الذي له العبادة من جميع خلقه"[٢].

قال السعدي:" أي: ألهم إله يدعى ويرجى نفعه، ويخاف من ضره، غير الله تعالى؟"[٣].

قال الزجاج:" المعنى: بل أَلَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ الله، فإن قال قائل: هم يزعمون أن الأصنام آلهتهم، فإن قيل لهم: {أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ}؟ فالجواب: في ذلك أَلَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يخلق ويرْزق ويفعل ما يعجز عنه المخلوقون، فمن يفعل ذلك إلا الله عزَّ وجلّ"[٤].

قال ابن كثير : " وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله"[٥].

قال ابن أبي زمنين:" إلى هذا الموضع كالاستفهام وكذبهم به كله"[٦].

قال الخليل بن أحمد: "ما في سورة الطور من ذكر {أَمْ} كلّه استفهام وليس بعطف"[٧].

قوله تعالى:{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الطور : ٤٣]، أي:" تنزَّه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة"[٨].

قال الطبري: " يقول: تنزيها لله عن شركهم وعبادتهم معه غيره"[٩].

قال الزجاج:" جاء في التفسير وفي اللغة أن معناه تنزيه اللَّهِ - عمَّا يشركون، أي: عمن يجعلون شريكاً لِلَّهِ عزَّ وجلّ"[١٠].

قال ابن كثير : "ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون، فقال :{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}"[١١].

قال السعدي:" فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة، وهذا هو المقصود من الكلام الذي سيق لأجله، وهو بطلان عبادة ما سوى الله وبيان فسادها بتلك الأدلة القاطعة، وأن ما عليه المشركون هو الباطل، وأن الذي ينبغي أن يعبد ويصلى له ويسجد ويخلص له دعاء العبادة ودعاء المسألة، هو الله المألوه المعبود، كامل الأسماء والصفات، كثير النعوت الحسنة، والأفعال الجميلة، ذو الجلال والإكرام، والعز الذي لا يرام، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الكبير الحميد المجيد"[١٢].

فوائد الآيات: [٣٥-٤٣]:

١- تقرير التوحيد بذكر دلائله.

٢- تقرير النبوة المحمدية.

٣- تسفيه أحلام المشركين.

٤- عدم مشروعية أخذ أجرٍ على إبلاغ الدعوة.

٥- لا يعلم الغيب إلا الله.

٦- صدق القرآن في أخباره آية أنه وحي الله وكلامه صدقاً وحقاً إنه لم يمض إلا قليل من الوقت أي خمسة عشر عاماً حتى ظهر مصداق قول الله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون.

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٢) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(٣) تفسير السعدي: ٨١٦.
(٤) معاني القرآن: ٦٧/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧-٤٣٨.
(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠٢/٤.
(٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٣٢/٩.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٩) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٢.
(١٠) معاني القرآن: ٦٦/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(١٢) تفسير السعدي: ٨١٦.

القرآن

{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤)} [الطور : ٤٤]

التفسير:

وإن ير هؤلاء المشركون قطعًا من السماء ساقطًا عليهم عذابًا لهم لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض.

قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا} [الطور : ٤٤]، أي:" وإن يروا بأعينهم ويظهر لهم قطعة عظيمة من السماء تسقط عليهم لتهلكهم وتقضي عليهم"[١].

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا} [الطور : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: قطعاً من السماء، قاله ابن عباس[٢]، وقتادة[٣].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء المشركون قطعا من السماء ساقطا"[٤].

قال الزجاج:" أي: وإن يروا قطعة من العذاب"[٥].

قال السعدي:" يقول تعالى في ذكر بيان أن المشركين المكذبين بالحق الواضح، قد عتوا عن الحق وعسوا على الباطل، وأنه لو قام على الحق كل دليل لما اتبعوه، ولخالفوه وعاندوه، {وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا}، أي: لو سقط عليهم من السماء من الآيات الباهرة كسف، أي: قطع كبار من العذاب"[٦].

قال الزمخشري:" الكسف: القطعة، وهو جواب قولهم: {أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً}، يريد: أنهم لشدّة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا: هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب"[٧].

قال ابن كثير : " يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس :{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا}، أي : عليهم يعذبون به، لما صدقوا ولما أيقنوا "[٨].

الثاني : جانباً من السماء. قاله الضحاك[٩]، وحكاه الماوردي دون نسبة[١٠].

الثالث : عذاباً من السماء، قاله السدي[١١]، والمفضل[١٢]. وسمي كسفاً لتغطيته، والكسف : التغطية ، ومنه أخذ: كسوف الشمس والقمر[١٣].

قوله تعالى:{يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ} [الطور : ٤٤]، أي:" لقالوا - من فرط طغيانهم وشدة عنادهم -: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض"[١٤].

قال ابن كثير: " بل يقولون : هذا {سَحَابٌ مَرْكُومٌ}، أي : متراكم، وهذه كقوله تعالى :{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} [الحجر : ١٤، ١٥]"[١٥].

---

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١١٣٥/٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢٢.
(٤) تفسير الطبري: ٤٨٥/٢٢.
(٥) معاني القرآن: ٦٧/٥.
(٦) تفسير السعدي: ٨١٧.
(٧) الكشاف: ٤١٥/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٩) تفسير إسحاق البستي(١١٦٤):ص٤٥٤/٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.
(١١)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦٠٢ -.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.
(١٤) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١١٣٥/٩، والتفسير الميسر: ٥٢٥.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.

قال الزجاج:" يقولوا لشدة طغيانهم وكفرهم: هذا سحاب مركوم، ومركوم قد ركم بعضا، على بعض، وهذا في قوم من أئمة الكفر وهم الذين قال اللّه - عزَّ وجلَّ - فيهم: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)} [الحجر: ١٤-١٥]. فأعلمَ اللّهُ عزَّ وجلَّ أن هُؤلاءِ لا يَعْتَبِرونَ وَلَا يوقِنُونَ ولا يؤمنون بأبْهَرِ ما يكون من الآيات"[١].

قال الطبري: " يقولوا لذلك الكِسْف من السماء الساقط: هذا سحاب بعضه على بعض. وإنما عنى بذلك جلّ ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات، فقالوا له: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإسراء : ٩٠]... إلى قوله: {عَلَيْنَا كِسَفًا} [الإسراء : ٩٢]، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن ير هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات، فعاينوا كِسَفا من السماء ساقطا، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون"[٢].

قال السعدي :" أي: هذا سحاب متراكم على العادة أي: فلا يبالون بما رأوا من الآيات ولا يعتبرون بها، وهؤلاء لا دواء لهم إلا العذاب والنكال"[٣].

عن ابن زيد، قوله: "{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ}، قال: حين سألوا الكِسْف قالوا: أسقط علينا كِسْفا من السماء إن كنت من الصادقين, قال: يقول: لو أنا فعلنا لقالوا: سحاب مركوم"[٤].

عن قتادة:" يقولوا {سَحَابٌ مَرْكُومٌ}، يقول: لا يصدّقوا بحديث، ولا يؤمنوا بآية"[٥].

القرآن

{فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥)} [الطور : ٤٥]

التفسير:

فدع -أيها الرسول- هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُهْلكون، وهو يوم القيامة.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون، وذلك عند النفخة الأولى"[٦].

قال ابن كثير : " أي : دعهم - يا محمد -{حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ}، وذلك يوم القيامة"[٧].

قال الزجاج:" أي: فذرهم إلى يوم القيامة"[٨].

قال مقاتل:" {يُصْعَقُونَ}، يعني: يعذبون"[٩].

قال ابن أبي زمنين:" أي: يموتون، وهي النفخة الأولى؛ في تفسير الحسن، يعني: كفار آخر هذه الأمة الذين يكون هلاكهم بقيام الساعة"[١٠].

قال الزمخشري:" يُصْعَقُونَ يموتون، وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق"[١١].

قال السعدي:" وهو يوم القيامة الذي يصيبهم فيه من العذاب والنكال، ما لا يقادر قدره، ولا يوصف أمره[١].

---

(١) معاني القرآن: ٦٧/٥-٦٨.
(٢) تفسير الطبري: ٤٨٥/٢٢.
(٣) تفسير السعدي: ٨١٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٢.
(٦) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٢.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٨) معاني القرآن: ٦٨/٥.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٩/٤.
(١٠) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠٣/٤.
(١١) الكشاف: ٤١٥/٤.

قال الحسن البصري: "{فَذَرْهُمْ حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ}، يعني: كفار آخر هذه الأمّة الذين يكون هلاكهم بقيام الساعة"[٢].

عن اليزيدي عن أبي عمرو قال: قال عكرمة: إذا اختلف الناس في حرف، فانظر نظرة من القرآن فقس عليه ولا تقس القرآن على الشعر ولا غيره، مثل قوله جل وعلا: {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا} [البقرة : ٢٥٩]، {إِذَا شَاءَ أَنْشَرَه} [عبس : ٢٢]. {يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} [الطور : ٤٥] تصديق: {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الزمر : ٦٨]، ومثل: { ملك يَوْمِ الدِّين} [الفاتحة : ٤] تصديق: {الْمَلِكُ الْحَقّ} [طه : ١١٤/ المؤمنون: ١١٦]، {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ} [الحشر : ٢٣/ الجمعة: ١]، و {مَلِكِ النَّاسِ} [الناس : ٢]، وما أشبهه"[٣].

وقرأ الأعمش وعاصم وابن عامر:«يُصْعَقُونَ»، بضم الياء وفتح العين، أي: يهلكون[٤].

القرآن

{يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٦)} [الطور : ٤٦]

التفسير:

وفي ذلك اليوم لا يَدْفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئًا، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله.

قوله تعالى:{يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [الطور : ٤٦]، أي:" وفي ذلك اليوم لا يَدْفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئًا"[٥].

قال الطبري: أي:" يوم القيامة لا يدفع عنهم مكرهم من عذاب الله شيئا"[٦].

قال ابن كثير: " أي : لا ينفعهم كيدهم ومكرهم الذي استعملوه في الدنيا، لا يُجدي عنهم يوم القيامة شيئا"[٧].

قال ابن أبي زمنين:" لا تغني عنهم عبادة الأوثان ولا ما كادوا للنبي شيئا"[٨].

قال السعدي:" أي: لا قليلا ولا كثيرا، وإن كان في الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به زمنا قليلا فيوم القيامة يضمحل كيدهم، وتبطل مساعيهم"[٩].

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [الطور : ٤٦]، أي:" ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ولا هم ينصرهم ناصر، فيستقيد لهم ممن عذّبهم وعاقبهم"[١١].

قال ابن أبي زمنين:" إذا جاءهم العذاب"[١٢].

قال القشيري في الآية:" أي فأعرض عنهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يموتون، {يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}، ولا يمنعون من عذابنا"[١٣].

القرآن

---

(١) تفسير السعدي: ٨١٧.
(٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٣ -.
(٣)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٣٧٨):ص١٢٢/١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٢، والكشف والبيان: ١٣٢/٩.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٦) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٢.[باختصار]
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٨) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠٣/٤.
(٩) تفسير السعدي: ٨١٧.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(١١) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٢.
(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠٣/٤.
(١٣) لطائف الإشارات: ٤٧٨/٣.

{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧)} [الطور : ٤٧]

التفسير:

وإن لهؤلاء الظلمة عذابًا يلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة من القتل والسبي وعذاب البرزخ وغير ذلك، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك.

قوله تعالى:{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} [الطور : ٤٧]، أي:" وإن لهؤلاء الظلمة عذابًا يلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة من القتل والسبي وعذاب البرزخ وغير ذلك"(١).

قال الطبري :" تأويل الكلام: وإن للذين كفروا بالله عذابا من الله دون يوم القيامة"(٢).

قال ابن كثير : " أي : قبل ذلك في الدار الدنيا، كقوله :{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة : ٢١]"(٣).

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} [الطور : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : الجوع لقريش في الدنيا ، قاله مجاهد(٤)، والضحاك(٥).

قال الضحاك:" هو الجوع والقَحْط سبع سنين"(٦).

الثاني : المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد، قاله الحسن(٧)، وابن زيد(٨).

قال الزجاج:" المعنى: وإن للذين ظلموا عذاباً دون عذاب الآخرة، يعني: من القتل والأسر وسبي الدّارَاري الّذِي نزل بهم"(٩).

قال ابن زيد:" دون الآخرة في هذه الدنيا ما يعذّبهم به من ذهاب الأموال والأولاد، قال: فهي للمؤمنين أجر وثواب عند الله، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء، عجلهم الله إياها في الدنيا، وقرأ: {فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ} ... إلى آخر الآية"(١٠).

الثالث : عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة، قاله علي(١١)، وابن عباس(١٢)، والبراء(١٣)،زاذان [أبو عمر الكندي] (١٤).

عن قتادة: "أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ}"(١٥).

عن قتادة:" أن ابن عباس كان يقول: إن عذاب القبر في القرآن. ثم تلا: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ}"(١٦).

قال الطبري :" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٢) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٤)تفسير مجاهد ص ٦٢٤، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٨ من طريق ابن جُرَيْج، و الطبري: ٤٨٧/٢٢ بنحوه، بلفظ:" قال: الجوع". وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٥)تفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.
(٦)تفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٢-٤٨٨.
(٩) معاني القرآن: ٦٨/٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٢-٤٨٨.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٢.
(١٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٨، وهناد (٣٥٥)، وإسحاق البستي ص ٤٥٥.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٢.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٢.

القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصص الله نوعا من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ فقال: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} فكلّ ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة"[١].

وفي المراد بـ«الذين ظلموا» -ها هنا- قولان[٢]:

أحدهما : أنهم أهل الصغائر من المسلمين .

الثاني : أنهم مرتكبو الحدود منهم .

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الطور : ٤٧]، أي:" ولكن أكثرهم لا يعلمون أن العذاب نازل بهم"[٣].

قال الطبري :" بأنهم ذائقو ذلك العذاب"[٤].

قال السعدي:" أي: فلذلك أقاموا على ما يوجب العذاب، وشدة العقاب"[٥].

قال السمعاني:" أي: لا يعلمون أن العذاب نازل بهم، فهذا دليل على أنه قد كان فيهم من هو متعنت يعرف وينكر"[٦].

قال ابن كثير:" أي : نعذبهم في الدنيا، ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلي عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، كما جاء في بعض الأحاديث : «إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه»[٧]. وفي الأثر الإلهي : «كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله : يا عبدي، كم أعافيك وأنت لا تدري ؟"[٨].

عن الحسن: "{ولكِنَّ أكْثَرَهُمْ} أي جماعتهم {لا يَعْلَمُونَ} يعني مَن لا يؤمن به"[٩].

القرآن

{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)} [الطور : ٤٩]

التفسير:

واصبر -أيها الرسول- لحكم ربك وأمره فيما حَمَّلك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك، فإنك بمرأى منا وحفظ واعتناء، وسبِّح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبِّح بحمد ربك وعظِّمه، وصلِّ له، وافعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إدبار النجوم.

قوله تعالى:{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [الطور : ٤٨]، أي:" واصبر -أيها الرسول- لحكم ربك وأمره فيما حَمَّلك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك"[١٠].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلغ رسالاته"[١١].

قال ابن كثير : " أي : اصبر على أذاهم ولا تبالهم"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.
(٣) صفوة التفاسير: ٢٥١/٣، والتفسير الميسر: ٥٢٥.
(٤) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢.
(٥) تفسير السعدي: ٨١٧.
(٦) تفسير السمعاني: ٢٨١/٥.
(٧)رواه أبو داود في السنن برقم (٣٠٨٩) من حديث عامر الرام رضي الله عنه.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٣ -.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(١١) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢.

قال الزمخشري:" {لِحُكْمِ رَبِّكَ}، بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة"[٢].
قال النحاس:" أي: لحكمه الذي قضى عليك وامض لأمره ونهيه وبلّغ رسالته"[٣].
قال ابن أبي زمنين:" أي: لما حكم الله عليك، فأمره بقتالهم"[٤].
قال السمعاني:" أي: لما حكم عليك، وهذا تعزية وتسلية له في الأذى الذي كان يلحقه من الكفار"[٥].
قال السعدي:" ولما بين تعالى الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذبين، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يعبأ بهم شيئا، وأن يصبر لحكم ربه القدري والشرعي بلزومه والاستقامة عليه"[٦].
قوله تعالى:{فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور : ٤٨]، أي:" فإنك بمرأى منا وحفظ واعتناء"[٧].
قال الطبري :" يقول جلّ ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين"[٨].
قال ابن كثير: أي :" فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس"[٩].
قال السعدي:" وعده الله بالكفاية بقوله: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} أي: بمرأى منا وحفظ، واعتناء بأمرك"[١٠].
وفي قوله تعالى:{فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور : ٤٨]، وجوه من التفسير:
أحدها : بعلمنا، قاله السدي[١١].
الثاني : بمرأى منا، حكاه ابن عيسى[١٢]. وحكي ذلك عن ابن عباس[١٣].
وقال ابن عباس: "نرى ما يعمل بك"[١٤].
الثالث : بحفظنا وحراستنا، ومنه قوله تعالى لموسى :{وَلِتُصنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه : ٣٩]،أي: بحفظي وحراستي ، قاله الضحاك[١٥].
قال مقاتل: "يقول: إنك بعين الله- تعالى-"[١٦].
قال النحاس:" أي: نراك ونرى عملك ونحوطك ونحفظك"[١٧].
قال القشيري:" أنت بمرأى منّا، وفي نصرة منّا.. وفي هذا تخفيف عليه وهو يقاسى الصبر"[١٨].
قال الزجاج:" أي: فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، ولا يصلون إلى مكروهك"[١٩].
قال ابن أبي زمنين:" أي: نرى ما تصنع وما يصنع بك، فسنجزيك ونجزيهم"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٢) الكشاف: ٤١٥/٤.
(٣) إعراب القرآن: ١٧٧/٤.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠٣/٤.
(٥) تفسير السمعاني: ٢٨١/٥.
(٦) تفسير السعدي: ٨١٧.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٨) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(١٠) تفسير السعدي: ٨١٧.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(١٣) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨١/٥.
(١٤) حكاه عنه البغوي في "التفسير": ٣٩٤/٧.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٠/٤.
(١٧) إعراب القرآن: ١٧٧/٤.
(١٨) لطائف الإشارات: ٤٧٩/٣.
(١٩) معاني القرآن: ٦٨/٥.

وقال الماتريدي:" قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، أي: بمنظر وعلم منا، فإن كان الأمر بالصبر على القيام بتبليغ الرسالة إلى من ذكرنا؛ فيخرج قوله: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} مخرج وعد النصر والمعونة؛ كقوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس}، وإن كان الأمر بالصبر على ترك مكافأتهم، أو على القيام بالأمور التي فيما بينه وبين ربه تعالى؛ فيصير كأنه قال: على علم منا بما يكون منهم من التكذيب والاستهزاء والأذى، كلفناك، لا عن جهل منا بذلك "[٢].

قال السمعاني:" قال أهل المعاني: وهذا إنما قاله لتيسير الأمر عليه وتسهيله، لأنه إذا علم أن الأذى الذي يلحقه من الكفار بحكم الله ومرأى منه، سهل عليه بعض السهولة، فإنه لا يترك مجازاتهم على ذلك وإثابته على ما لحقه من الأذى"[٣].

قال الزمخشري:" {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا}، مثل، أي: بحيث نراك ونكلؤك"[٤].

جاء في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي :" من الناس من حمل العين المذكورة في الكتاب على الرؤية، وهذا تأويل، يعني: قال في قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه:٣٩] أي: بمرأى مني، وفي قوله: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور:٤٨] أي: بمرأى منا، وكذلك في قوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر:١٤]، وقد يكون ذلك من صفات الذات، وتكون صفة واحدة، والجمع فيه للتعظيم، ومنهم من حملها على الحفظ والكلاءة -أي: الرعاية- وقال: إنها صفات فعل، والجمع فيها سائغ. ومن قال بأحد هذين زعم أن المراد بالخبر نفي نقص العور عن الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين من الآفات والنقائص"[٥].

وقرئ: «بأعينا»، بالإدغام[٦].

قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور : ٤٨]، أي:" وسبِّح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك"[٧].

قال السمعاني:" {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}، أي: صل حامدا لربك"[٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور : ٤٨]، وجوه:

أحدها : أن يسبح الله إذا قام من مجلسه، قاله سعيد بن جبير[٩]، ومجاهد[١٠]، وعطاء بن أبي رياح[١١]، وأبو الأحوص-في رواية[١٢].

عن طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح: أنه حدثه، عن قول الله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، يقول: "حين تقوم من كل مجلس، إن كنت أحسنت ازددت خيرا وإن كان غير ذلك كان هذا كفارة له"[١٣].

عن أبي الأحوص :"{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} قال : إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك"[١٤].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠٣/٤.
(٢) تاويلات أهل السنة: ٤١٤/٩.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٨١/٥.
(٤) الكشاف: ٤١٥/٤.
(٥)شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري،[دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. الدرس:٣٥/٢١].
(٦) انظر: الكشاف: ٤١٥/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٨١/٥.
(٩)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.
(١٠) تفسير مجاهد: ٦٢٤، والدر المنثور: ٦٣٧/٧، وعزاه إلى الفريابي، وابن المنذر.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩١):ص٣٣١٧/١٠.
(١٢) رواه عنه سفيان الثوري كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٧.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩١):ص٣٣١٧/١٠.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٧.

قال سعيد بن جُبَير: "{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، أي: قُلْ حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك. فإن كان المجلس خيرًا ازددتَ فيه إحسانًا، وإن كان غير ذلك كان كفارة له"[١].

عن مجاهد:" {وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، قال: من كلّ مجلس"[٢].

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك"[٣].

الثاني : حين تقوم من منامك، ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله، قاله أبو الجوزاء[٤]، وأبو الأحوص[٥]، وحسان بن عطية[٦]، وذكره عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه[٧]. وبه قال الطبري[٨]، والزجاج[٩].

ويتأيد هذا القول بما رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : رب اغفر لي - أو قال : ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلى تقبلت صلاته"[١٠].

قال أبو الأحوص:" من كل منامة، يقول حين يريد أن يقوم: سبحانَك وبحمدك"[١١].

عن أبي الأحوص عوف بن مالك: "{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}، قال: سبحان الله وبحمده"[١٢].

وعن زيد بن اسلم:" حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر"[١٣].

قال السعدي:" ففيه الأمر بقيام الليل"[١٤].

قال النحاس:" ويكون هذا نوم القائلة، يعني: صلاة الظهر، لأن المعروف من قيام الناس من نومهم إلى الصلاة إنما هو من صلاة الفجر، وصلاة الظهر وصلاة الفجر مذكورة بعد هذا"[١٥].

الثالث : أنه التسبيح إذا قام إلى الصلاة المفروضة. قاله الضحاك[١٦]، والربيع بن أنس[١٧]، والقرظي[١٨].

عن الضحاك:"{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، قال: حين تقوم إلى الصلاة تقول هؤلاء الكلمات: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك"[١٩][١].

---

(١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.
(٢) تفسير مجاهد: ٦٢٤، والدر المنثور: ٦٣٧/٧، وعزاه إلى الفريابي، وابن المنذر.
(٣)سنن الترمذي برقم (٣٤٣٣) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٢٣٠) والمستدرك (٥٣٦/١).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢-٤٨٩.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢-٤٩٠.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٦٨/٥.
(١٠)المسند (٣١٣/٥) وصحيح البخاري برقم (١١٥٤) وسنن أبي داود برقم (٥٠٦٠) وسنن الترمذي برقم (٣٤١٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٩٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٨).
(١١) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٢-٤٨٩.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(١٤) تفسير السعدي: ٨١٧.
(١٥) إعراب القرآن: ١٧٧/٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢.
(١٧)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٥.
(١٨)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٠٨ (٢١٢).
(١٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٩، وابن أبي شيبة ١/ ٢٣٢، والطبري: ٤٨٩/٢٢. وعزاه السيوطي إلى سعيد

قال الربيع بن أنس: "{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} إذا قمتَ إلى الصلاة فقُلْ: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك"[٢].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ -من طريق أسامة بن زيد- :"أنه سمعه تلا هذه الآية: {وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، قال: حين تقوم للصلاة"[٣].

وقال الحسن البصري: "{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} من مقامك، يعني: صلاة الصبح"[٤].

قال مقاتل: " يقول وصل بأمر ربك {حِينَ تَقُومُ} إلى الصلاة المكتوبة"[٥].

قال سهل:" يعني: صل المكتوبة بالإخلاص لربك حين تقوم إليها"[٦].

وروي عن عمر أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة[٧]، ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبي سعيد وغيره، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك[٨].

قال النحاس:" فأما قول الضّحاك إنه في افتتاح الصلاة فبعيد لاجتماع الحجة لأن الافتتاح في الصلاة غير واجب ولو أمر الله جلّ وعزّ به لكان واجبا إلّا أن تقوم الحجة أنّه على الندب والإرشاد"[٩].

وفي هذا التسبيح قولان :

أحدهما : هو قول : سبحان ربي العظيم، في الركوع، وسبحان ربي الأعلى، في السجود. حكاه الماوردي[١٠].

الثاني : التوجه في الصلاة بقوله : «سبحانك اللهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك ولا إله غيرك». قاله الضحاك[١١].

قال الطبري: والصواب" قول من قال: معنى ذلك: وصلّ بحمد ربك حين تقوم من مَنامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عنى صلاة الظهر، وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضحاك لكان فرضا أن يُقال لأن قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد. قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة بأن ذلك معنيّ به ما قاله الضحاك، فيحمل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلا لنا على أنه أريد به الندب والإرشاد. وإنما قلنا: عُني به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد

بن منصور، وابن المنذر. وأورده الثعلبي ٩/ ١٣٣، وقال عقبه: وعن الضحاك أيضًا: قل حين تقوم إلى الصلاة: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا.

(١)قال النحاس:" فأما قول الضّحاك إنه في افتتاح الصلاة فبعيد لاجتماع الحجة لأن الافتتاح في الصلاة غير واجب ولو أمر الله جلّ وعزّ به لكان واجبا إلّا أن تقوم الحجة أنّه على الندب والإرشاد". [إعراب القرآن: ١٧٧/٤].

(٢)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٥.

(٣)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٠٨ (٢١٢).

(٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٣ -.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٠/٤.

(٦) تفسير التستري: ١٥٥.

(٧) انظر: صحيح مسلم برقم (٣٩٩).

(٨) انظر: المسند (٥٠/٣) وسنن أبي داود برقم (٧٧٥) وسنن الترمذي برقم (٢٤٢) وسنن النسائي (١٣٢/٢) وسنن ابن ماجة برقم (٨٠٤).

(٩) إعراب القرآن: ١٧٧/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢.

نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر; فلما أمر بعد قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، بالتسبيح بعد إدبار النجوم، وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلا عُلِم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل"[١].

عن سعيد بن المسيّب، قال: "حقٌّ على كلّ مسلم حين يقوم إلى الصلاة أن يقول: سبحان الله وبحمده؛ لأن الله يقول لنبيّه: {وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}"[٢].

قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ} [الطور : ٤٩]، أي:" ومن الليل فسبِّح بحمد ربك وعظِّمه، وصلِّ له"[٣].

قال الطبري:" يقول: ومن الليل فعظم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاة المغرب والعشاء"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ} [الطور : ٤٩]، وجوه:

أحدها : أن ذلك صلاة المغرب والعشاء. قاله مقاتل[٥]، والطبري[٦].

الثاني: صلاة العشاء. قاله ابن زيد[٧].

الثالث: الصلاة بالليل في أيّ وقت صلى. قاله مجاهد[٨].

عن مجاهد :"{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ}، قال: من الليل كله"[٩].

الرابع: أي : اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، كما قال :{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء : ٧٩]. حكاه الماوردي[١٠]، وبه قال ابن كثير[١١].

قال سهل:" يعني: لا تغفل عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك في كل الأوقات صباحاً ومساء"[١٢].

قوله تعالى:{وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} [الطور : ٤٩]، أي:" وصلِّ له في آخر الليل حين تدبر وتغيب النجوم بضوء الصبح"[١٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} [الطور : ٤٩]، قولان:

أحدهما : أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر. قاله علي[١٤]، ابن عباس[١٥]، والحسن[١٦]، وقتادة[١٧]،والشعبي[١٨]، وإبراهيم[١٩].

قال مقاتل:" يعني: الركعتين قبل صلاة الغداة وقتهما بعد طلوع الفجر"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢-٤٩٠.
(٢) الدر المنثور: ٦٣٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٤) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٢.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٠/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٠/٧.
(١٢) تفسير التستري: ١٥٥.
(١٣) صفوة التفاسير: ٢٥١/٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٢):ص٣٣١٧/١٠.
(١٦) تفسير عبدالرزاق(٢٩٦٨):ص٢٣٣/٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٢.
(١٨) تفسير إسحاق البستي(١٠٤٩):ص٤١٤/٢.
(١٩) تفسير إسحاق البستي(١٠٥١):ص٤١٤/٢.

قال ابن كثير:" فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم، أي : عند جنوحها للغيبوبة"[٢].

عن الحسن بن علي: {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} [الطور: ٤٩] ركعتان قبل الصبح، {وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} [ق: ٤٠] : «ركعتان بعد المغرب»[٣].

عن الشعبي قال: "{وَأَدْبَارَ السُّجُودِ}، الركعتين بعد المغرب {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} الركعتين قبل الصبح"[٤].

عن إبراهيم:" أنه قال في هذه الآية: {وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} قال: الركعتين قبل الصبح {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} ركعتين بعد المغرب"[٥].

وقد روى في حديث ابن سيلان، عن أبي هريرة مرفوعا : "لا تَدَعُوهما، وإن طردتكم الخيل"[٦]. يعني : "ركعتي الفجر"[٧].

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت : "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر"[٨].

وفي لفظ لمسلم : "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"[٩].

وفي لفظ للطبري: "هما خيرٌ مِنَ الدُّنْيا جميعا"[١٠].

قال قتادة:"كنا نحدّث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر. قال: ودُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لهما أحبّ إليّ من حُمْر النَّعَم"[١١].

قال الزجاج:" أجمعوا في التفسير أن معنى {أَدْبَارَ السَّجُودِ}، معناه: صلاة الركعتين بعد المغرب، وأن {إِدْبَارَ النُّجُومِ}، صلاة ركعتي الغداة"[١٢].

الثاني: أن معنى التسبح {إِدْبَارَ النُّجُومِ}: صلاة الصبح الفريضة. قاله الضحاك[١٣]، وزيد بن أسلم[١٤]، وابنه عبدالرحمن[١٥].

عن ابن زيد عن ابيه:" {وأدبار السجود}، قال: النوافل خلف الصلوات، قال: {وإدبار النجوم}، قال: صلاة الصبح"[١٦].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}، والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين، ولم تقم حجة يجب التسليم لها، أن قوله فسبحه على الندب"[١٧].

وقرئ: «وأدبار»، بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت[١٨].

فوائد الآيات: [٤٤-٤٩]:

١- بيان عناد كفار قريش ومكابرتهم في الحق ومجاحدتهم فيه.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٠/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٤١/٧.
(٣) تفسير عبدالرزاق(٢٩٦٨):ص٢٣٣/٣.
(٤) تفسير إسحاق البستي(١٠٤٩):ص٤١٤/٢.
(٥) تفسير إسحاق البستي(١٠٥١):ص٤١٤/٢.
(٦)رواه أبو داود في السنن برقم (١٢٥٨).
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٤١/٧.
(٨)صحيح البخاري برقم (١١٦٩) وصحيح مسلم برقم (٧٢٤).
(٩) صحيح مسلم برقم (٧٢٥).
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢.
(١٢) معاني القرآن: ٦٨/٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢.
(١٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٣٩):ص٣٣٩/٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢.
(١٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٣٩):ص٣٣٩/٢.
(١٧) تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢-٤٩٢.
(١٨) انظر: الكشاف: ٤١٥/٤.

٢- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي للدعاة بعده أيضا.
٣- تقرير وخامة عاقبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة.
٤- وجوب الصبر على قضاء الرب وعدم الجزع.
٥- مشروعية التسبيح عند القيام من النوم بنحو: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير والحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور.
«آخر تفسير سورة (الطور)، والحمد لله وحده»

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النجم»

«سورة النجم»: هي السورة الثالثة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثالثة والعشرون بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الإخلاص، وقبل سورة عبس، آياتها اثنتان وستون في عد الكوفيين، وواحدة في عد الباقين. وكلماتها ثلاثمائة وستون، وحروفها ألف وأربعمائة وخمسون. والآيات المختلف فيها ثلاث: {مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم : ٢٨]، {عَنْ مَنْ تَوَلَّى} [النجم : ٢٩]، {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]. مجموع فواصل آياتها: «واه»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أسمها التوقيفي: «سورة النجم»:**

سميت «سورة النجم» لافتتاحها بقسم الله تعالى بالنجم في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)} [النجم : ١]، وقد ورد لفظ «النجم» منفردا في بعض سور القرآن كسورة النحل[٢]، والرحمن[٣]، والطلاق[٤].

وقد سميت بـ«سورة النجم »بغير «واو» في عهد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ففي "الصحيحين" عن عبد الله رضي الله عنه: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم، فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفا من حصى - أو تراب - فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا "، قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافرا"[٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما:" «أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[٦]. فهذه تسمية؛ لأنها ذُكِر فيها «النجم».

وسموها: «سورة والنجم» بـ«واو» بحكاية لفظ القرآن الواقع في أولها، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"[٧]، والترمذي في «جامعه»[٨].

ووقعت في المصاحف والتفاسير بالوجهين، وهو من تسمية السورة بلفظ وقع في أولها، وهو لفظ «النجم» أو حكاية لفظ «والنجم».

وسموها : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١]، كما في حديث زيد بن ثابت في الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}، فلم يسجد[٩]، أي: في زمن آخر غير الوقت الذي ذكره ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما.

وعن الأعرج؛ أن عمر بن الخطاب، قرأ ب: {والنجم (١) إذا هوى} [النجم ٥٣: ١] فسجد فيها. [ش: ٥٧] ثم قام، فقرأ بسورة أخرى"[١٠].

قال ابن عاشور: "وهذا كله اسم واحد مُتَوَسع فيه، فلا تُعَدُّ هذه السورة بين السور ذوات أكثر من اسم"[١١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٣.
(٢) وذلك في قوله تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل : ١٦].
(٣) وذلك في قوله تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [الرحمن : ٦].
(٤) وذلك في قوله تعالى: {النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق : ٣].
(٥) صحيح البخاري(١٠٧٠):ص٤١/٢، وصحيح مسلم(٥٧٦):ص٤٠٥/١
(٦) صحيح البخاري(١٠٧١):ص٤١/٢.
(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٤٠/٦.
(٨) انظر: سنن الترمذي: ٢٤٦/٥.
(٩) صحيح مسلم(٥٧٧):ص٤٠٦/١.
(١٠) موطأ مالك(٧٠٠):ص٢٨٨/٢، وأخرجه أبو مصعب الزهري، ٢٦١ في النداء والصلاة؛ والحدثاني، ٩٧ في الصلاة؛ والشيباني، ٢٦٨ في الصلاة؛ والشافعي، ١٠٣٢، كلهم عن مالك به.
(١١) التحرير والتنوير: ٨٧/٢٧.

أحدهما: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[١]، وابن الزبير[٢].
الثاني : أنها مكية إلا آية منها، وهي {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ} [النجم : ٣٢]، الآية. قاله ابن عباس[٣]، وقتادة[٤]، ومقاتل[٥].
قال ابن عاشور:" ونسب إلى الحسن البصري: أن السورة كلها مدنية، وهو شذوذ"[٦].
قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٧].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[٨].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين، وهي أول سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون"[٩].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:
١- إن في ابتداء كل منهما وصف حال المتقين.
٢- إن في نهاية كل منهما وعيد للكافرين.
٣- إن كلا منهما بدئت بقسم بآية من آياته تعالى الكونية التي تتعلق بالمعاش أو المعاد، ففي الأولى أقسم بالرياح الذاريات التي تنفع الإنسان في معاشه، وهنا أقسم بالطور الذي أنزل فيه التوراة النافعة للناس في معادهم.
٤- في كل منهما أمر النبي بالتذكير والإعراض عما يقول الجاحدون من قول مختلف.
٥- تضمنت كلتاهما الحجاج على التوحيد والبعث، إلى نحو ذلك من المعاني المتشابهة في السورتين[١٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت سورة «النجم» جملة من المقاصد، نجملها في التالي:
١- أنها -شأن السور المكية- عُنيت بالرسالة وتوكيدها، وتحقيق أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن الله تعالى، وأنه منزَّه عما ادعوه. وإثبات أن القرآن وحي من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام.
٢- تحدثت عن المعراج الذي كان تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عام الحزن على وفاة زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وعمه أبي طالب، وما رآه عليه الصلاة والسلام من آيات ربه الكبرى، وعجائبه العظمى في الملكوت الأعلى، عند سدرة المنتهى، التي عندها جنة المأوى.
٣- نعت السورة على المشركين عبادة غير الله من الأوثان والأصنام وغيرها من المخلوقات، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر، بل إن بعضها قد صنعوه بأيديهم، وسفهتهم على أن آثروا أنفسهم بالبنين، وجعلوا لله ما يكرهونه ويأنفون منه، وهو البنات.
٤- أبطلت قياسهم عالم الغيب على عالم الشهادة، وأن ذلك ضلال في الرأي، قد جاءهم بضده الهدى من الله.

---

(١)الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢)الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.
(٤) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.
(٥) نقلا عن: زاد المسير: ١٨٣/٤.
(٦) التحرير والتنوير: ٨٧/٢٧.
(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٣/١.
(٨) زاد المسير: ١٨٣/٤.
(٩) المحرر الوجيز: ١٩٥/٥.
(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٦/٢٧.

٥- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للإعراض عن الذين تولوا مدبرين عن دعوته من المشركين الضالين، وإشعاره بحدود وظيفته، وأنه ليس مسؤولاً عن تحويلهم من الكفر إلى الإيمان، فالحكمة في الابتلاء من ظروف الحياة الدنيا كشف ما في صدور الممتَحَنِين؛ لتحقيق الجزاء يوم الدين.
٦- أخبرت عن الحساب والجزاء يوم القيامة، وبيَّنت أن الإنسان لا يحمل وزر غيره: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)} [النجم : ٣٩ - ٤١].
٧- تحدثت عن أن الله هو الذي يحيى ويميت، وأنه إليه المنتهى والمصير، وأنه وحده هو الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى.
٨- بيَّنت أن مذهب الشرك مذهب باطل ساقط، وأن الدعوة الإسلامية استمرار لما جاء به المرسلون السابقون، إيماناً بالله، ومسؤولية في الحياة الدنيا، وجزاء يوم الدين، وتحذيراً من مُعَجِّل العقاب، كما حصل للمكذبين الأولين.
٩- ذكرت خاتمة السورة أصنافاً من العذاب لأمم خالفت أنبياءها وآذتهم، فأنزل الله بهم ما يستحقون؛ وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعد له وللمؤمنين بنصر الله، كما أن فيها وعيداً وتهديداً للمشركين أن يحل بهم ما نزل بغيرهم ممن هم على شاكلتهم[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

ذكر أهل التفسير آيتين من اللواتي إدعي عليهن النسخ في هذه السورة:
إحداها: قوله تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]. فالمراد بالذكر –هاهنا-: القرآن، وقد زعموا أن هذه الآية منسوخة بآية السيف. حكاه ابن الجوزي[٢].
الثانية: قوله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى} [النجم: ٣٩].
عن ابن عباس رضي الله عنهما: "{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى}، قال: فأنزل الله تعالى بعد هذا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ} [الطور: ٢١]، فأدخل الله الأبناء بصلاح الآباء الجنة"[٣].
قال ابن الجوزي:" قول من قال: إن هذا نسخ غلط؛ لأن الآيتين خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ، ثم إن إلحاق الأبناء بالآباء إدخالهم في حكم الآباء بسبب إيمان الآباء فهم كالبعض تبع الجملة، ذاك ليس لهم إنما فعله الله سبحانه بفضله وهذه الآية تثبت ما للإنسان إلا ما يتفضل به عليه"[٤].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: " أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال: فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه "، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا، وهو أمية بن خلف"[٥].
- عن ابن عباس رضي الله عنهما:" «أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[١].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٨٨/٢٧-٨٩.
(٢) انظر: نواسخ القرآن:٢٠٠.
(٣)أخرجه الطبري :٥٤٦/٢٢-٥٤٧، والنحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٨٨-٦٩٨، وابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٢٠١. وإسناده ضعيف.
(٤) نواسخ القرآن: ٢٠١.
(٥) صحيح البخاري(٤٨٦٣):ص١٤٢/٦. قال ابن كثير في "التفسير": ٤٤٢/٧:" وقوله في الممتنع : إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة".

- عن زيد بن ثابت، قال: «قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم «والنجم»، فلم يسجد فيها»[٢].
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة النجم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد ومن جحد به»[٣].[ضعيف]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) صحيح البخاري(١٠٧١):ص٤١/٢.
(٢) صحيح البخاري(١٠٧٣):ص٤١/٢.
(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣٤/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

القرآن

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)} [النجم : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت، ما حاد محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، وليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه. ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١]، أي:" أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت"(١).

قال الفراء:" {إِذَا هَوَى}: نزل، وقد ذكر: أنه كوكب إذا غرب"(٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١]، أقوال:

أحدها : معناه: والقرآن إذا نزل. لأنه كان ينزل نجوماً متفرقة. قاله عطاء عن ابن عباس(٣)، والأعمش عن مجاهد(٤)، وبه مقاتل(٥)، ويحيى بن سلام(٦)، والفراء(٧).

قال الفراء:" أقسم- تبارك وَتعالى- بالقرآن، لأنّه كانَ يَنْزِلُ نجومًا،الآية وَالآيتان، وَكانَ بين أوَّل نزولِه وآخره عشرون سنة"(٨).

قال ابن قتيبة:" يقال: كان القرآن ينزلُ نُجومًا؛ فأقسم الله بالنجم منه إذا نزل"(٩).

قال مقاتل:" وكان القرآن إذا نزل إنما ينزل نجوما، ثلاث آيات وأربع، ونحو ذلك، والسورة والسورتان"(١٠).

قال يحيى:" يعني: نجوم القرآن إذا نزل به جبريل على النَّبي يعني بذلك الآية والآيتين، والسورة والسورتين وفوق ذلك. وقال في سورة الواقعة {فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النجوم} يعني أقسم بمواقِعِ النُّجوم، نجوم القرآن إذا نزل به جبريل على النبي"(١١).

عن المنهال بن عمرو -رفعه إلى عبد الله- في قوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ}، قال: هو محكم القرآن"(١٢). قال محمد أبو زكريا: يعني: الذي لم ينسخ"(١٣).

عن قتادة: "{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}، قال: قال عُتبة بن أبي لهب: كفرتُ بربّ النجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَمَا تَخَافُ أَنْ يَأْكُلَكَ كَلْبُ اللهِ" قال: فخرج في تجارة إلى اليمن، فبينما هم قد عرَّسوا، إذ سمعَ صوتَ الأسد، فقال لأصحابه إني مأكول، فأحدقوا به، وضرب على أصمختّهم فناموا، فجاء حتى أخذه، فما سمعوا إلا صوته"(١٤).

الثاني : معناه: والثريا إذا سقطت، رواه العوفي عن ابن عباس(١٥)، وابن أبي نجيح عن مجاهد(١٦)، لأنهم كانوا يخافون الأمراض عند طلوعها.

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٢) معاني القرآن: ٩٤/٣.
(٣) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. بدون سند.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٢-٤٩٦.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٩/٤.
(٦) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٩٢.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٩٣/٣.
(٨) معاني القرآن: ٩٣/٣.
(٩) غريب القرآن: ٤٢٧.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٩/٤.
(١١)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٩٢.
(١٢) رواه الفراء في معاني القرآن: ٩٤/٣.
(١٣) معاني القرآن: ٩٤/٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٢.
(١٥) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. بدون سند.
(١٦) انظر: تفسير مجاهد: ٦٢٥، وتفسير الطبري: ٤٩٥/٢٢.

قال مجاهد:" يعني: "الثريا، إذا سقط مع الفجر"[١]. وفي لفظ :"الثريا إذا غابت"[٢]، وفي لفظ: قال: "الثريا إذا وقعت"[٣].

عن سفيان: "{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}، قال: الثريا"[٤].

وروي عن ابن عباس، قوله: "{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}، قال: إذا انصبّ"[٥].

قال ابن قتيبة: "والعرب تسمي الثريا- وهي ستة أنجُم- نجماً"[٦]. وقال غيره: "هي سبعة، فستة ظاهرة، وواحد خفي يمتحن به الناسُ أبصارَهم"[٧].

واختار هذا القول الطبري، إذ قال:" والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم، والقول الذي قاله من حكينا عنه من أهل البصرة قول لا نعلم أحدا من أهل التأويل قاله، وإن كان له وجه، فلذلك تركنا القول به"[٨].

الثالث : أنها الزهرة، قاله السدي[٩].

قال الماوردي: "لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها"[١٠].

الرابع : أنها جماعة النجوم، أي: نجوم السماء كلها دون تحديد، عبر عنها باسم الجنس. وهذا قول الحسن[١١]، وقتادة[١٢]، هو مروي عن مجاهد أيضاً[١٣].

واختار هذا القول السمعاني، وقال:" وهذا أظهر الأقاويل؛ لأنه يطابق اللفظ من كل وجه. ويجوز أن يذكر النجم بمعنى النجوم، قال عمر بن أبي ربيعة[١٤]:

أَحْسَنُ النَّجْمِ فِي السَّمَاءِ الثُّرَيَّا ... وَالثُّرَيَّا فِي الأَرْضِ زَيْنُ النِّسَاءِ

ومعناه: أحسن النجوم"[١٥].

وقال أبو عبيدة: "أقسم بالنجم إذا سقط في الغَوْر"[١٦]. قال ابن قتيبة: "وكأنه لم يخصِّص الثُّريَّا دون غيرها"[١٧].

الخامس : معناه: الرُّجوم من النُّجوم، يعني: ما يرمى به الشياطين. رواه عكرمة عن ابن عباس[١٨].

السادس : -ما حكاه الماوردي- بأنها " النجوم المنقضة، وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد -صلى الله عليه وسلم- رسولاً ، كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ، فذعر أكثر العرب منها ، وفزعوا إلى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث ، فسألوه عنها ، فقال انظروا البروج الاثني عشر ، فإن انقض منها شيء ، فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقض منها شيء ، فسيحدث في الدنيا أمر عظيم ، فاستشعروا ذلك ، فلما بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كان هو الأمر

---

(١) تفسير مجاهد: ٦٢٥، وتفسير الطبري: ٤٩٥/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٣):ص٣٣١٨/١٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٣):ص٣٣١٨/١٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٣):ص٣٣١٨/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٢.

(٦) نقلا عن: زاد المسير: ١٨٣/٤.

(٧) نقلا عن: زاد المسير: ١٨٣/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٢.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٨٩/٥، وزاد المسير: ١٨٣/٤.

(١٠)النكت والعيون: ٣٨٩/٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٨٩/٥.

(١٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٨٣/٥.

(١٣) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. بدون سند.

(١٤)ديوان عمر بن أبي ربيعة: ص٥٠٣ ، وانظر: النكت والعيون: ٣٨٩/٥، وتفسير القرطبي: ٨٢/١٧.

(١٥) تفسير السمعاني: ٢٨٣/٥.

(١٦) نقلا عن: غريب القرآن: ٤٢٧.

(١٧) غريب القرآن: ٤٢٧.

(١٨) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. بدون سند.

العظيم الذي استشعروه ، فأنزل الله تعالى :{ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}، أي: ذلك النجم الذي هوى ، هو لهذه النبوة التي حدثت"[١].

السابع : يعني: ومحمد صلّى الله عليه وسلّم إذا رجع من السماء. قاله سهل التستري[٢].

قال ابن الجوزي:" فعلى قول من قال: النجم: الثريا، يكون «هوى» بمعنى «غاب» ومن قال: هو الرُّجوم، يكون هُويُّها في رمي الشياطين، ومن قال: القرآن، يكون معنى «هوى» : نزل، ومن قال: نجوم السماء كلّها، ففيه قولان: أحدهما: أن هُويَّها أن تغيب. والثاني: أن تنتثر يوم القيامة"[٣].

قال الماوردي:" وهذا قسم، وعلى القول الخامس في انقضاض النجوم خبر"[٤].

عن محمد ابن كعب القرظي:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في: {والنجم إذا هوى}"[٥].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قرأ بالنجم فسجد وسجد الناس معه إلا رجلين"[٦].

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه -: "أنه قرأ عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنجم فلم يسجد فيها"[٧].

قال الإمام الشافعي:" وفي هذين الحديثين دليل على أن سجود القرآن ليس بحتم، ولكنا نحب أن لا يترك؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - سجد في النجم وترك"[٨].

قوله تعالى:{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم : ٢]، أي:" ما حاد محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد"[٩].

قال سهل:" أي: ما ضل عن حقيقة التوحيد قط، ولا اتبع الشيطان بحال"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما حاد صاحبكم أيها الناس عن الحقّ ولا زال عنه، ولكنه على استقامة وسداد، وما صار غويًّا، ولكنه رشيد سديد، وقوله: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ} جواب قسم {والنجم}"[١١].

قال الماوردي:" وهذا جواب القسم على قول الأكثرين"[١٢].

قوله تعالى:{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم : ٣]، أي:" وليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه"[١٣].

قال الطبري: يقول:" وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه، ، وقيل: بالهوى"[١٤].

قال قتادة:" أي: ما ينطق عن هواه "[١٥].

---

(١) النكت والعيون: ٣٨٩/٥-٣٩٠.
(٢) انظر: تفسير التستري: ١٥٦.
(٣) زاد المسير: ١٨٣/٤.
(٤) النكت والعيون: ٣٩٠/٥.
(٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٢٩):ص١٠١/٣.
(٦) رواه الشافعي في "التفسير": ١٢٩١/٣.
(٧) رواه الشافعي في "التفسير": ١٢٩١/٣. وسبق تخريج الحديث في مقدمة السورة.
(٨) تفسير الغمام الشافعي: ١٢٩١/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(١٠) تفسير التستري: ١٥٦.
(١١) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٢.
(١٢) النكت والعيون: ٣٩٠/٥.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٢/ ٤٩٨.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٢.

قال سهل:" يعني: لا ينطق بالباطل قط. كان نطقه حجة من حجج الله تعالى، فكيف يكون للهوى والشيطان عليه اعتراض؟"[١].

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : ٤]، أي:" ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم"[٢].

قال الطبري: " يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه"[٣].

عن قتادة:" قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحي جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم"[٤].

القرآن

{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)} [النجم : ٥-١١]

التفسير:

علَّم محمدًا صلى الله عليه وسلم مَلَك شديد القوة، ذو منظر حسن، وهو جبريل عليه السلام، الذي ظهر واستوى على صورته الحقيقية للرسول صلى الله عليه وسلم في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس عند مطلعها، ثم دنا جبريل من الرسول صلى الله عليه وسلم، فزاد في القرب، فكان دنوُّه مقدار قوسين أو أقرب من ذلك. فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى بواسطة جبريل عليه السلام. ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره.

قوله تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم : ٥]، أي:" علَّم محمدًا صلى الله عليه وسلم القرآن مَلَك شديد القوة، وهو جبريل -عليه السلام-"[٥].

قال الطبري: يقول:" عَلَّم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن جبريلُ عليه السلام، وعُنِي بقوله: {شَدِيدُ الْقُوَى}: شديد الأسباب. والقُوى: جمع قوّة"[٦].

عن قتادة، والربيع: "{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}، يعني: جبريل"[٧].

قوله تعالى: {ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} [النجم : ٦]، أي:" ذو حصافة في العقل، وقوةٍ في الجسم، فاستقرَّ جبريل على صورته الحقيقية"[٨].

قال ابن كثير:" :{ذُو مِرَّةٍ}، أي : ذو قوة، {فَاسْتَوَى} يعني : جبريل، عليه السلام"[٩].

عن الربيع: "{ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى}: جبريل عليه السلام"[١٠].

وفي قوله تعالى: {ذُو مِرَّةٍ} [النجم : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: ذو منظر حسن. قاله ابن عباس[١١].

وقال قتادة:" ذو خَلْق طويل حسن"[١٢].

---

(١) تفسير التستري: ١٥٦.
(٢) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٢/ ٤٩٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٢.
(٥) انظر: صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣، والتفسير الميسر: ٥٢٦.
(٦) تفسير الطبري: ٢٢/ ٤٩٨.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٢.
(٨) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٢.

الثاني : ذو قوة، قاله مجاهد[١]، والحسن[٢]، وقتادة[٣]، وسفيان[٤]، وابن زيد[٥]. وبه قال ابن كثير[٦].

قال مجاهد:" ذو قوة؛ جبريل"[٧].

قال القاسم بن سلام:" ذو قوة بلغة قريش"[٨].

قال ابن زيد:" المرّة: القوّة"[٩].

قال الزجاج:" المرة القوة"[١٠]، ومنه قول خفاف بن ندبة [١١]:

فتَعلَّمي أنّي امرؤٌ ذُو مرَّةٍ ... فيمَا ألمَّ مِنَ الخُطوبِ صَليبُ

إني امرؤ ذو مرة فاستبقني ... فيما ينوب من الخطوب صليب

وقال أبو عبيدة:" ذو شدة وإحكام، يقال: حبل ممرّ، أي: مشدود"[١٢].

قال الواحدي:" معنى «المِرَّة» -في اللغة- :شدة الفتل وشدة أسر الخلق، وأصل المرة من أمررت الحبل، أي: شددت فتله، وكل قوة من قوى الحبل مرة، وجمعها مِرر"[١٣].

قال ابن كثير:" ولا منافاة بين القولين ؛ فإنه، عليه السلام، ذو منظر حسن، وقوة شديدة"[١٤].

قال الكلبي: " ذو شدة"[١٥]، "وكان من شدة جبريل عليه السلام: أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الأرض السفلى، فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء نبح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها. وكان من شدته أيضا: أنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب من الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه بأقصى جبل في الهند. وكان من شدته: صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم، فأصبحوا جاثمين خامدين. وكان من شدته: هبوطه من السماء على الأنبياء وصعوده إليها في أسرع من الطرف"[١٦].

الثالث : ذو غناء، قاله الحسن[١٧].

الرابع : ذو عقل ، قاله ابن الأنباري[١٨]، قال الشاعر[١٩] :

قد كنت عند لقاكم ذا مرة ... عندي لكل مخاصم ميزانه

قال قطرب: "تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل: ذو مرة"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٩٢/٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.

(٧)تفسير مجاهد: ص ٦٢٥، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق: ٤/ ٣٢٢، وفتح الباري: ٨/ ٦٠٤ - ، والطبري: ٢٢/ ٤٩٩. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٨)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(١٠) معاني القرآن: ٧٠/٥.

(١١) انظر: الأصمعيات: ٢٧، وانظر: النكت والعيون: ٣٩٢/٥، وتفسير القرطبي: ٨٧/١٧. ورواية البيت فيهما:«إني امرؤ ذو مرة فاستبقني ... فيما ينوب من الخطوب صليب»

(١٢) مجاز القرآن: ٢٣٦/٢.

(١٣) التفسير البسيط: ١٢/٢١.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.

(١٥) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ١٢/٢١.

(١٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٨٦/١٧.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٩٢/٥.

(١٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٣٩٢/٥.

(١٩) انظر: النكت والعيون: ٣٩٢/٥، وتفسير القرطبي: ٨٦/١٧.

(٢٠) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٨٦/١٧.

قال القرطبي:" وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله: أن الله ائتمنه على وحيه إلى جميع رسله"[١].

الخامس : ذو صحة في الجسم وسلامة من الآفات، قاله الخليل[٢]، والطبري[٣]، ومنه قول امرىء القيس[٤]:

كنت فيهم أبداً ذا حيلة ... محكم المرة مأمون العقد

قال الخليل:" المرة: شدة أسر الخلق، وقوله -جل وعز- :{ذو مرة فاستوى}، أي: سوي، يعني: جبريل عليه السلام خلقه الله قويا سويا. وذو مرة سوي، أي: قوي صحيح البدن. والمرير: الحبل المفتول"[٥].

قال الطبري:" عنى بـ«المرّة»: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات. والجسم إذا كان كذلك من الإنسان، كان قويا، وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المرة واحدة المرر، وإنما أُريد به: ذو مرة سوية. وإذا كانت المرّة صحيحة، كان الإنسان صحيحا. ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَحِلُّ الصَّدَقة لِغَنِيّ، وَلا لذي مرةٍ سَوِيَّ»[٦]"[٧].

قال النحاس:" حقيقة «المرّة» -في اللغة-: اعتدال الخلق والسلامة من الآفات والعاهات، فإذا كان كذا كان قويا. {فَاسْتَوى}، قيل: فاعتدل بعد أن كان ينزل مسرعا"[٨].

قوله تعالى: {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} [النجم : ٧]، أي:" وهو بأفق السماء حيث تطلع الشمس جهة المشرق"[٩].

قال ابن كثير:" يعني : جبريل، استوى في الأفق الأعلى، والأفق الأعلى : الذي يأتي منه الصبح "[١٠].

قال الحسن: «بأفق المشرق الأعلى منهما»[١١].

قال قتادة:" والأفق :الذي يأتي منه النهار"[١٢].

---

(١) تفسير القرطبي: ٨٦/٧.

(٢) العين: ٢٦٢/٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٤) .

(٥) العين: ٢٦٢/٨.

(٦)حديث ابن عمرو: أخرجه ابن أبى شيبة (٤٢٤/٢، رقم ١٠٦٦٣) ، وأحمد (١٦٤/٢، رقم ٦٥٣٠) ، وأبو داود
(١١٨/٢، رقم ١٦٣٤) ، والترمذى (٤٢/٣، رقم ٦٥٢) وقال: حسن، والحاكم (٥٦٥/١، رقم ١٤٧٨) ، والبيهقى (١٣/٧، رقم ١٢٩٣٤) . وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ٣٠٠، رقم ٢٢٧١) ، وعبد الرزاق (١١٠/٤، رقم ٧١٥٥) ، والدارمى (٤٧٢/١، رقم ١٦٣٩) ، وابن الجارود (ص ٩٩، رقم ٣٦٣) .
حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٣٨٩/٢، رقم ٩٠٤٩) ، والنسائى (٩٩/٥، رقم ٢٥٩٧) ، وابن ماجه (٥٨٩/١، رقم ١٨٣٩) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٣٢٣/٧، رقم ٣٦٥٠٧) ، وابن خزيمة (٧٨/٤، رقم ٢٣٨٧) ، وأبو يعلى
(٦٢/١١، رقم ٦١٩٩) ، وابن حبان (١٨٧/٨، رقم ٣٣٩٤) ، والدارقطنى (١١٨/٢) ، والحاكم (٥٦٥/١، رقم ١٤٧٧) .
حديث جابر: أخرجه الخطيب (٣١٩/١١) .
حديث ابن أبى بكر: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٩١/٣) . وأخرجه أيضا: البزار (٢٣٨/٦، رقم ٢٢٧١) . قال الهيثمى (٩١/٣) : فيه ابن لهيعة وفيه كلام.
حديث حبشى: أخرجه أيضا: الطبرانى (١٤/٤، رقم ٣٥٠٤) .
ومن غريب الحديث: "لذى مرة": أي: صاحب قوة.

(٧) تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢-٥٠٠.

(٨) إعراب القرآن: ١٧٩/٤.

(٩) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.

(١١) تفسير عبدالرزاق(٣٠٢٤):ص٢٤٩/٣.

(١٢) تفسير إسحاق البستي(١١٧٠):ص٤٥٧/٢.

عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلة- أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود-:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله :{وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى}"[1].

وفي قوله تعالى:{فَاسْتَوَى(٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} [النجم : ٦-٧]، قولان:

أحدهما: انه جبريل-عليه السلام-. وهذا قول ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وقتادة[4]، والربيع[5]، وعلقمة[6]، ومرة بن شراحيل[7]، وأكثر أهل التفسير[8].

الثاني: معناه: فاستوى هذا الشديد القويّ-جبريل- وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى. وهذا قول الفراء[9]، والطبري[10].

قال الطبري:" وذلك لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله: "وَهُوَ" على ما في قوله: "فاسْتَوَى" من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلان، وقلَّما يقولون استوى وفلان، وذكر الفرّاء عن بعض العرب أنه أنشده[11]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عودُهُ ... وَلا يَسْتَوِي والخِرْوَعُ المُتَقَصِّفُ

فرد الخروع على «ما» في يستوي من ذكر النبع، ومنه قوله الله: {أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا}، فعطف بالآباء على المكنّى في {كنَّا} من غير إظهار نحن، فكذلك قوله: {فَاسْتَوَى وَهُو}"[12].

قال ابن كثير:" وقد قال ابن جرير هاهنا قولا لم أره لغيره[13]، ولا حكاه هو عن أحد، وحاصله : أنه ذهب إلى أن المعنى :{فَاسْتَوَى}، أي : هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم {بِالأُفُقِ الأَعْلَى}، أي : استويا جميعا بالأفق، وذلك ليلة الإسراء كذا قال، ولم يوافقه أحد على ذلك. ثم شرع يوجه ما قال من حيث العربية...وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك ؛ فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الأرض، فهبط عليه جبريل، عليه السلام، وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٦) حكاه عنه السمعاني في "التفسير": ٢٨٥/٥.

(٧) حكاه عنه السمعاني في "التفسير": ٢٨٥/٥.

(٨) حكاه السمعاني في التفسير: ٢٨٥/٥، وانظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٠/٤.

(٩)انظر: معاني الفراء ٣/ ٩٥، وحكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ١٨٠/٤. وضعفه.

قال الفراء:" قوله عز وجل: {فاستوى}، استوى هو وجبريل بالأفق الأعلى لما أسري به، وهو مطلع الشمس الأعلى، فأضمر الاسم في- استوى، ورد عليه هو، وأكثر كلام العرب أن يقولوا: استوى هو وأبوه- ولا يكادون يقولون: - استوى وأبوه، وهو جائز، لأن في الفعل مضمرا: أنشدني بعضهم:

ألم تر أن النبع يخلق عوده ... ولا يستوي والخروع المتقصف[غير منسوب]

وقال الله تبارك وتعالى- وهو أصدق قيلا- {أإذا كنا ترابا وآباؤنا} فرد الآباء على المضمر في «كنا» إلا أنه حسن لما حيل بينهما بالتراب. والكلام: أئذا كنا ترابا نحن وآباؤنا".

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٢.

(١١)انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٩٥، وفيه:«يخلق عوده»، وانظر: أساس البلاغة «قصف»، و"تفسير القرطبي" ١٧/ ٨٥، ولم أجد البيت منسوبًا.

والمتقصف: المتكسر.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٢.

(١٣) القول للفراء، انظر: معاني القراء: ٩٥/٣.

جاءه جبريل، عليه السلام، أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة «اقرأ»، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليتردى من رؤوس الجبال، فكلما هَمّ بذلك ناداه جبريل من الهواء : «يا محمد، أنت رسول الله حقا، وأنا جبريل»[١]. فيسكن لذلك جأشه، وتقر عينه، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها، حتى تَبَدّى له جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سد عُظْم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله، عز وجل، ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة المَلَك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قَدْره، وعلوّ مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه"[٢].

قال النحاس:" {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} في موضع الحال، أي: فاستوى عاليا، هذا قول من تجب به الحجّة من العلماء، والمعنى عليه، والإعراب يقويه. وزعم الفراء، أن المعنى: فاستوى محمد صلّى الله عليه وسلّم وجبريل عليه السلام، فجعل {وهو} كناية عن جبرائيل عليه السلام وعطف به على المضمر.

قال أبو جعفر النحاس: في هذا من الخطأ ما لاحقا به عطف على مضمر مرفوع لا علامة له ومثله مررت بزيد جالسا وعمرو، ويعطف به على المضمر المرفوع. وهذا ممنوع من الكلام حتّى يؤكّد المضمر أو يطول الكلام ثم شبّهه بقوله: {أَإِذا كُنَّا تُراباً وَآباؤُنا} [النمل: ٦٧] وهذا التشبيه غلط من جهتين، إحداهما أنه قد طال الكلام هاهنا وقام المفعول به مقام التوكيد. والجهة الأخرى أنّ النون والألف قد عطف عليهما هاهنا، وقولك: قمنا وزيد أسهل من قولك: قام وزيد، وأيضا فليس المعنى على ما ذكر"[٣].

وحكي السمعاني عن الحسن البصري في قوله: {فاستوى}: "أنه الله تعالى"[٤]. ثم قال:" والأصح هو الأول"[٥].

قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى} [النجم : ٨]، أي:" ثم اقترب جبريل من محمد وزاد في القرب منه"[٦].

قال الطبري: يقول:" ثم دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه"[٧].

قال ابن قتيبة:" أي: تدلى فدنا، لأنّه تدلّى للدّنوّ، ودنا بالتّدلّي"[٨].

قال سهل:" يعني: قرباً بعد قرب"[٩].

وفي قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى} [النجم : ٨]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أنه جبريل، قاله الحسن[١٠]، وقتادة[١١]، والربيع[١٢].

الثاني : ما روي عن مجاهد، في قوله: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}- قال:" حيث الوتر من القوس، الله من جبريل"[١٣].

الثالث: ثم دنا الربّ من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى، قاله ابن عباس[١٤].

---

(١) أخبار مكة للفاكهي(٢٤٢٠):ص٥٤/٤، والشريعة للآجري(٩٧١):ص١٤٣٨/٣.
(٢) تفسيرابن كثير: ٤٤٤/٧.
(٣) إعراب القرآن: ١٨٠/٤.
(٤) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨٥/٥.
(٥) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨٥/٥.
(٦) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٧) تفسير الطبري: ٥٠١/٢٢.
(٨) غريب القرآن: ١٢٢.
(٩) تفسير التستري: ١٥٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢.
(١٣) تفسير إسحاق البستي(١١٧٢):ص٤٥٨/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢.

عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه عرج جبرائيل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار ربّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما شاء، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كلّ يوم وليلة، وذكر الحديث"(١).

قوله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم : ٩]، أي:" فكان منه على مقدار قوسين أو أقل"(٢).

قال ابن كثير:" أي : فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أي : بقدرهما إذا مُدّا، وقد قيل : إن المراد بذلك بُعدُ ما بين وتر القوس إلى كبدها، وقوله :{أَوْ أَدْنَى} قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه، كقوله :{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة : ٧٤]، أي : ما هي بأليين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة. وكذا قوله :{يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} [النساء : ٧٧]، وقوله :{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات : ١٤٧]، أي : ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة، أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد، فإن هذا ممتنع هاهنا، وهكذا هذه الآية :{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}"(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم : ٩]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الذي دنا فكان قاب قوسين جبريل من محمد –صلى الله عيه وسلم-. هو قول أم المؤمنين عائشة(٤)، وابن مسعود(٥)، وأبي ذر(٦)، وأبي هريرة(٧)، وبه قال الحسن(٨)، وقتادة(٩)، والربيع(١٠).

قال الطبري:" يقول: فكان جبرائيل من محمد صلى الله عليه وسلم على قدر قوسين، أو أدنى من ذلك، يعني: أو أقرب منه"(١١).

عن عبدالله بن مسعود في قوله: "{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}، قال: رأى جبرائيل ست مئة جناح في صورته"(١٢).

قال عبدالله بن مسعود:" رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام له ستّ مئة جناح"(١٣).

عن عبد الله بن مسعود :"{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض"(١٤).

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٢.
(٢) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٧-٤٤٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٢.
(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٤٧/٧.
(٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٤٧/٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣، والتفسير البسيط للواحدي: ٢٠/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣، والتفسير البسيط للواحدي: ٢٠/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، والتفسير البسيط للواحدي: ٢٠/٢١.
(١١) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٢.
(١٣) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٢-٥٠٩.

عن عروة، عن عائشة، قالت: "كان أوّل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى في منامه جبريل عليه السلام بأجياد، ثم إنه خرج ليقضي حاجته، فصرخ به جبريل: يا محمد; فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا فلم ير شيئا ثلاثا; ثم خرج فرآه، فدخل في الناس، ثم خرج، أو قال: ثم نظر "أنا أشك"، فرآه، فذلك قوله: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} ... إلى قوله: {فَتَدَلَّى} جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}، يقول: القاب: نصف الأصبع. وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما"[١].

عن مسروق، قال: "قلت لعائشة: ما قوله {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}، فقالت: إنما ذلك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرّة في صورته، فسدّ أفق السماء"[٢].

الثاني: أنه جبريل من ربه. قاله مجاهد[٣].

الثالث: أنه محمد -صلى الله عليه وسلم- من ربه ، قاله محمد بن كعب[٤].

عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك؟ قال: "لَمْ أَرَهُ بعَيْني، ورأيتُهُ بفُؤَادي مَرَّتَيْن"، ثم تلا :{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}"[٥].

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لمَّا عُرِجَ بي، مَضَى جِبْرِيل حتى جاءَ الجَنَّة، قالَ: فَدَخَلْتُ فأُعْطيتُ الكَوْثَر، ثُمَّ مَضَى حتى جاءَ السِّدْرَةَ المُنْتَهَى، فَدَنَا رَبُّكَ فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى"[٦].

قوله تعالى: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم : ١٠]، أي:" فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحى إليه من أوامر الله عَزَّ وَجَل"[٧].

وفي قوله تعالى: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم : ١٠]، قولان:

أحدهما : أنه جبريل عليه السلام أوحى إليه ما يوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قالته عائشة[٨]، والحسن[٩]، وقتادة[١٠]، والربيع[١١]، وابن زيد[١٢].

قال ابن زيد:" أوحى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إليه"[١٣].

قال الربيع:" على لسان جبريل"[١٤].

الثاني : أنه محمد -صلى الله عليه وسلم -أوحي إليه على لسان جبريل ، قاله ابن عباس[١٥]، والسدي[١٦].

قال ابن عباس:" عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه"[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٢-٥٠٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٢.
(٧) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٢-٥٠٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٩٣/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٩٣/٥.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٢.

قال ابن كثير:" وكلا المعنيين صحيح"[١].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأوحى جبريل إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه، لأن افتتاح الكلام جرى في أوّل السورة بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جبريل عليه السلام، وقوله {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} في سياق ذلك ولم يأت ما يدلّ على انصراف الخبر عنهما، فيوجه ذلك إلى ما صرف إليه"[٢].

قوله تعالى: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم : ١١]، أي:" ما كذب قلب محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل الحقيقية"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما كذب فؤاد محمد محمدا الذي رأى، ولكنه صدّقه"[٤].

وفي الذي رأى خمسة، أقوال :

أحدها : رأى ربه بعينه، وهو قول منسوب إلى ابن عباس[٥]، وأنس[٦]، والحسن[٧]، وعكرمة[٨]، والربيع[٩].

روى عن ابن عباس، من طرق لا تحصى كثرة، قال: "رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه"[١٠].

عن عكرمة قال: "سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه؟ قال: نعم. قال: فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} [الأنعام: ١٠٣] ؟ قال: لا أم لك, ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء"[١١].

عن أبي إسحاق عمّن سمع ابن عباس، يقول: "{ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى}، قال: رأى محمد ربّه"[١٢].

عن المبارك بن فضالة، قال:" كان الحسن يحلف بالله عز وجل لقد رأى محمد ربّه"[١٣].

عن ابن منصور، قال: "سألت عكرمة، عن قوله: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، قال: أتريد أن أقول لك قد رآه، نعم قد رآه، ثم قد رآه، ثم قد رآه حتى ينقطع النفس"[١٤].

عن عيسى بن عبيد، قال: "سمعت عكرمة، وسُئل هل رأى محمد ربه، قال نعم، قد رأى ربه"[١٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(٣) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(٥) انظر: سنن الترمذي(٣٢٧٩):ص٣٩٥/٥، والكشف والبيان: ١٤٠/٩، والنكت والعيون: ٣٩٤/٥.
(٦) انظر: تفسير البغوي: ٤٠٣/٧.
(٧) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٢.
(٩) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(١٠)أخرجه ابن أبي عاصم في السنة "١/ ١٨٩/ ح٤٣٥" وابن خزيمة في التوحيد "ص١٩٨" والحاكم في المستدرك "١/ ٦٥" وإسناده صحيح.
(١١)أخرجه الترمذي(٣٢٧٩):ص٣٩٥/٥، في التفسير، باب ومن سورة النجم، وقال: هذا حديث حسن غريب وابن خزيمة في التوحيد "ص١٩٨" وابن أبي عاصم في السنة "١/ ١٩٠/ ح٤٣٧". وأخرجه ابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه واللالكائي في السنة كما في الدر المنثور "٣/ ٣٣٥" وفي إسناده الحكم بن إبان قال الحافظ عنه: صدوق عابد وله أوهام.
(١٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(١٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٢.

قال ابن عباس:" إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلَّة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدا بالرؤية صلوات الله عليهم"[١].

عن عبد الله بن الحرث قال: "اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس: أمّا نحن بنو هاشم فنقول: إنّ محمدا رأى ربّه مرتين، وقال ابن عباس يحبّون أن تكون الخلّة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد. قال: فكبّر كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال: إن الله سبحانه قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليه السلام، فكلّمه موسى ورآه محمد"[٢].

قال ابن كثير:" ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة، رضي الله عنهم، وقولُ البغوي في تفسيره : «وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسنُ وعكرمة»[٣]. فيه نظر، والله أعلم"[٤].

الثاني : أنه رآه في المنام ، قاله السدي[٥].

الثالث :أنه رآه بقلبه. قاله أبو ذر[٦]، وابن عباس أيضا[٧]، وعكرمة[٨]، والربيع[٩]، ورواه ابن الحنفية عن أبيه[١٠].

عن أبي ذر قال: "رآه بقلبه، ولم يره بعينه"[١١].

عن عطاء، عن ابن عباس، قال: «رآه بقلبه»[١٢].

عن أبي صالح: "{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، قال: رآه مرّتين بفؤاده"[١٣].

عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك؟ قال: «لَمْ أَرَهُ بعَيْني، ورأيتُهُ بفُؤَادي مَرَّتَيْن»، ثم تلا: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}"[١٤].

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رَأَيْتُ ربِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ لي: يا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأ الأعْلَى؟ فَقُلْتُ: لا يا رَبّ فَوضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْت ما في السَّماء والأرض، فَقُلْتُ: يا رَبِّ فِي الدَّرَجَاتِ والكَفَّارَاتِ وَنَقْلِ الأقْدَامِ إلى الجُمُعات، وَانْتَظارِ الصَّلاة بعْد الصَّلاة، فَقُلْتُ: يَا رَبّ إنَّكَ اتَّخَذْتَ إبْراهيم خَلِيلا وكَلَّمْتَ مُوسَى تَكليما، وفَعَلْتَ وفَعَلْتَ؟ فقال: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أضَعْ عَنْك وِزْرَكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ؟ ألم أفْعَلْ. قال: "فَأفْضَى إليَّ بأشْيَاءَ لَمْ يُؤذَنْ لي أنْ أُحَدّثكُمُوها; قال: فَذلكَ قَوْلُهُ فِي كِتَابِهِ يُحدّثُكُمُوهُ: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}،"فَجَعَل نُورَ بَصَرِي فِي فُؤَادِي، فَنَظَرْتُ إلَيْهِ بفُؤَادِي"[١٥].

الرابع : أنه رأى جلاله، قاله الحسن[١٦]، ومجاهد[١٧]، ورواه عكرمة عن ابن عباس[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٢.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤١/٩.
(٣)انظر: تفسير البغوي :٤٠٣/٧.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٧.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٩٤/٥.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٩):ص٣٣١٩/١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٢. وانظر: صحيح مسلم برقم (١٧٦):ص١٥٨/١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٢.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٩):ص٣٣١٩/١٠.
(١٢) صحيح مسلم(١٧٦):ص١٥٨/١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٢.
(١٤)أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور "٧/ ٦٤٨" وابن أبي حاتم "ابن كثير ٤/ ٢٦٨" والطبري:٥٠٥/٢٢، وإسناده ضعيف. فيه محمد بن حميد الرازي وهو متهم. وموسى بن عبيدة وهو ضعيف.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٢-٥٠٨.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٦٩٧):ص٣٣١٨/١٠-٣٣١٩، وانظر: النكت والعيون: ٣٩٤/٥.
(١٧) انظر: الكشف والبيان: ١٤١/٩.

عباد بن منصور قال: "سألت عكرمة: {ما كذب الفؤاد ما رأى}، فقال: عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم، قال: قد رآه، ثم قد رآه. قال: فسألت عنه الحسن، فقال: رأى جلاله وعظمته ورداءه"[٢].

عن أبي العالية قال: "سئل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهرا، ورأيت وراء النهر حجابا، ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك»"[٣].

عن عبد الله بن شقيق، قال: "قلت لأبي ذر، لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت، فقال: «رأيت نورا»[٤]. وفي رواية: «قد رأيت نورا، أنى أراه؟»[٥].

الخامس : أنه رأى جبريل على صورته مرتين ، قاله ابن مسعود[٦]، وقتادة[٧].

عن عبد الله: "{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض"[٨].

عن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، لَهُ سِتُّ مِئَة جنَاح، يَنْفضُ مِنْ رِيشهِ التَّهاويلَ الدُّرَّ والياقُوتَ"[٩].

عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى لَهُ سِتُّ مِئَة جنَاح" زاد الرفاعيّ في حديثه، فسألت عاصما عن الأجنحة، فلم يخبرني، فسألت أصحابي، فقالوا: كلّ جناح ما بين المشرق والمغرب"[١٠].

قال قتادة:" رأى جبريل في صورته التي هي صورته، قال: وهو الذي رآه نزلة أخرى"[١١].

قال الشعبي: "فأخبرني مسروق أنّه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد صلّى الله عليه وسلّم ربّه تعالى قط؟، قالت: إنك لتقول قولا، إنّه ليقف منه شعري، قال: قلت: رويدا فقرأت عليها: {وَالنَّجْمِ إذا هَوى حتى قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى}، فقالت: رويدا، أين يذهب بك؟ إنّما رأى جبريل في صورته. من حدّثك أن محمدا رأى ربّه فقد كذب، والله عز وجل يقول: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ}، ومن حدّثك أنّه يعلم الخمس من الغيب فقد كذب، والله سبحانه يقول: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} الآية، ومن حدّثك أنّ محمدا كتم شيئا من الوحي فقد كذب، والله عز وجلّ يقول: {بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} الآية"[١٢]. قال عبد الرزاق: "فذكرت هذا الحديث لعمر، فقال: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس"[١٣].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٤١/٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٧):ص٣٣١٨/١٠-٣٣١٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٨)ص:٣٣١٩/١٠، ورواه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦٤٨/٧) وهو مرسل. قال ابن كثير: ٤٥٠/٧:" غريب جدا".

(٤) صحيح مسلم(١٧٨):ص١٦١/١.

(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤١/٩.

قال ابن خزيمة في قوله: " نور أنى أراه": هذا يحتمل معنيين على سعة لسان العرب: أحدهما الإثبات ومعناه إني أراه, أو كيف أراه فهو نور أو فإن ما أرى نور. ويؤيد هذا رواية "رأيت نورا". المعنى الثاني النفي قال: والعرب قد تقول "أنى" على معنى النفي كقوله عز وجل: {قالوا أنى يكون له الملك علينا} [البقرة: ٢٤٧] الآية, يريدون كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه".[ابن خزيمة "ص٢٠٨"]

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٢-٥٠٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٢.

(١٢) الكشف والبيان: ١٤١/٩.

(١٣) الكشف والبيان: ١٤١/٩.

القرآن

{أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)} [النجم : ١٢-١٨]

التفسير:

أتُكذِّبون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؟ ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى -شجرة نَبْق- وهي في السماء السابعة، ينتهي إليها ما يُعْرَج به من الأرض، وينتهي إليها ما يُهْبَط به من فوقها، عندها جنة المأوى التي وُعِد بها المتقون. إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم على صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يمينًا ولا شمالا ولا جاوز ما أُمِر برؤيته. لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك.

قوله تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى} [النجم : ١٢]، أي:" أتُكذِّبون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؟"[١].

قال الطبري: يقول :" أفتجادلون أيها المشركون محمدا على ما يرى مما أراه الله من آياته"[٢].

وفي قوله تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ} [النجم : ١٢]، قراءتان[٣]:

إحداهما: «أَفَتَمْرُونَهُ»، بفتح التاء بغير ألف، قرأ بها عبد الله بن مسعود وعامة أصحابه، وهي قراءة حمزة والكسائي والمفضل وخلف ويعقوب، ووجهوا تفسيره إلى: أفتجحدونه.

عن إبراهيم:" أنه كان يقرأ: «أَفَتَمْرُونَهُ»، بفتح التاء بغير ألف، يقول: أفتجحدونه; ومن قرأ: {أَفَتُمَارُونَهُ}، قال: أفتجادلونه"[٤].

الثانية :{أَفَتُمَارُونَهُ}، بضم التاء والألف، بمعنى: أفتجادلونه. وهي قراءة عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} [النجم : ١٣-١٤]، أي:" ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش"[٥].

قال الطبري: يقول :" يقول: لقد رآه مرّة أخرى، عن سدرة المنتهى، والسدرة: شجرة النبق"[٦].

واختلف أهل التفسير في الذي رأى محمد نزلة أخرى نحو اختلافهم في قوله: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، وفيه قولين:

أحدهما: أنه رأى جبريل في صورته مرّتين. قالته أم المؤمنين عائشة[٧]، وابن مسعود[٨]، وأبو هريرة[٩]، ومجاهد[١٠]، والربيع[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٢) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١٠/٢٢، وزاد المسير: ١٨٦/٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٢.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٦، وصفوة التفاسير: ٢٥٦/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٢، ٥١٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١١/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.
(٩) انظر: صحيح مسلم(١٧٥):ص١٥٨/١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٢.

عن مسروق، عن عائشة، أن عائشة قالت: يا أبا عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله; قال: وكنت متكئا، فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: {وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى، وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ}، قال: إنما هو جبريل رآه مرّة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أوّل من سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، قال "هو جبريل عليه السلام"[١].

عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن كعب أنه أخبره أن الله تباك وتعالى قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلّمه موسى مرّتين، ورآه محمد مرّتين، قال: فأتى مسروق عائشة، فقال: يا أمّ المؤمنين، هل رأى محمد ربه، فقالت: سبحان الله لقد قفّ شعري لما قلت: أين أنت من ثلاثة من حدّثك بهنّ فقد كذب، من أخبرك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، ومن أخبرك ما في غد فقد كذب، ثم تلت آخر سورة لقمان: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}، ومن أخبرك أن محمدا كتم شيئا من الوحي فقد كذب، ثم قرأت: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} قالت: ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرّتين"[٢].

عن ابن مسعود: "{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى}، قال: رأى جبريل في رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض"[٣].

قال ابن مسعود:" رأى جبريل في وبر رجليه كالدرّ، مثل القطر على البقل"[٤].

عن مجاهد: "{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى}، قال: رأى جبريل في صورته مرّتين"[٥].

عن أبي هريرة :"{ولقد رآه نزلة أخرى} [النجم: ١٣]، قال: «رأى جبريل»[٦].

عن الربيع: "{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى}، قال: جبريل عليه السلام"[٧].

الثاني: أنه رأى ربه عزّ وجلّ. قاله ابن عباس[٨].

وروي عن العَوّام بن حَوْشَب -من طريق هشيم- في قوله: {ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى}، قال: رآه بقلبه، ولم يره ببصره"[٩].

عن ابن عباس، في قول الله: "{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}، قال: دنا ربه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى; قال: قال ابن عباس قد رآه النبيّ صلى الله عليه وسلم"[١٠].

عن ابن عباس أنه قال:" {وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى}، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه، فقال له رجل عند ذلك: أليس {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}؟ قال له عكرمة: أليس ترى السماء؟ قال: بلى، أفكلها ترى؟"[١١].

وفي سبب تسميتها سدرة المنتهى، وجوه :

---

(١) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٢-٥١٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.
(٦) صحيح مسلم(١٧٥):ص١٥٨/١.
(٧) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٣/٢٢.
(٩)ذيل صحيح ابن خزيمة (٢٣٥) رقم (٢٣٤/ ٣٣١٣). وعزاه إلى إتحاف المهرة لابن حجر ١٨/ ٤٢٨ (٢٣٨٨٢) مع أن ابن حجر عزاه لكتاب التوحيد لابن خزيمة.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٢.

أحدها : لأنه ينتهي علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه إلا الله، قاله كعب[١]، وابن عباس[٢].

قال سهل:" هي شجرة ينتهي إليها علم كل أحد"[٣].

عن الأجلح، قال: "قلت للضحاك: لِم تسمى سدرة المنتهى؟ قال: لأنه ينتهي إليها كلّ شيء من أمر الله لا يعدوها"[٤].

قال مقاتل:" وإنما سميت المنتهى، لأنها ينتهي إليها علم كل ملك مخلوق، ولا يعلم ما وراءها أحد إلا الله- عز وجل- كل ورقة منها تظل أمة من الأمم على كل ورقة منها ملك يذكر الله- عز وجل- ولو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض نورا تحمل لهم الحلل والثمار من جميع الألوان، ولو أن رجلا ركب حقة فطاف على ساقها ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم وهي طوبى التي ذكر الله - تعالى- في كتابه: {طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرعد ٢٩]، ينبع من ساق السدرة عينان أحدهما السلسبيل، والأخرى الكوثر فينفجر من الكوثر أربعة أنهار التي ذكر الله- تعالى- في سورة محمد[٥] - صلى الله عليه وسلم- الماء واللبن والعسل والخمر"[٦].

عن شمر، قال: "جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له حدثني عن قول الله: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش، إليها ينتهي علم كلّ عالم، مَلك مقرّب، أو نبيّ مرسل، ما خلفها غيب، لا يعلمه إلا الله"[٧].

عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبا، عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة على رءوس حملة العرش، وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرة المنتهى، لانتهاء العلم إليها"[٨].

الثاني : لأنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها ، قاله ابن مسعود[٩].

عن عبد الله، قال: "لما أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي من يعرج من الأرض أو من تحتها، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها، فيقبض فيها"[١٠].

الثالث : لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومنهاجه ، قاله الربيع بن أنس[١١].

قال الربيع:" إليها ينتهي كلّ أحد، خلا على سنة أحمد، فلذلك سميت المنتهى"[١٢].

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هُريرة، أو غيره "شكّ أبو جعفر الرازيّ" قال: "لما أُسري بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك"[١٣].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرة الانتهاء. وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى: لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها، كما قال كعب. وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاء ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٣/٢٢-٥١٤.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٤٩/٧. وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.
(٣) تفسير التستري: ١٥٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٢. انظر: والدر المنثور: ٦٥٠/٧. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد.
(٥)سورة محمد: ١٥.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٠/٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٢-٥١٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥١٤/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٤/٢٢-٥١٥.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٢-٥١٥.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٢.

إليها، كما روي عن عبد الله. وجائز أن يكون قيل ذلك كذلك لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها. وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصحّ من القول الذي قال ربنا جَلَّ جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى. وبالذي قلنا في أنها شجرة النبق تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أهل العلم"[١].

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انْتَهَيْتُ إلَى السِّدْرَة فإذَا نَبْقَها مثْلُ الجرار، وإذَا وَرَقُها مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ فَلَمَّا غَشيهَا مِنْ أمر اللهِ ما غَشيهَا، تَحَوَّلَتْ ياقُوتا وَزُمُرَّدًا وَنَحْوَ ذلكَ"[٢].

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا انْتَهَيْتُ إلى السَّماءِ السَّابِعَة أتَيْتُ عَلى إبْرَاهيمَ فَقُلْتُ: يا جبْريلُ مَنْ هَذا؟ قال: هَذا أبُوكَ إبْراهِيمُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبَا بالابن الصَّالح والنَّبيّ الصَّالِح، قال: ثُمَّ رُفِعَتْ لي سِدرَةُ المُنْتَهَى فحدّث نبيّ الله أنّ نبقها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفِيلة"[٣].

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رَكِبْتُ البُرَاقَ ثُمَّ ذُهِبَ بي إلى سدْرَة المُنتهَى، فَإذَا وَرَقُها كآذَانِ الفِيلَةِ، وإذَا ثمَرُها كالقلال ; قال: فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ الله ما غَشيَها تَغَيَّرتْ، فَمَا أحَدٌ يَسْتَطيعُ أنْ يصِفَها مِنْ حُسْنها[٤]، قال: فأوْحَى اللهُ إليّ ما أوْحَى"[٥].

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره "شكّ أبو جعفر الرازيّ" قال: "لما أُسريَ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمة كلها"[٦].

عن ابن مسعود: "{سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}، قال: من صُبْر الجنة[٧]، عليها أو عليه فضول السندس والإستبرق، أو جعل عليها فضول"[٨].

عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر سدرة المنتهى، فقال: يَسيرُ في ظِلِّ الْفَنَن مِنْها مِئَةُ رَاكِبٍ، أو قال: يَسْتَظلُّ فِي الفَنَنِ مِنْها مِئَةُ رَاكِبٍ"،- شكّ يحيى -"فِيها فَراشُ الذَّهَبِ، كانَّ ثمرها القِلال"[٩].

عن الربيع، عن سدرة المنتهى، قال: "السدرة: شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، وإن ورقة منها غَشَّت الأمَّة كلها"[١٠].

عن قتادة، في قوله: "{عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رُفِعتْ لي سدْرَةُ مُنْتهَاها فِي السَّماءِ السَّابِعَة، نَبْقُها مِثْلُ قِلال هَجرٍ، وَوَرَقُها مِثْلُ آذان الفيلة، يَخْرُجُ مِنْ سَاقِها نَهْران ظاهِران، ونَهْران باطِنان، قال: قُلْتُ لجِبْريلَ ما هَذان النَّهْرَان أرْوَاحٌ [١١] قال: أمَّا النَّهْرَان الباطِنان، فَفِي الجَنَّة، وأمَّا النَّهْرَان الظَّاهرَان: فالنِّيلُ والفراتُ""[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٢.
(٣) أخرجه اطبري: ٥١٥/٢٢-٥١٦.
(٤) وفي رواية : حتى ما أسْتَطِيعُ أنْ أصِفَها".[تفسير الطبري: ٥١٦/٢٢].
(٥) أخرجه اطبري: ٥١٦/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٢-٥١٧.
(٧)يعني: وسطها.[تفسير الطبري: ٥١٧/٢٢]
(٨) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢٢.
(١١) قال المحقق:" كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية (ج ٢٢: ٥٩ ب) ولعل الكلمة محرفة، أو لعلها زائدة من قلم الناسخ".
(١٢) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢٢-٥١٨.

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لما عرج بي إلى السماء رفعت إلى سدرة المنتهى، فرأيت عندها نورا عظيما، وإذا ورقها مثل آذان الفيول، وإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات"[١].

قال مقاتل:" أغصانها اللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وهي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة العليا"[٢].

قوله تعالى: {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} [النجم : ١٥]، أي:" عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء"[٤].

عن أبي إسحاق الشيباني قال: "سئل زر بن حبيش، وأنا أسمع: عندها جنة المأوى، أو جنة المأوى، فقال: جنة من الجنان"[٥].

وفي قوله تعالى: {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} [النجم : ١٥]، وجهان:

أحدهما : جنة المبيت والإقامة ، قاله علي[٦]، وأبو هريرة [٧].

الثاني : أنها منزل الشهداء، وهي في يمين العرش. قاله ابن عباس[٨]، وقتادة[٩].

قال مقاتل:" تأوى إليها أرواح الشهداء أحياء يرزقون"[١٠].

وقال ابن عباس:" هو كقوله: {فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نزلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}"[١١].

وقال ابن عباس: "هي جنة يأوي إليها جبريل والملائكة"[١٢].

وقال الحسن: "هي التي يصير إليها أهل الجنة"[١٣].

قوله تعالى: {إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم : ١٦]، أي:" إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل"[١٤].

وفي قوله تعالى: {إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم : ١٦]، وجوه:

أحدها : أن الذي يغشاها فراش من ذهب ، قاله ابن مسعود[١٥]، ومسروق[١٦]، ومجاهد[١٧]، وإبراهيم[١٨]، ورواه ابن مسعود مرفوعاً[١٩].

عن ابن عباس، قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "رأيتُها بعَيْني سِدْرَةَ المُنْتَهَى حتى اسْتَثْبَتُّها ثُمَّ حالَ دُونَها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ"[٢٠].

---

(١) تفسير مجاهد: ٦٢٦.
(٢) تفسير مقات بن سليمان: ١٦٠/٤.
(٣) صفوة التفاسير: ٢٥٦/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٥١٨/٢٢.
(٥) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٩٧/٣.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٩٦/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٩٦/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨/٢٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٠/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٢.
(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٨٧/٤. بدون سند.
(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٨٧/٤. بدون سند.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٢.

عن يعقوب بن زيد، قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما رأيتَ يغشى السِّدرة؟ قال: رَأَيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ"[١].

قال ابن زيد:" قيل له: يا رسولَ الله، أيّ شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: رَأَيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، ورأيْتُ على كُلّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِها مَلَكا قائما يُسَبِّحُ الله"[٢].

الثاني : أنهم الملائكة، قاله ابن عباس[٣].

الثالث : أنه نور رب العزة ، قاله ابن عباس-أيضا-[٤]، والضحاك[٥]، والربيع[٦].

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره -شكّ أبو جعفر-، قال: لما أُسري بالنبيّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة، قال: فغشيها نور الخَلاق، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سَلْ"[٧].

قال ابن عباس:" غشيها الله، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى"[٨].

قال الربيع:" غشيها نور الربّ، وغشيتها الملائكة من حُبّ الله مثل الغربان حين يقعن على الشجر"[٩].

وقال مجاهد:" كان أغصان السدرة لؤلؤًا وياقوتا أو زبرجدا، فرآها محمد، ورأى محمد بقلبه ربه"[١٠].

قال الماوردي: "فإن قيل لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر ؟ قيل : لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف : ظل مديد ، وطعم لذيذ ، ورائحة ذكية ، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية ، فظلها بمنزلة العمل لتجاوزه ، وطعمها بمنزلة النية لكمونه ، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره"[١١].

قوله تعالى: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم : ١٧]، أي:" وكان النبي صلى الله عليه وسلم على صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يمينًا ولا شمالا ولا جاوز ما أُمِر برؤيته"[١٢].

قال الطبري: يقول: " ما مال بصر محمد يَعْدِل يمينا وشمالا عما رأى، أي ولا جاوز ما أمر به قطعا، يقول: فارتفع عن الحدّ الذي حُدّ له"[١٣].

قال ابن عباس:" : ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا طغى، ولا جاوز ما أُمر به"[١٤].

قال ابن عباس:" ما زاغ: ذهب يمينا ولا شمالا ولا طغى: ما جاوز"[١٥].

قال ابن كثير:" وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطي. وما أحسن ما قال الناظم :

رأى جَنَّةَ المَأوَى وَمَا فَوْقَها، ولَو... رَأى غَيرُهُ ما قَد رَآه لتَاهَا"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٩٦/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٩٦/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(١١) النكت والعيون: ٣٩٦/٥.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(١٣) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٢.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٤٥٤/٧.

عن محمد بن كعب القرظي :"{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}، قال: رأى جبرائيل في صورة المَلَك"[١].

إن قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة، ففي قوله تعالى: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم : ١٧]، وجهان[٢]:

أحدهما: أنه صلّى الله عليه وسلّم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولا يشتغل بغير مطالعة ذلك النور.

الثاني: ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله: {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف : ١٤٣]، وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلّى الله عليه وسلّم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الأقدام وتميل فيه الأبصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلّى الله عليه وسلّم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى.

قال سهل:" ما مال إلى شواهد نفسه ولا إلى مشاهدتها، وإنما كان مشاهداً بكليته ربه تعالى، شاهداً ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبات في ذلك المحل"[٣].

قال القشيري:" ما مال- صلوات الله عليه وسلامه- ببصره عمّا أبيح له من النظر إلى الآيات، والاعتبار بدلائلها. فما جاوز حدّه، بل راعى شروط الأدب في الحضرة"[٤].

قوله تعالى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم : ١٨]، أي:" لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك"[٥].

قال الطبري: يقول: " لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى"[٦].

واختلف أهل التفسير في تلك الآيات الكبرى، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه-عليه السلام- رأى رَفْرفا أخضر قد سدّ الأفق. قاله ابن مسعود[٧].

الثاني: رأى جبريل في صورته في السماء. قاله ابن زيد[٨].

عن ابن زيد، قوله: "{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}، قال: جبريل رآه في خلقه الذي يكون به في السموات، قدر قوسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بينه وبينه"[٩].

وقال مجاهد: "مِن نحو أجياد منسوجٌ بالدُّر والياقوت"[١٠].

الثالث : ما رآه حين نامت عيناه ونظر بفؤاده، قاله الضحاك[١١].

قال الضحاك:" رأى سِدرة المنتهى"[١٢].

قال القشيري:" هي تلك التي رآها في هذه الليلة. ويقال: هي بقاؤه في حال لقائه ربّه بوصف الصّحو، وحفظه حتى رآه"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٢.
(٢) تفسير الخازن: ٢٠٦/٤.
(٣) تفسير التستري: ١٥٦.
(٤) لطائف الإشارات: ٤٨٤/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٦) تفسير الطبري: ٥٢١/٢٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢١/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٢/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢٢.
(١٠)أخرجه الفاكهي في أخبار مكة ٤/ ١١، يعني: رؤية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجبريل.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٩٧/٥.
(١٢)تفسير الثعلبي ٩/ ١٤٤.
(١٣) لطائف الإشارات: ٤٨٤/٣.

قال الثعلبي:" قيل: المعراج، وما أري تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه. دليله قوله سبحانه: {لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنَا الْكُبْرى}"[١].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى رَبَّهُ - عزَّ وجلَّ - بقلبه، وأنه فَضْلٌ خُصَّ به كما خُصَّ إبراهيم عليه السلام بِالخُلَّة، وقيل: رأى أمراً عظيما"[٢].

قال سهل:" يعني: ما يبدي من صفاته من آياته رآها، ولم يذهب بذلك عن مشهوده، ولم يفارق مجاورة معبوده، وما زاده إلا محبة وشوقاً وقوة، أعطاه الله قوة احتمال التجلي والأنوار العظيمة، وكان ذلك تفضيلاً له على غيره من الأنبياء، ألا ترى أن موسى صعق عند التجلي، ففي الضعف جابه النبي صلى الله عليه وسلّم في مشاهدته كفاحاً ببصر قلبه، فثبت لقوة حاله وعلو مقامه ودرجته"[٣].

قال ابن كثير:" قوله :{لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}، كقوله :{لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا} [طه : ٢٣]، أي : الدالة على قدرتنا وعظمتنا. وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع ؛ لأنه قال :{لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}، ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس"[٤].

عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلة -قال محمد : أظنه عن ابن مسعود - أنه قال : "إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما مرة فإنه سأله أن يُريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسد الأفق. وأما الأخرى فإنه صَعد معه حين صعد به. وقوله :{وَهُوَ بِالأُفُقِ الأعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} قال : فلما أحسَّ جبريل ربه، عز وجل، عاد في صورته وسجد. فقوله :{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} قال : خَلْقَ جبريل عليه السلام"[٥].

فوائد الآيات: [١-١٨]:

١- تقرير النبوة لمحمد وإثباتها بما لا مجال للشك والجدال فيه.

٢- تنزيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن القول بالهوى أو صدور شيء من أفعاله أو أقواله من اتباع الهوى.

٣- وصف جبريل عليه السلام.

٤- إثبات رؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل وعلى صورته التي يكون في السماء عليها مرتين.

٥- تقرير حادثة الإسراء والمعراج وإثباتها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦- بيان حقيقة سدرة المنتهى.

القرآن

{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)} [النجم : ١٩-٢٠]

التفسير:

أفرأيتم -أيها المشركون- هذه الآلهة التي تعبدونها: اللات والعزَّى ومناة الثالثة الأخرى، هل نفعت أو ضرَّت حتى تكون شركاء لله؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللات، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة; وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤهم، فقالوا من الله اللات،

---

(١) الكشف والبيان: ١٤٤/٩.

(٢) معاني القرآن: ٧١/٥.

(٣) تفسير التستري: ١٥٦-١٥٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٥٤/٧.

(٥)المسند (٤٠٧/١). قال ابن كثير: ٤٥٤/٧: " هكذا رواه الإمام أحمد، وهو غريب".

ومن العزيز العُزَّى; وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا، فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بنات الله"[١].

قال الزجاج:" كأن المعنى - واللَّهُ أعلم - أخبرونا عن هذه الآلهة التي لكم تعبدونها من دون اللَّه - عزَّ وجلَّ - هل لها من هذه القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة - جلَّ وعزَّ – شيء"[٢].

قال ابن كثير:" كانت «اللات» صخرةً بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسَدَنة، وحوله فناء معظّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.. وأما "مناة" فكانت بالمُشَلَّل - عند قُدَيد، بين مكة والمدينة - وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويُهلّون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه[٣]. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها"[٤].

وأما «اللاّت»، فقد كان الأعمش يشددها[٥]، وسائر القراء على تخفيفها[٦]، فمن خففها فلهم فيها قولان :

أحدهما : أنه كان صنماً بالطائف زعموا أن صاحبه كان يلت عليه السويق لأصحابه ، قاله السدي[٧].

عن قتادة: "{أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى}، أما اللات، فكان بالطائف"[٨]. وفي رواية:" وكانت اللات لأهل الطائف"[٩].

قال ابن زيد:" اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش"[١٠].

الثاني : أنه صخرة يَلُتّ عليها السويق بين مكة والطائف ، قاله عكرمة[١١].

وأما من شددها فلهم فيها قولان :

أحدهما : أنه رجلاً كان يلُتُّ السَّويقَ للحاجّ، فلمّا مات عكفوا على قبره فعبدوه، قاله ابن عباس[١٢]، ومجاهد[١٣].

عن ابن عباس:" {اللاتَ وَالْعُزَّى} قال : كان اللات رجلا يلت السَّويق، سويق الحاج"[١٤].

قال مجاهد:" اللات: كان يلتّ السويق للحاجِّ"[١٥].

قال مجاهد:" كان يَلُتّ السويق للحاجِّ، فعكف على قبره"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٢٢/٢٢.
(٢) معاني القرآن: ٧٢/٥.
(٣)صحيح البخاري برقم (٤٨٦١).
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٥٥/٧-٤٥٦.
(٥) وهي قراءة ابن عباس وأبو رزين وأبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وابن السميفع ومجاهد وابن يعمر، وورش عن يعقوب. [زاد المسير: ١٨٨/٤].
(٦) انظر: تفسير اطبري: ٥٢٢/٢٢-٥٢٣، والنكت والعيون: ٣٩٨/٥، وزاد المسير: ١٨٨/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٩٧/٥.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٩) تفسير عبدالرزاق(٣٠٣٦):ص٢٥٣/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٩٧/٥.
(١٢)انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٢، وصحيح البخاري برقم (٤٨٥٩).
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(١٤)صحيح البخاري برقم (٤٨٥٩).
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.

قال مجاهد:" كان يَلْتّ السويق فمات، فعكفوا على قبره"[١].
قال مجاهد:" رجل يلتّ للمشركين السويق، فمات فعكفوا على قبره"[٢].
عن أبي صالح، في قوله: {اللاتَّ}، قال: اللاتّ: الذي كان يقوم على آلهتهم، يَلْتّ لهم السويق، وكان بالطائف"[٣].
قال الزجاج:" من قرأ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَّ وَالْعُزَّى}، بتشديد التاء فزعموا أن رَجُلًا كان يَلِتُّ السَّويق وَيَبيعُهُ عند ذلك الصنم فسمي الصنمُ اللَّاتّ - بتشديد التاء - والأكثر " اللَّاتَ " بتخفيف التاء"[٤].
الثاني : أنه كان رجلاً يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق بالطائف. قاله السدي[٥].
وقيل:" إنه عامر بن ظرب العدواني ثم اتخذوا قبره وثناً معبوداً"[٦].
قال ابن إسحاق: "وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف[٧]:
لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إنّ اللهَ مُهْلِكُهَا ... وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ ... وَلَمْ يُقَاتَلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ
إنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلَادَكُمْ ... يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ"[٨].
قال الزجاج:" وكان الكسائي يقف عليها بالهاء، يقول: «اللاه»، وهذا قياس، والأجود في هذا اتباع المصحف والوقف عليها بالتاء"[٩].
وأما «الْعُزَّى»، ففيه أقوال :
أحدها : أنه صنم كانوا يعبدونه ، قاله الضحاك[١٠]، وحكاه الماوردي عن الجمهور[١١].
قال قتادة:" كانت العزى لقريش"[١٢].
قال ابن زيد: العزّى: بيت بالطائف تعبده ثقيف"[١٣].
عن سعيد بن جُبَير، قال:"{الْعُزَّى}، حَجَرا أبيض"[١٤].
قال قتادة:" أما مناةُ فكانت بقُدَيد، آلهة كانوا يعبدونها، يعني اللات والعُزَّى ومَناة"[١٥].
الثاني : أنها شجرة لغطفان كانوا يعبدونها، قاله مجاهد[١٦].
عن مجاهد: "{وَالْعُزَّى}، قال: العُزَّى: شُجيرات"[١٧].
حكي الماوردي:" أنها شجرة كان يعلق عليها ألوان العهن تعبدها سليم، وغطفان، وجشم"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤) معاني القرآن: ٧٣/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٩٧/٥.
(٦) النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٧) الشعر لشداد بن عارض الجشمي، كما في سيرة ابن هشام: ٤٨١/٢، قاله في أبيات حين هدمت اللات وحرقت، ينهى ثقيفا عن العود إليها والغصب لها، والبيت بلا نسبة في: النكت والعيون: ٣٩٨/٥، وتفسير السمعاني: ٢٩٤/٥، وتفسير القرطبي: ١٠٠/١٧.
(٨) .سيرة ابن هشام: ٤٨١/٢-٤٨٢
(٩) معاني القرآن: ٧٣/٥.
(١٠) انظر: زاد المسير: ١٨٨/٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(١٢) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٠٣٦)ص٢٥٢/٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٢، وزاد المسير: ١٨٨/٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.

قال مقاتل : "وهي سَمُرة"[٢].
وحكي الزجاج:" أن العُزَّى سَمُرة، وهي شجرة كانت لغطفانَ يعبدونها"[٣].
وقال أبو صالح : "بل كانت نخلة يعلق عليها الستور والعهن"[٤].
قال الكلبي : "هي التي بعث إليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد حتى قطعها"[٥].

عن أبي الطُّفَيْل قال : "لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سَمُرات، فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : "ارجع فإنك لم تصنع شيئًا". فرجع خالد، فلما أبصرته السَّدَنة - وهم حَجَبتها - أمعنوا في الحِيَل وهم يقولون : "يا عزى، يا عزى". فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال : "تلك العزى"[٦].

قال ابن كثير:" كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولا عزَّى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «"قولوا : الله مولانا، ولا مولى لكم»"[٧][٨].

وقيل: في «اللات والعزى»، قول ثالث : "أنهما كانا بيتين يعبدهما المشركون في الجاهلية ، فاللات بيت كان بنخلة يعبده كفار قريش ، والعزى بيت كان بالطائف يعبده أهل مكة والطائف"[٩].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من حلف فقال في حلفه : واللات والعزى، فليقل : لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه : تعال أقامرْك، فليتصدق"[١٠].

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال : "حلفت باللات والعزى، فقال لي أصحابي : بئس ما قلت! قلت هجرا! فأتيت رسول صلى الله عليه سلم، فذكرت ذلك له، فقال : «قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وانفث عن شمالك ثلاثا، وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تعد»"[١١].

قال ابن كثير:" وهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية"[١٢].

وفي قوله تعالى:{ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى}، أربعة أقوال:
أحدها : أنه بيت كان بالمشلّل يعبده بنو كعب[١٣]. قاله ابن زيد[١٤].
الثاني : أنها أصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها. حكاه الماوردي[١].

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٢) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٩٨/٥. وحكاه الزجاج دون نسبة، انظر: معاني القرآن: ٧٢/٥. وكما سيأتي.
(٣) معاني القرآن: ٧٢/٥.
(٤) النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٥) النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم (١١٥٦٧).
(٧) صحيح البخاري(٣٠٣٩):ص٦٥/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٥٥/٧-٤٥٦.
(٩) النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(١٠) .
(١١)سنن النسائي (٨/٧).
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٧.
(١٣) قال مقاتل:" أهل الطائف عبدوا اللات، وعبد أهل مكة العزى، ومناة، وهبل، وأساف ونائلة لقبائل قريش، وود لكلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل، ويغوث لبني غطيف من مراد بالجرف من سبأ، ويعوق لهمذان ببلخع، ونسر لذي الكلاع من حمير". [تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٢/٢].
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٢.

الثالث : أنه وثن كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه ، وبذلك سميت: «منى»، لكثرة ما يراق بها من الدماء. حكاه الماوردي-أيضا-[٢].
الثالث : أنه كان صنماً بقديد بين مكة والمدينة ، قاله أبو صالح[٣].
قال قتادة:" كانت مناة للأنصار"[٤].
وحكي الزجاج:" أن «مَنَاة»، صخرة كانت لِهذَيْلٍ وخزاعة يعبدونها من دون الله"[٥].
عن ابن إسحاق، قال: "نصب عمرو بن لحي مناة على ساحل البحر مِمّا يلي قُدَيْد، يحجونها ويطوفونها، إذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا مِن منى أتوا مناة، فأهلُّوا لها، فمَن أهلَّ لها لم يطف بين الصفا والمروة"[٦].
قال ابن إسحاق: "وكانت مناة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد"[٧].
قال ابن هشام: "فبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها، ويقال: علي بن أبي طالب"[٨].
قال : "وكانت ذو الخَلَصة لدَوس وخَثْعم وبَجِيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بِتَبَالة.
قلت : وكان يقال لها : الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكة الكعبة الشامية. فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي فهدمه.
قال : وكانت فلْس لطيئ ومن يليها بجبلى طيئ، يعني: سلمى وأجأ"[٩].
قال ابن هشام : "فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث إليها علي بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سيفين، يقال لأحدهما: الرسوب، وللآخر: المخذم. فأتى بهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فوهبهما له، فهما سيفا علي رضي الله عنه"[١٠].
قال ابن إسحاق : "وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : ريام. وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه، وهدما البيت"[١١].
قال ابن إسحاق : "وكانت «رُضَاء» بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر[١٢] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام :
ولقد شَدَدْتُ عَلَى رُضَاء شَدّةً... فَتَرَكْتُها قَفْرًا بِقَاع أسحَمَا"[١٣].
قال ابن هشام : "ويقال: إن المستوغر عمر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطول مضر كلها عمرا، وهو الذي يقول:
وَلَقَد سَئِمْتُ مِنَ الحيَاةِ وَطُولِهَا... وَعُمِّرْتُ منْ عَدَد السّنِينَ مِئِينَا

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٤) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٠٣٦)ص٢٥٢/٣.
(٥) معاني القرآن: ٧٢/٥.
(٦)أخرجه الفاكهي -كما في الفتح ٨/ ٦١٣ -.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٩/١.
(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٩/١.
(٩) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٩/١.
(١٠) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٩/١.
(١١) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٩/١، وتفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(١٢)واسمه. كعب قال ابن دريد. سمي مستوغرا بقوله:
ينش الماء في الربلات منه ... نشيش الرضف في اللبن الوغير
والوغير: فعيل من وغرة الحر وهي شدته. وذكر القتبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده، فقال له رجل: ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك فقال: ومن تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدك، فقال: ما هو إلا ابن ابني، فقال ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة! فقال: أنا المستوغر.
(١٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٨٠/١-٨١.

مائَةً حَدّتها بَعْدَها مائَتَان لي... وازددت مِنْ عَدَد الشّهور سِنِينَا
هَلْ مَا بَقِي إلا كَمَا قَدْ فَاتَنَا... يَومٌ يَمُرُّ وَلَيلةٌ تَحْدُونَا"[1].

قال ابن إسحاق : "وكان ذو الكَعَبَات لبكر وتغلب ابني وائل، وإياد بِسَنْداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

بَيْنَ الخَوَرْنَق والسَّدير وَبَارِقٍ... والبيت ذو الكَعَبَات من سَنْدَاد"[2].

وإنما قال : "{مناة الثالثة الأخرى}، لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى"[3].

وروى عن سعيد بن جبير[4]، وأبي العالية الرياحي[5]:"قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم، فلما بلغ هذا لموضع أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي. قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا ثم جاءه جبريل بعد ذلك قال: اعرض علي ما جئتك به، فلما بلغ: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي، قال له جبريل: لم آتك بهذا، هذا من الشيطان، فأنزل الله:{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُوْلٍ وَلاَ نَبِّيٍ إلاَّ إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}"[6].

قال السعدي في الآية:" لما ذكر تعالى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وآباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا "اللات" من "الإله" المستحق للعبادة، و"العزى" من "العزيز" و "مناة" من "المنان" إلحادا في أسماء الله وتجريا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها"[7].

قال مقاتل:" وإنما سميت: «اللات والعزى»، لأنهم أرادوا أن يسموا «الله»، فمنعهم الله فصارت: اللات، وأرادوا أن يسموا «العزيز»، فمنعهم فصارت: العزى"[8].

قال أبو سليمان الخطابي: "كان المشركون يتعاطَون «الله» اسماً لبعض أصنامهم، فصرفه الله إلى: «اللاّت»، صيانةً لهذا الاسم وذبّاً عنه"[9].

القرآن

{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)} [النجم : ٢١-٢٣]

التفسير:

أتجعلون لكم الذَّكر الذي ترضونه، وتجعلون لله بزعمكم الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم؟ تلك إذًا قسمة جائرة. ما هذه الأوثان إلا أسماء ليس لها من أوصاف الكمال شيء، إنما هي أسماء

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٨١/١.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٨١/١-٨٢. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧-٤٥٨.
(٣) النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٩٨):ص٢٥٠٠/٨.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٤٠٠١):ص٢٥٠٢/٨.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٩٨):ص٢٥٠٠/٨، و(١٤٠٠١):ص٢٥٠٢/٨. وهذه رواية سعيد بن جبير.
(٧) تفسير السعدي: ٨١٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦١/٤.
(٩) نقلا عن: زاد المسير: ١٨٨/٤.

سميتموها أنتم وآباؤكم بمقتضى أهوائكم الباطلة، ما أنزل الله بها مِن حجة تصدق دعواكم فيها. ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، وهوى أنفسهم المنحرفة عن الفطرة السليمة، ولقد جاءهم من ربهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، ما فيه هدايتهم، فما انتفعوا به.

قوله تعالى:{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى} [النجم : ٢١]، أي:" أتجعلون لكم الذَّكر الذي ترضونه، وتجعلون لله بزعمكم الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم؟"[١].

قال الطبري:" يقول: أتزعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه، ولله الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم"[٢].

قال ابن كثير: " أي : أتجعلون له ولدا، وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور"[٣].

قال السعدي :" أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، ولكم البنون؟"[٤].

قوله تعالى:{تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم : ٢٢]، أي:" تلك إذًا قسمة جائرة"[٥].

قال الطبري: يقول: قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه، والعرب تقول: ضزته حقه بكسر الضاد، وضزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته"[٦].

قال ابن كثير: أي :"فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت {قِسْمَةٌ ضِيزَى}، أي : جورا باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها"[٧].

وفي قوله تعالى:{تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم : ٢٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : قسمة عوجاء، قاله مجاهد[٨].

الثاني : تلك إذا قسمة جائرة لا حقّ فيها، قاله ابن عباس[٩]، وقتادة[١٠]. وبه قال الفراء[١١]، وابن قتيبة[١٢].

قال ابن قتيبة:" يقال: ضِرت في الحكم؛ أي: جُرْت"[١٣].

وقال أبو عبيدة: ناقصة، ضرته حقه، وضزته حقه تضيزه وتضوزه، تنقصه وتمنعه"[١٤].

الثالث : قسمة منقوصة، قاله مجاهد-أيضا-[١٥]، وسفيان[١٦]، وحكاه الماوردي عن أكثر أهل اللغة[١٧]، قال الشاعر[١٨] :

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٢) تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(٤) تفسير السعدي: ٨١٩.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٦) تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٢.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢٢.
(١١) انطر: معاني القرآن: ٩٨/٣.
(١٢) غريب القرآن: ٤٢٨.
(١٣) غريب القرآن: ٤٢٨.
(١٤) مجاز القرآن: ٢٣٧/٢.
(١٥) الدر المنثور: ٦٥٤/٧، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٢.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٩٩/٥.
(١٨)البيت للقطامي كما في "المذكر والمؤنث" ص ١٧٥، و"تفسير القرطبي" ١٧/ ١٠٢، و"تهذيب اللغة" ١٢/ ٥٣، (ضاز)، و"اللسان" ٢/ ٥٠٣ (ضأز).

فإنْ تَنْأَ عَنَّا نَنْتَقصْكَ وَإنْ تَغِبْ ... فَسَهْمُكَ مَضْئُوزٌ وأنْفُك رَاغِم

ومعنى مضئوز، أي: منقوص.

الرابع : قسمة مخالفة ، قاله ابن زيد[١].

قال ابن زيد:" جعلوا لله تبارك وتعالى بنات، وجعلوا الملائكة لله بنات، وعبدوهم، وقرأ: {أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ} ... الآية، وقرأ: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ}... إلى آخر الآية، وقال: دعوا لله ولدا، كما دعت اليهود والنصارى، وقرأ: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، قال: و«الضيزى» في كلام العرب: المخالفة، وقرأ: {إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ}"[٢].

قال الزجاج:" الضِّيزى -في كلام العرب-: الناقصةُ الجائرة"[٣].

قال مقاتل:" يعنى: جائزة عوجاء أن يكون لهم الذكر وله الأنثى"[٤].

قال السعدي :" وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى عن قولهم علوا كبيرا"[٥].

قوله تعالى:{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ} [النجم : ٢٣]، أي:" ما هذه الأوثان إلا أسماء ليس لها من أوصاف الكمال شيء، إنما هي أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم بمقتضى أهوائكم الباطلة"[٦].

قال ابن كثير: أي : من تلقاء أنفسكم"[٧].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما هذه الأسماء التي سميتموها وهي اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى، إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون بالله، وآباؤكم من قبلكم"[٨].

قوله تعالى:{مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [النجم : ٢٣]، أي:" ما أنزل الله بها مِن حجة تصدق دعواكم فيها"[٩].

قال ابن كثير: "أي : من حجة"[١٠].

قال النحاس:" أي: من حجّة ولا وحي، وإنما هو شيء اخترفتموه"[١١].

قال السعدي :" أي: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم، وكل أمر ما أنزل الله به من سلطان، فهو باطل فاسد، لا يتخذ دينا"[١٢].

قال الطبري: " يقول: لم يبح الله ذلك لكم، ولا أذن لكم به"[١٣].

قوله تعالى:{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم : ٢٣]، أي:" ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، وهوى أنفسهم المنحرفة عن الفطرة السليمة"[١٤].

قال النحاس:" أي: ما يتّبعون في هذه التسمية إلّا الظنّ وهواهم"[١٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٢.
(٣) معاني القرآن: ٧٣/٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦١/٤.
(٥) تفسير السعدي: ٨١٩.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(٨) تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٢.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(١١) إعراب القرآن: ١٨٤/٤.
(١٢) تفسير السعدي: ٨١٩.
(١٣) تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٢.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(١٥) إعراب القرآن: ١٨٤/٤.

قال ابن كثير: " أي : ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين"[١].

قال الطبري: يقول: " ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموا بها آلهتهم إلا الظنّ بأنّ ما يقولون حقّ لا اليقين وهوى أنفسهم، لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول الله أخبرهم به، وإنما اختراق من قِبل أنفسهم، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه منه"[٢].

قال السعدي :" وهم -في أنفسهم- ليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه، وإنما دلهم على قولهم، الظن الفاسد، والجهل الكاسد، وما تهواه أنفسهم من الشرك، والبدع الموافقة لأهويتهم، والحال أنه لا موجب لهم يقتضي اتباعهم الظن، من فقد العلم والهدى"[٣].

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم : ٢٣]، أي:" ولقد جاءهم من ربهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، ما فيه هدايتهم، فما انتفعوا به"[٤].

قال النحاس:" أي: البيان بأن لا معبود سواه وأن عبادة هذه الأشياء شرك وكفر"[٥].

قال ابن كثير: " أي : ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به، ولا انقادوا له"[٦].

قال الطبري: " يقول: ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم منه على غير يقين، وذلك تسميتهم اللات والعزّى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها. يقول: لقد جاءهم من ربهم الهدى في ذلك، والبيان بالوحي الذي أوحيناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار"[٧].

عن ابن زيد، في قوله: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}، قال: "فما انتفعوا به"[٨].

قال مقاتل:" يعني: القرآن"[٩].

قال السعدي :" أي: الذي يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب التي يحتاج إليها العباد، فكلها قد بينها الله أكمل بيان وأوضحه، وأدله على المقصود، وأقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم اتباعه، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة من بعد البيان والبرهان، وإذا كان ما هم عليه، غايته اتباع الظن، ونهايته الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، فالبقاء على هذه الحال، من أسفه السفه، وأظلم الظلم، ومع ذلك يتمنون الأماني، ويغترون بأنفسهم"[١٠].

القرآن

{أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٥)} [النجم : ٢٤-٢٥]

التفسير:

ليس للإنسان ما تمناه من شفاعة هذه المعبودات أو غيرها مما تهواه نفسه، فلله أمر الدنيا والآخرة.

سبب النزول:

أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى} [النجم : ٢٤]:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٢.
(٣) تفسير السعدي: ٨١٩.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٥) إعراب القرآن: ١٨٤/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(٧) تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٢.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٢/٤.
(١٠) تفسير السعدي: ٨١٩.

قال الثعلبي:" وقيل: {أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى}[النجم: ٢٤] من النبوة. نزلت في النضر بن الحارث. وقيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في سائر الكفار، زعموا أن الأصنام تشفع لهم عند الله تعالى يعني: أتظنون أن ما يتمنونه من شفاعة الأصنام كائن وليس كما ظنوا وتمنوا"[١].

ثانيا: سبب نزول قوله تعالى: {فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى} [النجم : ٢٥]:

قال مقاتل:" فلما رجوا أن للملائكة شفاعة، أنزل الله- تعالى-: {فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى}، يعني: الدنيا والآخرة"[٢].

قوله تعالى:{أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى} [النجم : ٢٤]، أي:" ليس للإنسان ما تمناه من شفاعة هذه المعبودات أو غيرها مما تهواه نفسه"[٣].

قال الطبري: يقول:" أم اشتهى محمد صلى الله عليه وسلم ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي كرّمه بها من النبوّة والرسالة، وأنزل الوحي عليه، وتمنى ذلك، فأعطاه إياه ربه"[٤].

عن ابن زيد، قوله: "{أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى}، قال: وإن كان محمد تمنى هذا، فذلك له"[٥].

قال ابن كثير: أي : ليس كل من تمنى خيرا حصل له، {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} [النساء : ١٢٣]، ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ود شيئا يحصل له"[٦].

قال السعدي :" أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمنى وهو كاذب في ذلك"[٧].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته"[٨].

قال الفراء: {أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى}، أي:" ما اشتهى"[٩].

قال النحاس:" قيل: أي: ليس له ذلك"[١٠].

قال الماتريدي:" كأنه قال: ليس للإنسان ما تمنى"[١١].

وقال ابن أبي زمنين: " وذلك لفرح المشركين بما ألقى الشيطان على لسان النبي من ذكر آلهتهم"[١٢].

قال مقاتل:" بأن الملائكة تشفع لهم، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قرأ سورة النجم، {وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى}، أعلنهما مكة فلما بلغ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ، وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ} نعس فألقى الشيطان على لسانه تلك: «الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلا عندها الشفاعة ترتجى»[١٣]،

---

(١) تفسير الثعلبي: ١٢٩/٢٥-١٣٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٢/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٤) تفسير الطبري: ٥٢٩/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(٧) تفسير السعدي: ٨١٩.
(٨)المسند (٣٥٧/١) وقال الهيثمي في المجمع (١٥١/١٠) : "رجاله رجال الصحيح".
(٩) معاني القرآن: ٩٩/٣.
(١٠) إعراب القرآن: ١٨٤/٤.
(١١) تأويلات أهل السنة: ٣٢٧/٨.
(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٠/٤.
(١٣) مسند البزاز(٥٠٩٦):ص٢٩٦/١١. ونص الحديث:" عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة فقرأ سورة النجم حتى انتهى إلى: {أفرأيتم اللت والعزى ومناه الثالثة الأخرى} فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلا الشفاعة منها ترتجى. قال: فسمع ذلك مشركي أهل مكة فسروا بذلك فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج : ٥٢]".

قال البزاز: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل عنه يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم أحدا أسند هذا الحديث عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد، عن ابن عباس إلا

يعني: الملائكة، ففرح كفار مكة ورجوا أن يكون للملائكة شفاعة فلما بلغ آخرها سجد وسجد المؤمنون تصديقا لله- تعالى- وسجد كفار مكة عند ذكر الآلهة غير أن الوليد بن المغيرة، وكان شيخا كبيرا، فرفع التراب إلى جبهته فسجد عليه، فقال: يحيا كما تحيا أم أيمن وصواحباتها، وكانت أم أيمن خادم النبي- صلى الله عليه وسلم- وأيمن خادم النبي- صلى الله عليه وسلم- قتل يوم خيبر"[١].

قوله تعالى:{فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى} [النجم : ٢٥]، أي:" فلله أمر الدنيا والآخرة"[٢].

قال الفراء: أي:" ثوابهما"[٣].

قال الطبري: يقول:" فلله ما في الدار الآخرة والأولى، وهي الدنيا، يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ويحرم من شاء منهم ما شاء"[٤].

قال النحاس:" يعطي من شاء ما يشاء"[٥].

قال السعدي :" فيعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، فليس الأمر تابعا لأمانيهم، ولا موافقا لأهوائهم"[٦].

وقال ابن زيد: "يعني إن كان محمد - صلى الله عليه وسلم - تمنى شيئا فأعطاه الله إياه فلا تنكروا ذلك فلله الآخرة والأولى يملكها فيعطي من يشاء ويحرم من يشاء"[٧].

القرآن

{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)} [النجم : ٢٦]

التفسير:

وكثير من الملائكة في السموات مع علوِّ منزلتهم، لا تنفع شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة، ويرضى عن المشفوع له.

قوله تعالى:{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا} [النجم : ٢٦]، أي:" وكثير من الملائكة في السموات مع علوِّ منزلتهم، لا تنفع شفاعتهم شيئًا"[٨].

قال الطبري: يقول:" وكم من ملك في السموات لا تغني: كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئا"[٩].

قال السعدي :" يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الملائكة وغيرهم، وزعم أنها تنفعه وتشفع له عند الله يوم القيامة: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ} من الملائكة المقربين، وكرام الملائكة، {لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا} أي: لا تفيد من دعاها وتعلق بها ورجاها"[١٠].

قال الزجاج:" معنى شفاعتهم –ههنا- يفسرها قوله - عزَّ وجلَّ -: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي

أمية ولم نسمعه إلا من يوسف بن حماد، وكان ثقة وغير أمية يحدث به، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير مرسلا، وإنما هذا الحديث يعرف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس وأمية ثقة مشهور".

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٢/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٢٦.

(٣) معاني القرآن: ٩٩/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥٢٩/٢٢.

(٥) إعراب القرآن: ١٨٤/٤.

(٦) تفسير السعدي: ٨١٩.

(٧) تفسير الثعلبي: ١٣٠/٢٥.[ط. دار التفسير]

(٨) التفسير الميسر: ٥٢٦.

(٩) تفسير الطبري: ٥٢٩/٢٢.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٢٠.

وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)} [غافر: ٧-٩]"[١].

قال ابن أبي زمنين:" لا تنفع شفاعتهم المشركين شيئا، إنما يشفعون للمؤمنين"[٢].

عن ابن جريج في قوله:" {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا}، قال: لقولهم: إن الغرانقة ليشفعون"[٣].

روى عن كعب الأحبار أنه قال: «ما من موضع شبر في السماء إلا وفيه ملك قائم أو ساجد»"[٤]. قال السمعاني:" وقد روى مثل هذا في الأرض أيضا عن غيره. و«كم» -في اللغة- : للتكثير"[٥].

قوله تعالى:{إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم : ٢٦]، أي:" إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة، ويرضى عن المشفوع له"[٦].

قال الطبري: يقول:" إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له، ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذ شفاعتهم، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، فقال الله جلّ ذكره لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي الذين هم عندي لمن شفعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم"[٧].

قال أبو الليث:" ثم استثنى فقال: {إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}، يعني: من كان معه التوحيد، فيشفع له بإذن الله تعالى"[٨].

قال ابن عباس: "يريد لا تشفع الملائكة، إلا لمن رضي الله عنه"[٩].

قال محمد بن كعب:" أي: فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده؟!"[١٠].

قال القشيري:" وهذا ردّ عليهم حيث قالوا: إنّ الملائكة شفعاؤنا عند الله"[١١].

قال القرطبي:" هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له"[١٢].

قال الزمخشري في الآية:" يعنى: أنّ أمر الشفاعة ضيق وذلك أنّ الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السماوات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع، إلا إذا شفعوا من بعد أن بأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له، فكيف تشفع الأصنام إليه بعبدتهم"[١٣].

قال السعدي :" {إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} أي: لا بد من اجتماع الشرطين: إذنه تعالى في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع له. ومن المعلوم المتقرر، أنه لا يقبل

---

(١) معاني القرآن: ٧٤/٥.
(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٠/٤.
(٣) الدر المنثور: ٦٥٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٩٦/٥.
(٥) تفسير السمعاني: ٢٩٦/٥.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٧) تفسير الطبري: ٥٢٩/٢٢.
(٨) بحر العلوم: ٣٦٢/٣.
(٩) تفسير الثعلبي: ٢٠٠/٤. [ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٣١٠/٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٦٣/١٨-٦٦٤.
(١١) لطائف الإشارات: ٤٨٦/٣.
(١٢) تفسير القرطبي: ١٠٤/١٧.
(١٣) الكشاف: ٤٢٤/٤.

من العمل إلا ما كان خالصا لوجه الله، موافقا فيه صاحبه الشريعة، فالمشركون إذا لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين، وقد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين"[١].

فوائد الآيات: [١٩-٢٦]:

١- التنديد بالشرك والمشركين وتسفيه أحلامهم لعبادتهم أسماء لا مسميات لها في الخارج إذ تسمية حجراً إلهاً لن تجعله إلهاً.

٢- بيان أن المشركين في كل زمان ومكان ما يتبعون في عبادة غير الله إلا أهواءهم.

٣- بيان أن الإنسان لا يعطى بأمانيه، ولكن بعمله وصدقه وجده فيه.

٤- بيان أن الدنيا كالآخرة لله فلا ينبغي أن يطلب شيء منها إلا من الله مالكها.

٥- كل شفاعة ترجى فهي لا تحقق شيئاً إلا بتوفر شرطين الأول أن يأذن الله للشافع في الشفاعة والثاني أن يكون الله قد رضي للمشفوع له بالشفاعة والخلاصة هي: الإذن للشافع والرضا عن المشفوع.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨)} [النجم : ٢٧-٢٨]

التفسير:

إن الذين لا يصدِّقون بالحياة الآخرة من كفار العرب ولا يعملون لها ليسمُّون الملائكة تسمية الإناث؛ لاعتقادهم جهلا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله. وما لهم بذلك من علم صحيح يصدِّق ما قالوه، ما يتبعون إلا الظن الذي لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى} [النجم : ٢٧]، أي:" إن الذين لا يصدِّقون بالحياة الآخرة من كفار العرب ولا يعملون لها ليسمُّون الملائكة تسمية الإناث؛ لاعتقادهم جهلا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله"[٢].

قال الطبري: يقول:" إن الذين لا يصدّقون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله"[٣].

قال الشوكاني:" أي: إن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وما بعده من الدار الآخرة، وهم الكفار، يضمون إلى كفرهم مقالة شنعاء وجهالة جهلاء، وهي أنهم يسمون الملائكة المنزهين عن كل نقص تسمية الأنثى، وذلك أنهم زعموا أنها بنات الله، فجعلوهم إناثا، وسموهم بنات"[٤].

قال مقاتل:" حين زعموا أن الملائكة إناث وأنها تشفع لهم"[٥].

عن مجاهد، قوله: "{تَسْمِيَةَ الأُنْثَى}، قال: الإناث"[٦].

قوله تعالى:{وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ} [النجم : ٢٨]، أي:" وما لهم بذلك من علم صحيح يصدِّق ما قالوه"[٧].

قال الطبري: يقول:" وما لهم يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم"[٨].

قال القشيري:" هذه التّسمية من عندهم، وهم لا يتبعون فيها علما أو تحقيقا.. بل ظنّا- والظنّ لا يفيد شيئا"[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٨٢٠.
(٢) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٣) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(٤) فتح القدير: ١٣٤/٥.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣/٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٨) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.

قال ابن كثير:" أي : ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء، وكفر شنيع"[٢].

قال الشوكاني:" جملة في محل نصب على الحال، أي: يسمونهم هذه التسمية والحال أنهم غير عالمين بما يقولون، فإنهم لم يعرفوهم، ولا شاهدوهم، ولا بلغ إليهم ذلك من طريق من الطرق التي يخبر المخبرون عنها، بل قالوا ذلك جهلا وضلالة وجرأة"[٣].

قوله تعالى:{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} [النجم : ٢٨]، أي:" أنما يتبعون في هذه الأقوال الباطلة إلا الظنون والأوهام"[٤].

قال ابن عباس: "يريد ظنًا ليس بيقين"[٥].

قال الطبري: "يقول: ما يتبعون في ذلك إلا الظنّ، يعني: أنهم إنما يقولون ذلك ظنا بغير علم"[٦].

قال الشوكاني:" أي: ما يتبعون في هذه المقالة إلا مجرد الظن والتوهم"[٧].

قال مقاتل:" يقول ما يتبعون إلا الظن وما يستيقنون أنها إناث"[٨].

قوله تعالى:{وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم : ٢٨]، أي:" وإن الظنَّ لا يجدي شيئاً، ولا يقوم أبداً مقام الحق"[٩].

قال الطبري: " يقول: وإن الظنّ لا ينفع من الحق شيئا فيقوم مقامه"[١٠].

قال النحاس:" أي: لا ينفع من الحقّ ولا يقوم مقامه"[١١].

قال السمعاني:" أي: لا ينوب على الحق أبدا"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : لا يجدي شيئا، ولا يقوم أبدا مقام الحق. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[١٣]"[١٤].

قال الشوكاني:" ثم أخبر سبحانه عن الظن وحكمه فقال: {وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}، أي: إن جنس الظن لا يغني من الحق شيئا من الإغناء، والحق هنا العلم. وفيه دليل على أن مجرد الظن لا يقوم قيام العلم، وأن الظان غير عالم. وهذا في الأمور التي يحتاج فيها إلى العلم وهي المسائل العلمية، لا فيما يكتفى فيه بالظن، وهي الحقائق العملية"[١٥].

عن عطاء: {وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}، قال: "يريد: لا ينتفعون به"[١٦].

وقال الكلبي: "أي: لا يدفع من عذاب الله شيئًا"[١٧].

---

(١) لطائف الإشارات: ٤٨٦/٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٥٩/٧.
(٣) فتح القدير: ١٣٤/٥.
(٤) صفوة التفاسير: ٢٥٨/٣.
(٥) التفسير البسيط للواحدي: ٥٠/٢١، وانظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٢٩٧.
(٦) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(٧) فتح القدير: ١٣٤/٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣/٤.
(٩) صفوة التفاسير: ٢٥٨/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(١١) أعراب القرآن: ١٨٤/٤.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢٩٧/٥.
(١٣)صحيح البخاري برقم (٥١٤٣) وصحيح مسلم برقم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٥٩/٧.
(١٥) فتح القدير: ١٣٤/٥.
(١٦) التفسير البسيط للواحدي: ٥٠/٢١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٥٥، وهو المعتمد عنده ولم ينسبه لقائل.
(١٧) التفسير البسيط للواحدي: ٥١/٢١.

عن عمر بن الخطاب، قال: "احذروا هذا الرأيَ على الدين، فإنّما كان الرأي مِن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصيبًا؛ لأنّ الله كان يريه، وإنما هو مِنّا تكلُّفٌ وظنٌّ، {وإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا}"(١).

القرآن

{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)} [النجم : ٢٩-٣٠]

التفسير:

فأعْرِضْ عمَّن تولى عن ذكرنا، وهو القرآن، ولم يُرِدْ إلا الحياة الدنيا. ذلك الذي هم عليه هو منتهى علمهم وغايتهم. إن ربك هو أعلم بمن حادَ عن طريق الهدى، وهو أعلم بمن اهتدى وسلك طريق الإسلام.

سبب نزول قوله تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا} [النجم : ٢٩]:

قال الثعلبي:" أنزلت في النضر (٢)، وقيل: في الوليد"(٣)"(٤).

قوله تعالى:{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا} [النجم : ٢٩]، أي:" فأعْرِضْ عمَّن تولى عن ذكرنا، وهو القرآن"(٥).

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فدع من أدبر يا محمد عن ذكر الله ولم يؤمن به فيوحده"(٦).

قال النحاس:" أي: فدع من تولّى عن ذكرنا ولم يؤمن ولم يوحّد"(٧).

قال ابن كثير:" أي : أعرِضْ عن الذي أعرَضَ عن الحق واهجره"(٨).

قال الشوكاني:" أي: أعرض عمن أعرض عن ذكرنا، والمراد بالذكر هنا القرآن، أو ذكر الآخرة، أو ذكر الله على العموم، وقيل: المراد بالذكر هنا الإيمان، والمعنى: اترك مجادلتهم فقد بلغت إليهم ما أمرت به، وليس عليك إلا البلاغ، وهذا منسوخ بآية السيف"(٩).

قال السمعاني:" يقال: إن هذه الآية نزلت قبل نزول آية السيف، ثم نسختها آية السيف"(١٠).

عن ابن عباس: :{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا}، "يريد القرآن"(١١).

عن السدي:" {وأنزلنا إليك الذّكر}، قال: هو القرآن"(١٢).

عن السديّ، في قوله: "{قَدْ أَنزلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولا}، قال: الذكر: القرآن، والرسول: محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(١٣).

قوله تعالى:{وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]، أي:" وليس له همٌ إلا الدنيا وما فيها من النعيم الزائل، والمتعة الفانية"(١).

---

(١) الدر المنثور: ٦٥٤/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٢)نسبه أبو حيان للضحاك "البحر المحيط" ٨/ ١٦٦.
(٣)نسبه أبو حيان لمجاهد وابن زيد ومقاتل "البحر المحيط" ٨/ ١٦٦.
(٤) تفسير الثعلبي: ١٣٢/٢٥. [ط. دار التفسير]
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٦) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(٧) أعراب القرآن: ١٨٤/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٥٩/٧.
(٩) فتح القدير: ١٣٤/٥.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢٩٧/٥.
(١١)انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٢٩٧، و"التفسير البسيط": ٥١/٢١، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٥١، و" تفسير القرطبي" ١٧/ ١٠٥.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٦٦):ص٢٢٨٩/٧.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٣.

قال الطبري: يقول :" ولم يطلب ما عند الله في الدار الآخرة، ولكنه طلب زينة الحياة الدنيا، والتمس البقاء فيها"[٢].

قال النحاس:" ولم يرد إلا زينة الحياة الدنيا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه"[٤].

قال الشوكاني:" أي: لم يرد سواها، ولا طلب غيرها، بل قصر نظره عليها فإنه غير متأهل للخير، ولا مستحق للاعتناء بشأنه"[٥].

عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"[٦].

عن قتادة: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله"[٧].

عن هشام بن حسان، قال: سمعت الحسن يقول: "متاع الدنيا قليل، قال: رحم الله عبدا صاحبها على ذلك"[٨].

قوله تعالى:{ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [النجم : ٣٠]، أي:" ذلك الذي هم عليه هو منتهى علمهم وغايتهم"[٩].

قال الفراء: أي:" ذلك قدر عقولهم، ومبلغ علمهم حين آثروا الدنيا على الآخرة"[١٠].

قال الطبري: " هذا الذي يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة في الملائكة من تسميتهم إياها تسمية الأنثى، ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله، والشرك به على وجه الظنّ بغير يقين علم"[١١].

قال ابن كثير:" أي : طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه"[١٢].

قال مقاتل:" يعني: من مبلغ رأيهم من العلم أن الملائكة إناث وأنها تشفع لهم"[١٣].

عن مجاهد: {ذلك مبلغهم من العلم} [النجم: ٣٠] ، يعني: «مبلغ رأيهم»[١٤].

قال ابن زيد:" يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله، ومكايدتهم لما جاء من عند الله، قال: وهؤلاء أهل الشرك"[١٥].

قال الزجاج:" إنّما يعلمون ما يحتاجون إليه في مَعَاشِهم، فقد نبذوا أمر الآخرة وراء ظهورهم"[١٦].

قال السمعاني:" أي: لا يعلمون إلا أمر المعاش في الحياة الدنيا"[١٧].

---

(١) صفوة التفاسير: ٢٥٨/٣.
(٢) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(٣) أعراب القرآن: ١٨٤/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٥٩/٧.
(٥) فتح القدير: ١٣٤/٥.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٩٤٠/٦.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٧٧):ص١٩٦٨/٦.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(١٠) معاني القرآن: ١٠٠/٣.
(١١) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٥٩/٧.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣/٤.
(١٤) تفسير مجاهد: ٦٢٧.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٢.
(١٦) معاني القرآن: ٧٤/٥.
(١٧) تفسير السمعاني: ٢٩٧/٥.

قال الشوكاني:" ثم صغر سبحانه شأنهم، وحقر أمرهم فقال: {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}، أي: إن ذلك التولي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم، ليس لهم غيره، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين"(١).

عن الحسن البصري قال: "رب رجل ينقر درهما بظفره فيذكرونه ولا يخطئ فيه، وهو لا يحسن يصلي"(٢).

عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له" (٣).

وفي الدعاء المأثور : " ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى} [النجم : ٣٠]، أي:" إن ربك هو أعلم بمن حادَ عن طريق الهدى، وهو أعلم بمن اهتدى وسلك طريق الإسلام"(٥).

قال الطبري: يقول:" إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن طريقه في سابق علمه، فلا يؤمن، وذلك الطريق هو الإسلام، وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سياق علمه، وذلك الطريق أيضا الإسلام"(٦).

قال السمعاني:" أي: يعلم المهتدي والضال، والمؤمن والكافر، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا، لا في شرعه ولا في قَدَره "(٨).

قال الشوكاني:" فإن هذا تعليل للأمر بالإعراض، والمعنى: أنه سبحانه أعلم بمن حاد عن الحق، وأعرض عنه، ولم يهتد إليه، وأعلم بمن اهتدى فقبل الحق وأقبل إليه وعمل به، فهو مجاز كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإرشاد له بأنه لا يتعب نفسه في دعوة من أصر على الضلالة وسبقت له الشقاوة، فإن الله قد علم حال هذا الفريق الضال كما علم حال الفريق الراشد"(٩).

فوائد الآيات: [٢٧-٣٠]:

١- أكثر الأمراض مردها إلى قلب لا يؤمن بالآخرة.

٢- أكثر الفساد في الأرض هو نتيجة الجهل وعدم العلم اليقيني.

٣- التحذير من الماديين فإنهم شر وخطر وواجب الإعراض عنهم لأنهم شر الخليقة.

٤-إنذار شديد للعصاة المعرضين عن العمل بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، المؤثرين لهوى النفس وحظوظ الدنيا على الآخرة.

القرآن

---

(١) فتح القدير: ١٣٤/٥.

(٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٩٧/٥.

(٣)المسند (٧١/٦).

(٤) سنن الترمذي(٣٥٠٢):ص٤٠٦/٥، وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة"(٤٠١):ص٣١٠، والطبراني في "الدعاء"(١٩١١):ص٥٣٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٦) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٢.

(٧) تفسير السمعاني: ٢٩٧/٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٥٩/٧.

(٩) فتح القدير: ١٣٥/٥.

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)} [النجم : ٣١-٣٢]

التفسير:

ولله سبحانه وتعالى ملك ما في السموات وما في الأرض؛ ليجزي الذين أساءوا بعقابهم على ما عملوا من السوء، ويجزي الذي أحسنوا بالجنة، وهم الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلمُّ بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة، هو أعلم بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وحين أنتم أجنَّة في بطون أمهاتكم، فلا تزكُّوا أنفسكم فتمدحوها وتَصِفُوها بالتقوى، هو أعلم بمن اتقى عقابه فاجتنب معاصيه من عباده.

سبب النزول:

أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]:

قال مقاتل:" نزلت في نبهان التمار وذلك أنه كان له حانوت يبيع فيه التمر، فأتته امرأة تريد تمرا، فقالت لها: ادخلي الحانوت، فإن فيه تمرا جيدا. فلما دخلت راودها عن نفسها، فأبت عليه، فلما رأت الشر خرجت فوثب إليها، فضرب عجزها بيده، فقال: والله، ما نلت مني حاجتك، ولا حفظت غيبة أخيك المسلم. فذهبت المرأة وندم الرجل، فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بصنيعه. فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم- ويحك يا نبهان، فلعل زوجها غاز في سبيل الله، فقال: الله ورسوله أعلم. فقال: أما علمت أن الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، فلقي أبا بكر- رضي الله عنه- فأعلمه، فقال: ويحك فلعل زوجها غاز في سبيل الله. فقال: الله أعلم. ثم رجع فلقي عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فأخبره، فقال: ويحك لعل زوجها غاز في سبيل الله. قال: الله أعلم. فصرعه عمر فوطئه، ثم انطلق به إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إخواننا غزاة في سبيل الله تكسر الرماح في صدورهم يخلف هذا ونحوه أهليهم بسوء، فاضرب عنقه، فضحك النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال أرسله يا عمر فنزلت فيه: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]، يعني: ضربه عجزيتها بيده"(١).

ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم : ٣٢]:

عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: " كانت يهود تقول إن أهلك لهم صبي صغير، قالوا: هو صديق، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله، في بطن أمه إلا أنه شقي، وسعيد، فأنزل الله عز وجل عند ذلك هذه الآية: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم: ٣٢] " الْآيَةَ كُلَّهَا"(٢).

وقال مقاتل:" قال ناس من المسلمين: صلينا وصمنا وفعلنا فزكوا أنفسهم، فقال الله- تعالى-: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم : ٣٢]"(٣).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤-١٦٦. وقد ذكر الواحدي عن ابن عباس في رواية عطاء قصة مشابها في سبب نزول الآية: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران : ١٣٥].

(٢)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"(١٣٦٨):ص٨١/٢، والواحدي في "أسباب النزول": ٣٩٨، وذكره السيوطي في "الدر المنثور": ٦٥٧/٧-٦٥٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في "المعرفة"، ورواه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣١١/٤-٣١٢ من طريق ابن لهيعة به, وقد ضعف ابن لهيعة من جهة حفظه بعد اختلاطه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤.

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [النجم : ٣١]، أي:" ولله سبحانه وتعالى ملك ما في السموات وما في الأرض"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {وَلِلَّهِ} مُلك {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} من شيء. وهو يضلّ من يشاء، وهو أعلم بهم"[٢].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٣].

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا} [النجم : ٣١]، أي:" ليجزي الذين أساءوا بعقابهم على ما عملوا من السوء"[٤].

قال الطبري:" يقول: ليجزي الذين عصوه من خلقه، فأساءوا بمعصيتهم إياه، فيثيبهم بها النار"[٥].

قال زيد بن أسلم:" الذين أساؤوا هم المشركون"[٦].

قوله تعالى:{وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم : ٣١]، أي:" ويجزي الذي أحسنوا بالجنة"[٧].

قال الطبري:" يقول: وليجزي الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة، فيثيبهم بها"[٨].

قال زيد بن أسلم:" والذين أحسنوا: المؤمنون"[٩].

عن عبد الله بن عياش، قال: "قال زيد بن أسلم في قول الله: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا}: المؤمنون"[١٠].

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]، أي:" وهم الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا ما قلَّ وصغر من الذنوب"[١١].

قال ابن عاشور:" صفة لـ {الذين أحسنوا}، أي: الذين أحسنوا واجتنبوا كبائر الإثم والفواحش، أي فعلوا الحسنات واجتنبوا المنهيات، وذلك جامع التقوى. وهذا تنبيه على أن اجتناب ما ذكر يعد من الإحسان لأن فعل السيئات ينافي وصفهم بالذين أحسنوا فإنهم إذا أتوا بالحسنات كلها ولم يتركوا السيئات كان فعلهم السيئات غير إحسان ولو تركوا السيئات وتركوا الحسنات كان تركهم الحسنات سيئات"[١٢].

وأما «كبائر الإثم»، ففيها خمسة أقوال:

أحدها : أنه الشرك بالله ، قاله زيد بن أسلم[١٣]، وبه قال الطبري[١٤].

قال الطبري:" يقول: الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها، وذلك الشرك بالله"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٢.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٥) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٢.
(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٣٠):ص٥٩/١، وأخرج الطبري: ٥٣١/٢٢، مختصرا كما سيأتي.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٨) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٢.
(٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٣٠):ص٥٩/١، وأخرج الطبري: ٥٣١/٢٢، مختصرا كما سيأتي.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٢.
(١١) التفسير الميسر: ٥٢٧، وصفوة التفاسير: ٢٥٨/٣.
(١٢) المحرر الوجيز: ١٢٠/٢٧-١٢١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٢-٥٣٣.
(١٤) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٢-٥٣٢.

الثاني : أنه ما زجر عنه بالحد، حكاه الماوردي عن بعض الفقهاء[٢].
الثالث : ما لا يكفر إلا بالتوبة ، حكاه ابن عيسى[٣].
الرابع : ما حكاه عمرو بن شرحبيل عن عبدالله بن مسعود: "قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله ندا وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني بحليلة جارك» فأنزل الله عز وجل تصديقها: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان: ٦٨]، الآية"[٤].
الخامس : ما روى سعيد بن جبير: " أن رجلا قال لابن عباس: كم الكبائر؟ أسبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار"[٥].
عن طاووس قال: "جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أرأيت الكبائرَ السبع التي ذكرهن الله؟ ما هن؟ قال: هن إلى السبعين أدنى منها إلى سبع"[٦].
قال ابن عاشور:" المراد بكبائر الإثم: الآثام الكبيرة فيما شرع الله وهي ما شدد الدين التحذير منه أو ذكر له وعيدا بالعذاب أو وصف على فاعله حدا"[٧].
وأما «الفواحش»، ففيها قولان:
أحدهما : أنها جميع المعاصي[٨].
الثاني : أنها الزنى. قاله زيد بن أسلم[٩].
قال الطبري:" هي الزنا وما أشبهه، مما أوجب الله فيه حدّا"[١٠].
قال ابن عاشور:" عطف {الفواحش}، يقتضي أن المعطوف بها مغاير للكبائر ولكنها مغايرة بالعموم والخصوص الوجهي، فالفواحش أخص من الكبائر وهي أقوى إثما. و«الفواحش»: الفعلات التي يعد الذي فعلها متجاوزا الكبائر مثل الزنى والسرقة وقتل الغيلة"[١١].
واختلفوا في معنى «اللمم» ونوع الاستثناء في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]، على قولين:
أحدهما: أن هذا استثناء متصل، و«اللمم»: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي، ولايعود. وهو قول أبي هريرة[١٢]، ومجاهد[١٣]، والحسن[١٤]، ورواية عطاء عن ابن عباس[١٥].
عن الحسن، عن أبي هُريرة، -أراه رفعه-: "{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ}، قال: اللَّمة من الزنى، ثم يتوب ولا يعود، واللَّمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود; واللَّمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، قال: فتلك الإلمام"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢/٥٣١-٥٣٢.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٠٠.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٠٠.
(٤) صحيح البخاري(٦٨٦١):ص٢/٩.
(٥) أخرجه الطبري(٩٢٠٧):ص٨/٢٤٥.
(٦) أخرجه الطبري(٩٢٠٨):ص٨/٢٤٥.
(٧) التحرير والتنوير: ٢٧/١٢١.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٠٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٢-٥٣٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٢.
(١١) التحرير والتنوير: ٢٧/١٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٥-٥٣٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٥.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "اللمم ما دون الشرك"[٢].
قال الحسن:" اللَّمة من الزنى أو السرقة، أو شرب الخمر، ثم لا يعود"[٣].
قال الحسن:" قد كان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يقولون: هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللَّمة من شرب الخمر، فيخفيها فيتوب منها"[٤].
عن الحسن: "{إلا اللَّمَمَ}، قال: أن يقع الوقعة ثم ينتهي"[٥].
قال معمر: "كان الحسن يقول في اللَّمم: تكون اللَّمة من الرجل: الفاحشة ثم يتوب"[٦].
عن أبي صالح، قال: "الزنى ثم يتوب"[٧].
عن عطاء، عن ابن عباس: "{إلا اللَّمَمَ}، يلمّ بها في الحين، قلت الزنى، قال: الزنى، ثم يتوب"[٨].
عن عطاء، عن ابن عباس قال: "اللَّمم: الذي تُلِمُّ المرَّةَ"[٩].
وقال السدي : "قال أبو صالح : سئلت عن {اللَّمَمَ} فقلت : هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب. وأخبرت بذلك ابن عباس فقال : لقد أعانك عليها مَلَك كريم"[١٠].
روى عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس:" {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، قال: هو الرجل يلمّ بالفاحشة ثم يتوب; قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا"[١١].
عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية: {إلا اللَّمَمَ}، قال: "الذي يلم بالذنب ثم يدعه، وقال الشاعر:
إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا"[١٢].
عن مجاهد، في قوله: "{إلا اللَّمَمَ}، قال: الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه. قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:
إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا"[١٣].
عن عبد الله بن القاسم، في قوله: "{إلا اللَّمَمَ}، قال: اللَّمة يلم بها من الذنوب"[١٤].
قال الزجاج: قوله عزَّ وجلَّ: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}، يدل هذا على أن «اللمم»: هوَ أن يَكونَ الإِنْسانُ قد ألم بالمعصية ولم يُصِرّ ولم يُقِمْ على ذلك، وإنما «الإِلْمَامُ»-في اللغة-: يوجب أنك تأتي الشيء الوقت ولا تقيم عليه، فهذا - واللَّه أعلم - معنى اللَّمَم في هذا الموضع"[١٥].
قال البغوي:" أصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة، ولا إقامة عليه"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٢-٥٣٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(١٠) حكاه البغوي: ٣١١/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(١٥) معاني القرآن: ٧٤/٥-٧٥.
(١٦) تفسير البغوي: ٣١١/٤.

القول الثاني: أن هذا استثناء منقطع، لأن «اللمم» ليس من كبائر الإثم ولا من الفواحش، والمعنى: لكن اللمم، وعلى هذا القول أن اللمم ليس من الكبائر والفواحش[١].

ثم اختلفوا في معناه، على أقوال:

أحدها: أنه ما سلف من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإسلام، فلا يؤاخذهم الله به. قاله زيد بن ثابت[٢]، وزيد بن أسلم وابنه[٣].

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، قال: المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون معناه، فانزل الله عزّ وجلّ: {إلا اللَّمَمَ} ما كان منهم في الجاهلية. قال: واللمم: الذي ألموا به من تلك الكبائر والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، وغفرها لهم حين أسلموا"[٤].

عن زيد بن أسلم، قوله: "{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، قال: كبائر الشرك والفواحش: الزنى، تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام"[٥].

الثاني: أن «اللمم» صغار الذنوب، كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، قاله ابن مسعود[٦]، وأبو هريرة[٧]، والشعبي[٨]، ومسروق[٩]، ورواية طاووس عن ابن عباس[١٠].

قال الشوكاني:" فالجمهور على أن اللمم صغائر الذنوب"[١١].

قال ابن مسعود:" زنى العينين: النظر، وزنى الشفتين: التقبيل، وزنى اليدين: البطش، وزنى الرجلين: المشي، ويصدّق ذلك الفرْج أو يكذّبه، فإن تقدّم بفرجه كان زانيا، وإلا فهو اللمم"[١٢].

قال منصور بن عبد الرحمن: "سألت الشعبي، عن قول الله:{يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، قال: هو ما دون الزنى، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود، قال: «زنى العينين: ما نظرت إليه، وزنى اليد: ما لمست، وزنى الرجل: ما مشت والتحقيق بالفرج»"[١٣].

عن عبد الرحمن بن نافع -الذي يقال له ابن لُبابة الطائفيّ-، قال: "سألت أبا هُريرة عن قول الله: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، قال: القُبلة، والغمزة، والنظْرة والمباشرة، إذا مسّ الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنى"[١].

---

(١) قال ابن عاشور: ٢٧/١٢١-١٢٢:" فالاستثناء بمعنى الاستدراك. ووجهه أن ما سمي باللمم ضرب من المعاصي المحذر منها في الدين، فقد يظن الناس أن النهي عنها يلحقها بكبائر الإثم فلذلك حق الاستدراك، وفائدة هذا الاستدراك عامة وخاصة: أما العامة فلكي لا يعامل المسلمون مرتكب شيء منها معاملة من يرتكب الكبائر، وأما الخاصة فرحمة بالمسلمين الذين قد يرتكبونها فلا يقل ارتكابها من نشاط طاعة المسلم، ولينصرف اهتمامه إلى تجنب الكبائر. فهذا الاستدراك بشارة لهم، وليس المعنى أن الله رخص في إتيان اللمم".

(٢) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٠٠، وزاد المسير: ٤/١٩٠.

وأخرج الطبري بسنده عن محمد، قال: "سأل رجل زيد بن ثابت، عن هذه الآية: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، فقال: حرم الله عليك الفواحش ما ظهر منها وما بطن".

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٣٢.

(٥)انظر: النكت والعيون: ٥/٤٠٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٣٤.

(١٠)،انظر: صحيح البخاري (٦٦١٢)، أخرجه عن محمود بن غيلان به. وأخرجه البخاري أيضا بإثر ٦٢٤٣، ومسلم ٢٦٥٧ ح ٢٠ وأحمد ٢/ ٢٧٦ وابن حبان ٤٤٢٠ والبيهقي ٧/ ٨٩ و ١٠/ ١٨٥، وأخرجه الطبري: ٢٢/٥٣٤، والواحدي ٤/ ٢٠١ من طريق عبد الرزاق به.

(١١) فتح القدير: ٥/١٣٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٣٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٣٤.

عن مسروق في قوله: "{إلا اللَّمَمَ}، قال: إن تقدم كان زنى، وإن تأخر كان لَمَمًا"[٢].

روى طاوس عن ابن عباس، قال :" ما رأيت شيئا أشبه باللمم، مما قال أبو هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»"[٣].

الثالث : أن اللمم ما لم يجب عليه حد في الدنيا ولم يستحق عليه في الآخرة عذاب ، قاله ابن عباس[٤]، وابن الزبير[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، وعكرمة[٨].

قال الضحاك:" كلّ شيء بين حدّ الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله"[٩].

قال قتادة:" اللمم: ما كان بين الحدّين لم يبلغ حدّ الدنيا ولا حدّ الآخرة موجبة، قد أوجب الله لأهلها النار، أو فاحشة يقام عليه الحدّ في الدنيا"[١٠].

عن عكرمة، في قوله: "{إلا اللَّمَمَ}، يقول: ما بين الحدين، كل ذنب ليس فيه حدّ في الدنيا ولا عذاب في الآخرة، فهو اللمم"[١١].

عن ابن الزبير: "{إلا اللَّمَمَ}، قال: ما بين الحدّين، حدّ الدنيا، وعذاب الآخرة"[١٢].

قال ابن عباس:" اللمم: ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة"[١٣].

قال ابن عباس:" كلّ شيء بين الحدّين، حدّ الدنيا وحدّ الآخرة تكفّره الصلوات، وهو اللمم، وهو دون كل موجب; فأما حدّ الدنيا فكلّ حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا; وأما حدّ الآخرة فكلّ شيء ختمه الله بالنار، وأخَّر عقوبته إلى الآخرة"[١٤].

الرابع : أنه النَّظر من غير تعمُّد، فهو مغفور، فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب. قاله الحسين بن الفضل[١٥]ـ وحكاه الماوردي عن بعض التابعين، واستشهد بقول الشاعر :

وما يستوي من لا يرى غير لمة ... ومن هو ناو غيرها لا يريمها"[١٦].

الخامس: أنه ألَم بالقلب، أي: خَطَر، قاله سعيد بن المسيّب[١٧].

السادس: أنه ما يَهُمُّ به الإنسان، قاله محمّد ابن الحنفية[١٨].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال {إلا}، بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجّه معنى الكلام إلى {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ}، بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفوّ لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جلّ ثناؤه: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٢.
(٣)،أخرجه البخاري ٦٦١٢ عن محمود بن غيلان به. وأخرجه البخاري بإثر ٦٢٤٣ ومسلم ٢٦٥٧ ح ٢٠ وأحمد ٢/ ٢٧٦ وابن حبان ٤٤٢٠ والبيهقي ٧/ ٨٩ و ١٠/ ١٨٥، وأخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٢، والواحدي ٤/ ٢٠١ من طريق عبد الرزاق به.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(١٥) انظر: زاد المسير: ١٩٠/٤، وتفسير البغوي: ٣١٢/٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٠١/٥.
(١٧) انظر: زاد المسير: ١٩٠/٤، وتفسير البغوي: ٣١٢/٤.
(١٨) انظر: زاد المسير: ١٩٠/٤.

وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا}، فوعد جلّ ثناؤه باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللمم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الْعَينانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجلانِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذّبُهُ "، وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله جلّ ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم واللمم في كلام العرب المقاربة للشيء، ذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول: ضربه ما لمم القتل يريدون ضربا مقاربا للقتل. قال: وسمعت من آخر: ألمّ يفعل في معنى: كاد يفعل"[١].

قال أبو حيان:" {إلا اللَّمَمَ}: استثناء منقطع، لأنه لم يدخل تحت ما قبله، وهو صغار الذنوب، أو صفة إلى كبائر الإثم غير اللمم، كقوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ} [الأنبياء : ٢٢]، أي: غير الله لفسدتا"[٢].

قال ابن كثير:" الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ} هذا استثناء منقطع ؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال"[٣].

قال القشيري:" الأصحّ أنه استثناء منقطع وأن اللمم ليس من جملة المعاصي"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم : ٣٢]، أي:" رحمته وَسِعَت كل شيء، ومغفرته تَسَع الذنوب كلها لمن تاب منها"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّ رَبَّكَ} يا محمد واسع عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم. وإنما أعلم جلّ ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش"[٦].

قال ابن كثير:" أي : رحمته وَسِعَت كل شيء، ومغفرته تَسَع الذنوب كلها لمن تاب منها، كقوله :{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣]"[٧].

عن ابن زيد، في قوله: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}، قال:" قد غفر ذلك لهم"[٨].

قال الشوكاني:" جملة: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} تعليل لما تضمنه الاستثناء، أي: إن ذلك وإن خرج عن حكم المؤاخذة فليس يخلو عن كونه ذنبا يفتقر إلى مغفرة الله ويحتاج إلى رحمته"[٩].

قوله تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [النجم : ٣٢]، أي:" هو أعلم بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها"[١١].

قال ابن كثير: "أي : هو بصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي تصدر عنكم وتقع منكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذَّر، ثم قسمهم فريقين : فريقا للجنة وفريقا للسعير"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢-٥٣٩.
(٢) البحر المحيط: ٢٠/١٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٠/٧.
(٤) لطائف الإشارات: ٤٨٧/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.
(٦) تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٢.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٢.
(٩) فتح القدير: ٢٣٦/٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(١١) تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٢.

عن مجاهد، في قوله: "{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ}، قال: كنحو قوله: {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}"[٢].

عن ابن زيد، قوله: "{إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ}، قال: حين خلق آدم من الأرض ثم خلقكم من آدم"[٣].

قوله تعالى:{وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم : ٣٢]، أي: وهو أعلم بأحوالكم" حين أنتم أجنَّة في بطون أمهاتكم"[٤].

قال الطبري: "يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم، وأنفسكم بعدما صرتم رجالا ونساء"[٥].

قال ابن كثير: أي :" قد كتب الملك الذي يُوَكَّل به رزقَه وأجَلَه وعمله، وشقي أم سعيد"[٦].

قال الفراء:" يقول: هو أعلم بكم أولا وآخرا"[٧].

قال مكحول : "كنا أجنة في بطون أمهاتنا، فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي، ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي ثم صرنا يَفَعَةً، فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابًا فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا - لا أبا لك - فماذا بعد هذا ننتظر ؟"[٨].

قال السعدي في قوله: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ}:" أي: هو تعالى أعلم بأحوالكم كلها، وما جبلكم عليه، من الضعف والخور، عن كثير مما أمركم الله به، ومن كثرة الدواعي إلى بعض المحرمات، وكثرة الجواذب إليها، وعدم الموانع القوية، والضعف موجود مشاهد منكم حين أنشاكم الله من الأرض، وإذ كنتم في بطون أمهاتكم، ولم يزل موجودا فيكم، وإن كان الله تعالى قد أوجد فيكم قوة على ما أمركم به، ولكن الضعف لم يزل، فلعلمه تعالى بأحوالكم هذه، ناسبت الحكمة الإلهية والجود الرباني، أن يتغمدكم برحمته ومغفرته وعفوه، ويغمركم بإحسانه، ويزيل عنكم الجرائم والمآثم، خصوصا إذا كان العبد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات، وسعيه فيما يقرب إليه في أكثر الآنات، وفراره من الذنوب التي يتمقت بها عند مولاه، ثم تقع منه الفلتة بعد الفلتة، فإن الله تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فلا بد لمثل هذا أن يكون من مغفرة ربه قريبا وأن يكون الله له في جميع أحواله مجيبا"[٩].

قوله تعالى:{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم : ٣٢]، أي:" فلا تزكُّوا أنفسكم فتمدحوها وتَصِفُوها بالتقوى"[١٠].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي"[١١].

وفي قوله تعالى:{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم : ٣٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : فلا تبرئوها من المعاصي. قاله مجاهد مجاهد ، وزيد بن أسلم[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٢.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٥) تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.
(٧) معاني القرآن: ١٠٠/٣.
(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.
(٩) تفسير السعدي: ٨٢١.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(١١) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٢.

قال زيد بن أسلم:" فلا تبرئوها"[١]. وروي عن مجاهد مثله[٢].
قال النحاس:" وشرح هذا لا تقولوا إنّا أزكياء"[٣].
الثاني: لا تعملوا بالمعاصي وتقولوا نعمل بالطاعة ، قاله ابن جريج[٤].
الثالث : لا تبادلوا قبحكم حسناً ومنكركم معروفاً. حكاه الماوردي[٥].
الرابع : لا تراؤوا بعملكم المخلوقين لتكونوا عندهم أزكياء. أفاده الماوردي[٦].
الخامس : إذا عملتم خيرا، فلا يقولن أحدكم: عملت كذا، أو فعلت كذا. قاله الفراء[٧].
وقال الكلبي: "كان أناس يعملون أعمالا خبيثة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجّنا. فأنزل الله سبحانه هذه"[٨].
السادس : يعني: لا تمادحوا ، قاله ابن عباس[٩]، وابن شوذب[١٠].
قال ابن عباس: "لا تمدحوها"[١١].
قال ابن شوذب:" لا تمادحوا"[١٢].
قال السعدي :" أي: تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح"[١٣].
قال ابن كثير:" أي : تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم، {هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}، كما قال :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا} [النساء : ٤٩]"[١٤].
قال الزمخشري:" فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات، أو إلى الزكاء والطهارة من المعاصي، ولا تثنوا عليها واهضموها"[١٥].
عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : "سميت ابنتي بَرّةَ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم، وسميت بَرَّة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تزكوا أنفسكم، إن الله أعلم بأهل البر منكم». فقالوا : بم نسميها ؟ قال : «سموها زينب»"[١٦].
عن عبد الرحمن بن أبي بكْرَة، عن أبيه قال : مدح رجل رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ويلك، قطعت عنق صاحبك مرارا، إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة، فليقل: أحسب فلانا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، إن كان يعلم ذلك، أحسبه كذا وكذا"[١٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٢.
(٢) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.
(٣) إعراب القرآن: ١٨٥/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥.
(٧) انظر: معاني القرآن: ١٠٠/٣، وتنظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥. حكاه دون نسبة.
(٨) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.
(٩) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥.
(١١) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٢١.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.
(١٥) الكشاف: ٤٢٦/٤.
(١٦)المسند (٤٥/٥).
(١٧)المسند (٢٠٤٢٢):ص٦٥/٢٤، و(٢٠٤٦٢):ص١١٢/٢٤، وصحيح البخاري برقم (٢٦٦٢) وصحيح مسلم برقم (٣٠٠٠) وسنن أبي داود برقم (٤٨٠٥) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٤٤).

عن همام بن الحارث:" أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلا ضخما، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب»"[١].

عن عطاء بن أبي رَبَاح قال: "كان رجل يمدح ابن عمر، قال: فجعل ابنُ عمر يقول هكذا، يَحْثُوا في وجهه التراب, قال: سمعت رسول الله -صلي الله عليه وسلم - يقول: "إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب"[٢].

قوله تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم : ٣٢]، أي:" هو أعلم بمن اتقى عقابه فاجتنب معاصيه من عباده"[٣].

قال علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: "يعني: عمل حسنة وارعوى عن سيئة"[٤].

قال الحسن: أخلص العمل لله"[٥].

قال الحسن: "قد علم الله كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة"[٦].

قال الطبري: يقول:" ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده"[٧].

قال السمعاني:" أي: هو أعلم بالمتقين"[٨].

قال النحاس: أي:" {بِمَنِ اتَّقى} المعاصي وخاف وأدى الفرائض"[٩].

قال السعدي :" فإن التقوى، محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئا"[١٠].

قال الزمخشري:" فقد علم الله الزكي منكم والتقى أوّلا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم"[١١].

قال القشيري:" يقال: من اعتقد أنّ على البسيطة أحدا شرّ منه فهو متكبّر. ويقال: المسلم يجب أن يكون بحيث يرى كلّ مسلم خيرا منه فإن رأى شيخا، قال: هو أكثر منّى طاعة وهو أفضل منّى، وإن رأى شابا قال: هو أفضل منى لأنه أقلّ منّى ذنبا"[١٢].

فوائد الآيتين: [٣١-٣٢]:

١- تقرير ربوبية الله تعالى لكل شيء وهي مستلزمة لإلوهيته.

٢- تقرير حرية إرادة الله يهدي من يشاء ويضل ويعذب من شاء ويرحم إلا أن ذلك تابع لحكم عالية.

٣- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل.

٤- تقرير قاعدة أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر.

٥- حرمة تزكية النفس وهي مدحها والشهادة عليها بالخير والفضل والكمال والتفوق.

القرآن

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤)} [النجم : ٣٣-٣٤]

---

(١)صحيح مسلم برقم (٣٠٠٢):ص٢٢٩٧/٤، وسنن أبي داود برقم (٤٨٠٤).

(٢) المسند(٥٦٨٤):ص١٨٣/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.

(٥) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.

(٦) النكت والعيون: ٤٠٢/٥.

(٧) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٢.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٩٨/٥.

(٩) إعراب القرآن: ١٨٥/٤.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٢١.

(١١) الكشاف: ٤٢٦/٤.

(١٢) لطائف الإشارات: ٤٨٨/٣.

التفسير:
أفرأيت -أيها الرسول- الذي أعرض عن طاعة الله وأعطى قليلا مِن ماله، ثم توقف عن العطاء وقطع معروفه؟

في سبب نزول الآيتين[٣٣-٣٤]، أقوال:

أحدها: أنها :" نزلت في عثمان بن عفان، كان يتصدق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك أن لا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إن لي ذنوبا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله سبحانه وتعالى علي وأرجو عفوه. فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤)} [النجم : ٣٣-٣٤]، فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله". وهذا قول ابن عباس[١]، والسدي[٢]، والكلبي[٣]، والمسيب بن شريك[٤].

وأخرج الطبري بسنده عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى} ... إلى قوله {فَهُوَ يَرَى}، قال: هذا رجل أسلم، فلقيه بعض من يُعَيِّره فقال: أتركت دين الأشياخ وضَلَلتهم، وزعمت أنهم في النار، كان ينبغي لك أن تنصرهم، فكيف يفعل بآبائك، فقال: إني خشيت عذاب الله، فقال: أعطني شيئا، وأنا أحمل كلّ عذاب كان عليك عنك، فأعطاه شيئا، فقال زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئا، وكتب له كتابا، وأشهد له، فذلك قول الله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى}، عاسره: {أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى}، نزلت فيه هذه الآية"[٥].

الثاني: أنها"نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه، فعيره بعض المشركين وقال له: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله. فضمن له- إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه- أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية". وهذا قول مجاهد[٦]، وابن زيد[٧].

الثالث: ما حكاه خلاد بن سليمان، قال: "سمعت دراجا أبا السبح، يقول: خرجت سرية غازية، فسأل رجل رسول الله أن يحمله، فقال: ما أجد ما أحملك عليه، قال: فانصرف حزينا، فمر برجل راحلته منيجة بين يديه، فشكا إليه، فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك، فقال: نعم، فركب؛ فنزل الكتاب: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)} [النجم : ٣٣ - ٤١]"[٨].

قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى} [النجم : ٣٣]، أي:" أفرأيت -أيها الرسول- الذي أعرض عن طاعة الله"[٩].

قال الطبري: يقول:" أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله، وأعرض عنه وعن دينه"[١٠].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٥) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢.
(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦.[مرسل]. وأخرج الطبري:٢٤١٢/ عن مجاهد:" في قوله: {وَأَكْدَى}، قال: الوليد بن المغيرة: أعطى قليلا ثم أكدى".
(٧) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦.[مرسل].
(٨)تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٣٦):ص١٠٣/١.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٢-٥٤١.

وفي قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى} [النجم : ٣٣]، أربعة أقوال:
أحدها : أنه العاص بن وائل السهمي، وكان رَّبما وافق رسول الله صلّى الله عليه وسلم في بعض الأمور. قاله السدي[١].
الثاني : أنه الوليد بن المغيرة المخزومي ، قاله مجاهد[٢]، ومقاتل[٣]، كان يأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر -رضي الله عنه-، يسمع ما يقولان ثم يتولى عنهما[٤].
قال مقاتل:" { تَوَلَّى} عن الحق، يعني: الوليد بن المغيرة"[٥].
الثالث : أنه النضر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه وضمن له أن يتحمل مأثم رجوعه ، قاله الضحاك[٦].
الرابع : أنه أبو جهل، وذلك أنه قال: واللهِ ما يأمُرُنا محمدٌ إلاّ بمكارم الأخلاق، قاله محمد بن كعب القرظي[٧].
قلت: وأثر مجاهد المتقدم أصح الأقوال في سبب النزول.
قوله تعالى:{وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى} [النجم : ٣٤]، أي:" وأعطى قليلا مِن ماله، ثم توقف عن العطاء وقطع معروفه؟"[٨].
قال الطبري: يقول:" وأعطى صاحبه قليلا من ماله، ثم منعه فلم يعطه، فبخل عليه"[٩].
وفي قوله تعالى:{وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى} [النجم : ٣٤]، أربعة وجوه:
أحدها : أنه أعطى قليلاً من نفسه بالاستمتاع ثم أكدى بالانقطاع ، قاله مجاهد[١٠].
عن مجاهد: "{وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى}، قال: انقطع فلا يُعْطِي شيئا، ألم تر إلى البئر يقال لها أكدت"[١١].
عن مجاهد: "{وَأَكْدَى}، انقطع عطاؤه"[١٢].
الثاني : أطاع قليلاً ثم عصى ، قاله ابن عباس[١٣].
الثالث : أعطى قليلاً من ماله ثم انقطع عطاؤه، قاله ابن عباس-أيضا-[١٤]، والضحاك[١٥]، وابن طاوس[١٦]، وقتادة[١٧]، وعكرمة[١٨].
عن ابن طاوس وقتادة، في قوله:{وَأَكْدَى}، قالا: "أعطى قليلا ثم قطع ذلك"[١٩].
قال قتادة:" أي بخل وانقطع عطاؤه"[٢٠].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥، وزاد المسير: ١٩١/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥، وزاد المسير: ١٩١/٤. ولم أقف على إسناده، وهو مرسل، والضحاك ذو مناكير، وهذا منها.
(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في "زاد المسير":١٩١/٤. بدون إسناد.
(٨) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٩) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢، ٥٤٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(١٨) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٠٣٩):ص٢٥٤/٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

قال الضحاك:" يقول: انقطع عطاؤه"[١].

وعن ابن زيد، في قوله: {وَأَكْدَى}، قال :"عاسره"[٢].

الرابع : أعطى قليلا من الخير بلسانه، وانقطع[٣]، قاله مقاتل[٤].

قال أبو عبيدة:" معنى «أكدى»: قطع، اشتقت من كدية الركيّة وكدية الرّحل، وهو أن يحفر حتى ييئس من الماء، فيقول: بلغنا كديتها"[٥].

قال ابن قتيبة:" أي: قطع. وهو من :كُدْية الرَّكِيَّة، وهي: الصلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقطع الحفر. فقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ آخرَه أو أعطَى ولم يتمِّمْ -: أكْدَى"[٦].

قال الزجاج:" معنى «أكدى»: قطع، وأصله من الحفر في البئر، يقال للحافر -إذا حَفَر البئر- فبلغ إلى حَجَرٍ لا يمكنه معه الحفر-: قد بلغ إلى الكدية، فعند ذلك يقطع الحفر"[٧].

القرآن

{أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥)} [النجم : ٣٥]

التفسير:

أعند هذا الذي قطع عطاءه علم الغيب أنه سينفَد ما في يده حتى أمسك معروفه، فهو يرى ذلك عِيانًا؟ ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة; بخلا وشُحًّا.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أعند هذا الذي ضمن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة علم الغيب، فهو يرى حقيقة قوله، ووفائه بما وعده"[٨].

قال ابن كثير:" أي : أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفه، فهو يرى ذلك عيانا ؟! أي : ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلعا ؛ ولهذا جاء في الحديث : «أنفق بلالا ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالا»[٩]، وقد قال الله تعالى :{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ : ٣٩]"[١٠].

عن مجاهد:" {أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ}، قال: الغيب: القرآن، أرَأى فيه باطلًا أنفذه ببصره؛ إذ كان يختلف إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر؟!"[١١].

قال الحسن البصري: "{أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرى} يختار لنفسه الجنّة إن كانت جنّة"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٣) وحكي الماوردي عنه:" أعطى بلسانه وأكدى بقلبه".[النكت والعيون: ٤٠٣/٥]

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤.

(٥) مجاز القرآن: ٢٣٨/٢.

(٦) غريب القرآن: ٤٢٩.

(٧) معاني القرآن: ٧٥/٥.

(٨) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.

(٩)جاء من حديث ابي هريرة وبلال وابن مسعود. أما حديث أبي هريرة : فرواه أبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٢) والطبراني في المعجم الكبير (٣٤١/١) من طريقين عن محمد بن سيرين عنه به. وأما حديث بلال : فرواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١) من طريق أبي إسحاق عن مسروق عنه به.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٦٣/٧-٤٦٤.

(١١)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٢ - ، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور":٥٦٩/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣١٣ - . وعقبه: كقوله: {وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى} [فصلت: ٥٠] للجنة إن كانت جنة.

قال الشوكاني:" الاستفهام للتقريع والتوبيخ، والمعنى: أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه أمر العذاب، فهو يعلم ذلك"[١].

القرآن

{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧)} [النجم : ٣٦-٣٧]

التفسير:

أم لم يُخَبَّر بما جاء في أسفار التوراة وصحف إبراهيم الذي وفَّى ما أُمر به وبلَّغه؟

قوله تعالى:{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى} [النجم : ٣٦]، أي:" أم لم يُخَبَّر بما جاء في أسفار التوراة"[٢].

قال الطبري: يقول" أم لم يُخَبَّرْ هذا المضمون له، أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة، بالذي في صحف موسى بن عمران عليه السلام"[٣].

عن أبي العالية، قال: "نزلت الصحف في أول ليلة من شهر رمضان ، ونزلت التوراة لست ، ونزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة ، ونزل الإنجيل لثماني عشرة ، ونزل الفرقان لأربع وعشرين من شهر رمضان"[٤].

قوله تعالى:{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم : ٣٧]، أي:" وصحف إبراهيم الذي وفَّى ما أُمر به وبلَّغه؟"[٥].

قال الطبري: " يقول: وإبراهيم الذي وفى من أرسل إليه ما أرسل به"[٦].

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم : ٣٧]، على وجوه:

أحدها : أنه وفّى عمل كل يوم بأربع ركعات في أول النهار، رواه الهيثم عن أبي أمامة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٧].

الثاني : أنه وفَّى في كلمات كان يقولها كلما أصبح وأمسى، وهي: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم : ١٧]، الآية . رواه سهل بن معاذ عن أنس عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[٨].

الثالث : وفّى طاعة الله، وبلَّغ رسالات ربه إلى خلقه. قاله قتادة[٩].

الرابع: أنه بلَّغ ما أمر به. قاله سعيد بن جبير[١٠]، ومجاهد[١١]، وسفيان[١٢]، وابن زيد[١٣].

عن سفيان: "{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، قال: بلَّغ"[١٤].

وحكي ابن الجوزي عن سفيان:" أنه أدَّى الأمانة"[١٥].

قال ابن زيد:" بلغ رسالات ربه، بلَّغ ما أُرسل به، كما يبلغ الرجل ما أُرسل به"[١].

---

(١) فتح القدير: ١٣٧/٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٣) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٤) تفسير عبدالرزاق(٦):ص٢٥٤/١.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٦) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٤/٢٢.
(١١) تفسير مجاهد: ٦٢٨، وتفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٤/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٤/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٤٤/٢٢.
(١٥) انظر: زاد المسير: ١٩٢/٤.

عن مجاهد: "{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، ما فُرض عليه"[٢].

الخامس : أن وفائه بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته: {أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، لأنه كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة ابنه وأبيه فأول من خالفهم إبراهيم، قاله ابن عباس[٣]، وعكرمة[٤].

قال ابن عباس:" كانوا قبل إبراهيم يأخذون الوليّ بالوليّ، حتى كان إبراهيم، فبلغ: {ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، لا يؤاخذ أحد بذنب غيره"[٥].

عن عكرمة: "{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، قالوا: بلغ هذه الآيات: {ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}"[٦].

وكان عكرمة يقول: "وفَّى هؤلاء الآيات العشر: {ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}... حتى بلغ {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأخْرَى}"[٧].

السادس : أنه وفَّى ربَّه جميع شرائع الإسلام. روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس[٨]. وبه قال الطبري[٩].

قال ابن عباس: "الإسلام ثلاثون سهما. وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم، قال الله: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، فكتب الله له براءة من النار"[١٠].

السابع : أنه وفَّى الطاعة فيما فعل بابنه.رواه العوفي عن ابن عباس[١١]، وبه قال القرظي[١٢].

قال القرظي:" أوفى يذبح ابنه"[١٣].

الثامن: وفَّى شأن المناسك، قاله الضحاك[١٤].

التاسع: أنه عاهد أن لا يَسأل مخلوقاً شيئاً، فلمّا قُذف في النار قال له جبريل، أَلَكَ حاجةٌ؟ فقال: أمّا إليك فلا، فوفَّى بما عاهد، ذكره عطاء بن السّائب[١٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وفى جميع شرائع الإسلام وجميع ما أُمر به من الطاعة، لأن الله تعالى ذكره أخبر عنه أنه وفى فعم بالخبر عن توفيته جميع الطاعة، ولم يخصص بعضا دون بعض"[١٦].

وقال ابن عطية:" الأقوى من هذه الأقوال كلها القول العام لجميع الطاعات المستوفية لدين الإسلام، فروي أنها لم تفرض على أحد مكملة فوفاها الأعلى وإبراهيم ومحمد عليهما السلام ومن الحجة لذلك قوله تعالى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ [البقرة: ١٢٤]"[١٧].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٤٤/٢٢.
(٢) تفسير مجاهد: ٦٢٨، وتفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٧) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(١١) انظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠٨):ص١٥١/٢، وانظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(١٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠٨):ص١٥١/٢، وانظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(١٤) انظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(١٥) انظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(١٦) تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.
(١٧) المحرر الوجيز: ٢٠٦/٥.

{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩)} [النجم : ٣٨-٣٩]

التفسير:

أنه لا تؤخذ نفس بمأثم غيرها، ووزرها لا يحمله عنها أحد، وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه.

قوله تعالى:{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [النجم : ٣٨]، أي:" أنه لا تؤخذ نفس بمأثم غيرها، ووزرها لا يحمله عنها أحد"(١).

قال الطبري:" وإنما عُني بقوله: {أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، الذي ضَمِن للوليد بن المغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة، يقول: ألم يُخْبَرْ قائل هذا القول، وضامن هذا الضمان بالذي في صحف موسى وإبراهيم مكتوب: أن لا تأثم آثمة إثم أخرى غيرها"(٢).

عن السديّ :"{وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، قال: لا يؤخذ أحد بذنب أحد"(٣).

قال في التسهيل:أي:" لا يحمل أحد ذنوب أحد، وأصل «الوزر»: الثقل، ثم استعمل في الذنوب"(٤).

وفي أصل «الوزر»، وجهان(٥):

أحدهما : أن أصله: الثقل، من قوله :{وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ } [الشرح : ٢ - ٣]، ومنه سمي: «وزير الملك»، لتحمله الثقل عنه.

والثاني : أن أصله: الملجأ من قوله:{كَلاَّ لاَ وَزَرَ} [القيامة : ١١]، ومنه سُمِّي «وزير المَلِكِ»، لأنه يلجأ إليه في الأمور .

عن عروة عن أبيه قال: "سئلت عائشة عن ولد الزنا؟ فقالت: ليس عليه من خطيئة أبويه شيء، وقالت: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}"(٦).

عن أبي مالك الغفاريّ، في قوله: "{أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى}، إلى قوله: {مِنَ النُّذُرِ الأُولَى}، قال: هذا في صحف إبراهيم وموسى"(٧).

عن عمرو بن أوس ، قال: " كان الرجل يؤخذ بذنب غيره حتى نزلت: {وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى} [النجم: ٣٨]"(٨).

عن مجاهد في قوله: "{وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء}، كنحو: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}"(٩).

عن عكرمة، قال: "إن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له: يا مؤمن إن لي، عندك يدا قد عرفت كيف كنت في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه حتى يرده إلى منزلة دون منزلة وهو في النار، وأن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيرا فيقول: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت؟ ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة، أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرا فيقول لها: فإني أطلب إليك حسنة واحدة تهبيها لي، لعلي أنجو مما ترين قالت: ما أيسر ما طلبت! لكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت يقول الله: {وإن تدع

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢١.
(٤) التسهيل:٢٨٣/١.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٩٦/٢، وتفسير القرطبي:١٥٧/٧
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٨٧):ص١٤٣٥/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٢.
(٨) تفسير عبدالرزاق(٣٠٤٢):ص٢٥٤/٣.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٦٨):ص٣١٧٨/١٠.

مثقلة إلى حملها} ... ويقول الله: {يوما لا يجزي والد عن ولده}، و{يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه}"[1].

قوله تعالى:{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم : ٣٩]، أي:" وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه"[2].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: أوَ لم يُنَبأ أنه لا يُجَازي عامل إلا بعمله، خيرا كان ذلك أو شرّا"[3].

عن ابن وهب:" قال ابن زيد في قوله: "{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى}، وقرأ: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}، قال: أعمالكم"[4].

عن ابن عباس، قوله: "{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى}، قال: فأنزل الله بعد هذا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}، فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة"[5].

وقال عكرمة: "كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى غيرهم بخبر سعد بن عبادة - رضي الله عنه -: أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، هل لأمي أجر إن تطوعت عنها؟ قال: «نعم»[6]، وفي حديث أنه حفر بئرا وقال: «يا رب هذه لأم سعد». وخبر المرأة التي سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: إن أبي مات ولم يحج، قال: «فحجي عنه»[7]"[8].

وقال الربيع بن أنس: "يعني: الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى غيره له"[9].

قال ابن عطية:" روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن قوله: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى} منسوخ بقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور: ٢١]، وهذا لا يصح عندي على ابن عباس، لأنه خبر لا ينسخ، ولأن شروط النسخ ليست هنا اللهم إلا أن يتجوز في لفظة النسخ ليفهم سائل.. والتحرير عندي في هذه الآية أن ملاك المعنى هو في اللام من قوله: لِلْإِنْسانِ فإذا حققت الشيء الذي هو حق الإنسان يقول فيه لي كذا لم يجده إلا سعيه، وما بعد من رحمة ثم شفاعة أو رعاية أب صالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنات أو تغمد بفضل ورحمة دون هذا كله فليس هو للإنسان ولا يسعه أن يقول لي كذا إلا على تجوز وإلحاق بما هو له حقيقة، واحتج بهذه الآية من يرى أنه لا يعمل أحد عن أحد بعد موته ببدن ولا مال. وفرق بعض العلماء بين البدن والمال، وهي عندي كلها فضائل للعامل وحسنات تذكر للمعمول عنه، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا بالصدقة عن أمه، والسعي: التكسب"[10].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٦٩):ص٣١٧٨/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٢-٥٤٧. وللاستزادة انظر: مقدمة هذه الصورة. وانظر: تفسير الثعلبي: ١٥٨/٢٥. [ط. دار التفسير]. وتفسير البغوي ٧/ ٤١٦، و"زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ٨١.

(٦)الحديث عن عائشة - رضي الله عنها -: أن رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إن أمي افتلتت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم، وافتلتت أي: ماتت فجأة، هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب موت الفجأة (١٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه برقم (١٠٠٤).

(٧)لم أجد هذا الحديث وإنما أخرج البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: "نعم، حجي عنها" (١٨٥٢)، وفي كتاب الاعتصام (٧٣١٥)، ومسلم بلفظ آخر في كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت برقم (١١٤٩).

(٨) تفسير الثعلبي:١٥٨/٢٥. [ط. دار التفسير]

(٩) تفسير الثعلبي: ١٥٣/٩، وانظر: تفسير البغوي ٧/ ٤١٦، و"زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ٨١، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/ ١١٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ٢٠٦/٥-٢٠٧.

قيل: "سأل عبد الله بن طاهر بن الحسين والي خراسان الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله: {وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ} [البقرة: ٢٦١]، فقال: ليس له بالعدل {إلا مَا سَعَى}، وله بفضل الله ما شاء الله، فقبل عبد الله رأس الحسين"[١].

قال الجصاص:" فيه الدلالة على أن كل أحد من المكلفين فأحكام أفعاله متعلقة به دون غيره، وأن أحدا لا يجوز تصرفه على غيره ولا يؤاخذ بجريرة سواه"[٢].

القرآن

{وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠)} [النجم : ٤٠]

التفسير:

وأن سعيه سوف يُرى في الآخرة، فيميَّز حَسَنه من سيئه؛ تشريفًا للمحسن وتوبيخًا للمسيء.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأن عمل كلّ عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يُجازى عليه، خيرا كان أو شرّا، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره. وإنما عُنِي بذلك: الذي رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب، أن ضمانه ذلك لا ينفعه، ولا يُغْنِي عنه يوم القيامة شيئا، لأن كلّ عامل فبعمله مأخوذ"[٣].

قال أبو عبيدة:{وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى}، أي:" عمله"[٤].

قال السعدي: أي:" في الآخرة فيميز حسنه من سيئه"[٥].

قال السمعاني:" أي: يراه على معنى أن الله تعالى يريه إياه، وهو الجزاء الذي يجازيه عليه"[٦].

قال التستري:" أي: سوف يرى سعيه ويعلم أنه لا يصلح للحق ويعلم الذي يستحقه سعيه، وأنه لو لم يلحقه فضل الله لهلك سعيه"[٧].

قال الزجاج:" إن قَالَ قَائِلٌ: إن الله عزَّ وجلَّ يَرَى عَمَلَ كل عَامِلٍ ويعلمه، فما معنى {سَوْفَ يُرَى}؟ فالمعنى: أنه يرى العَبْدُ سَعْيَهَ يوم القيامَةِ، أي: يرى في مِيزَانه عَمَلَه"[٨].

قال ابن عطية:" {يُرى} فاعله حاضر والقيامة، أي: يراه الله ومن شاهد الأمر، وفي عرض الأعمال على الجميع تشريف للمحسنين وتوبيخ للمسيئين، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من سمع بأخيه فيما يكره سمع الله به سامع خلقه يوم القيامة»[٩]"[١٠].

القرآن

{ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢)} [النجم : ٤١-٤٢]

التفسير:

ثم يُجزى الإنسان على سعيه الجزاء المستكمل لجميع عمله، وأنَّ إلى ربك -أيها الرسول- انتهاء جميع خلقه يوم القيامة.

---

(١) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٠٦/٥.
(٢) أحكام القرآن: ٦٥٣/١.
(٣) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٢.
(٤) مجاز القرآن: ٢٣٨/٢.
(٥) تفسير السعدي: ٨٢١.
(٦) تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.
(٧) تفسير التستري: ١٥٧.
(٨) معاني القرآن: ٧٦/٥.
(٩) الحديث: «من أكل بأخيه المسلم أكلة، أطعمه الله مثلها من النار، ومن لبس بأخيه المسلم ثوبا، كساه الله مثله من النار، ومن سمع بأخيه المسلم وراءى به، سمع الله به، وراءى به يوم القيامة». [مساوئ الاخلاق للخرخائطي(٢٢٢):ص١١٢].
(١٠) المحرر الوجيز: ٢٠٧/٥.

قوله تعالى:{ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى} [النجم : ٤١]، أي:" ثم يُجزى الإنسان على سعيه الجزاء المستكمل لجميع عمله"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم يُثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى. وإنما قال جل ثناؤه {الأوْفَى}، لأنه أوفى ما وعد خلقه عليه من الجزاء"(٢).

قال الزجاج:" أي: يجزي عمله أوفى جزاء"(٣).

قال السمعاني:" أي: الأكمل الأتم"(٤).

قال السعدي: " أي: المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسنى، والسيئ الخالص بالسوأى، والمشوب بحسبه، جزاء تقر بعدله وإحسانه الخليقة كلها، وتحمد الله عليه، حتى إن أهل النار ليدخلون النار، وإن قلوبهم مملوءة من حمد ربهم، والإقرار له بكمال الحكمة ومقت أنفسهم، وأنهم الذين أوصلوا أنفسهم وأوردوها شر الموارد"(٥).

قوله تعالى:{وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم : ٤٢]، أي:" وأنَّ إلى ربك -أيها الرسول- انتهاء جميع خلقه يوم القيامة"(٦).

قال ابن كثير:" أي : المعاد يوم القيامة"(٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وأن إلى ربك يا محمد انتهاء جميع خلقه ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم، صالحهم وطالحهم، ومحسنهم ومسيئهم"(٨).

قال الثعلبي:" أي: منتهى الخلق ومصيرهم، وهو مجازيهم بأعمالهم، وقيل: منه ابتداء المنّة وإليه انتهاء الآمال"(٩).

قال السمعاني:" أي: مصير العباد ومرجعهم إليه"(١٠).

قال السعدي: " أي: إليه تنتهي الأمور، وإليه تصير الأشياء والخلائق بالبعث والنشور، وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه ينتهي العلم والحكم، والرحمة وسائر الكمالات"(١١).

قال الزجاج:" أي: إليه المرجع، وهذا كله في صحف إبراهيم ومُوسَى"(١٢).

عن عمرو بن ميمون الأوْديّ قال : "قام فينا معاذ بن جبل فقال : يا بني أود، إني رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى الجنة أو إلى النار"(١٣).

قال محمد بن علي الباقر: "تاه فيه العقول"(١٤). أي: "تحيرت"(١٥).

فعلى هذا معنى الآية: "أن العقول إذا انتهت إلى أوصافه تحيرت، يعني: أنها لا تدرك أوصافه على الكمال"(١٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٢.
(٣) معاني القرآن: ٧٦/٥.
(٤) تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.
(٥) تفسير السعدي: ٨٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٧.
(٨) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٢.
(٩) الكشف والبيان: ١٥٤/٩.
(١٠) تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.
(١١) تفسير السعدي: ٨٢١.
(١٢) معاني القرآن: ٧٦/٥.
(١٣) رواه ابن أبي حاتم كما في :تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٧.
(١٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.
(١٥) تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.
(١٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.

وفي بعض التفاسير: "أن بعض الملائكة تفكر في الله تعالى فصيحت عليه صيحة، فتاه عقله، فهو يسمى بين الملائكة التائه"[١].

عن سفيان الثوري -من طريق عبد العزيز بن خالد- في قوله: {وأنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهى}، قال: "لا فِكرة في الرّبّ"[٢].

عن أبي بن كعب عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في قوله سبحانه: {وَأَنَّ إلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى}، قال: «لا فكرة في الله»[٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله، فقال: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره»[٤].

عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، قال: "خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه وهم يتفكرون، فقال: «فيم أنتم؟» قالوا: نتفكر في الخالق. فقال: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة، تفكّروا أنّ الله خلق السموات والأرض سبعا غلظ كل أرض خمسمائة عام، وما بين كلّ أرضين خمسمائة عام، وما بين السماء والأرض خمسمائة عام، غلظ كل سماء خمسمائة عام، وما بين كل سمائين خمسمائة عام، وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كلّه، فيه ملك لم يجاور الماء كعبه»"[٥].

وفي الصحيح : "يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله وَلْيَنْتَه"[٦].

القرآن

{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣)} [النجم : ٤٣]

التفسير:

وأنه سبحانه وتعالى أضحك مَن شاء في الدنيا بأن سرَّه، وأبكى من شاء بأن غَمَّه.

سبب النزول:

عن الصهباء، عن عائشة قالت: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله تعالى يقول: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى}، فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى تلقاني جبريل عليه السلام فقال: ائت هؤلاء وقل لهم: إن الله عز وجل يقول: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم : ٤٣]"[٧].

عن ابن عباس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "هبط آدم من الجنة بياقوتة بيضاء تمسح بها دموعه قال: وبكى آدم على الجنة أربعين عاما فقال له جبريل: يا آدم ما يبكيك إن الله بعثني إليك معزيا فضحك آدم، فذلك قول الله: {هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم : ٤٣]، فضحك آدم وضحكت ذريته وبكى آدم وبكت ذريته"[٨].

---

(١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.

(٢)أخرجه أبو الشيخ في العظمة ١/ ٢١٦ (٦).

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٤/٩.

(٤) العظمة لأبي الشيخ الافهاني(٥):ص٢١٦/١.

(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٥/٩.

(٦)صحيح البخاري برقم (٣٢٧٦) وصحيح مسلم برقم (١٣٤).

(٧) أخرجه الواحدي في أسباب النزل: ٤١٦-٤١٧، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٦٦٣/٧) لابن مردويه.

(٨) الدر المنثور: ٦٦٤/٧، وعزاه إلى أبي الشيخ في العظمة وابن مردويه.

قال الطبري في تفسير الآية:" يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم"[١].

قال الزمخشري:" خلق قوتي الضحك والبكاء"[٢].

قال ابن كثير:" أي : خلق في عباده الضحك، والبكاء وسببهما وهما مختلفان"[٣].

قال السعدي: " أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير والشر، والفرح والسرور والهم والحزن، وهو سبحانه له الحكمة البالغة في ذلك"[٤].

قال مجاهد في الآية:" أضحك أهلَ الجنة في الجنة، وأبكى أهلَ النار في النار"[٥].

قال الضحاك:" أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر"[٦].

قال الحسن البصري: "هو خلق الضحك والبكاء"[٧].

قال عطاء الخراساني: "{وأَنَّهُ هُوَ أضْحَكَ وأبْكى}، يعني: أفرحَ وأحزنَ"[٨].

قال القشيري:" أراد به الضحك والبكاء المتعارف عليهما بين الناس فهو الذي يجريه ويخلقه.

ويقال: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

ويقال: أضحك أهل الجنة بالجنة، وأبكى أهل النار بالنار.

ويقال: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاه في الدنيا، وأضحك الكافر في الدنيا وأبكاه في الآخرة.

ويقال: أضحكهم في الظاهر، وأبكاهم بقلوبهم.

ويقال: أضحك المؤمن في الآخرة بغفرانه، وأبكى الكافر بهوانه.

ويقال: أضحك قلوب العارفين بالرضا، وأبكى عيونهم بخوف الفراق.

ويقال: أضحكهم برحمته، وأبكى الأعداء بسخطه "[٩].

عن حبان الطائي، قال: "شهدت جنازة أم مصعب بن الزبير وفيها ابن عباس على أتان له فمر، وحاذى عبد الله بن عمرو وابن عمر وقال: فسمعوا أصوات صوائح، قال: قلت: يا ابن عباس يصنع هذا وأنت هاهنا قال: «دعنا منك يا حبان فإن الله أضحك وأبكى»"[١٠].

عن قتادة، قال: "سُئل عبد الله بن عمر: هل كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظمُ مِن الجبل"[١١].

عن سِماك بن حرب، قال: "قلت لجابر بن سَمُرة: أكنتَ تجالس النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: نعم، وكان أصحابه يجلسون، ويتناشدون الشِّعر، ويذكرون أشياء مِن أمر الجاهلية، فيضحكون، ويتبسّم معهم إذا ضحكوا. يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم –"[١٢].

القرآن

---

(١) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٢.
(٢) الكشاف: ٤٢٨/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٧.
(٤) تفسير السعدي: ٨٢١.
(٥)تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٤، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨.
(٦)تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٥، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨.
(٧)تفسير الثعلبي (ط: دار التفسير) ٢٤/ ١٦٨.
(٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٤، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨، وعقبه: "لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء".
(٩) لطائف الإشارات: ٤٨٩/٣-٤٩٠.
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة(١١٢٩٦):ص٤٨٢/٢، وانظر: الدر المنثور: ٦٦٤/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.
(١١)أخرجه البغوي ٧/ ٤١٨.
(١٢)أخرجه البغوي ٧/ ٤١٨.

{وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤)} [النجم : ٤٤]

التفسير:

وأنه سبحانه أمات مَن أراد موته مِن خلقه، وأحيا مَن أراد حياته منهم، فهو المتفرِّد سبحانه بالإحياء والإماتة.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأنه هو أمات من مات من خلقه، وهو أحيا من حَيا منهم. وعنى بقوله: {أَحْيَا} نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية بتصييره الروح فيها"(١).

قال القرطبي:" أي: قضى أسباب الموت والحياة"(٢).

قال ابن بحر:" خلق الموت والحياة كما قال: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} [الملك : ٢]"(٣).

قال البغوي:" أي: أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة"(٤).

قال السعدي: " أي: هو المنفرد بالإيجاد والإعدام، والذي أوجد الخلق وأمرهم ونهاهم، سيعيدهم بعد موتهم، ويجازيهم بتلك الأعمال التي عملوها في دار الدنيا"(٥).

وقال سهل:" أمات قلوب الأعداء بالكفر والظلمة، وأحيا قلوب الأولياء بالإيمان وأنوار المعرفة"(٦).

القرآن

{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦)} [النجم : ٤٥-٤٦]

التفسير:

وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان، من نطفة تُصَبُّ في الرحم.

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} [النجم : ٤٥]، أي:" وأنه أوجد الزوجين: الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان"(٧).

قال مقاتل:" الزوجين الرجل والمرأة كل واحد منهما زوج بالآخر"(٨).

قال الطبري: يقول:" وأنه ابتدع إنشاء الزوجين الذكر والأنثى، وجعلهما زوجين، لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى له زوج فهما زوجان، يكون كلّ واحد منهما زوجا للآخر"(٩).

قال القرطبي:" أي: من أولاد آدم ولم يرد آدم وحواء بأنهما خلقا من نطفة"(١٠).

قال السمعاني: أي:" آدم وحواء. والأصح أنه الذكر والأنثى من بني آدم"(١١).

قال السعدي: " فسر الزوجين بقوله: {الذَّكَرَ وَالأُنْثَى}، وهذا اسم جنس شامل لجميع الحيوانات، ناطقها وبهيمها، فهو المنفرد بخلقها"(١٢).

قوله تعالى:{مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} [النجم : ٤٦]، أي:" خلق الذكر والأنثى من نطفة تُصَبُّ في الرحم"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٢.
(٢) تفسير القرطبي: ١١٧/١٧.
(٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١١٧/١٧.
(٤) تفسير البغوي: ٤١٨/٧.
(٥) تفسير السعدي: ٨٢١.
(٦) تفسير التستري: ١٥٧.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٨، وصفوة التفاسير: ٢٦١/٣
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٦/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٢.
(١٠) تفسير القرطبي: ١١٧/١٧.
(١١) تفسير السمعاني: ٣٠٢/٥.
(١٢) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٢٨، وصفوة التفاسير: ٢٦١/٣

وفي قوله تعالى:{مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} [النجم : ٤٦]، وجهان من التفسير:
أحدهما :معناه: إذا تخلق وتقدر ، قاله الأخفش[١]، وأبو عبيدة[٢]، وابن قتيبة[٣].
قال أبو عبيدة:" إذا تخلق وتقدّر، ويقال: ما تدرى ما يمنى لك الماني ما يقدر لك القادر"[٤].
قال ابن قتيبة:" أي تقدَّرُ وتُخلق. يقال: ما تدري ما يَمْنِي لك الماني؛ أي ما يقدِّر لك الله"[٥].
الثاني : إذا تصب في الرحم، قاله ابن عباس[٦]، والضحاك[٧]، وعطاء بن أبي رباح[٨]، والكلبي[٩]. وآخرون.
قال ابن عباس في رواية عطاء: "يريد الجماع"[١٠].
وقال في رواية الكلبي: "تهراق في الرحم"[١١].
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: خلق ذلك من نطفة إذا أمناه الرجل والمرأة"[١٢].
قال مقاتل:" يعني: إذا تدفق المني"[١٣].
قال النحاس:" أي: إذا أمناها الرجل والمرأة. وقيل: هو من منى الله عليه الشيء إذا قدّره له. فالأول من «أمنى» ، وهذا من «منى»"[١٤].
قال السعدي: " وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته وانفراده بالعزة العظيمة، حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها وكبيرها من نطفة ضعيفة من ماء مهين، ثم نماها وكملها، حتى بلغت ما بلغت، ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين، وإما إلى أدنى الحالات في أسفل سافلين"[١٥].

القرآن
{وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧)} [النجم : ٤٧]
التفسير:
وأن على ربك -أيها الرسول- إعادة خلقهم بعد مماتهم، وهي النشأة الأخرى يوم القيامة.
قال الطبري: " وأن على ربك يا محمد أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم، وبلاهم في قبورهم الخلق الآخر، وذلك إعادتهم أحياء خلقًا جديدا، كما كانوا قبل مماتهم"[١٦].
قال النحاس:" أي: عليه أن ينشئ الزوجين بعد الموت"[١٧].
قال مقاتل:" يعني: البعث في الآخرة بعد الموت"[١٨].

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٠٥/٥، والكشاف: ٤٢٨/٤.
(٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٣٨/٢.
(٣) انظر: غريب القرآن: ٤٢٩.
(٤) مجاز القرآن: ٢٣٨/٢.
(٥) غريب القرآن: ٤٢٩.
(٦) التفسير البسيط للواحدي: ٧٢/٢١.
(٧) انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨. بدون إسناد.
(٨) انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨. بدون إسناد.
(٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٠٥/٥.
(١٠) التفسير البسيط للواحدي: ٧٢/٢١.
(١١) التفسير البسيط للواحدي: ٧٢/٢١.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٢.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٦/٤.
(١٤) إعراب القرآن: ١٨٧/٤.
(١٥) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(١٦) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٢.
(١٧) إعراب القرآن: ١٨٧/٤.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٦/٤.

قال ابن قتيبة:" أي: الخلق الثانيَ للبعث يوم القيامة"[١].
قال أبو عبيدة:" يحيى الموتى"[٢].
قال ابن كثير:" أي : كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة"[٣].
قال السعدي: " فيعيد العباد من الأجداث، ويجمعهم ليوم الميقات، ويجازيهم على الحسنات والسيئات"[٤].
عن عكرمة في قوله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، قال: "وفَّى هؤلاء الآيات العشر: {أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} ... حتى بلغ: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى}"[٥].
قرأ الحسن، ومجاهد، وحميد، وابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو، والجحدري: {النشاءة} بفتح الشين ومد الهمزة[٦].

القرآن
{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨)} [النجم : ٤٨]
التفسير:
وأنه هو أغنى مَن شاء مِن خلقه بالمال، وملَّكه لهم وأرضاهم به.
قال الطبري: " وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قنية أصول أموال"[٧].
واختلف أهل التفسير في {وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨)} [النجم : ٤٨]، على أقوال:
أحدها : معناه: أعطى وأرضى. قاله ابن عباس[٨].
وقال ابن عباس:" فإنه أغنى وأرضى"[٩].
الثاني : أغنى بالمال وأقنى بأن جعل لهم قنية ، وهي أصول الأموال ، قاله أبو صالح[١٠].
قال أبو صالح:" أغنى المال وأقنى القنية"[١١].
قال أبو عبيدة:" أغنى أقواما وجعل لهم قنية أصل مال "[١٢].
قال ابن قتيبة:" أي: أعطى ما يُقتَنى: من القِنْية والنَّشَب. يقال: أقنيت كذا وأقْنَانِيه الله"[١٣].
قال الزجاج:" ومن هذا قولك: قد أقْتَنَيت كذا وكذا، أي: عملت على أنه يكون عِنْدِي لا أخرجه مِنْ يَدِي"[١٤].
قال النحاس:" يقال: أقنيت الشيء. أي: اتخذته عندي وجعلته مقيما، فـ{أقنى}: جعل له مالا مقيما"[١].

---

(١) غريب القرآن: ٤٢٩.
(٢) مجاز القرآن: ٢٣٨/٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٧.
(٤) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(٥) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.
(٦) انظر: تفسير الثعلبي: ١٨٢/٢٥، [ط. دار التفسير]، وانظر: معاني القرآن للزجاج: ١٦٥/٤.
(٧) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٢.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٠١):ص٣٣١٩/١٠، وتفسير الطبري: ٥٤٩/٢٢، ٥٥٠. ولفظه:" أعطاه وأرضاه".
(٩) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(١٢) مجاز القرآن: ٢٣٨/٢.
(١٣) غريب القرآن: ٤٣٠.
(١٤) معاني القرآن: ٧٦/٥.

الثالث : أغنى: بأن مَوّل، وأقنى: بأن أخدم ، قاله مجاهد[٢]، وقتادة[٣].
قال مجاهد:" أغنى: مَوَّل، وأقنى: أخدم"[٤].
قال قتادة:" أغنى وأخدم"[٥].
وقال قتادة:" أعطى وأرضى وأخدم"[٦].
عن الحسن، قوله: "{أَغْنَى وَأَقْنَى}، قال: أخدم"[٧].
الرابع : أغنى: موّل، وأقنى: رضّى. قاله مجاهد –أيضا-[٨].
قال مقاتل:" مول وأرضى هذا الإنسان بما أعطى"[٩].
الخامس : أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه ، قاله الحضرمي[١٠].
عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه: "{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى}، قال: زعم حضرميّ أنه ذكر له أنه أغنى نفسه، وأفقر الخلائق إليه"[١١].
السادس : أغنى من شاء وأفقر من شاء ، قاله ابن زيد[١٢].
قال ابن زيد:" أغنى فأكثر، وأقنى أقلّ، وقرأ: {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ}"[١٣].
علّق ابن كثير عن القولين السابقين، فقا:" هما بعيدان من حيث اللفظ"[١٤].
السابع : أغنى: بالقناعة، وأقنى: بالرضا، قاله سفيان بن عيينة [١٥].
وقال الفراء:" {أغنى}: رضى الفقير بما أغناه به، {وأقنى}: من القنية والنشب"[١٦].
الثامن: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال، وأقنى بالإبل والبقر والغنم. قاله الضحاك[١٧].
التاسع : أغنى: بما كسبه الإنسان في الحياة، وأقنى: بما خلفه بعد الوفاة. مأخوذ من اقتناء المال وهو استبقاؤه. أفاده الماوردي[١٨].
قال ابن كثير:" أي : مَلَّك عباده المال، وجعله لهم قُنْيَة مقيما عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم. وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين"[١٩].
قال السعدي: " أي: أغنى العباد بتيسير أمر معاشهم من التجارات وأنواع المكاسب، من الحرف وغيرها، وأقنى أي: أفاد عباده من الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به مقتنين لها،

---

(١) إعراب القرآن: ١٨٨/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٦/٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢٢.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧.
(١٥) نقلا عن: تفسير التستري: ١٥٧، والنكت والعيون: ٤٠٥/٥.
(١٦) معاني القرآن: ١٠٢/٣.
(١٧) تفسير الثعلبي: ١٧٢/٢٥، [د. دار التفسير]، و"تفسير البغوي": ٧/ ٤١٩، و"زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ٨٣.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٠٥/٥.
(١٩) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٧.

ومالكين لكثير من الأعيان، وهذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى وهذا يوجب للعباد أن يشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له"[١].

وقال سهل:" ظاهرها متاع الدنيا، وباطنها أغنى بالطاعة وأفقر بالمعصية"[٢].

القرآن

{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٤٩)} [النجم : ٤٩]

التفسير:

وأنه سبحانه وتعالى هو رب الشِّعْرى، وهو نجم مضيء، كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأن ربك يا محمد هو ربّ الشِّعْرَي، يعني بالشعرى: النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله"[٣].

قال السعدي: "{الشِّعْرَى}، وهي النجم المعروف بالشعرى العبور، المسماة بالمرزم، وخصها الله بالذكر، وإن كان رب كل شيء، لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبده المشركون مربوب مدبر مخلوق، فكيف تتخذ إلها مع الله"[٤].

قال الفراء:" الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء"[٥].

قال ابن قتيبة:" الكوكب المضيء الذي يطلُع بعد الجَوْزاء. وكان ناسٌ في الجاهلية يعبدونها"[٦].

قال الزجاج:" «الشعرى»: كوكب خَلْفَ الجوزاء، وهو أحد كوكبي ذِرَاع الأسَد، وكان قوم
من العرب يعبدون الشعرى، فأعلم اللَّه - جلَّ وعزَّ - أنه رَبُّها وأنه خَالِقُهَا، وهوَ المَعْبُود - عزَّ وجلَّ"[٧].

قال الزمخشري:" الشِّعْرى مرزم الجوزاء[٨]: وهي التي تطلع وراءها، وتسمى كلب الجبار، وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور. وكانت خزاعة تعبدها، سنّ لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم، وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو كبشة[٩]، تشبيها له به لمخالفته إياهم في دينهم"[١٠].

قال مقاتل: «الشعرى»: اليمانية النيرة الجنوبية كوكب مضيء وهي التي تتبع الجوزاء ويقال لها: المزن والعبور، كان أناس من الأعراب من خزاعة، وغسان، وغطفان، يعبدونها وهي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء، قال الله- تعالى-: أنا ربها فاعبدوني"[١١].

عن ابن عباس، قوله: "{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى}، قال: هو الكوكب الذي يدعى الشعرى"[١٢].

---

(١) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(٢) تفسير التستري: ١٥٧.
(٣) تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٢.
(٤) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(٥) معاني القرآن: ١٠٢/٣.
(٦) غريب القرآن: ٤٣٠.
(٧) معاني القرآن: ٧٧/٥.
(٨)في الصحاح «المرزمان» مرزما الشعريين، وهما نجمان: أحدهما في الشعرى، والآخر في الذراع.
(٩) قال المحقق:" هذا وهم، والمعروف أنهم كانوا يقولون له: ابن أبى كبشة، كما في حديث أبى سفيان الطويل في الصحيحين حيث قال: لقد أمر أمر ابن أبى كبشة أن يخافه ملك بنى الأصفر. يعنى هرقل".
[وانظر الحديث في: البخاري(٧):ص٨/١، وصحيح مسلم(١٧٧٣):ص١٣٩٣/٣].
(١٠) الكشاف: ٤٢٨/٤.
(١١) تفسير مقات بن سليمان: ١٦٦/٤-١٦٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.

قال مجاهد: يعني: " مرزم الجوزاء"[١].
قال مجاهد:" كان يُعبد في الجاهلية"[٢].
قال مجاهد:" الكوكب الذي خَلْف الجوزاء، كانوا يعبدونه"[٣].
قال قتادة:" كان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يُقال له: الشِّعْرَى"[٤].
قال قتادة:" «كان حيّ من العرب يعبدون الشِّعْرَى هذا النجم الذي رأيتم»، قال بشر: يريد النجم الذي يتبع الجوزاء"[٥].
عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى}، كانت تُعبد في الجاهلية، فقال: تعبدون هذه وتتركون ربها؟ اعبدوا ربها. قال: والشِّعْرَى: النجم الوقاد الذي يتبع الجوزاء، يقال له المرزم"[٦].

القرآن
{وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤)} [النجم : ٥٠-٥٤]
التفسير:
وأنه سبحانه وتعالى أهلك عادًا الأولى، وهم قوم هود، وأهلك ثمود، وهم قوم صالح، فلم يُبْقِ منهم أحدًا، وأهلك قوم نوح قبلُ. هؤلاء كانوا أشد تمردًا وأعظم كفرًا من الذين جاؤوا من بعدهم. ومدائن قوم لوط قلبها الله عليهم، وجعل عاليها سافلها، فألبسها ما ألبسها من الحجارة المتتابعة النازلة عليهم من السماء كالمطر.
قوله تعالى:{وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى} [النجم : ٥٠]، أي:" وأنه سبحانه وتعالى أهلك عادًا الأولى، وهم قوم هود"[٧].
قال ابن كثير:" وهم : قوم هود. ويقال لهم : عاد بن إرم بن سام بن نوح، كما قال تعالى :{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ} [الفجر : ٦ - ٨]، فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله وعلى رسوله، فأهلكهم الله {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة : ٦، ٧]"[٨].
قال مقاتل:" وذلك أن أهل عاد وثمود وأهل السواد وأهل الموصل وأهل العال كلها من ولد إرم بن سام بن نوح- عليه السلام- فمن ثم قال «أهلك عادا الأولى» يعنى قوم هود بالعذاب"[٩].
قال الطبري:" يعني تعالى ذكره بـ «عاد الأولى»: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عنى بقوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ}.. وإنما قيل لعاد بن إرم: عاد الأولى، لأن بني لُقَيم بن هزَّال بن هزل بن عَبيل بن ضِدّ بن عاد الأكبر، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكانا بمكة مع إخوانهم من العمالقة، ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب

(١) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٧/٤.

ما أصاب قومهم، وهم عاد الآخرة، ثم هلكوا بعد. وكان هلاك عاد الآخرة ببغي بعضهم على بعض، فتفانوا بالقتل "[1].

قال ابن إسحاق:" قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذرّيته بالريح: عاد الأولى، لأنها أُهلكت قبل عاد الآخرة"[2].

عن ابن زيد: "{أَهْلَكَ عَادًا الأولى}، قال: يقال: هي من أوّل الأمم"[3].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: "{وأَنَّهُ أَهْلَكَ عادًا الأُولى}، قال: كانت الآخرة بحضْرموت"[4].

ذكر القاسم بن معن: أن الأعمش قرأ: «عاد لولى»، فجزم النون، ولم يهمز (الأولى)[5].

قوله تعالى:{وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى} [النجم : ٥١]، أي:" وأهلك ثمود، وهم قوم صالح، فلم يُبْقِ منهم أحدًا"[6].

قال الطبري: يقول:" ولم يبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمردها على ربها مقيمة، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوّها فأهلكها"[7].

قال ابن كثير:" أي : دمرهم فلم يبق منهم أحدا"[8].

قال النحاس:" قال بعض العلماء: أي: فلم يبقهم على كفرهم وعصيانهم حتّى أفناهم وأهلكم وهذا القول خطأ! لأن «الفاء» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يجوز أن تنصب «ثمودا» بـ«أبقى»، وأيضا فإن بعد «الفاء» «ما» وأكثر النحويين لا يجيز أن يعمل ما بعد ما فيما قبلها، والصواب أن «ثمودا» منصوب على العطف على عاد"[9].

قوله تعالى:{وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ} [النجم : ٥٢]، أي:" وقوم نوح قبل عادٍ وثمود أهلكناهم"[10].

قال ابن كثير:" أي : من قبل هؤلاء"[11].

قال مقاتل:" وأهلك قوم نوح بالغرق من قبل هلاك عاد وثمود"[12].

قال الطبري: يقول:" وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشدّ ظلما لأنفسهم، وأعظم كفرا بربهم، وأشدّ طغيانا وتمرّدا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الأمم"[13].

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى} [النجم : ٥٢]، أي:" هؤلاء كانوا أشد تمردًا وأعظم كفرًا من الذين جاؤوا من بعدهم"[14].

قال النحاس:" أي: أظلم لأنفسهم من هؤلاء وأطغى وأشدّ تجاوزا للظلم"[15].

قال ابن كثير:" أي : أشد تمردا من الذين من بعدهم"[1].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٥١/٢٢-٥٥٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٢.
(٤) الدر المنثور: ٦٥٨/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٢/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٧) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢٢.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧.
(٩) إعراب القرآن: ١٨٩/٤.
(١٠) صفوة التفاسير: ٢٦١/٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٧/٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢٢.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(١٥) إعراب القرآن: ١٨٩/٤.

قال مقاتل: أي:" من عاد وثمود، وذلك أن نوحا دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يجيبوه، حتى إن الرجل منهم كان يأخذ بيد ابنه فينطلق به إلى نوح- عليه السلام- فيقول له: احذر هذا، فإنه كذاب، فإن أبي قد مشى بي إلى هذا وأنا مثلك، فحذرني منه فاحذره فيموت الكبير على الكفر وينشؤ الصغير على وصية أبيه، فنشأ قرن بعد قرن على الكفر، هم كانوا أظلم وأطغى فبقي من نسلهم، بعد عاد أهل السواد، وأهل الجزيرة، وأهل العال، فمن ثم قال: «عادا الأولى»"[٢].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى}، قال: دعاهم نبيّ الله ألف سنة إلا خمسين عاما"[٣].

قال قتادة: "لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبيّ الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بنيّ إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذ تتابُعا في الضلالة، وتكذيبا بأمر الله"[٤].

قال ابن أبي زمنين:" كانوا أول من كذب الرسل"[٥].

قوله تعالى:{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى} [النجم : ٥٣]، أي:" وقرى قوم لوط أهواها فأسقطها على الأرض بعد أن انقلبت بهم فصار عاليها سافلها"[٦].

قال أبو عبيدة:" المؤتفكة: المخسوف بها"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى: والمخسوف بها، المقلوب أعلاها أسفلها، وهي قرية سَدُوم قوم لوط، أهوى الله، فأمر جبريل صلى الله عليه وسلم، فرفعها من الأرض السابعة بجناحه، ثم أهواها مقلوبة"[٨].

قال مقاتل:" وأهلك المؤتفكة، يعني: الكذبة. {أهوى}، يعني: قرى قوم لوط، وذلك أن جبريل- عليه السلام- أدخل جناحه تحتها فرفعها إلى السماء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصوات الديكة، ونباح الكلاب، ثم قلبها فهوت من السماء إلى الأرض مقلوبة"[٩].

قال الفراء:" يريد: وأهوى المؤتفكة لأن جبريل- عليه السلام- احتمل قريات قوم لوط حتى رفعها إلى السماء، ثم أهواها وأتبعهم الله بالحجارة"[١٠].

قال ابن كثير:" يعني : مدائن لوط، قَلَبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود"[١١].

عن ابن عباس، قوله: "{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}، قال: المكذّبين أهلكهم الله"[١٢].

عن قتادة، قوله :"{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}، قال: قرية لوط"[١٣]. وفي رواية:" هم قوم لوط"[١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٧/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٢-٥٥٤.
(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٤/٤.
(٦) صفوة التفاسير: ٢٦١/٣.
(٧) مجاز القرآن: ٢٣٩/٣.
(٨) تفسير الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٧/٤.
(١٠) معاني القرآن: ١٠٣/٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.

قال عكرمة:" قوم لوط ائتفكتْ بهم الأرض بعد أن رفعها الله إلى السماء، فالأرض تَجَلجَل بهم إلى يوم القيامة"[١].

عن أبي عيسى يحيى بن رافع: "{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}، قال: قرية لوط حين أهوى بها"[٢].

قال ابن زيد:" قرية لوط أهواها من السماء، ثم أتبعها ذاك الصخر، اقتُلعت من الأرض، ثم هوى بها في السماء ثم قُلبت"[٣].

عن مجاهد: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}، قال: أهواها جبريل، قال: رفعها إلى السماء ثم أهواها"[٤]. وفي رواية:" جبريل رفعها إلى السماء، ثم قلبها، والمؤتفكة: قوم لوط"[٥].

عن السُدِّيّ -من طريق أسباط- قال:" لمّا أصبحوا -يعني: قوم لوط- نزل جبرئيل، فاقتلع الأرض من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا، حتى سمع أهلُ السماء نباحَ كلابهم وأصوات ديوكهم، ثم قلبها، فقتلهم، فذلك حين يقول: {والمؤتفكة أهوى} المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الأرض، فاقتلعها بجناحه، فمن لم يمت حين أسقط الأرض أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شادًا في الأرض. وهو قول الله: {فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل}، ثم تتبعهم في القرى، فكان الرجل يتحدث، فيأتيه الحجر فيقتله، وذلك قول الله تعالى: {وأمطرنا عليها حجارة من سجيل} "[٦].

قوله تعالى:{فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى} [النجم : ٥٤]، أي:" فألبسها ما ألبسها من الحجارة المتتابعة النازلة عليهم من السماء كالمطر"[٧].

قال الطبري: يقول:" فغشّى الله المؤتفكة من الحجارة المنضودة المسومة ما غشاها، فأمطرها إياه من سجيل"[٨].

قال ابن كثير:" يعني : من الحجارة التي أرسلها عليهم {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِين} [الشعراء : ١٧٣]"[٩].

قال مقاتل:" يعني: الحجارة التي غشاها من كان خارجا من القرية، أو كان في زرعه، أو في ضرعه"[١٠].

قال الصابوني:" فغطَّاها من فنون العذاب ما غطَّى"[١١].

عن ابن زيد، قوله: "{فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى}، قال: الحجارة التي رماهم بها من السماء"[١٢].

عن قتادة: "{فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى}، قال: الحجارة"[١٣].

قال قتادة:" غشاها صخرا منضودا"[١٤].

قال قتادة:" كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادي شيئا من نار ونفط وقَطِران كفم الأتون"[١٥].

فوائد الآيات: [٣٣-٥٤]:

---

(١) الدر المنثور:٧/ ٦٦٥، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٥) تفسير مجاهد: ٦٢٩.
(٦) أخرجه الطبري(١٨٤٦٤):ص ٤٤٢/١٥.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٨) تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٢.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(١١) صفوة التفاسير: ٢٦١/٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٢.
(١٥) رواه ابن أبي حاتم كم افي تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧. قال ابن كثير:" غريب جدا" .

١- تقرير ربوبية الله تعالى وإثبات ألوهيته بالبراهين والحجج التي لا ترد بحال.
٢- تقرير عدالة الله تعالى في حكمه وقضائه.
٣- مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.
٤- تقرير حقيقة علمية وهي أن العمل الذي يزكي النفس أو يدنسها هو ذاك الذي يباشره المرء بنفسه وباختياره وقصده ونيته.
٥- تحذير الظلمة والطغاة من أهل الكفر والشرك من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الدمار والخسران.

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥)} [النجم : ٥٥]
التفسير:
فبأيِّ نعم ربك عليك -أيها الإنسان المكذب- تَشُك؟
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعمات ربك يا ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتشكّ وتجادل"(١).
قال السعدي:" أي: فبأي: نعم الله وفضله تشك أيها الإنسان؟ فإن نعم الله ظاهرة لا تقبل الشك بوجه من الوجوه، فما بالعباد من نعمة إلا منه تعالى، ولا يدفع النقم إلا هو"(٢).
قال الفراء:" يقول: فبأي نعم ربك تكذب أنها ليست منه"(٣).
قال مقاتل:" يعني: يشك فيها ابن آدم"(٤).
قال قتادة:" يقول: فبأيّ نِعم الله تتمارى يا ابن آدم"(٥).
قال ابن عباس:" {تَتَمارى} تُكَذِّب"(٦).

القرآن
{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (٥٦)} [النجم : ٥٦]
التفسير:
هذا محمد صلى الله عليه وسلم، نذير بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله، فليس ببدع من الرسل.
عن أبي جعفر: "{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى}، قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم"(٧).
قال السعدي:" أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله، ليس ببدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه، فلأي شيء تنكر رسالته؟ وبأي حجة تبطل دعوته؟ أليست أخلاقه أعلا أخلاق الرسل الكرام، أليست دعوته إلى كل خير والنهي عن كل شر؟ ألم يأت بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟ ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟ فما الذي يمنع العذاب عن المكذبين لمحمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين؟"(٨).
واختلف في قوله تعالى: {هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى} [النجم : ٥٦]، على أقوال:

---

(١) تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٢.
(٢) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(٣) معاني القرآن: ١٠٣/٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٦)تفسير البغوي ٧/ ٤٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٨) تفسير السعدي: ٨٢٢.

أحدها : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، نذيرٌ بما أنذرتْ به الأنبياءُ، قبله. قاله ابن عباس[١]، وقتادة[٢]، وأبو جعفر الباقر[٣]، ومحمد بن كعب القرظي[٤].

قال قتادة:" أنذر محمد صلى الله عليه وسلم كما أنذرت الرسل من قبله"[٥].

قال قتادة:" بعث محمد صلى الله عليه وسلم بما بعث الرسل قبله"[٦].

عن أبي جعفر: "{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى}، قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم"[٧].

قال محمد بن كعب:" محمد - صلى الله عليه وسلم - أنذرَ ما أنذر الأولون"[٨].

قال ابن كثير:" {هَذَا نَذِيرٌ} يعني : محمدا صلى الله عليه وسلم {مِنَ النُّذُرِ الأولَى}، أي : من جنسهم، أرسل كما أرسلوا، كما قال تعالى :{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : ٩]"[٩].

قال الفراء:" فهذا في الكلام كما تقول: هذا واحد من بني آدم وإن كان آخرهم أو أولهم"[١٠].

الثاني : أن هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى. قاله أبو مالك[١١]، واختاره الطبري[١٢].

عن أبي مالك: "{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى}، قال: مما أنذروا به قومهم في صحف إبراهيم وموسى"[١٣].

الثالث : أن خبر هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى نذير لكم. ذكره الماوردي[١٤]، وذكر مقاتل نحو هذا المعنى[١٥].

وقال مقاتل:" فيها تقديم، يقول: هذا الذي أخبر عن هلاك الأمم الخالية، يعني: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، يخوف كفار مكة ليحذروا معصيته"[١٦].

الرابع: أن «النذر»، يعني: الخبر، والمعنى: هذا خبر من خبر الأمم الخالية. ومنه قوله: {وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ} [التوبة : ١٢٢]، يعني: وليخبروا قومهم. قاله يحيى بن سلام[١٧].

الخامس: معناه: هذا نذير من النذر الأولى في اللوح المحفوظ. حكاه الفراء[١٨].

قال الطبري: قول" أبي مالك أشبه بتأويل الآية، وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النُّذر الأولى التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم، فقوله {هَذَا} بأن تكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك"[١٩].

---

(١)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٤)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير(٢١٠٦):ص ٧/ ٤٨١.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٨)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير(٢١٠٦):ص ٧/ ٤٨١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.
(١٠) معاني القرآن: ١٠٣/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٦/٢٢-٥٥٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢-٥٥٧.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٠٦/٥.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(١٧)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٦٨.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ١٠٣/٣.
(١٩) تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٢.

القرآن

{أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)} [النجم : ٥٧-٥٨]

التفسير:

قربت القيامة ودنا وقتها، لا يدفعها إذًا من دون الله أحد، ولا يَطَّلِع على وقت وقوعها إلا الله.

قوله تعالى:{أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} [النجم : ٥٨]، أي:" قربت القيامة ودنا وقتها"[١].

قال مقاتل:" يعنى: اقتربت الساعة"[٢].

قال الفراء:" قربت القيامة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : اقتربت القريبة، وهي القيامة"[٤].

قال السعدي:" أي: قربت القيامة، ودنا وقتها، وبانت علاماتها"[٥].

قال الطبري:" يقول: دنت الدانية: وإنما يعني: دنت القيامة القريبة منكم أيها الناس يقال منه: أزف رَحِيل فلان. إذا دنا وقَرُب، كما قال نابغة بنى ذُبيان[٦]:

أزِفَ الترَحُّلُ غَيرَ أنَّ ركابنا ... لَمَّا تَزَلْ برَحالِنا وكأنْ قَدِ

وكما قال كعب بن زُهَير[٧]:

بانَ الشَّبابُ وأمْسَى الشَّيبُ قَدْ أزِفا ... وَلا أرَى لشَبابٍ ذاهِبٍ خَلَفَا"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{أَزِفَتِ الآزِفَةُ}، قال: اقتربت الساعة"[٩]. وروي عن ابن جريج مثله[١٠].

عن ابن زيد:" {أَزِفَتِ الآزِفَةُ}، قال: الساعة"[١١].

عن ابن عباس: "{أَزِفَتِ الآزِفَةُ}، من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذره عباده"[١٢].

عن سهل بن سعد، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: " «مثلي ومثل الساعة كهاتين». وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان». ثم قال:«مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم». ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا ذلك» "[١٣].

عن زيد بن أسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل قوم بعثوا عينا فبصر بالعدو، فخاف أن يسبقه العدو إلى أصحابه فألاح بسيفه أتيتم، وإني جئت مبعوثا بين يدي الساعة»[١٤].

---

(١) لتفسير الميسر: ٥٢٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.

(٣) معاني القرآن: ١٠٣/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.

(٥) تفسير السعدي: ٨٢٢.

(٦)البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ١٨٣) والرواية فيه " أفد " في مكان " أزف " وكلاهما بمعنى. قال: أفد: دنا. والركاب: الإبل، والرحال: واحدها: راحلة. يقول: قرب الترحل إلا أن الركاب لم تزل، وكأنها قد زالت، لقرب وقت الارتحال.

(٧)البيت لكعب بن زهير، ديوانه (٧٠)، وروايته:

« ... وأمسى الشيب ... ».

(٨) تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٢.

(١٠) الدر المنثور: ٦٦٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢٢-٥٥٨.

(١٣) المسند(٢٢٨٠٩):ص٤٦٧/٣٧، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٥٨٧٢) ، وفي "الأوسط" (٧٣١٩) ، وفي "الصغير" (٩٠٤) ، والرامهرمزي في "الأمثال" (٦٧) ، والبيهقي في "الشعب" (٧٢٦٧) ، والبغوي في "شرح السنة" (٤٢٠٣) من طريق أنس بن عياض.

(١٤) الفتن لنعيم بن حماد(١٨٠٦):ص٦٤٤/٢

قوله تعالى:{لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النجم : ٥٨]، أي:" لا يدفعها إذًا من دون الله أحد، ولا يَطَّلِع على وقت وقوعها إلا الله"(١).

قال ابن قتيبة:أي:" ليس لعلمها كاشفٌ ومبيِّنٌ دونَ الله، ومثله: {لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلا هُوَ}"(٢).

قال الفراء:" أي: لا يعلم علمها غير ربي"(٣).

قال ابن كثير:" أي : لا يدفعها إذًا من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه"(٤).

قال الشوكاني:" أي: ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلا الله سبحانه"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ليس للآزفة التي قد أزفت، وهي الساعة التي قد دنت من دون الله كاشف، يقول: ليس تنكشف فتقوم إلا بإقامة الله إياها، وكشفها دون من سواه من خلقه، لأنه لم يطلع عليها مَلَكا مقرّبا، ولا نبيا مرسلا"(٦).

عن قتادة:" {ليس لها من دون الله كاشفة}: أي: رادّة"(٧).

قال عطاء:" ليس لها رادٌّ"(٨).

قال الضحاك:" ليس لها من دون الله من آلهتهم كاشفة"(٩).

قال ابن جريج:" لا يكشف عنها إلا هو"(١٠).

القرآن

{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)} [النجم : ٥٩-٦٢]

التفسير:

أفمِن هذا القرآن تعجبون -أيها المشركون- من أن يكون صحيحًا، وتضحكون منه سخرية واستهزاءً، ولا تبكون خوفًا من وعيده، وأنتم لاهون معرضون عنه؟ فاسجدوا لله وأخلصوا العبادة له وحده، وسلِّموا له أموركم.

قوله تعالى:{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ} [النجم : ٥٩]، أي:" أفمِن هذا القرآن تعجبون - أيها المشركون- من أن يكون صحيحًا"(١١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون، أنْ نزلَ على محمد صلى الله عليه وسلم، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه"(١٢).

عن مجاهد في قوله :"{أفمن هذا الحديث} قال: القرآن"(١٣).

قال مقاتل:" يعني: القرآن، {تعجبون} تكذيبا به"(١٤).

---

(١) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(٢) غريب القرآن: ٤٣٠.
(٣) معاني القرآن: ١٠٣/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.
(٥) فتح القدير: ١٤٢/٥.
(٦) تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٢.
(٧) الدر المنثور: ٦٦٦/٧ ، وعزاه إلى ابن جرير.
(٨)تفسير البغوي ٧/ ٤٢٠، وجاء عقبه: "يعني: إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردّها عنهم أحد".
(٩) الدر المنثور: ٦٦٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٠) الدر المنثور: ٦٦٦/٧ ، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١١) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٢.
(١٣) الدر المنثور: ٦٦٦/٧، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى منكرا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم :{تَعْجَبُونَ} من أن يكون صحيحا"[١].

قال السعدي:" أي: أفمن هذا الحديث الذي هو خير الكلام وأفضله وأشرفه تتعجبون منه، وتجعلونه من الأمور المخالفة للعادة الخارقة للأمور والحقائق المعروفة؟ هذا من جهلهم وضلالهم وعنادهم، وإلا فهو الحديث الذي إذا حدث صدق، وإذا قال قولا فهو القول الفصل الذي ليس بالهزل، وهو القرآن العظيم، الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، الذي يزيد ذوي الأحلام رأيا وعقلا وتسديدا وثباتا، وإيمانا ويقينا والذي ينبغي العجب من عقل من تعجب منه، وسفهه وضلاله"[٢].

قوله تعالى:{وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} [النجم : ٦٠]، أي:" وتضحكون منه سخرية واستهزاءً، ولا تبكون خوفًا من وعيده"[٣].

قال مقاتل: "{وَتَضْحَكُونَ} استهزاء، {وَلَا تَبْكُونَ}، يعني: كفار مكة مما فيه من الوعيد"[٤].

قال الزمخشري:" {وَتَضْحَكُونَ}، استهزاء، {وَلا تَبْكُونَ}، والبكاء والخشوع حق عليكم"[٥].

قال ابن كثير:" {وَتَضْحَكُونَ} منه استهزاء وسخرية، {وَلا تَبْكُونَ}، أي : كما يفعل الموقنون به، كما أخبر عنهم :{وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الإسراء : ١٠٩]"[٦].

قال السعدي:" أي: تستعملون الضحك والاستهزاء به، مع أن الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون، سماعا لأمره ونهيه، وإصغاء لوعده ووعيده، والتفاتا لأخباره الحسنة الصادقة"[٧].

عن أبي هريرة قال: "لما نزلت: {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} [النجم: ٦٠]، بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مصر على معصية، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم»"[٨].

عن الحسن، أنه قرأ هذه الآية: {أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون} [النجم: ٦٠] ، قال: «والله إن كان أكيس القوم في هذا الأمر لمن بكى، فأبكوا هذه القلوب، وابكوا هذه الأعمال، فإن الرجل لتبكي عيناه، وإنه لقاسي القلب»[٩].

قال سفيان الثوري:" فقد بلغت - والله أعلم - أن الله تعالى عير أقواما في كتابه بالضحك , وترك البكاء فقال {أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون} [النجم: ٦٠] ومدح أقواما في كتابه فقال: {ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا} [الإسراء: ١٠٩] , وقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أحب الله قوما ابتلاهم , فمن رضي فله الرضى , ومن سخط فله السخط»"[١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.
(٢) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(٣) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(٥) الكشاف: ٤٣٠/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.
(٧) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(٨) شعب الإيمان(٧٧٧):ص٢٣٢/٢.
(٩)الزهد والرقائق لابن المبارك(١٢٧):ص٤١/١.
(١٠)رواه أبو نعيم في حلية الأولياء: ١٠/٧.

عن صالح أبي الخليل، قال: "لما نزل: {أَفَمِنْ هذا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ}، ما رأي النبي صلّى الله عليه وسلّم ضاحكا"[1].

عن أنس بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل عليه السلام: «ما لي لم أر ميكائيل عليه السلام ضاحكا قط؟» قال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[2].

عن المعلى بن زياد قال: "قال غزوان: لله تبارك وتعالى ألا يراني الله ضاحكا حتى أعلم أي الدارين داري؟ قال: قال الحسن فعزم ففعل فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله عز وجل"[3].

عن عبد الله بن مسعود قال:" ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخطئون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا حليما سكينا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا ضاحكا ولا حديدا"[4].

عن الفُضَيل بن عِياض -من طريق إبراهيم بن نصر-: "مَن أُوتِي عِلمًا لا يزداد فيه خوفًا وحزنًا وبكاء خليقٌ بأن لا يكون أُوتي علمًا ينفعه. ثم قرأ: {أَفَمِن هَذا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وتَضْحَكُونَ ولا تَبْكُونَ}"[5].

قوله تعالى:{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم : ٦١]، أي:" وأنتم لاهون معرضون عنه؟"[6].

اختلف في تفسير قوله تعالى:{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم : ٦١]، على وجوه:

أحدها : شامخون كما يخطر البعير شامخاً، قاله ابن عباس[7].

قال ابن عباس:" كانوا يمرّون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين، ألم تروا إلى الفحل في الإبل عَطِنا شامخا"[8].

الثاني : معناه: غضاب مبرطمون[9]. قاله مجاهد[10].

قال مجاهد:" كانوا يمرّون على النبيّ صلى الله عليه وسلم غضابا مُبَرْطِمين[11]"[12].

عن مجاهد:" {وأنْتُمْ سامِدُونَ}، قال: البَرْطَمة"[13].

قال مجاهد:" «البرطمة، وهو العابس الوجه"[14].

الثالث : غافلون، قاله الحسن[15]، وقتادة[16]، وابن زيد[17].

قال ابن زيد:" السامد: الغافل"[18].

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٨/٩.
(٢) الزهد لأحمد بن حنبل(٣٥٩):ص٥٩.
(٣) الزهد لأحمد بن حنبل(١١٤٨):ص١٦٨.
(٤) الزهد لأحمد بن حنبل(٨٩٢):ص١٣٣.
(٥)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(١٦٧٢):ص ٤/ ٤٢٧ - ٤٢٨.
(٦) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٢.
(٩) في "الصحاح": البرطمة هي: الانتفاخ من الغيظ والغضب.
(١٠) انظر: تفسير مجاهد: ٦٢٩، وتفسير الطبري: ٥٥٩/٢٢، والكشف والبيان: ١٥٨/٩.
(١١) "مُبَرْطِمين": من "البرطمة" وهى: الانتِفاخ مِن الغضب، ورجل مُبَرْطِم: مُتكبِّر. وقيل: مُقَطِّب مُتَغَضِّبٌ. النهاية (برطم).
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٢.
(١٣)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٢٢ -.
(١٤) تفسير مجاهد: ٦٢٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦١/٢٢.
(١٨) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٢.

قال الخليل:" السمود في الناس: الغفلة والسهو عن الشيء"[١].

قال السعدي:" أي: غافلون عنه، لاهون عن تدبره، وهذا من قلة عقولكم وأديانكم فلو عبدتم الله وطلبتم رضاه في جميع الأحوال لما كنتم بهذه المثابة التي يأنف منها أولو الألباب"[٢].

الرابع : مستكبرون، قاله السدي[٣]، ورواه شمر بإسناد عن ابن عباس[٤].

قال الخليل:" وكل رافع رأسه سامد"[٥].

قال السمين:" فيحتمل أن يكون ذلك تكبرًا، وأن يكون غفلةً. وهذه الحالة تكون لهذين الشخصين"[٦].

الخامس : لاهون، قاله ابن عباس-في رواية-[٧]. وبه قال مقاتل[٨]، والفراء[٩]،وأبو عبيدة[١٠]، وابن قتيبة[١١]، والطبري[١٢]، والزجاج[١٣].

قال الفراء: أي: "لاهون"[١٤].

قال أبو عبيدة:" لاهون، يقال: دع عنك سمودك"[١٥].

قال مقاتل:" يعني: لاهون عن القرآن- بلغة اليمن-"[١٦].

قال الطبري:" يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العِبر والذكر، معرضون عن آياته; يقال للرجل: دع عنا سُمودَك، يراد به: دع عنا لهوك"[١٧].

وقال الكلبي: "السامد: الحزين بلسان طيئ، وبلسان أهل اليمن: اللاهي"[١٨].

قال الخليل:" أي: ساهون لاهون، ويقال: دع عنك سمودك"[١٩].

السادس : أن السُّمود: اللهو واللعب. قاله الضحاك[٢٠].

السابع : هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن، قاله ابن عباس[٢١]، وعكرمة[٢٢].

قال عكرمة:" هو الغناء بالحِميرية"[٢٣].

قال ابن عباس:" هو الغناء، وهي يمانية، يقولون: اسمد لنا: تغَنَّ لنا"[٢٤].

---

(١) العين: ٢٣٥/٧.
(٢) تفسير السعدي: ٨٢٢.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٠٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.
(٤) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٨٥/٢١، وتفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧. قال ابن كثير:" وفي رواية عن ابن عباس : تستكبرون. وبه يقول السدي".
(٥) العين: ٢٣٥/٧.
(٦)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٢٢٠/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(٩) معاني القرآن: ١٠٣/٣.
(١٠) مجاز القرآن: ٢٢٩/٢.
(١١) غريب القرآن: ٤٣٠.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٢.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٧٨/٥.
(١٤) معاني القرآن: ١٠٣/٣.
(١٥) مجاز القرآن: ٢٢٩/٢.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(١٧) تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٢.
(١٨) نقلا عن : الكشف والبيان: ١٥٨/٩.
(١٩) العين: ٢٣٥/٧.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٢.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٢.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٢.
(٢٣) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٢.
(٢٤) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٢.

قال ابن قتيبة:" يقال للجارية: اسْمُدِى لنا؛ أي: غنِّي لنا"[١].

الثامن : أن «السامد»: القائم في تحيّر، روي معناه عن علي-رضي الله عنه-[٢]، وإبراهيم[٣].

عن إبراهيم، قوله: "{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ}، قال: قيام القوم قبل أن يجيء الإمام"[٤].

قال إبراهيم:" كانوا يكرهون أن يقوموا إذا أقام المؤذن للصلاة، وليس عندهم الإمام، وكانوا يكرهون أن ينتظروه قياما، وكان يقال: ذاك السُّمود، أو من السُّمود"[٥].

عن أبي خالد الوالبيّ، عن عليّ رضي الله عنه قال: "رآهم قياما ينتظرون الإمام، فقال: ما لكم سامدون"[٦].

التاسع : خامدون. قاله المبرد[٧]، قال الشاعر[٨]:

رَمى الحِدْثانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ ... بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمودا

قال ابن القيم -بعد ذكره لما تقدم في معنى الغناء-: "فالغناء يجمع هذا كله ويوجبه. فهذه أربعة عشر اسمًا سوى اسم الغناء"[٩].

قوله تعالى:{فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم : ٦٢]، أي:" فاسجدوا لله وأخلصوا العبادة له وحده، وسلّموا له أموركم"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون مَن سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكا في عبادتكم إياه"[١١].

قال مقاتل:" {فَاسْجُدُوا}، يعني: صلوا الصلوات الخمس، {وَاعْبُدُوا}، يعني: وحدوا الرب- تعالى-"[١٢].

قال ابن كثير:" ثم قال آمرا لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم والتوحيد والإخلاص :{فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا}، أي : فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوا "[١٣].

قال الشوكاني:" لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية به وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره أمر عباده المؤمنين بالسجود لله والعبادة له، و«الفاء» جواب شرط محذوف، أي: إذا كان الأمر من الكفار كذلك، فاسجدوا لله واعبدوا، فإنه المستحق لذلك منكم"[١٤].

قال السعدي:" الأمر بالسجود لله خصوصا، ليدل ذلك على فضله وأنه سر العبادة ولبها، فإن لبها الخشوع لله والخضوع له، والسجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد فإنه يخضع قلبه

---

(١) غريب القرآن: ٤٣٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦١/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٢.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٠٧/٥.
(٨)البيت لعبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي، أو للكميت بن معروف. انظر: "الحماسة" لأبي تمام ١/ ٤٦٤، و"أمالي القالي" ٣/ ١١٥، و"الأضداد" ص ٣٦، و"مجالس ثعلب" ص ٤٣٩، و"تهذيب اللغة" ١/ ٣٧٧٢، و"اللسان" ٢/ ١٩٨ (سمد). ونسبه ابن كثير في "البداية والنهاية" ٨/ ١٤٤ لأيمن بن خزيم.
(٩) إغاثة اللهفان: ٢٥٨/١.
(١٠) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(١١) تفسير الطبري: ٥٦١/٢٢.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٨/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.
(١٤) فتح القدير: ١٤٢/٥.

وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام. ثم أمر بالعبادة عموما، الشاملة لجميع ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة"[١].

عن قتادة: {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا}، قال: " اعنِتوا هذه الوجوه لله، وعفِّروها في طاعة الله"[٢].

عن جعفر بن المطلب بن أبي وَدَاعة، عن أبيه قال : "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم، فسجد وسَجَد من عنده، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدًا يقرؤها إلا سجد معه"[٣].

فوائد الآيات: [٥٥-٦٢]:

١- بيان قرب الساعة وخفاء ساعتها عن كل خلق الله حتى تأتي بغتة.

٢- ذم الضحك مع الانغماس في الشهوات.

٣- الترغيب في البكاء من خشية الله.

٤- كراهية الغناء واللهو واللعب.

٥- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية لمن يتلوها ولمن يستمع لها، وهي من عزائم السجدات في القرآن الكريم، ومن خصائص هذه السجدة أن المشركين سجدوها مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول الكعبة كما في الصحيح[٤].

«آخر تفسير سورة (النجم)، والحمد لله وحده»

---

(١) تفسير السعدي: ٨٢٢.

(٢) الدر المنثور: ٦٦٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣)المسند (٣٩٩/٦) وسنن النسائي (١٦٠/٢).

(٤) انظر: صحيح البخاري(١٠٧١):ص٤١/٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القمر»

«سورة القمر»: هي السورة الرابعة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة السابعة والثلاثون وَفْق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الطارق»، وقبل سورة (ص). وآياتها خمس وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة واثنتان وأربعون. وحروفها ألف وأربعمائة وثلاث وعشرون. فواصل آياتها كلها على حرف «الراء»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة القمر»:**

عرفت السورة باسم «سورة القمر»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وبذلك ترجمها الإمام الترمذي في "جامعه"[٢].

ووردت عند ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" نزلت سورة القمر بمكة"[٣].

ووجه تسميته بـ«سورة القمر»، لافتتاحها بذكر انشقاق القمر، وهو معجزة نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة اقتربت الساعة»:**

اسمها بين السلف «سورة اقتربت الساعة»، ففي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يقرأ بقاف والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر»[٤]. في الفطر، والأضحى.

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:"نزلت بمكة سورة {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}"[٥].

وروي عن ابن الزبير مثله[٦].

وبهذا الاسم عنون لها الإمام البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"[٧].

ووجه تسميتها بهذا الاسم، لافتتاحها بهذين اللفظين في قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١].

ويجدر القول بأن هذا الاسم اجتهادي وليس توفيقي من النبي-صلى الله عليه وسلم-، إذ لم يثبت عنه حديث في هذه التسمية.

كما كتبت في بعض الكتب باسم: «سورة الساعة»[٨].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[٩]، وابن الزبير[١٠].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٥.

(٢) انظر: كتاب التفسير: ٣٩٧/٥.

(٣) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

(٤) موطأ مالك(٢٣٦):ص٨٩، ومسند الإمام الشافعي(٤٦١):١٥٨/٢ .

(٥) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى وابن مردويه.

(٧) انظر: كتاب التفسير: ٣٥٧/٦.

(٨) من تلك الكتب:

- جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزدي الدُّوري القارئ (المتوفى: ٢٤٦هـ):ص١٥٥.

التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) حققه وعلق عليه: محمد الحجار: ١٧٨.

(٩) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

(١٠) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى وابن مردويه.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: «سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - آية؛ فانشق القمر بمكة مرتين؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}، يقول: ذاهب (٤)»[١]. [صحيح]

الثاني : أنها مكية إلاّ ثلاث آيات، أوّلها: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ} [القمر : ٤٤]، إلى قوله: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]، نزلت يوم بدر، قاله مقاتل[٢].

قال القرطبي: وهذا" ولا يصح"[٣].

الثالث : أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥]، حكاه ابن عطية[٤]، وحكاه ابن الجوزي عن مقاتل[٥]. وبه قال الزمخشري[٦].

وقال السمعاني: وهي مكية إلا قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥]، والآية التي بعدها"[٧].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع إلا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس هي مكية، وقال قوم هي مما نزل ببدر، وقيل بالمدينة وهي: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر: ٤٥] الآية"[٨].

---

(١)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٥٧) -ومن طريقه مسلم في "صحيحه" (٤/ ٢١٥٩ - لكن لم يسق لفظه)، وأحمد (٣/ ١٦٥)، وعبد بن حميد في "المسند" (٣/ ٩٢ رقم ١١٨٢)، والترمذي في "الجامع" (٥/ ٣٩٧ رقم ٣٢٨٦)، والأصبهاني في "دلائل النبوة" (١/ ٢٦٢ رقم ٦)، وأبو يعلى في "المسند" (٥/ ٤٦٣ رقم ٣١٨٧)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٧٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٣) - عن معمر عن قتادة عن أنس به.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "قد اتفق الشيخان على حديث شعبة عن قتادة عن أنس: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -, ولم يخرجاه بسياقة حديث معمر، وهو صحيح على شرطهما".

قلنا: وهو كما قال، وقد توسع أخونا الفاضل مساعد الراشد -حفظه الله- في تخريج رواياته في تعليقه على "دلائل النبوة" للأصبهاني؛ فانظرها غير مأمور.

وأخرج أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٢/ ١٢٣ رقم ٢٤٤٧ - منحة)، والطبري في "جامع البيان" (٢٧/ ٥٠، ٥١)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٨)، وأبو نعيم في "الدلائل النبوة" (ص ٢٣٥، ٢٣٦)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٦) من طريق أبي عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود؛ قال: انشق القمر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -, فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار فسألوهم؛ فقالوا: نعم قد رأيناه؛ فأنزل الله -تعالى-: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}.

قلنا: وسنده صحيح.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٦٧٠) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

وأخرج عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٥٧) -ومن طريقه الحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٧١)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٥) - عن ابن عيينة ومحمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن مسعود؛ قال: رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي - صلى الله عليه وسلم -: شقة على أبي قبيس، وشقة على السويداء، فقالوا: سحر القمر؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} يقول: كما رأيتم القمر منشقاً؛ فإن الذي أخبرتكم عن اقتراب الساعة حق.

قلنا: وسنده صحيح.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبد الله مختصراً، وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعض لبعض"، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٦٧٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن مردويه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.

(٣) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.

(٦) انظر: الكشاف: ٤٣٠/٤.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٠٦/٥.

(٨) المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

قال ابن أبي زمنين:" هي مكية كلها"[١].
قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٢].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[٣].
قال القرطبي:" سورة القمر مكية كلها في قول الجمهور"[٤].
قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- مشاكلة آخر السورة السابقة لأول هذه فقد قال هناك: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} [النجم : ٥٧]، وقال هنا: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} [القمر : ١].
٢- حسن التناسق بين النجم والقمر.
٣- إن هذه قد فصلت ما جاء في سابقتها، ففيها إيضاح أحوال الأمم التي كذبت رسلها، وتفصيل هلاكهم الذي أشار إليه في السابقة بقوله: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢)} [النجم : ٥٠ - ٥٢].

فما أشبهها مع سابقتها بالأعراف بعد الأنعام، والشعراء بعد الفرقان[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يدور موضوع سورة «القمر» حول بيان الموقف العنادي المكابر الذي وقفه كفار قريش من آية انشقاق القمر العظيمة، بعد أن طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم آية مادية كبرى، تثبت صحة نبوته، وصدق رسالته، وبيان موقفهم العنادي من الأنباء الزاجرة، التي سبق للقرآن أن وجهها لهم. وبيان الموقف الذي يوصِي الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتخذه معهم، بعد أن وصلوا إلى حالة ميؤوس منها غالباً، وهو التولي عنهم، بإدارة ظهره إليهم، والاشتغال بآخرين لم يبلغوا بعد ما بلغ إليه هؤلاء من عناد ومكابرة واستكبار ومعاداة لدعوة الحق الربانية.

وعلى الجملة، فقد تجلت مقاصد سورة القمر في الأمور التالية:

١- تسجيل مكابرة المشركين في الآيات البينة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مكابرتهم.
٢- إنذارهم باقتراب القيامة وبما يلقونه حين البعث من الشدائد.
٣- تذكيرهم بما لقيته الأمم أمثالهم من عذاب الدنيا؛ لتكذيبهم رسل الله، وأنهم سيلقون المصير نفسه الذي لقيه أولئك؛ إذ ليسوا خيراً من كفار الأمم الماضية.
٤- إنذارهم بقتال يُهزمون فيه، ثم لهم عذاب الآخرة، وهو أشد.
٥- إعلامهم بإحاطة الله علماً بأفعالهم، وأنه مجازيهم شر الجزاء، ومجازِ المتقين خير الجزاء. وإثبات البعث، ووصف بعض أحواله.
٦- تكرير التنويه بهدي القرآن وحكمته.
٧- بينت السورة أن كل شيء خلقه الله بقدر، وما أمره سبحانه في الإتيان بالساعة إلا كلمح بالبصر، وأن كل شيء فعلوه مثبت في كتب أعمالهم، يكتبها ملائكة جعلهم الله لكتابة أعمال العباد.
٨- خُتمت السورة بترغيب الذين آمنوا واتقوا بأنهم سيكونون يوم الدين: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)} [القمر : ٥٤ - ٥٥][١].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٥/٤.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٥/١.
(٣) زاد المسير: ١٩٦/٤.
(٤) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.
(٥) التحرير والتنوير: ١٦٥/٢٧.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ٧٤/٢٧.

- **الناسخ والمنسوخ:**

ذكر أهل التفسير آية واحدة، من اللواتي إدعي عليهن النسخ، وهي قوله تعالى: { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ} [القمر : ٦][٢].

قال الزجاج: وقف التمام: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ}، وقوله: {إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ} إلى ما كانوا يَنْكِرونَهُ من البعث، فتول عنهم يوم كذا في الآية، و{يَوْمَ} منصوب بقوله: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ}"[٣].

وقال مقاتل: يعني فأعرض عن كفار مكة إلى يوم يدع الداع، وهو إسرافيل ينفخ الثانية قائما على صخرة بيت المقدس"[٤].

قال الجوزي: "وليس هذا بشيء[٥].

قال ابن الجوزي:" وقد زعم قوم أن هذا التولي منسوخ بآية السيف[٦]، وقد تكلمنا على نظائره وبينا أنه ليس بمنسوخ[٧].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي: «ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى، والفطر» ؟ قال: «كان يقرأ بقاف والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر»[٨].

قال الزحيلي:" وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار كالجمع والعيد، لاشتمالها على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة"[٩].

- عن ابن عباس قال: "قارىء اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه"[١٠].
- وأخرج الديلمي عن عائشة مرفوعا: "من قرأ بـ«الم تنزيل» و «يس» و {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}، و{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، كن له نورا وحرزا من الشيطان والشرك، ورفع له في الدرجات يوم القيامة"[١١].
- وأخرج ابن الضريس عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة رفعه:" من قرأ : {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١] في كل ليلتين بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر"[١٢].
- وأخرج ابن الضريس عن ليث عن معن عن شيخ من همدان رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ : {اقْتَرَبَتِ السَّاعَة} غبا ليلة وليلة حتى يموت لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر"[١٣].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٦٦/٢٧.

(٢)انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢، وذكره أيضا هبة الله في ناسخه ص: ٨٨ وابن هلال في ناسخه المخطوط ورقة ٣٣.

(٣) معاني القرآن: ٨٦/٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.

(٥) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢.

(٦)ذكره هبة الله في ناسخه ص: ٨٨ وابن هلال في ناسخه المخطوط ورقة ٣٣.

(٧) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢.

(٨) موطأ مالك(٢٣٦):ص٨٩، ومسند الإمام الشافعي(٤٦١):١٥٨/٢ .

(٩) التفسير المنير: ١٤٤/٢٧.

(١٠) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

(١١) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

(١٢) الدر المنثور: ٦٦٩/٧.

(١٣) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

- وأخرج أحمد عن بريدة:" أن معاذا بن جبل صلى بأصحابه صلاة العشاء فقرأ فيها {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}، فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب، فقال له معاذ قولا شديدا، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر إليه، فقال: إني كنت أعمل في نخل وخفت على الماء. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «صلي بالشمس وضحاها ونحوها من السور»"[1].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ في كل غداة بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق»[2].[ضعيف]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) الدر المنثور: ٦٧٠/٧.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٠/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

القرآن

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} [القمر : ١]

التفسير:

دنت القيامة، وانفلق القمر فلقتين، حين سأل كفار «مكة» النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فدعا الله، فأراهم تلك الآية.

سبب النزول:

عن عبدالله بن مسعود، قال: "انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كَبْشة سحركم فسلوا السُّفَّار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله تبارك وتعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}"[١].

قوله تعالى:{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} [القمر : ١]، أي:" دنت القيامة"[٢].

قال الطبري: يعني:" دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون"[٣].

قال النحاس:" المعنى: اقتربت الساعة التي تقوم فيها القيامة فاحذروا منها لئلا تأتيكم فجأة وأنتم مقيمون على المعاصي"[٤].

قال ابن عطية:" {اقْتَرَبَتِ}، معناه: قربت إلا أنه أبلغ، كما أن اقتدر أبلغ من قدر. و: السَّاعَةُ القيامة وأمرها مجهول التحديد لم يعلم، إلا أنها قربت دون تحديد"[٥].

وفي تسمية «القيامة» بالساعة، وجهان[٦]:

أحدهما : لسرعة الأمر فيها .

الثاني : لمجيئها في ساعة من يومها.

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين فما فضل إحداهما على الأخرى» . وجمع بين إصبعه الوسطى والتي يقول الناس: السبابة"[٧].

قال أبو حازم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال أبو ضمرة لا أعلمه إلا، عن سهل بن سعد، قال: «"مثلي ومثل الساعة كهاتين". وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: "مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان". ثم قال: "مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم". ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا ذلك"»[٨].

قوله تعالى:{وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١]، أي:" وانفلق القمر فلقتين"[٩].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر"[١٠].

قال الزمخشري:" انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٣) تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٢.

(٤) إعراب القرآن: ١٩٢/٤.

(٥) المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٠٨/٥.

(٧) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٩٧/١.

(٨) أخرجه احمد(٢٢٨٠٩):ص٤٦٧/٣٧، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٥٨٧٢) ، وفي "الأوسط" (٧٣١٩) ، وفي "الصغير" (٩٠٤) ، والرامهرمزي في "الأمثال" (٦٧) ، والبيهقي في "الشعب" (٧٢٦٧) ، والبغوي في "شرح السنة" (٤٢٠٣).

(٩) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٢.

(١١) الكشاف: ٤٣٢/٤.

وفي قوله تعالى:{وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١]، ثلاثة أقوال[١]:
أحدها : معناه: وضح الأمر وظهر. حكاه الماوردي[٢]. وبه قال العز بن عبدالسلام[٣]، والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح أمره، قال الشاعر[٤]:
أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وأرحل
قال العز بن عبدالسلام: أي: "اتضح الأمر وظهر، يضربون المثل بالقمر فيما وضح وظهر"[٥].
الثاني : أن انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه ، وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه، حكاه الماوردي[٦]، ومنه قول النابغة الجعدي[٧]:
فلمَّا أدْبَرُوا ولهُم دَوِيٌّ ... دعانا عند شَقِّ الصُّبْحِ داعي
الثالث : أنه انشقاق القمر على حقيقة انشقاقه.
وفيه على هذا التفسير الأخير، قولان :
أحدهما : أنه سينشق بعد مجيء الساعة وهي النفخة الثانية، قاله الحسن[٨]، ورواه عثمان بن عطاء عن أبيه[٩]، قال : لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنها آية والناس في الآيات سواء.
قال ابن عطية:" وهذا ضعيف، الأمة على خلافه"[١٠].
قال الفخر الرازي:" بعيد ولا معنى له"[١١].
قال الثعلبي:" العلماء على خلاف هذا القول، والأخبار الصحاح ناطقة بأن هذه الآية قد مضت"[١٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٠٩.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٠٩/٥. وتفسير القرطبي: ١٢٦/١٧.
(٣) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام: ٢٥٤/٣.
(٤) القائل الشنفري الازدي، وهو في ذيل أمالي القالي: ٢٠٣، وخزانة الأدب:٣٤٢/٣.
يُقَال: أقَامَ صدر مطيته. إذا جد فِي السّير وَكَذَلِكَ إذا جد فِي أمر كَانَ. يُؤذن قومه بالرحيل وَأن غفلتهم عَنهُ توجب مفارقتهم. وبني أُمِّي: منادى وأضاف الْأَبْنَاء إلى الْأُم لِأَنَّهَا أشد شَفَقَة كَمَا قيل فِي قَوْله تَعَالَى حِكَايَة عَن هرون: يَا ابْن أم. وأميل هُنَا بِمَعْنى مائل وَنَظِيره كثير نَحْو أكبر وأوحد.
وَقَوله: فقد حمت الْحَاجَات الخ يُرِيد تنبهوا من رقدتكم فَهَذَا وَقت الْحَاجة وَلَا عذر لكم فَإِن اللَّيْل كالنهار فِي الضَّوْء والآلة حَاضِرَة. وحمت بِضَم الْحَاء الْمُهْملَة يُقَال: حم الشَّيْء بالْبنَاء للمَفْعُول أي: قدر وهيئ.
وأقمر اللَّيْل أي: أضَاء. والطية بِكَسْر الطَّاء الْمُهْملَة قَالَ صَاحب الصِّحَاح: الطية النِّيَّة قَالَ الْخَلِيل: الطية تكون منزلا وَتَكون منتأى تَقول: مضى لطيته أي: لنيته الَّتِي انتواها وبعدت عَنَّا طيته وَهُوَ الْمنزل الَّذِي انتواه وَمضى لطيته وطية بعيدَة: أي شاسعة. [الخزانة: ٣٤٢/٣-٣٤٣]

(٥) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام: ٢٥٤/٣.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٠٩/٥. وانظر: تفسير العز بن عبدالسلام: ٢٥٤/٣، وتفسير القرطبي: ١٢٦/١٧.
(٧)انظر: النكت والعيون: ٤٠٩/٥، و باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، للنيسابوري: ١٤١٢/٣، وتفسير القرطبي: ١٢٦/١٧، والبحر المحيط في التفسير: ٣٣/١٠، والباب: ١١٩/١٠، ونسبوه للنابغة وهو ليس في ديوانه.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٠٩/٥.
(٩) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٠/٩. هو عثمان بن عطاء بن أبي مسلم. أبو مسعود المقدسي، ضعيف، مات سنة (١٥٥ هـ). انظر: "تقريب التهذيب" ٢/ ١٢
(١٠) المحرر الوجيز: ٢١١/٥.
(١١) مفاتيح الغيب: ٢٨٨/٢٩.
(١٢) الكشف والبيان: ١٦٠/٩.

قال الزجاج:" زعم قوم عَنَدُوا عَنِ القَصْدِ وما عليه أهل العلم: أنَّ تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين في اللفظ وإجْماعِ أهل العلم، لأن قوله: {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}، فكيف يكون هذا في القيامَة!"[١].

قال السمعاني:" قوله إن معناه: سينشق القمر. قلنا: هذا عدول عن ظاهر الآية، ولا يجوز إلا بدليل قاطع، ولأن الله تعالى قال: {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}، وهذا دليل على أنهم قد رأوها، ولأنه سماه آية، وإنما يكون آية إذا كانت في الدنيا؛ لأن الآية هاهنا بمعنى الدلالة والعبرة"[٢].

قال ابن الجوزي:" هذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: {وَانْشَقَّ} لفظ ماض، وحَمْلُ لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجوداً. وفي قوله: {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا}، دليل على أنه قد كان ذلك"[٣].

الثاني : أن القمر انشق على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فآراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته. قاله عبدالله بن مسعود[٤]، وأنس بن مالك[٥]، وحذيفة[٦]، وجبير بن مطعم[٧]، وابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، والضحاك[١١]، وإبراهيم[١٢]. وهو قول الجمهور وظاهر التنزيل[١٣].

قال الزجاج:" أجمع المفسرون، - ورَوينا عن أهل العلم الموثوق بهم - أن القمر انشق على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم –"[١٤].

قال ابن كثير:" قد كان هذا في زمان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة .. وهو أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات"[١٥]. ثم ساق الأحاديث في ذلك.

عن ابن عباس، قال: " انشقّ القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٦].

عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: " انشقّ القمر قبل الهجرة، أو قال: قد مضى ذاك"[١٧].

عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: "{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، قال: ذاك قد مضى كان قبل الهجرة، انشقّ حتى رأوا شِقيه"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٨١/٥.
(٢) تفسير السمعاني: ٣٠٦/٥-٣٠٧.
(٣) زاد المسير: ١٩٧/٤.
(٤) انظر: تفسير: الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(٥) انظر: تفسير: الطبري: ٥٦٦/٢٢.
(٦) انظر: تفسير: الطبري: ٥٦٧/٢٢-٥٦٨.
(٧) انظر: تفسير: الطبري: ٥٦٨/٢٢.
(٨) انظر: تفسير: الطبري: ٥٦٨/٢٢-٥٦٩.
(٩) انظر: تفسير: الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير: الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(١١) انظر: تفسير: الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير: الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(١٣) حكاه الزجاج والماوردي والواحدي وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم، عن الجمهور، انظر: معاني القرآن: ٨١/٥، والنكت والعيون: ٤٠٩/٥، والتفسير البسيط: ٨٩/٢١، والمحرر الوجيز: ٢١١/٥، وزاد المسير: ١٩٧/٤.
(١٤) معاني القرآن: ٨١/٥.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٤٧٢/٧.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢٢.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢٢.

عن ابن عباس، قوله: "{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}... إلى قوله: {سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}، قال:" قد مضى، كان قد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأعرض المشركون وقالوا: سحر مستمرّ"[٢].

عن مجاهد في قوله: "{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، قال: رأوه منشقا"[٣].

قال مجاهد:" انفلق القمر فلقتين، فثبتت فلقة، وذهبت فلقة من وراء الجبل، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اشْهَدُوا»""[٤].

قال مجاهد:" انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصار فرقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى بكر: «اشْهَدْ يا أبا بَكْرٍ». فقال المشركون: سحر القمر حتى انشقّ[٥]

عن قتادة: " أن أنس بن مالك حدثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرّتين"[٦].

قال قتادة:" سأل أهل مكة النبيّ صلى الله عليه وسلم آية، فانشقّ القمر بمكة مرّتين، فقال: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}"[٧].

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، قد مضى، كان الشقّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأعرض عنه المشركون، وقالوا: {سِحْر مستمرّ}"[٨].

قال إبراهيم:" مضى انشقاق القمر بمكة"[٩].

عن أنس بن مالك:" أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما"[١٠].

عن أنس، قال: "انشق القمر فرقتين"[١١].

عن عبد الله بن مسعود، قال: " انشقّ القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشْهَدُوا»"[١٢].

عن عبد الله بن مسعود، قال :" تفلّق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فكانت فرقة على الجبل، وفرقة من ورائه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُم اشْهَدْ»"[١٣].

قال عبدالله بن مسعود:" رأيت الجبل من فرج القمر حين انشقّ"[١٤].

قال عبدالله بن مسعود: "قد مضى انشقاق القمر"[١٥].

قال عبدالله بن مسعود: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٢-٥٦٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: " انشقّ القمر، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة"[٢].

عن أبي عبد الرحمن السُلَميّ، قال: "نزلنا المدائن، فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي، وحضرت معه، فخطبنا حُذيفة، فقال: ألا إن الله يقول: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المِضمار، وغدا السباق، فقلت لأبي: أتستبق الناس غدا؟ فقال: يا بنيّ إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا، فخطب حُذيفة، فقال: ألا إن الله تبارك وتعالى يقول: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سَبق إلى الجنة"[٣].

وفي قراءة حذيفة: "وقد انشق القمر»[٤]، أي: "اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه[٥].

قال الجصاص: " قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١]، دلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله لا يقلب العادات بمثله إلا ليجعله دلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وروى انشقاق القمر عشرة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وابن عمر وأنس وابن عباس وحذيفة وجبير بن مطعم في آخرين كرهت ذكر أسانيدها للإطالة، فإن قيل: معناها سينشق في المستقبل عند قيام الساعة، لأنه لو كان قد انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على أهل الآفاق؟

قيل له: هذا فاسد من وجهين:

أحدهما: أنه خلاف ظاهر اللفظ وحقيقته.

والآخر: أنه قد تواتر الخبر به عن الصحابة ولم يدفعه منهم أحد.

وأما قوله: إنه لو كان ذلك قد وقع لما خفي على أهل الآفاق؟

فإنه جائز أن يستره الله عنهم بغيم أو يشغلهم عن رؤيته ببعض الأمور لضرب من التدبير، ولئلا يدعيه بعض المتنبئين في الآفاق لنفسه، فأظهره للحاضرين عند دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم واحتجاجه عليهم"[٦].

قال الفخر الرازي:" وأما المؤرخون فتركوه، لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجم، وهو لما وقع الأمر قالوا: بأنه مثل خسوف القمر، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر فتركوا حكايته في تواريخهم، والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات"[٧].

قال القرطبي:" ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها، لأنها كانت آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عند التحدي"[٨].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢-٥٦٨.
(٤) انظر: الكشاف: ٤٣١/٤.
(٥) انظر: الكشاف: ٤٣١/٤.
(٦) أحكام القرآن: ٢٩٨/٥.
(٧) مفاتيح الغيب: ٢٨٨/٢٩.
(٨) تفسير القرطبي: ١٢٦/١٧.

{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)} [القمر : ٢]

التفسير:

وإن ير المشركون دليلا وبرهانًا على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذبين منكرين، ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له.

قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا} [القمر : ٢]، أي:" وإن ير المشركون دليلا وبرهانًا على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذبين منكرين"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره. وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، ودلالة تدلهم على صدقة فيما جاءهم به عن ربهم، يعرضوا عنها، فيولوا مكذّبين بها مُنكرين أن يكون حقا يقينا"(٢).

قال ابن كثير:" {وَإِنْ يَرَوْا} دليلا وحجة وبرهانا، لا ينقادون له، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم"(٣).

قال مقاتل:" يعني: انشقاق القمر"(٤).

قوله تعالى:{وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر : ٢]، أي:" ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له"(٥).

قال الطبري:" ويقولوا تكذيبا منهم بها، وإنكارا لها أن تكون حقا: هذا سحر سَحَرَنا به محمد حين خَيَّلَ إلينا أنا نرى القمر منفلقا باثنين بسحره، وهو سحر مستمرّ ذاهب، من قولهم: قد مرّ هذا السحر إذا ذهب"(٦).

قال ابن كثير:" أي : ويقولون : هذا الذي شاهدناه من الحجج، سحرٌ سحرنا به، {مُسْتَمِرٌّ}، أي : باطل مضمحل، لا دوام له"(٧).

قال سفيان:" حين انشق القمر بفلقتين: فلقة من وراء الجبل، وذهبت فلقة أخرى، فقال المشركون حين رأوا ذلك: سحر مستمرّ"(٨).

عن الضحاك: "{وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}، كما يقول أهل الشرك إذا كُسف القمر يقولون: هذا عمل السحرة"(٩).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر : ٢]، أقوال:

أحدها : أنَّ معناه: سحر مارٌّ ذاهب، يذهب ويتلاشى ولا يبقى، مَنَّوْا أنفسَهم بذلك، قاله أنس(١٠)، ومجاهد(١١)، وقتادة(١٢)، وأبو عبيدة(١٣)، والزجاج(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٢) تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٦) تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(٨) .
(٩) .
(١٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٠٥٧):ص٢٥٧/٣، والنكت والعيون: ٤١٠/٥، وتفسير القرطبي: ١٢٧/١٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤١٠/٥.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٨٥/٥.

عن أنس، قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم، آية فانشق القمر بمكة مرتين، " فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)} [القمر : ١ - ٢]»، يقول: أي: ذاهب "[١].

قال قتادة: إذا رأى أهل الضلالة آية من آيات الله قالوا: إنما هذا عمل السحر، يوشك هذا أن يستمرّ ويذهب"[٢].

قال الفراء:" أي: سيبطل ويذهب"[٣].

قال الزمخشري: أي: " ذاهب يزول ولا يبقى، تمنية لأنفسهم وتعليل"[٤].

قال مقاتل:" يعني: سحر ذاهب، فاستمر، ثم التأم القمر بعد ذلك"[٥].

الثاني : أي: شديد قويّ، موثق محكم من قولهم: أمر الحبل، أي: أحكم فتله، قاله الأخفش[٦]، وأبو عبيدة[٧]، وابن قتيبة[٨]. ومنه قول لقيط[٩]:

حتى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَريرتُه ... صِدْقُ العزيمةِ لا رتّاً ولا ضَرَعا

قال ابن قتيبة:" وهو من "المِرَّة" مأخوذ. والمِرَّةُ: الفتْل؛ يقال: استمَرَّت مَريرَتُه"[١٠].

الثالث : أنه يشبه بعضه بعضاً. حكاه الفراء[١١].

قال القرطبي:" أي: قد استمرت أفعال محمد على هذا الوجه فلا يأتي بشيء له حقيقة، بل الجميع تخييلات"[١٢].

الرابع : أي: ماض، لم يزل الرسل - عليهم السلام - كانوا يأتون بمثله من السحر. حكاه الماتريدي[١٣].

الخامس: أن المستمر: الدائم -بلغة القريش-، حكاه القاسم بن سلام[١٤]، والزجاج[١٥]، والماوردي[١٦]، وبه قال الزمخشري[١٧]، قال امرؤ القيس[١٨]:

لا إنما الدنيا ليالٍ وأعْصُرٌ ... وليسَ على شيءٍ قويمٍ بمُسْتَمِرّ

أي: بدائم .

قال الزمخشري:" مستمر: دائم مطرد، وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله، قيل فيه: قد استمرّ. لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات: قالوا: هذا سحر مستمرّ"[١٩].

السادس : أي: قد استمر من الأرض إلى السماء ، قاله مجاهد[٢٠].

---

(١) تفسير عبدالرزاق(٣٠٥٧):ص٢٥٧/٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٣) معاني القرآن: ١٠٤/٣.
(٤) الكشاف: ٤٣١/٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤١٠/٥.
(٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٠/٢. قال:"شديد".
(٨) انظر: غريب القرآن: ٤٣١.
(٩) الكامل للمبرد: ٦٨٢/٢، والرت: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء، والضّرع: الصغير السن الضعيف. انظر: اللسان«رتت»، و«ضرع».
(١٠) غريب القرآن: ٤٣١.
(١١) انظر: معاني القرآن: ١٠٤/٣.
(١٢) تفسير القرطبي: ١٢٨/١٧.
(١٣) انظر: تأويلات أهل السنة: ٤٤٣/٩.
(١٤) انظر: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٠.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٨٥/٥.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤١٠/٥.
(١٧) الكشاف: ٤٣١/٤.
(١٨) ديوانه: ١٠٩.
(١٩) الكشاف: ٤٣١/٤.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤١٠/٥. وحكاه القرطبي: ١٢٨/١٧، دون نسبة.

السابع : أي: سحر نافذ. قاله الربيع[١].
الثامن: معناه: شديدُ المرارة. حكاه ابن قتيبة[٢]، وبه قال الزمخشري[٣].
قال ابن قتيبة:" ويقال: هو من «المرارة»، يقال: أَمَرَّ الشيءُ واستَمرَّ. إذا صار مُرًّا"[٤].
قال الزمشخري: "أي: مُسْتَبْشَعٌ عندنا، مُرٌّ على لَهَواتنا، ولا نَقْدِرُ أنْ نَسِيْغَه كما لا نَسيغُ المُرَّ المَقِرَ"[٥].

القرآن
{وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)} [القمر : ٣]
التفسير:
وكذَّبوا النبي صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ضلالتهم وما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب، وكلُّ أمر من خير أو شر واقع بأهله يوم القيامة عند ظهور الثواب والعقاب.
قوله تعالى:{وَكَذَّبُوا} [القمر : ٣]، أي:" وكذَّبوا النبي صلى الله عليه وسلم"[٦].
قال الطبري:" يقول:" وكذّب هؤلاء المشركون من قريش بآيات الله بعد ما أتتهم حقيقتها، وعاينوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقا فلقتين"[٧].
قال مقاتل:" يعنى: بالقمر أنه ليس من الله- تعالى-"[٨].
قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [القمر : ٣]، أي:" واتبعوا ضلالتهم وما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب "[٩].
قال الطبري:" يقول: وآثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم من تكذيب ذلك على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، وحقيقة ما جاءهم به من ربهم"[١٠].
قال النحاس:" أي: كذّبوا بحقيقة ما رأوه وتيقّنوه واثروا اتباع أهوائهم في عبادة الأوثان وترك ما أمرهم الله به أمْرٍ"[١١].
قال الماتريدي:" يخبر أنهم إنما كذبوا ما ذكر باتباع أهوائهم، لا بحجة وبرهان"[١٢].
قال الشعبي:" إنّما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[١٣].
قوله تعالى:{وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ} [القمر : ٣]، أي:" وكلُّ أمر من خير أو شر واقع بأهله يوم القيامة عند ظهور الثواب والعقاب"[١٤].
عن ابن جُرَيْج، "{وكُلُّ أمْرٍ مُسْتَقِرٌّ}، قال: بأهله"[١٥].
عن مجاهد:" {وكُلُّ أمْرٍ مُسْتَقِرٌّ}، قال: يوم القيامة"[١٦].

---

(١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٦٢.
(٢) انظر: غريب القرآن: ٤٣١.
(٣) انظر: الكشاف: ٤٣١/٤.
(٤) غريب القرآن: ٤٣١.
(٥) الكشاف: ٤٣١/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٧) تفسير الطبري: ٥٧١/٢٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٧١/٢٢.
(١١) إعراب القرآن: ١٩٢/٤.
(١٢) تأويلات أهل السنة: ٤٤٣/٩.
(١٣)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٥.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(١٥)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦١٦ - . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٦)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦١٦ -.

وفي قوله تعالى:{وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ} [القمر : ٣]، وجوه:
أحدها: أن لكل حديثٍ مُنتهىً وحقيقةٌ، قاله مقاتل[١].
وقال مقاتل:" يعني: العذاب في الدنيا القتل ببدر، ومنه في الآخرة عذاب النار"[٢].
قال الزمخشري:" أي: كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقرّ عليها، وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق، أو باطل وسيظهر لهم عاقبته"[٣].
الثاني : أن كُلَّ أمْر مستقِرٌّ بأهله، فالخير يستقِرُّ بأهل الخير، والشر يستقِرُّ بأهل الشر، قاله قتادة[٤].
قال قتادة:" مستقرٌّ بأهل الخيرِ الخيرُ، وبأهل الشرِّ الشرُّ"[٥].
قال الزجاج:" تأويله أنه يستقر لأهل النار عملهم ولأهل الجنة عملهم"[٦].
قال النحاس:" المعنى: وكلّ أمر من خير أو شرّ مستقرّ قراره ومتناه منتهاه"[٧].
قال الطبري: يقول: "وكلّ أمر من خير أو شرّ مستقر قراره، ومتناه نهايته، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشرّ مستقرّ بأهله في النار"[٨].
الثالث: أن قرار تكذيبهم مستقِرّ، وقرار تصديق المصدِّقين مستقِرّ، حتى يعرفوا حقيقته بالعقاب والثواب، قاله الفراء[٩].

القرآن
{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)} [القمر : ٤]
التفسير:
ولقد جاء كفار قريش من أنباء الأمم المكذبة برسلها، وما حلَّ بها من العذاب، ما فيه كفاية لردعهم عن كفرهم وضلالهم.
قال الطبري: يقول:" ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ في هذا القرآن ما يردعهم، ويزجرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله"[١٠].
قال النحاس:" أي: ولقد جاء هؤلاء المشركين من أخبار الأمم الذين فعلوا كفعلهم فأهلكوا ما فيه منتهى عمّا هم عليه"[١١].
قال مقاتل:" يعني: جاء أهل مكة من حديث القرآن {ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ}، يعني: موعظة لهم، وهو النهي عن المعاصي"[١٢].
قال الزجاج:" يعنى: من أخبار من قد سلف، قبلهم فأهلكوا بتكذيبهم {ما فيه مُزْدَجَر}، أي: ما فيه مُنْتَهَى، تقول: نهيتُه فانتهى وزجرته فازدجر"[١٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.
(٣) الكشاف: ٤٣١/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٢/٢٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٢، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد.
(٦) معاني القرآن: ٨٥/٥.
(٧) إعراب القرآن: ١٩٢/٤.
(٨) تفسير الطبري: ٥٧١/٢٢.
(٩) انظر: معاني القرآن: ١٠٤/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢٢.
(١١) إعراب القرآن: ١٩٢/٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.
(١٣) معاني القرآن: ٨٥/٥.

قال ابن كثير:" أي : من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن، ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب"[١].

عن مجاهد، قوله: "{مُزْدَجَرٌ}، قال: مُنتهى"[٢].

قال سفيان:" المزدَجَر: المنتهى"[٣].

قال ابن قتيبة:" أي: متَّعَظ ومنتهى"[٤].

قال قتادة:" أي: هذا القرآن"[٥].

عن عمر بن عبد العزيز:" أنه خطب بالمدينة، فتلا هذه الآية: {ولَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ}، قال: أحلّ فيه الحلال، وحرَّم فيه الحرام، وأنبأكم فيه ما تأتون، لم يَدعْكم في لَبْسٍ مِن دينكم، كرامة أكرمكم بها، ونعمة أتمّ بها عليكم"[٦].

القرآن

{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)} [القمر : ٥]

التفسير:

هذا القرآن الذي جاءهم حكمة عظيمة بالغة غايتها، فأي شيء تغني النذر عن قوم أعرضوا وكذَّبوا بها؟

قوله تعالى:{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ} [القمر : ٥]، أي:" ذا القرآن الذي جاءهم حكمة عظيمة بالغة غايتها"[٧].

قال الزجاج:" المعنى ولقد جاءهم حكمة بالغة"[٨].

قال الثعلبي: أي:" تامة ليس فيها نقصان وهي القرآن"[٩].

قال الطبري:" يعني :هذا القرآن"[١٠].

قال الكلبي: "يعني: القرآن"[١١].

قال ابن كثير:" أي : في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله "[١٢].

عن ابن عباس: {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ}ـ قال: " نبوة ظاهرة"[١٣].

قوله تعالى:{فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ} [القمر : ٥]، أي:" فأي شيء تغني النذر عن قوم أعرضوا وكذَّبوا بها؟"[١٤].

قال الثعلبي: أي:" إذا كذّبوهم وخالفوهم"[١٥].

قال ابن كثير:" يعني: أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه ؟ فمن الذي يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالى :{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٢.
(٤) غريب القرآن: ٤٣١.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٢.
(٦) الدر المنثور: ٦٧٣/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٨) معاني القرآن: ٨٥/٥.
(٩) الكشف والبيان: ١٦٢/٩.
(١٠) تفسيرا لطبري: ٥٧٢/٢٢.
(١١) التفسير البسيط للواحدي: ٩٣/٢١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(١٣) تفسير الثعلبي: ٢٠٧/٢٥. [ط. دار التفسير]
(١٤) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(١٥) الكشف والبيان: ١٦٢/٩.

أَجْمَعِينَ} [الأنعام : ١٤٩]، وكذا قوله تعالى :{وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ} [يونس : ١٠١]"[١].

وفي «ما» التي في قوله: {فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ} [القمر : ٥]، وجهان:

أحدهما: أن تكون بمعنى: النفي، والمعنى: فليست تغني عنهم النذر ولا ينتفعون بها، لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها[٢]

الثاني: أن تكون بمعنى: الاستفهام، ومعناها التوبيخ، فيكون المعنى: فأي شيء تُغْنِي النُّذُر. وهذا قول ابن زيد"[٣].

وعن السدي: "{وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ} [يونس : ١٠١]، يقول: عند قوم لا يؤمنون نسخت قوله {حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْنِ النُّذُرُ} [القمر: ٥]"[٤].

القرآن

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)} [القمر : ٦]

التفسير:

فأعرض -أيها الرسول- عنهم، وانتظر بهم يومًا عظيمًا. يوم يدعو الملك بنفخه في «القرن» إلى أمر فظيع منكر، وهو موقف الحساب.

قوله تعالى:{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} [القمر : ٦]، أي:" فأعرض يا محمد عن هؤلاء المجرمين وانتظرهم"[٥].

قال الطبري: يقول: " فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سِحْر مستمر"[٦].

قال مقاتل:" يعني: فأعرض عن كفار مكة"[٧].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون : هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم"[٨].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ} [القمر : ٦]، أي:" يوم يدعو إسرافيل إلى شيءٍ منكر فظيع، تنكره النفوس لشدته وهوله، وهو يوم القيامة"[٩].

قال الطبري: يقول: " فإنهم يوم يدعو داعي الله إلى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النُّكُر"[١٠].

قال مقاتل:" وهو إسرافيل ينفخ الثانية قائما على صخرة بيت المقدس"[١١].

قال ابن كثير:" {إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ}، أي : إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء، بل والزلازل والأهوال"[١٢].

قال ابن عباس في رواية عطاء: "يريد يوم القيامة{إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ}: شدة العذاب وفظاعته"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٢، ومعاني القرآن للزجاج: ٨٥/٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٥١٥/١٨-٥١٦.
(٤) الدر المنثور: ٣٩٤/٤، وعزاه إلى أبي الشيخ.
(٥) صفوة التفاسير: ٢٦٧/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(٩) صفوة التفاسير: ٢٦٧/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤-١٧٨.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(١٣) التفسير البسيط للواحدي :٩٤/٢١-٩٥.

وقال الكلبي: "يعني: حين يدعى أهل النار إلى النار"[١].

روي عن مجاهد وقتادة، أنهما قرآ: "إلى شيء نُكِرَ"، بكسر الكاف وفتح الراء، على الفعل المجهول أي: أنكر[٢].

وقرأ الحسن: "{نُكْرٍ}، بإسكان الكاف"[٣].

القرآن

{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)} [القمر : ٧-٨]

التفسير:

ذليلة أبصارهم يخرجون من القبور كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جرادٌ منتشر في الآفاق، مسرعين إلى ما دُعُوا إليه، يقول الكافرون: هذا يوم عسر شديد الهول.

قوله تعالى:{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ} [القمر : ٧]، أي:" ذليلةً أبصارهم لا يستطيعون رفعها من شدة الهول"[٤].

قال الطبري: يقول: ذليلة أبصارهم خاشعة، لا ضرر بها...وإنما وصف جلّ ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع"[٥].

عن قتادة، قوله: "{خَاشِعًا أَبْصَارُهُمْ}، أي: ذليلة أبصارهم"[٦].

قال ابن كثير:" أي : ذليلة أبصارهم"[٧].

قال السعدي:" أي: من الهول والفزع الذي وصل إلى قلوبهم، فخضعت وذلت، وخشعت لذلك أبصارهم"[٨].

قال الزمخشري:" خشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخزال، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما"[٩].

وقرئ:«خَاشِعًا أَبْصَارُهُمْ»، بالألف[١٠].

قوله تعالى:{يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} [القمر : ٧]، أي:" يخرجون من القبور كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جرادٌ منتشر في الآفاق"[١١].

قال الطبري: " يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتَشر، و{الأَجْدَاثِ}: وهي جمع: جدث، وهي القبور"[١٢].

قال ابن كثير:" {يَخْرُجُونَ مِنَ} القبور، كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي {جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} في الآفاق"[١٣].

قال السعدي:" من كثرتهم، وروجان بعضهم ببعض {جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} أي: مبثوث في الأرض، متكاثر جدا"[١].

---

(١)التفسير البسيط للواحدي :٩٥/٢١.
(٢) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/٢٥، [ط. دار التفسير]، وانظر: "المحتسب"، لابن جني: ٢/ ٢٩٨.
(٣) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/٢٥، [ط. دار التفسير]، وانظر: "المحتسب"، لابن جني: ٢/ ٢٩٨.
(٤) صفوة التفاسير: ٢٦٧/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٢.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(٨) تفسير السعدي: ٨٢٤.
(٩) الكشاف: ٤٣٢/٤.
(١٠) انظر تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٢.
(١١) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٢، ٥٧٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.

قال الزجاج:" «الأجداث»: القبور، واحدها: جدث، و«ينسلون»: يخرجون بسرعة"[٢].
قال مقاتل:" حين انتشر من معدنه، فشبه الناس بالجراد إذا خرجوا من قبورهم"[٣].
قال الزمخشري:" الجراد مثل في الكثرة والتموّج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد، وكالدبا[٤] منتشر في كل مكان لكثرته"[٥].
عن ابن عباس، قوله: "{من الأجداث}، يقول: من القبور.."[٦].
قال عطاء الخراساني:" الأجداث: القبور"[٧].
قال الحسن:" شبّههم بالجراد؛ إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلع عليه الشمس انتشر"[٨].
عن أبي هريرة، قال: "تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها"[٩].
قوله تعالى:{مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} [القمر : ٨]، أي:" مسرعين إلى ما دُعُوا إليه"[١٠].
وفي قوله تعالى:{مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} [القمر : ٨]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: مسرعين إلى الداعي، قاله سعيد بن جبير[١١]، والحسن[١٢]، وقتادة[١٣]، وأبو عبيدة[١٤]، والطبري[١٥]، والزجاج[١٦]، ومنه قول يزيد بن مفرّغ الحميريّ[١٧]:
بِدِجْلة أَهْلُهَا ولَقَد أَراهُمْ... بِدِجْلة مُهْطِعِينَ إلى السّمَاع
قال الطبري:" يقول: مسرعين بنظرهم قِبَلَ داعيهم إلى ذلك الموقف"[١٨].
قال ابن كثير:" أي : مسرعين {إِلَى الدَّاعِي}، لا يخالفون ولا يتأخرون"[١٩].
قال السعدي:" أي: مسرعين لإجابة النداء الداعي وهذا يدل على أن الداعي يدعوهم ويأمرهم بالحضور لموقف القيامة، فيلبون دعوته، ويسرعون إلى إجابته"[٢٠].
قال مقاتل:" يعني: مقبلين سراعا إذا خرجوا من القبور إلى صوت إسرافيل القائم على الصخرة التي ببيت المقدس"[٢١].

---

(١) تفسير السعدي: ٨٢٤.
(٢) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٨/٤.
(٤)في الصحاح «الدبا» الجراد قبل أن يطير، والواحدة دباة.
(٥) الكشاف: ٤٣٢/٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣١.
(٧)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٠.
(٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣١٧ -.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في " التفسير": ٨١٣/٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.
(١٤) انظر: مجاز القرآن:٣٤٢/١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢.
(١٦) انظر: معاني القرآ،:١٦٦/٣.
(١٧) ديوانه" ص ١٦٧، وورد في "مجاز القرآن" ١/ ٣٤٣، و"الوقف والابتداء" لابن الأنباري ١/ ٦٧، و"والمحرر الوجيز" ٨/ ٢٥٩، وفيها (دارُهم) بدل (أهلها)، وورد غير منسوب في "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٦٦، و"تهذيب اللغة" (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، و"الفريد في إعراب القرآن" ٣/ ١٧٣، و"تفسير القرطبي" ٩/ ٣٧٦، و"اللسان" (هطع) ٨/ ٤٦٧٤، و"الدر المصون" ٧/ ١٢٠، و"عمدة الحفاظ" ٤/ ٢٩٤، والمعنى: أي أنهم مقبلون برؤوسهم إلى سماع الداعي.
(١٨) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢.
(١٩) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.
(٢٠) تفسير السعدي: ٨٢٤.
(٢١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٨/٤.

عن الحسن:" {مُهْطِعِينَ إلى الدّاع}، قال: مُنطلقين"[1].
عن سعيد بن جبير:" «مُهْطِعِينَ إلى الدّاعِي»، قال: هو النَّسَلان[2]"[3].
الثاني : عامدين إلى الداعي، قاله قتادة[4].
الثالث : معناه: ناظرين، والمهطع: الدائم النظر لا يطرف، قاله ابن عباس[5]، والضحاك[6]، وأبو الضحى[7]، وتميم بن حَدْلم[8].
قال ابن عباس:" يعني بالإهطاع: النظر من غير أن يطرف"[9].
عن ابن عباس، قوله: "{مُهْطِعِينَ}، يقول: ناظرين"[10].
قال أبو الضحى:" الإهطاع: التحميج الدائم الذي لا يَطْرَف"[11].
قال الضحاك:" شدة النظر الذي لا يطرف"[12]. وفي رواية:" شدة النظر في غير طَرْف"[13].
قال مجاهد:" مُديمي النظر"[14].
قال سفيان: أبصارهم شاخصة إلى السماء"[15].
قال الضحاك:" الإهطاع: شدة النظر في غير طَرْف"[16].
قال تميم بن حَدْلم:" الإهطاع: التحميج[17]"[18].
الرابع : أنه المطرق الذي لا يرفع رأسه، قاله ابن زيد[19].
الخامس: معناه: فاتحين آذانهم إلى الصوت ، قاله عكرمة[20].
قال عكرمة:" صائخي آذانهم إلى الصوت"[21].
قوله تعالى:{يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر : ٨]، أي:" يقول الكافرون: هذا يوم عسر شديد الهول"[22].
قال الطبري: "يقول الكافرون بالله يوم يدع الداعي إلى شيء نكُر: هذا يوم عسر. وإنما وصفوه بالعسر لشدة أهواله وبَلْباله"[1].

---

(١) الدر المنثور: ٥٧٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢)نسل الماشي ينسل (كيضرب ويقتل) نسلا (بالتسكين والتحريك) ونسلانا: أسرع. وأصل النسلان للذئب، ثم استعمل في غيره.
(٣)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٢٧ - ٣٢٨ - . وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٦٧٤/٧، إلى عبد بن حميد.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٠٠):ص٢٢٥١/٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٠/١٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.
(٨) انظر تفسير الطبري:٣٠/١٧، و٥٧٥/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٩/١٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٧) «التحميج»: إدامة النظر، والقلب كاره أو محنق، أو التحديق في النظر. يقال: حَمَّجَ تحميجاً، أي نظر بخوف، وتحميج التعيين: غؤُورُهما انظر: "المحيط في اللغة" (حمج) ٢/ ٤١٨.
(١٨) انظر تفسير الطبري:٣٠/١٧، و٥٧٥/٢٢.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:٣٠/١٧.
(٢٠)الدر المنثور: ٦٧٤/٧، وعزاه عبد بن حميد، وانظر: النكت والعيون: ٤١١/٥.
(٢١)الدر المنثور: ٦٧٤/٧، وعزاه عبد بن حميد، وانظر: النكت والعيون: ٤١١/٥.
(٢٢) التفسير الميسر: ٥٢٨.

قال ابن كثير:" أي : يوم شديد الهول عَبُوس قَمْطَرير {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر : ٩، ١٠]"[٢].

قال السمعاني:" أي: غير سهل"[٣].

قال السعدي:" سهل على المؤمنين"[٤].

قال مقاتل:" فيهون على المؤمنين الحشر، كأدنى صلاتهم، والكفار يكبون على وجوههم، فلا يقومون مقاما، ولا يخرجون مخرجا إلا عسر عليهم في كل موطن شدة ومشقة"[٥].

قال ابن الجوزي:" العَسِر: الصَّعب الشَّديد"[٦].

قال ابن عباس: "يوم القيامة عسر على الكافرين، وعلى المؤمنين سهل يسير"[٧].

فوائد الآيات: [١-٨]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- ذكر بعض علامات الساعة. كبعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانشقاق القمر معجزة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- التنديد باتباع الهوى، والتحذير منه فإنه مهلك.

٤- عدم جدوى النذر لمن يتنكر لعقلة ويتبع هواه.

القرآن

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩)} [القمر : ٩]

التفسير:

كذَّبت قبل قومك -أيها الرسول- قوم نوح فكذَّبوا عبدنا نوحًا، وقالوا: هو مجنون، وانتهروه متوعدين إياه بأنواع الأذى، إن لم ينته عن دعوته.

قوله تعالى:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ} [القمر : ٩]، أي:" كذَّبت قبل قومك -أيها الرسول- قوم نوح"[٨].

قال الطبري:" وهذا وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرْسَل إليه رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه، وتقدم منه إليهم إن هم لم ينيبوا من تكذيبهم إياه، أنه محلّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصّ قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، ومنجّ نبيه محمدا والمؤمنين به، كما نجَّى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمه التي أحلّها بأممهم، فقال جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كذّبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذّبوك من قومك، الذين إذا رأوْا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمرّ - قوم نوح"[٩].

قال ابن كثير:" أي : صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون"[١٠].

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} [القمر : ٩]، أي:" فكذَّبوا عبدنا نوحًا، وقالوا: هو مجنون، وانتهروه متوعدين إياه بأنواع الأذى، إن لم ينته عن دعوته"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/٧.

(٣) تفسير السمعاني: ٣١٠/٥.

(٤) تفسير السعدي: ٨٢٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٨/٤.

(٦) زاد المسير: ١٩٨/٤.

(٧) التفسير البسيط: ٩٧/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٩) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١١) التفسير الميسر: ٥٢٩.

قال الطبري: يقول:" فكذّبوا عبدنا نوحا إذ أرسلناه إليهم، كما كذّبتك قريش إذ أتيتهم بالحقّ من عندنا وقالوا: هو مجنون وازدجر"[١].

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{وَازْدُجِرَ} [القمر : ٩]، على ثلاثة أقوال:

أحدها: كان زجرهم إياه أن قالوا: استُطِير جنونا. قاله مجاهد[٢].

قال مجاهد:" استُطِير جنونا"[٣]. وفي رواية :"استعر جنونا"[٤].

قال الزمخشري: " قالوا هو مجنون، وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه"[٥].

الثاني: تهدّدوه بالقتل. قاله الحسن[٦].

الثالث: كان زجرهم إياه وعيدهم له بالشتم والرجم بالقول القبيح. وهذا قول ابن زيد[٧].

قال ابن زيد:" اتهموه وزجروه وأوعدوه لئن لم يفعل ليكوننّ من المرجومين، وقرأ: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ}"[٨].

قال ابن كثير:" وهذا متوجه حسن"[٩]

القرآن

{فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠)} [القمر : ١٠]

التفسير:

فدعا نوح ربه أنِّي ضعيف عن مقاومة هؤلاء، فانتصر لي بعقاب من عندك على كفرهم بك.

قال الطبري: يقول:" فدعا نوح ربه: إن قومي قد غلبوني، تمرّدوا وعتوا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم {فَانْتَصِرْ} أنت لدينك "[١١].

قال سيبويه:" أي: قال: {إني مغلوب فَانْتَصِرْ}، أي: لي بعقابك إياهم"[١٢].

قال ابن أبي زمنين:" أي: فانتقم لي من قومي"[١٣].

قال النحاس:{أَنِّي مَغْلُوبٌ}، " أي: بأني قد غلبت وقهرت"[١٤].

قال الماتريدي:" لم يدع عليهم بأول ما كذبوه؛ ولكن إنما دعا عليهم بعد ما أيس من عودهم إلى تصديقه، وهو ما قال: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ}"[١٥].

قال الزمخشري:"أي: غلبني قومي، فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من إجابتهم لي، فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم، وإنما دعا بذلك بعد ما طم عليه الأمر وبلغ السيل الربا"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(٥) الكشاف: ٤٣٣/٤.

(٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣١٧ - . وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٧٧/٢٢.

(١١) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٩٤/٤.

(١٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٧/٤.

(١٤) إعراب القرآن: ١٩٤/٤.

(١٥) تأويلات أهل السنة: ٤٦٤/٧.

(١٦) الكشاف: ٤٣٤/٤.

قوله: «وبلغ السيل الربا»: قال المحقق:" لعله جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض كالرابية. أفاده الصحاح،

القرآن
{فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)} [القمر : ١١-١٢]

التفسير:

فأجبنا دعاءه، ففتحنا أبواب السماء بماء كثير متدفق، وشققنا الأرض عيونًا متفجرة بالماء، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدَّره الله لهم؛ جزاء شركهم.

قوله تعالى:{فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ} [القمر : ١١]، أي:" فأجبنا دعاءه، ففتحنا أبواب السماء بماء كثير متدفق"(١).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: {فَفَتَحْنَا} لما دعانا نوح مستغيثا بنا على قومه: {أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ} وهو المندفق، كما قال امرؤ القيس في صفة غيث(٢):

رَاحَ تَمْرِيه الصبا ثُمَّ انْتَحَى ... فِيهِ شُؤْبُوبُ جنوبٍ مُنْهَمِرْ"(٣).

قال الزجاج:" المعنى: فأجبنا دعاءه فنصرناه، وبيَّن النَصْرَ الذي نصر به فقال: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ}، ينصبُّ انصباباً شديدا"(٤).

عن سفيان: "{بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ}، قال: ينصبّ انصبابا"(٥).

قال مقاتل:" يعني: منصب كثير"(٦).

قال ابن قتيبة:" أي: كثير سريع الانصباب. ومنه يقال: همر الرجل؛ إذا أكثر من الكلام وأسرع"(٧).

وقال أَبُو عَوْسَجَةَ: "انهمرت السماء وهمرت، أي: أمطرت؛ فأكثرت"(٨).

عن ابن عباس، قوله: "{فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ}، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماءان"(٩).

عن أبي الطفيل: "إن ابن الكواء سأل عليا، عن المجرة، فقال: هي شرج السماء، ومنها فتحت أبواب السماء بماء منهمر، ثم قرأ: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ}، الآية"(١٠).

قال الماتريدي:" ويحتمل أن يكون قوله - تعالى -: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ}، هو حقيقة فتح السماء وإنزال الماء منها، واللَّه - تعالى - قادر أن يرسل الماء مما يشاء، وكيف شاء"(١١).

قال الجصاص:" أنزل ذلك الماء قطرة قطرة لا تلتقي واحدة مع صاحبتها في الجو مع تحريك الرياح لها حتى تنزل كل قطرة على حيالها إلى موضعها من الأرض ولولا أن مدبرا حكيما عالما قادرا دبره على هذا النحو وقدره بهذا الضرب من التقدير كيف كان يجوز أن يوجد نزول الماء في السحاب مع كثرته وهو الذي تسيل منه السيول العظام على هذا النظام والترتيب ولو اجتمع القطر في الجو وأتلف لقد كان يكون نزولها مثل السيول المجتمعة منها بعد نزولها إلى الأرض فيؤدي إلى هلاك الحرث والنسل وإبادة جميع ما على الأرض من شجر وحيوان

لكن فيه في حرف الزاى: والزبية الرابية لا يعلوها الماء. وفي المثل: قد بلغ السيل الزبى. والزبية: حفرة تحفر للأسد في موضع عال لأجل صيده".

(١) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٢) انظر: مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي: ١١٠ - ١١١.

(٣) تفسير الطبري: ٥٧٧/٢٢.

(٤) معاني القرآن: ٨٧/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٨/٤.

(٧) غريب القرآن: ٤٣١.

(٨) نقلا عن: تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٤٤٦/٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٠٥):ص٣٣٢٠/١٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٠٤):ص٣٣٢٠/١٠.

(١١) تأويلات أهل السنة: ٤٤٦/٩.

ونبات وكان يكون كما وصف الله تعالى من حال الطوفان في نزول الماء من السماء في قوله تعالى: {فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ}، فيقال: إنه كان صبا كنحر السيول الجارية في الأرض ففي إنشاء الله تعالى السحاب في الجو وخلق الماء فيه وتصريفه من موضع إلى موضع أدل دليل على توحيده وقدرته وأنه ليس بجسم ولا مشبه الأجسام إذ الأجسام لا يمكنها فعل ذلك ولا ترومه ولا تطمع فيه"[١].

قوله تعالى:{وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} [القمر : ١٢]، أي:" وشققنا الأرض عيونًا متفجرة بالماء"[٢].

قال الطبري: يقول:" وأسلنا الأرض عيون الماء"[٣].

قال ابن كثير:" أي : نبعت جميعُ أرجاء الأرض، حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيونا "[٤]

قال الزمخشري: " وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر، وهو أبلغ من قولك: «وفجرنا عيون الأرض»، ونظيره في النظم: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} [مريم : ٤]"[٥].

قال سفيان:" فجَّرنا الأرض الماءَ وجاء من السماء"[٦].

قال مقاتل:" {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ} أربعين يوما {عُيُونا}"[٧].

عن طلحة، قال: سمعت عطاء، يقول:" بلغني أن نوحا عليه السلام قال لجاريته: إذا فار تنورك ماء فأخبريني قال عطاء: بلغني أنها لما فرغت من آخر خبزها فار التنور فذهبت إلى سيدها فأخبرته فركب هو ومن معه في أعلى السفينة وفتح الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونا"[٨].

قوله تعالى:{فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} [القمر : ١٢]، أي:" فالتقى ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدَّره الله لهم؛ جزاء شركهم"[٩].

قال الطبري: يقول:" فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه"[١٠].

قال ابن كثير:" {فَالْتَقَى الْمَاءُ}، أي : من السماء ومن الأرض {عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}، أي : أمر مقدر"[١١].

عن سفيان: "{فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}، قال: ماء السماء وماء الأرض"[١٢].

قال ابن قتيبة:" أي: التقى ماء الأرض وماء السماء"[١٣].

قال الزجاج:" يعني: ماء السماء والأرض، ولم يقل: «فالتقى الماءان»، ولو كان ذلك لكان جائزاً، إلا أن الماء اسم يجمع مَاء الأرض وماءَ السماء، ومعنى: {عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}، أي: قدْ قُدِرَ في اللوح المحفوظ، وقيلَ: {قَدْ قُدِرَ}، أي: كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض"[١٤].

قال مقاتل:" وذلك أن ماء السماء وماء الأرض قدر الله- تعالى- كليهما، فكانا سواء لم يزد ماء السماء على ماء الأرض، وكان ماء السماء باردا مثل الثلج، وماء الأرض جارا مثل

---

(١) أحكام القرآن: ١٢٨/١.
(٢) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٣) تفسير الطبري: ٥٧٨/٢٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(٥) الكشاف: ٤٣٤/٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٨/٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٨٦٣):ص٢٠٢٩/٦، و(٣٥٤٩٦):ص٢٦٥/١١.
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٧٨/٢٢.
(١١) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٢.
(١٣) غريب القرآن: ٤٣٢.
(١٤) معاني القرآن: ٨٧/٥.

الحميم، فذلك قوله: {عَلى أمْرٍ قَدْ قُدِرَ}، لأن الماء ارتقع فوق كل جبل ثلاثين يوما، ويقال أربعين ذراعا، فكان الماء الذي على الأرض، والذي على رءوس الجبال سواء فابتلعت الأرض ماءها، وبقي ماء السماء أربعين يوما لم تشربه الأرض فهذه البحور التي على الأرض منها"[١].

عن محمد بن كعب: " {فالتَقى الماءُ}، قال: ماء السماء وماء الأرض، {عَلى أمْرٍ قَدْ قُدِرَ} ، قال: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء، وتلا: {فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}"[٢].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: "{قَدْ قُدِرَ}، قال: صاعٌ بصاع"[٣].

وقرئ: «الماءان»، أي: النوعان من الماء السماوي والأرضي، وقرأ الحسن: «الماوان»، بقلب الهمزة واوا[٤].

القرآن

{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤)} [القمر : ١٣-١٤]

التفسير:

وحملنا نوحًا ومَن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شُدَّت بها، تجري بمرأى منا وحفظ، وأغرقنا المكذبين؛ جزاء لهم على كفرهم وانتصارًا لنوح عليه السلام.

قوله تعالى:{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} [القمر : ١٣]، أي:" وحملنا نوحًا ومَن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شُدَّت بها"[٥].

قال الطبري: يقول:" وحملنا نوحا إذ التقى الماء على أمر قد قُدر، على سفينة ذات ألواح ودُسُر، والدَّسار: المسمار الذي تشدّ به السفينة; يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها"[٦].

وفي معنى «الدسر»، أقوال:

أحدها : أنها المسامير التي شدّت بها السفينة، أي شدت، قاله ابن عباس[٧]، ابن جبير[٨]، وقتادة[٩]، والقرظي[١٠]، وابن زيد[١١].

الثاني : الدُّسُر: صَدْر السفينة الذي يضرب الموج، لأنها تدسر الماء بصدرها، أي: تدفعه. قاله ابن عباس-أيضا-[١٢]، والحسن[١٣]، وعكرمة[١٤].

قال ابن عباس:" الدُّسُر: كَلْكَل السفينة"[١٥].

الثالث : أن الدسر: عوارض السفينة. قاله مجاهد[١٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٨/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٢، وانظر: الدر المنثور: ٦٧٥/٧، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(٣) الدر المنثور: ٦٧٥/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٤) انظر: الكشاف: ٤٣٤/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٦) تفسير الطبري: ٥٧٨/٢٢-٥٧٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٠٦):ص٣٣٢٠/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢-٥٨٠.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤١٢/٥.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٢.

قال مجاهد:" ألواح: السفينة ودسر عوارضها"[١].
الرابع: أن الدُّسُر: أضلاع السفينة. قاله مجاهد -أيضا-[٢].
الخامس: أن الألواح: جانبا السفينة. والدُّسُر: طرفاها وأصلاها. قاله الضحاك[٣].
قوله تعالى:{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر : ١٤]، أي:" تجري بمرأى منا وحفظ"[٤].
قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر"[٥].
قال ابن كثير:" أي : بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا"[٦].
وعن سفيان، في قوله: "{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}، يقول: بأمرنا"[٧].
قال الضحاك:" بأمرنا"[٨]. وفي رواية:" بمنظر منا"[٩].
وقال الربيع :" بحفظنا"[١٠].
وعن قتادة في قوله :"{بأعيننا ووحينا}، قال: بعين الله ووحيه"[١١].
وعن عطاء:" {بأعيننا ووحينا}، فيقال بعين الله ورحمته"[١٢].
قوله تعالى:{جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ} [القمر : ١٤]، أي:" وأغرقنا المكذبين؛ جزاء لهم على كفرهم وانتصارًا لنوح عليه السلام"[١٣].
قال ابن كثير:" أي: جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارًا لنوح، عليه السلام"[١٤].
وفي قوله تعالى:{جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ} [القمر : ١٤]، وجهان من التفسير:
أحدهما: معناه: عوقبوا لله ولكُفرهم به. قاله مجاهد[١٥].
عن مجاهد: "{جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}، قال: كَفَر بالله"[١٦]. وفي رواية:" لمن كان كفر فيه"[١٧].
الثاني : معناه: لمن كان كفر نعم الله، وكفر بأياديه وآلائه ورسله وكتبه، فإن ذلك جزاء له. قاله ابن زيد[١٨].
قال الطبري:" الصواب من القول من ذلك عندي ما قاله مجاهد، وهو أن معناه: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونا، فغرّقنا قوم نوح، ونجينا نوحا عقابا من الله وثوابا للذي جُحد وكُفر، لأن معنى الكفر: الجحود، والذي جحد ألوهته ووحدانيته قوم نوح، فقال بعضهم لبعض: {لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، ومن ذهب به إلى هذا التأويل كانت من الله، كأنه قيل: عوقبوا للّه ولكفرهم به. ولو وجَّه مُوَجَّه إلى أنها

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٢.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٢.
(٨) النكت والعيون: ٤١٣/٥.
(٩) التفسير البسيط: ٤١٠/١١.
(١٠) التفسير البسيط: ٤١٠/١١.
(١١) أخرجه الطبري(١٨١٣١):ص٣٠٩/١٥.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٨٤٣):ص/٢٠٢٦.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢٢.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٢.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٢.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢٢.

مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهبا، فيكون معنى الكلام حينئذ، فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفلك، كأنه قيل: غرقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به"[١].

قال القرطبي:" وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق[٢]، كان الماء إلى حجزته. وسبب نجاته أن نوحا احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة فلم يمكنه حملها، فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام فشكر الله له ذلك، ونجاه من الغرق"[٣].

القرآن

{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦)} [القمر : ١٥-١٦]

التفسير:

ولقد أبقينا قصة نوح مع قومه عبرة ودليلا على قدرتنا لمن بعد نوح؛ ليعتبروا ويتعظوا بما حلَّ بهذه الأمة التي كفرت بربها، فهل من متعظ يتعظ؟ فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي وكذب رسلي، ولم يتعظ بما جاءت به؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً} [القمر : ١٥]، أي:" ولقد أبقينا قصة نوح مع قومه عبرة ودليلا على قدرتنا لمن بعد نوح؛ ليعتبروا ويتعظوا بما حلَّ بهذه الأمة التي كفرت بربها"[٤].

قال الطبري: يقول:" ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحا ومن كان معه آية، يعني عِبْرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة"[٥].

قال قتادة:" ألقى الله سفينة نوح على الجوديّ حتى أدركها أوائل هذه الأمة"[٦].

قال قتادة:" أبقاها الله بباقردى من أرض الجزيرة، عبرة وآية، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظرا، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رمادا"[٧].

قال ابن كثير:" الظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى :{وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} [يس : ٤١، ٤٢]. وقال {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} [الحاقة : ١١، ١٢]"[٨].

عن مجاهد:" أن الله حين غرّق الأرض، جعلت الجبال تشمخ، فتواضع الجوديّ، فرفعه الله على الجبال، وجعل قرار السفينة عليه"[٩].

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ١٥]، أي:" فهل من متعظ يتعظ؟"[١٠].

قال القرطبي: أي:" متعظ خائف"[١١].

قال ابن كثير:" أي : فهل من يتذكر ويتعظ ؟"[١٢].

قال الطبري:" يقول: فهل من ذي تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربها، وعصت رسوله نوحا، وكذبته فيما أتاهم به عن ربهم من النصيحة، فيعتبر بهم، ويحذر أن يَحل به من عذاب الله بكفره بربه، وتكذيبه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، مثل الذي حلّ بهم، فينيب إلى التوبة، ويراجع الطاعة. وأصل مدّكر: مفتعل من ذكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال،

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢/٥٨١-٥٨٢.
(٢)عوج بن عنق هو المشهور والذي صوبه صاحب القاموس هو ابن عوق لا عنق.
(٣) تفسير القرطبي: ١٧/١٣٣.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥) تفسير الطبري: ٢٢/٥٨٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٢.
(٨) تفسير ابن كثير: ٧/٤٧٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٢-٥٨٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(١١) تفسير القرطبي: ١٧/١٣٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٧/٤٧٧.

وتاء وهي بعد الذال، فصيرتا دالا مشدّدة، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوّله ذالا يتبعها تاء الافتعال يجعلونهما جميعا دالا مشدّدة، فيقولون: ادّكرت ادكارًا، وإنما هو: اذتكرت اذتكارا"[١].

عن سفيان: "{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، قال: فهل من مدّكر"[٢].

قال ابن زيد:" المدّكر: الذي يتذكر، وفي كلام العرب: المذكر: المتذكر"[٣].

قال الحسن:" فهل من خائف يتذكر"[٤].

قال محمد بن كعب القرظي:" هل من مزدجر عن المعاصي"[٥].

عن عبد الله، قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ :{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}"[٦].

عن ابن مسعود، قال : "أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، فقال رجل : يا أبا عبد الرحمن، مُدَّكر أو مُدَّكر؟ قال : أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم :{مُدَّكِرٍ}"[٧].

عن أبي إسحاق :" أنه سمع رجلا يسأل الأسود :{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} أو {مُدَّكِرٍ} ؟ قال : سمعت عبد الله يقرأ :{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}. وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها :{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} دالا"[٨].

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر : ١٦]، أي:" فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي وكذب رسلي، ولم يتعظ بما جاءت به؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نُذُري، وكيف انتصرت لهم، وأخذت لهم بالثأر"[١٠].

قال الطبري: يقول:" فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا بربهم من قوم نوح، وكذّبوا رسوله نوحا، إذ تمادوا في غيهم وضلالهم، وكيف كان إنذاري بما فعلت بهم من العقوبة التي أحللت بهم بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رسوله نوحا، صلوات الله عليه، وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش، وتحذير منه لهم، أن يحلّ بهم على تماديهم في غيهم، مثل الذي حلّ بقوم نوح من العذاب"[١١].

القرآن

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)} [القمر : ١٧]

التفسير:

ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ١٧]، أي:" ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر"[١٢].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ١٧]، وجوه من التفسير:

---

(١) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٢.
(٤) تفسير عبدالرزاق(٣٠٦٧):ص٢٦١/٣.
(٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢.
(٦)صحيح البخاري برقم (٤٨٦٩).
(٧)المسند (٣٩٥/١).
(٨)صحيح البخاري برقم (٤٨٧١) وصحيح مسلم برقم (٨٢٣) وسنن أبي داود برقم (٣٩٩٤) وسنن الترمذي برقم (٢٩٣٧) وسنن النسائي (١٥٠/٢).
(٩) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.
(١١) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢٢-٥٨٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٢٩.

أحدها : معناه: سهلنا تلاوته على أهل كل لسان، وهو معنى قول مجاهد[١]، وابن زيد[٢].

قال الماوردي:" وهذا أحد معجزاته، لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد سهَّلنا القرآن، بيَّناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوّناه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده، ليتذكر الناس. كما قال :{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} [ص : ٢٩]، وقال تعالى :{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم : ٩٧].. ومن تيسيره، تعالى، على الناس تلاوة القرآن ما تَقدّم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»[٥]"[٦].

عن مجاهد، قوله: "{يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}، قال: هوّناه"[٧]. وفي رواية:" هونا قراءته"[٨].

قال ابن زيد:" يسَّرنا: بيَّنا"[٩].

وقال السدي : "يسرنا تلاوته على الألسن"[١٠].

وقال الضحاك عن ابن عباس : "لولا أن الله يسره على لسان الآدميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله، عز وجل"[١١].

قال مقاتل:" هونا الْقُرْآن.. ولولا أن الله- تعالى- يسر القرآن للذكر ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله- تعالى- ولكن الله- تعالى- يسره على خلقه فيقرءونه على كل حال "[١٢].

قال سهل:" أي: هوّنا القرآن للذكر، ولولا ذلك لما أطاقت الألسنة أن تتكلم به، فهل من مدكر لهذه النعمة"[١٣].

قال الزجاج:" المعنى: سَهَّلْنَا، وَقِيل: إنَّ كُتبَ أهل الأديانَ نحو التوراة والإنجيل إنما يتلوها أهلها نظراً، ولا يكادون يحفظون كُتُبَهُمْ من أولها إلى آخرها كما يحفظ القرآنُ"[١٤].

الثاني : سهلنا علم ما فيه واستنباط معانيه، قاله مقاتل[١٥].

الثالث : هونا حفظه، فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله ، قاله الفراء[١]، وابن الجوزي[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٤/٢٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٤/٢٢.

(٣) النكت والعيون: ٤١٣/٥.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨٤/٢٢.

(٥)أخرجه أحمد (٤٠/١، رقم ٢٧٧) ، والبخارى (١٩٠٩/٤، رقم ٤٧٠٦) ، ومسلم (٥٦٠/١، رقم ٨١٨) ، وأبو داود (٧٥/٢، رقم ١٤٧٥) ، والترمذى (١٩٣/٥، رقم ٢٩٤٣) وقال: حسن صحيح. والنسائى (١٥٠/٢، رقم ٩٣٧) . وأخرجه أيضا: مالك (٢٠١/١، رقم ٤٧٣) وعبد الرزاق عن معمر فى الجامع (٢١٨/١١، رقم ٢٠٣٦٩) ، وابن حبان
(١٦/٣، رقم ٤١) ، وأبو نعيم فى مستخرجه على صحيح مسلم (٤١٢/٢، رقم ١٨٥١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان
(٤١٩/٢، رقم ٢٢٦٧) .
وللحديث أطراف أخرى منها: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"..

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.

(٨) تفسير مجاهد: ٦٣٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.

(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.

(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٠/٤.

(١٣) تفسير التستري: ١٥٨.

(١٤) معاني القرآن: ٨٨/٥.

(١٥) نقلا عن: النكت والعيون: ٤١٣/٥.

قال القرطبي:" أي: سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه... ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظرا، غير موسى وهرون ويوشع ابن نون وعزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت.. فيسر الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه، أي يفتعلوا الذكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب"[٣].

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ١٧]، أي:" فهل من متعظ به؟"[٤].

قال الطبري:" يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر"[٥].

قال ابن كثير:" أي : فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يَسَّر الله حفظه ومعناه ؟"[٦].

قال ابن الجوزي:" أي: من ذاكرٍ يذكره ويقرؤه والمعنى: هو الحث على قراءته وتعلُّمه"[٧].

قال القرطبي: أي:" فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟"[٨].

قال مطر-وهو الوراق-:" هل من طالب علم فيعان عليه؟"[٩].

عن قتادة: "{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، يقول: فهل من طالب خير يُعان عليه"[١٠].

قال القرظي:" هل من مزدجر عن المعاصي"[١١].

عن حماد بن زيد عن عاصم قال: "سمع أبو العالية رجلا وهو يقول سورة قصيرة، فقال: أنت أقصر وألم؛ قال: وكان ابن سيرين يكره أن يقول سورة خفيفة، فإن الله يقول: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل : ٥]، ولكن قل: سورة يسيرة، فإن الله يقول: {لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ١٧]"[١٢].

فوائد الآيات: [٩-١٧]:

١- تسلية الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

٢- تحذير قريش من الاستمرار في الكفر والمعاندة.

٣- تقرير حادثة الطوفان والتي لا ينكرها إلا سفيه لم يحترم عقله.

٤- فضل الله على هذه الأمة بتسهيل القرآن للحفظ والتذكر.

القرآن

{كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨)} [القمر : ١٨]

التفسير:

كذبت عاد هودًا فعاقبناهم، فكيف كان عذابي لهم على كفرهم، ونذري على تكذيب رسولهم، وعدم الإيمان به؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا.

قوله تعالى:{كَذَّبَتْ عَادٌ} [القمر : ١٨]، أي:" كذبت عادٌ رسولهم هوداً"[١٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن: ١٠٨/٣.
(٢) انظر: زاد المسير: ٢٠٠/٤.
(٣) تفسير القرطبي: ١٣٤/١٧.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥) تفسير الطبري: ٥٨٤/٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.
(٧) زاد المسير: ٢٠٠/٤.
(٨) تفسير القرطبي: ١٣٤/١٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢-٥٨٥، وابن أبي حاتم(١٨٧٠٧):ص١٠/٣٣٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.
(١١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢
(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٨):ص١٤/٣.
(١٣) صفوة التفاسير: ٢٦٨/٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كذّبت أيضا عاد نبيهم هودا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به عن الله، كالذي كذّبت قوم نوح، وكالذي كذّبتم مَعْشر قريش نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع رسله"[١].

قال السعدي:" هي القبيلة المعروفة باليمن، أرسل الله إليهم هودا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوه"[٢].

عن السدي:" إنّ عادًا كانوا قومًا باليمن بالأحقاف، والأحقاف: هي الرمال، فأتاهم، فوعظهم، وذكّرهم بما قصَّ اللهُ في القرآن، فكذَّبوه، وسألوا أن يأتيهم بالعذاب"[٣].

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر : ١٨]، أي:" فكيف كان عذابي لهم على كفرهم، ونذري على تكذيب رسولهم، وعدم الإيمان به؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا"[٤].

قال الطبري:" يقول: فانظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابي إياهم، وعقابي لهم على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله هودا وإنذاري بفعلي بهم ما فعلت من سلك طرائقهم، وكانوا على مثل ما كانوا عليه من التمادي في الغيّ والضلالة"[٥].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)} [القمر : ١٩-٢٠]

التفسير:

إنَّا أرسلنا عليهم ريحًا شديدة البرد، في يوم شؤم مستمر عليهم بالعذاب والهلاك، تقتلع الناس من مواضعهم على الأرض فترمي بهم على رؤوسهم، فتدق أعناقهم، ويفصل رؤوسهم عن أجسادهم، فتتركهم كالنخل المنقلع من أصله.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا} [القمر : ١٩]، أي:" أرسلنا عليهم ريحاً عاصفة باردة شديدة الهبوب"[٦].

قال الطبري: يقول: "إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله ريحا صرصرا، وهي الشديدة العصوف في برد، التي لصوتها صرير، وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهيئة قول القائل: صرّ، فقيل منه: صرصر"[٧].

قال ابن كثير:" أرسل {عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا}، وهي الباردة الشديدة البرد"[٨].

قال قتادة:" الصَّرصر: الباردة"[٩]. وروي عن الضحاك مثله[١٠].

قال الحسن:" الصرصر: الباردة"[١١].

عن سفيان: "{رِيحًا صَرْصَرًا}، قال: شديدة، والصرصر: الباردة"[١٢].

قال ابن زيد:" الصرصر: الشديدة"[١٣].

عن ابن عباس، قوله: "{رِيحًا صَرْصَرًا}، قال: ريحا باردة"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٨٥/٢٢.
(٢) تفسير السعدي: ٨٢٦.
(٣)أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٩٢. وقد تقدم بسط قصة عاد مع نبيهم هود في سورة الأعراف.
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥) تفسير الطبري: ٥٨٥/٢٢.
(٦) صفوة التفاسير: ٢٦٨/٣.
(٧) تفسير الطبري: ٥٨٥/٢٢.
(٨) تفسير ابن طثير: ٤٧٩/٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٢.
(١١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٢.

عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- قال:" ما هبت ريح قط إلا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا، ولا تجعلها ريحا» قال ابن عباس: في كتاب الله: {فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا} [فصلت: ١٦]، و {أرسلنا عليهم الريح العقيم} [الذاريات: ٤١]. وقال: {وأرسلنا الرياح لواقح} [الحجر: ٢٢] , {يرسل الرياح مبشرات} [الروم: ٤٦]"[٢].

وفي رواية:" «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا»[٣].

قوله تعالى:{فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [القمر : ١٩]، أي:" في يوم شؤم مستمر عليهم بالعذاب والهلاك"[٤].

قال الطبري:" يقول: في يوم شرّ وشؤم، استمرّ بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافي بهم جهنم"[٥].

قال الثعلبي:" {مُسْتَمِرٍّ}: شديد ماض على الصغير والكبير فلم تبق منهم أحدا إلّا أهلكته"[٦].

قال الفراء:" استمر عليهم بنحوسته"[٧].

قال ابن كثير:" {مُسْتَمِرٍّ} عليهم نحسه ودماره ؛ لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي "[٨].

عن قتادة: "{فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ}، يستمرّ بهم إلى نار جهنم"[٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{فِي يَوْمِ نَحْسٍ} [القمر : ١٩]، أقوال:

أحدها : أيام شداد. قاله ابن عباس[١٠]، والضحاك[١١].

قال مقاتل:" يعني: شديد، {مُسْتَمِرٍّ}، يقول: استمرت عليهم الريح لا تفتر عنهم سبع ليال، وثمانية أيام حسوما دائمة"[١٢].

الثاني: في يوم شرّ. قاله ابن زيد[١٣].

قال ابن زيد:" النحس: الشرّ. {فِي يَوْمِ نَحْسٍ}: في يوم شر"[١٤].

الثالث: في يوم شديدة البرد. حكاه الماوردي[١٥]، وأنشد قول الشنفرى[١٦]:

ولَيْلَةِ نَحْسٍ في الأُمورِ شَهِدْتُهَا ... بخُطَّةِ عَزْمٍ قَدْ أُمِرَّ مَرِيرُها

يعني :"أنه لشدة بردها يصطلي بقوسه وسهامه التي يدفع بها عن نفسه"[١٧].

الرابع: أي: في يوم شؤم. قاله الحسن[١٨]، وقتادة[١]، وابن قتيبة[٢]، والزجاج[٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٢.
(٢) مسند الشافعي: ٨١.
(٣) مسند أبي يعلى(٢٤٥٦):ص٣٤١/٤. [إسناده ضعيف]
(٤) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥) تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٢.
(٦) الكشف والبيان: ١٦٥/٩.
(٧) معاني القرآن: ١٠٨/٣.
(٨) تفسير ابن طثير: ٤٧٩/٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٢.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٠/٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٢.
(١٥) النكت والعيون: ٤١٤/٥.
(١٦) إعراب لامية الشنفري: ١٢٦.
(١٧) النكت والعيون: ٤١٤/٥.
(١٨)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.

قال الحسن:" النّحس: المشؤوم"[٤].
قال قتادة:" النَّحْس: الشؤم"[٥].
قال الزجاج:" يعني «نَحس»: مشؤوم، {مستمر}، أي: دائم الشؤم، وقيل: في يوم أربعاء في آخر الشهر لا يدور"[٦].
قال ابن أبي زمنين:" وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء"[٧].
عن زر بن حبيش: "{فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ}، قال: يوم الأربعاء"[٨].
عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "«يوم الأربعاء يوم نحْسٍ مستمرّ»"[٩].
عن أنس، قال: سُئِل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن الأيام، وسُئل عن يوم الأربعاء. قال: «يوم نحْسٍ». قالوا: وكيف ذاك، يا رسول الله؟ قال: «أغرق الله فرعون وقومه، وأهلك عادًا وثمود»[١٠].
عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «آخر أربعاء في الشهر يوم نحْسٍ مستمرّ»[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٢.
(٢) انظر: غريب القرآن: ٤٣٢.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٨٩/٥.
(٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٢.
(٦) معاني القرآن: ٨٩/٥.
(٧) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٩/٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٠٨):ص٣٣٢٠/١٠.
(٩)أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٢٤٣ (٧٩٧)، ٦/ ٢٨٣ (٦٤٢٢)، والبيهقي في الكبرى ١٠/ ٢٨٦ (٢٠٦٥٥)، من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله به.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديثَ عن جعفر بن محمد إلا إبراهيم بن أبي حية». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ١/ ٢١٨ (٦٣): «هذا الأصل فيه مرسل، والزيادة فيه ينفرد بها إبراهيم، وهو لا شيء». وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٧٤ بعد أن ذكر أحاديث وهذا من بينها: «هذه الأحاديث لا تصحّ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... ، وأما حديث جابر فلم يروه غير إبراهيم، قال الدارقطني: هو متروك». وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ٤٩٢ (٢١٣٣): «إبراهيم ضعيف جدًّا». وقال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ٢/ ٥٥ (٢٤): «لا يصحّ، فيه إبراهيم بن أبي حية». وقال الفتني في تذكرة الموضوعات ص ١١٦: «موضوع». وقال المناوي في فيض القدير ١/ ٤٧: «سند ضعيف ... ». وقال أبو عبد الرحمن الحوت في أسنى المطالب ص ٣٣٥ (١٧٧٨): «موضوع». وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٤٣٨ (٢٩): «قال الصنعاني: موضوع. وكذا قال ابن الجوزي. ورواه الخطيب وفي إسناده كذّاب، ورواه ابن مردويه وفي إسناده متروك». وقال الألباني في الضعيفة ٤/ ٨٣: «أورده ابن الجوزي في الموضوعات أيضًا من طرق، وكلها واهية شديدة الضعف، فما أبعد ابن الجوزي عن الصواب، وما أحسن السيوطي بإيراده إياه في الزيادة على الجامع».
(١٠)أخرجه ابن مردويه -كما في اللآلئ المصنوعة ١/ ٤٤٢ - ، من طريق أبي الأخيل خالد بن عمرو الحمصي، عن يزيد بن خالد القرشي، عن عبد الرحمن بن كسرى، عن مسلم بن عبد الله، عن سعيد بن ميمون، عن أنس بن مالك به.
قال السيوطي: «أبو الأخيل متهم».
(١١)أخرجه الخطيب في تاريخه ١٦/ ٥٨٤ (٤٨٣١)، وابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٧٣، من طريق مسلمة بن الصلت، عن أبي الوزير صاحب ديوان المهدي، عن المهدي أمير المؤمنين، عن أبيه، عن أبيه، عن ابن عباس به.
قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٨: «ضعيف، بل واهٍ؛ لضعف رواية سلمة بن الصلت وغيره». وقال في فيض القدير ١/ ٤٧ (٨): «فيه سلمة بن الصلت؛ قال أبو حاتم: متروك. وجزم ابن الجوزي بوضعه، وحكاه في الكبير ولم يتعقّبه، وقال ابن رجب: حديث لا يصحّ». وقال السيوطي: «سند ضعيف». وقال في اللآلئ المصنوعة ١/ ٤٤١: «مسلمة متروك». وقال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ٢/ ٥٥ (٢٣): «ولا يصحّ، فيه مسلمة بن الصلت؛ متروك». وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٤٣٨ (٢٦) وقال:

وقرأ هارون الأعور: «نَحْسٍ»، بكسر الحاء[1].

قوله تعالى:{تَنْزِعُ النَّاسَ} [القمر : ٢٠]، أي:" تقلع الريح القوم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدقُّ رقابهم وتتركهم"[2].

قال الطبري:" يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رءوسهم، فتندقّ رقابهم، وتبين من أجسامهم"[3].

قال ابن كثير:" وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس"[4].

قال السعدي:" فترفعهم إلى جو السماء، ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم"[5].

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} [القمر : ٢٠]، أي:" كأنهم أُصول نخلٍ قد انقلعت من مغارسها وسقطت على الأرض"[6].

قال الفراء:" {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ}: أسافلها، {مُنْقَعِرٍ}: المصرع من النخل"[7].

قال ابن عباس:" أعجاز سود النخل"[8].

قال السعدي:" فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره!"[9].

عن السدي:" {كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} انقعر من أصوله"[10].

عن ابن عباس، قوله: "{تَنزعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}، قال: هم قوم عاد حين صرعتهم الريح، فكأنهم فلق نخل منقعر"[11].

عن مجاهد، قوله: "{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}، قال: سقطت رءوسهم كأمثال الأخبية، وتفرّدت، أو وتَفَرّقت أعناقهم وقال " أبو جعفر: أنا أشك"، فشبهها بأعجاز نخل منقعر"[12].

عن محمد بن قرظة بن كعب، عن أبيه، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «انتزعت الريح الناس من قبورهم»[13].

عن الحسن، قال: "لما أقبلت الريح قام إليها قوم عاد، فأخذ بعضهم بأيدي بعض كما تفعل الأعاجم، وغمزوا أقدامهم في الأرض وقالوا: يا هود من يزيل أقدامنا عن الأرض إن كنت صادقا، فأرسل الله عليهم الريح فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل مُنْقَعر"[14].

عن أبي هريرة، قال: "إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من حجارة، لو اجتمع عليها خمس مئة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يحملوها، وإن كان الرجل منهم ليغمز قدمه في الأرض، فتدخل في الأرض"[15].

«قال ابن حجر: هذا كذب على ابن عباس لا تحل روايته». وقال الألباني في الضعيفة ٤/ ٨٣ (١٥٨١): «موضوع».

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٦٥/٩.
(٢) صفوة التفاسير: ٢٦٨/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٢.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(٥) تفسير السعدي: ٨٢٦.
(٦) صفوة التفاسير: ٢٦٨/٣.
(٧) معاني القرآن: ١٠٨/٣.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧١٠):ص٣٣٢١/١٠.
(٩) تفسير السعدي: ٨٢٦.
(١٠)أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات(١٢٩):ص ٤/ ٤٥٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢٢.
(١٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٦/٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٢.

قال ابن إسحاق: " لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة شَماليًا، منهم ستة من أشدّ عاد وأجسمها، منهم عمرو بن الحُلَيِّ والحارث بن شداد والهلقام وابنا تيقن وخَلجان بن أسعد، فأدلجوا العيال في شعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردّوا الريح عمن بالشِّعب من العِيال، فجعلت الريح تخفقُهم رجلا رجلا فقالت امرأة من عاد[١]:

ذَهَبَ الدَّهْرُ بعَمْرِو بْ ... نِ حُلَيٍّ والهَنَيَّاتِ
ثُمَّ بالحارِثِ والهلْ ... قامِ طَلاعِ الثَّنيَّاتِ
وَالَّذِي سَدَّ عَلَيْنا الرّ ... يحَ أيَّامَ البَلِيَّاتِ"[٢].

لما هبَّت الريح قام سبعة من عاد، فقالوا: نردّ الريح، فأتوا فم الشعب الذي يأتي منه الريح، فوقفوا عليه، فجعلت الريح تهبّ، فتدخل تحت واحد واحد، فتقتلعه من الأرض فترمي به على رأسه، فتندقّ رقبته، ففعلت ذلك بستة منهم، وتركتهم كما قال الله: {أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}، وبقي الخلجان فأتى هودا فقال: يا هود ما هذا الذي أرى في السحاب كهيئة البخاتيّ؟ قال: تلك ملائكة ربي، قال: ما لي إن أسلمت؟ قال: تَسْلَم، قال: أيُقيدني ربك إن أسلمت من هؤلاء؟ فقال: ويلك أرأيت ملكا يقيد جنوده؟ فقال: وعزّته لو فعل ما رضيت. قال: ثم مال إلى جانب الجبل، فأخذ بركن منه فهزّه، فاهتز في يده، ثم جعل يقول[٣]:

لَمْ يَبْقَ إلا الخَلَجانُ نَفْسُهُ ... يا لَكَ مِنْ دَهانِي أمْسُهُ
بِثابِتِ الوَطْءِ شَدِيدٍ وَطْسُهُ ... لَوْ لَمْ يَجِئْني جِئْتُهُ أحُسُّهُ

قال: ثم هبت الريح فألحقته بأصحابه"[٤].

القرآن

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١)} [القمر : ٢١]

التفسير:

فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي، وكذَّب رسلي ولم يؤمن بهم؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فانظروا يا معشر كفار قريش، كيف كان عذابي قوم عاد، إذ كفروا بربهم، وكذّبوا رسوله، فإن ذلك سنة الله في أمثالهم، وكيف كان إنذاري بهم مَنْ أنذرت"[٥].

قال ابن قتيبة:" {وَنُذُرِ}: جمع نَذِير. و«نذير»، بمعنى: الإنذار، أي: فكيف كان عذابي وإنذاري"[٦].

قال ابن أبي زمنين:" أي: كان شديدا"[٧].

قال السعدي:" كان والله العذاب الأليم، والنذارة التي ما أبقت لأحد عليه حجة"[٨].

القرآن

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢)} [القمر : ٢٢]

التفسير:

---

(١)هذه الأبيات لامرأة من عاد قوم هود عليه السلام (هامش القرطبي ١٧: ١٣٦) . وقد ذكر المؤلف الأبيات في قصة عاد حينما سلط الله عليهم الريح. والله أعلم بمن قالها وبمن رواها. وقوله: «علينا»، زيادة لإصلاح الوزن، وهي ساقطة من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٢، وانظر: الكشف والبيان: ١٦٥/٩-١٦٦.

(٣)وهذان البيتان من الأشعار التي رواها أهل القصص في قصة هلاك عاد قوم هود بالريح. وقد أوردها الثعلبي المفسر في كتابه قصص الأنبياء المشهور بعرائس المجالس ص ٦٤ من طبعة الحلبي.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٢-٥٨٨.

(٥) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٢.

(٦) غريب القرآن: ٤٣٢.

(٧) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٩/٤.

(٨) تفسير السعدي: ٨٢٦.

ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم وللتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ٢٢]، أي:" ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم وللتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر"(١).

عن مجاهد، قوله: "{يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}، قال: هوّناه"(٢). وفي رواية:" هونا قراءته"(٣).

وقال السدي : "يسرنا تلاوته على الألسن"(٤).

قال ابن زيد:" يسَّرنا: بيَّنا"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد سهلنا القرآن وهوّناه لمن أراد التذكر به والاتعاظ"(٦).

قال الشوكاني:" أي: سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه، وقيل: هيأناه للتذكر والاتعاظ"(٧).

قال القاسمي:" أي: سهلناه للإدكار والاتعاظ، لكثرة ما ضرب فيه من الأمثال الكافية الشافية"(٨).

قال المراغي: "أي: ولقد سهلنا لفظه، ويسرنا معناه، وملأناه بأنواع العبر والمواعظ، ليتعظ به من شاء، ويتدبر من أراد"(٩).

قال أبو السعود:" جملة قسمية وردت في أواخر القصص الأربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)} [القمر: ٤ - ٥]، وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بإجاب الإدكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار، أي: وبالله ولقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد، { لِلذِّكْرِ}، أي: للتذكر والاتعاظ"(١٠).

قال السعدي:" كرر تعالى ذلك رحمة بعباده وعناية بهم، حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم"(١١).

قال الضحاك عن ابن عباس : "لولا أن الله يسره على لسان الآدميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله، عز وجل"(١٢).

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٢٢]، أي:" فهل من متعظ به؟"(١٣).

عن قتادة: "{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، يقول: فهل من طالب خير يُعان عليه"(١٤).

قال مطر-وهو الوراق-:" هل من طالب علم فيعان عليه؟"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.
(٣) تفسير مجاهد: ٦٣٤.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.
(٦) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٢.
(٧) فتح القدير: ١٤٩/٥.
(٨) محاسن التأويل: ٩٢/٩.
(٩) تفسير المراغي: ٨٥/٢٧.
(١٠) تفسير أبي السعود: ١٧٠/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٨٢٦.
(١٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.

قال الطبري:" يقول: فهل من متعظ ومنزجر بآياته"[٢].
قال القاسمي:" أي: فيعتبر بما فيه، ويثوب إلى رشده"[٣].
قال المراغي: "أي" فهل من متعظ به، مزدجر عن معاصيه، أي: ما أقل من تذكر به، واتعظ بأمره ونهيه"[٤].
قال الشوكاني:" أي: متعظ بمواعظه ومعتبر بعبره. وفي الآية الحث على درس القرآن، والاستكثار من تلاوته، والمسارعة في تعلمه. و«مدكر»، أصله: «مذتكر»"[٥].
قال أبو السعود: قال: {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}" إنكارا ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام"[٦].
فوائد الآيات: [١٨-٢٢]:
١-بيان عقوبة المكذبين لرسل الله وما نزل بهم من العذاب في الدنيا قبل اللآخرة.
٢-بيان أن قوة الإنسان مهما كانت أمام قوة الله تعالى هي لا شيء ولا ترد عذاب الله بحال.
٣-بيان تسهيل الله تعالى كتابه للناس ليحفظوه ويذكروا به, ويعملوا بما جاء فيه ليكملوا ويسعدوا في الحياتين.

القرآن
{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)} [القمر :٢٣-٢٤]
التفسير:
كذبت ثمود -وهم قوم صالح- بالآيات التي أُنذروا بها، فقالوا: أبشرًا منا واحدًا نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟ إنا إذا لفي بُعْدٍ عن الصواب وجنون.
قوله تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ} [القمر : ٢٣]، أي:" كذبت ثمود -وهم قوم صالح- بالآيات التي أُنذروا بها"[٧].
قال مقاتل:" يعني: بالرسل"[٨].
قال يحيى:" النذر، يعني: الرسل"[٩].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كذّبت ثمود قوم صالح بنذر الله التي أتتهم من عنده"[١٠].
عن الحسن البصري -من طريق إسماعيل- أنه سُئل: "يا أبا سعيد، أرأيت قوله: {كذبت قوم نوح المرسلين}، و {كذبت عاد المرسلين}، و {كذبت ثمود المرسلين}، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إنّ الآخر جاء بما جاء الأول، فإذا كذبوا واحدًا فقد كذبوا الرسل أجمعين"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٤-٥٨٥، وابن أبي حاتم(١٨٧٠٧):ص١٠/٣٣٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢/٥٨٩.
(٣) محاسن التأويل: ٩/٩٢.
(٤) تفسير المراغي: ٢٧/٨٥.
(٥) فتح القدير: ٥/١٤٩.
(٦) تفسير أبي السعود: ٨/١٧٠.
(٧) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/١٨١.
(٩)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٦٨.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٢/٥٨٩.
(١١)أخرجه الثعلبي ٧/ ١٧٣، وينظر: تفسير البغوي ٦/ ١٢٠.

قوله تعالى:{فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ} [القمر : ٢٤]، أي:" فقالوا: أبشرًا منا واحدًا نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟"[١].

قال الطبري:" فقالوا تكذيبا منهم لصالح رسول ربهم: أبشرا منا نتبعه نحن الجماعة الكبيرة وهو واحد؟"[٢].

قال ابن كثير:" يقولون : لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلّنا قيادنا لواحد منا!"[٣].

قال الزمخشري:" قالوا أبشرا: إنكارا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية.. وقالوا :{مِنَّا} لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا واحِداً إنكارا لأن تتبع الأمّة رجلا واحدا. أو أرادوا واحدا من أفنائهم[٤] ليس بأشرفهم وأفضلهم، ويدل عليه قولهم: {أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا} [القمر : ٢٥]"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٢٤]، أي:" إنا إذا لفي بُعْدٍ عن الصواب وجنون"[٦].

قال مقاتل:" يعني: لفي شقاء وعناء إن تبعنا صالحا"[٧].

قال الطبري:" يقول: قالوا: إنا إذًا باتباعنا صالحا إن اتبعناه وهو بشر منا، لفي ذهاب عن الصواب وأخذ على غير استقامة وسُعُر: يعنون بالسُّعُر: جمع سَعير"[٨].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}: في عناء وعذاب"[٩]. وفي رواية:" ضلال وعناء"[١٠].

قال الزمخشري:" قيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب. والسعر: الجنون"[١١].

القرآن

{أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦)} [القمر : ٢٥-٢٦]

التفسير:

أأنزل عليه الوحي وخُصَّ بالنبوة مِن بيننا، وهو واحد منا؟ بل هو كثير الكذب والتجبر. سَيَرون عند نزول العذاب بهم في الدنيا ويوم القيامة مَنِ الكذاب المتجبر؟

قوله تعالى:{أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا} [القمر : ٢٥]، أي:" أأنزل عليه الوحي وخُصَّ بالنبوة مِن بيننا، وهو واحد منا؟"[١٢].

قال ابن عباس، والكلبي:" يقولون: أجاءته النبوة وخص بها من بيننا"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مكذّبي رسوله صالح صلى الله عليه وسلم من قومه ثمود: أألقي عليه الذكر من بيننا، يعنون بذلك: أنزل الوحي وخصّ بالنبوّة من بيننا وهو واحد منا، إنكارا منهم أن يكون الله يُرسل رسولا من بني آدم"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٢) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(٤)في الصحاح: يقال هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو.
(٥) الكشاف: ٤٣٧/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤.
(٨) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٢.
(١١) الكشاف: ٤٣٧/٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(١٣) .
(١٤) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٢.

قال مقاتل:" يعنون صالحا- صلى الله عليه-، ونحن أفضل منه عند الله منزلة"[١].
قال الزمخشري:" أي: أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة"[٢].
قال ابن كثير:" ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم"[٣].
عن السدي في قوله:" {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْر} [النحل : ٤٤]، قال: هو القرآن"[٤].
قوله تعالى:{بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} [القمر : ٢٥]، أي:" بل هو كثير الكذب والتجبر"[٥].
قال الطبري:" يقول: قالوا: ما ذلك كذلك، بل هو كذّاب أشر، يعنون بالأشر: المَرِح ذا التجبر والكبرياء، والمَرِح من النشاط"[٦].
قال مقاتل:" يعني: بطر مرح"[٧].
قال ابن كثير:" ثم رموه بالكذب فقالوا :{بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ}، أي : متجاوز في حد الكذب"[٨].
قال الزمخشري:" {أَشِرٌ}: بطر متكبر، حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك"[٩].
عن الحسن بن محمد بن سعيد القرشيّ، قال: "قلت لعبد الرحمن بن أبي حماد: ما «الكذّاب الأشر»؟ قال: الذي لا يبالي ما قال"[١٠].
قال ابن عباس: "وكان صالح بن عبيد شريفًا سيداً من أشرف بطن فيهم"[١١].
عن مجاهد أنه كان يقرأه: «كَذَّابٌ أَشُرٌ»، بضم الشين وتخفيف الراء[١٢].
قوله تعالى:{سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ} [القمر : ٢٦]، أي:" سَيَرون عند نزول العذاب بهم في الدنيا ويوم القيامة مَنِ الكذاب المتجبر؟"[١٣].
قال الطبري: يقول: "سيعلمون غدا في القيامة من الكذّاب الأشر، ومن رسولنا صالح حين يردون على ربهم"[١٤].
قال مقاتل:" عند نزول العذاب {مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ}، فهذا وعيد"[١٥].
قال ابن كثير:" وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد"[١٦].
قال محمد بن السّائِب الكلبي: "{سَيَعْلَمُونَ غَدًا} يوم القيامة، وذكر الغد للتقريب على عادة الناس"[١٧].
عن مجاهد :"أنه قرأ: {سَيَعْلَمُونَ} بالياء[١٨].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤.
(٢) الكشاف: ٤٣٧/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٦٦):ص٢٢٨٩/٧.
(٥) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٦) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(٩) الكشاف: ٤٣٧/٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٢.
(١١) التفسير البسيط: ١٠٩/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٢.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(١٤) تفسير الطبري: ٥٩١/٢٢. [بتصرف]
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(١٧)تفسير البغوي ٤/ ٣٢٥.
(١٨)أخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٠٨.

وقرئ: «ستعلمون»، بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم، أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات[1].

القرآن

{إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧)} [القمر : ٢٧]

التفسير:

إنا مخرجو الناقة التي سألوها من الصخرة؛ اختبارًا لهم، فانتظر -يا صالح- ما يحلُّ بهم من العذاب، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم لك.

قوله تعالى:{إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ} [القمر : ٢٧]، أي:" إنا مخرجو الناقة التي سألوها من الصخرة، اختبارًا لهم"[2].

قال الطبري: يقول:" إنا باعثوا الناقة التي سألتها ثمودُ صالحا من الهضبة التي سألوه بَعثَتها منها آية لهم، وحجة لصالح على حقيقة نبوّته وصدق قوله، ابتلاء لهم واختبارا، هل يؤمنون بالله ويتبعون صالحا ويصدّقونه بما دعاهم إليه من توحيد الله إذا أرسل الناقة، أم يكذّبونه ويكفرون بالله؟"[3].

قال الزمخشري: أي:" باعثوها ومخرجوها من الهضبة[4] كما سألوا، امتحانا لهم وابتلاء"[5].

قال ابن كثير:" أي : اختبارا لهم؛ أخرج الله لهم ناقة عظيمة عُشراء من صخرة صمَّاء طبق ما سألوا، لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح، عليه السلام، فيما جاءهم به"[6].

قال ابن عباس:" وذلك أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع، ثم ترد ماءهم فتشربه، ثم تغدو عليهم بمثله لبناً، فقال الله تعالى {إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ}"[7].

عن السدي، قال: "فسألوا، -يعني: صالحا- أن يأتيهم بآية فجاءهم بالناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، وقال: فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فأقروا بها جميعا فذلك قوله: {فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، فكانوا قد أقروا بها على وجه النفاق"[8].

عن أبي الطفيل قال: قالت ثمود لصالح ائتنا بآية إن كنت من الصادقين: قال: فقال لهم صالح، اخرجوا إلى هضبة من الأرض فخرجوا، فإذا تمخض كما تمخض الحامل، ثم إنها تفرجت فخرجت من وسطها الناقة فقال لهم صالح: {هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله}، إلى قوله: {عذاب أليم} ... {لها شرب ولكم شرب يوم معلوم}"[9].

عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة:" أنه حدث أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة، ثم انتفضت فانصدغت، عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء، نتوجا ما بين جنبيها لا يعلمه إلا الله عظما"[10].

---

(١) انظر: الكشاف: ٤/٤٣٧-٤٣٨.
(٢) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٣) تفسير الطبري: ٢٢/٥٩١.
(٤)في الصحاح «الهضبة» الجبل المنبسط على وجه الأرض.
(٥) الكشاف: ٤/٤٣٨.
(٦) تفسير ابن كثير: ٧/٤٧٩.
(٧) التفسير البسيط للواحدي: ٢١/١١٠.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٧٢):ص٩/٢٨٠٥.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٦):ص٥/١٥١٢.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٧):ص٥/١٥١٢.

قوله تعالى:{فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ} [القمر : ٢٧]، أي:" فانتظر -يا صالح- ما يحلُّ بهم من العذاب، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم لك"[١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لصالح: إنا مُرسلو الناقة فتنة لهم، فانتظرهم، وتبصَّر ما هم صانعوه بها، واصطبر على ارتقابهم ولا تعجل، وانتظر ما يصنعون بناقة الله، {وَاصْطَبِرْ} وأصل الطاء تاء، فجعلت طاء، وإنما هو افتعل من الصبر"[٢].

قال مقاتل:" يعني: انتظرهم فإن العذاب نازل بهم، {وَاصْطَبِرْ} على الأذى"[٣].

قال الزمخشري: أي:" فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون، {وَاصْطَبِرْ} على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى"[٤].

قال ابن كثير:" أي : انتظر ما يؤول إليه أمرهم، واصبر عليهم، فإن العاقبة لك والنصر لك في الدنيا والآخرة"[٥].

قال الكلبي: "أمره بالصبر لما سبق في علمه أنهم سيكذبونه"[٦].

القرآن

{وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨)} [القمر : ٢٨]

التفسير:

وأخبرهم أن الماء مقسوم بين قومك والناقة: للناقة يوم، ولهم يوم، كل شِرْب يحضره مَن كانت قسمته، ويُحظر على من ليس بقسمة له.

قوله تعالى:{وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ} [القمر : ٢٨]، أي:" وأخبرهم أن الماء مقسوم بين قومك والناقة: للناقة يوم، ولهم يوم"[٧].

قال مقاتل:" يوم للناقة ويوم لأهل القرية"[٨].

قال ابن كثير:" أي : يوم لهم ويوم للناقة؛ كقوله :{قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء : ١٥٥]"[٩].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أخبرهم أن الماء قسمة بينهم، يوم غبّ الناقة، وذلك أنها كانت ترد الماء يوما، وتغبّ يوما، فقال جلّ ثناؤه لصالح: أخبر قومك من ثمود أن الماء يوم غبّ الناقة قسمة بينهم، فكانوا يقتسمون ذلك يوم غبها، فيشربون منه ذلك اليوم، ويتزوّدون فيه منه ليوم ورودها"[١٠].

قال الزمخشري: " وإنما قال: {بينهم}، تغليبا للعقلاء"[١١].

عن ابن عباس، قال: "إذا كان يومها أصدرتهم لبنا ما شاءوا"[١٢].

عن أبي رَوْق -من طريق المسيب- قال: "كانت ناقة صالح - عليه السلام - يُوضَع لها الإناء، فتَدُرُّ فيه اللبَن"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٢) تفسير الطبري: ٥٩١/٢٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤.
(٤) الكشاف: ٤٣٨/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(٦) التفسير البسيط للواحدي: ١١٠/٢١.
(٧) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٢.
(١١) الكشاف: ٤٣٨/٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٧٠):ص٢٨٠٤/٩.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٣/٣.

عن جابر، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من ذلك الفج تشرب ماءهم يوم وردها، ويحتلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غبها وتصدر من ذلك"(١).

قوله تعالى:{كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ} [القمر : ٢٨]، أي:" كل شِرْب يحضره مَن كانت قسمته، ويُحظر على من ليس بقسمة له"(٢).

قال الطبري: يقول :" كلّ شرب من ماء يوم غبّ الناقة، ومن لبن يوم ورودها محتضر يحتضرونه"(٣).

قال مقاتل:" يقول: إذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم"(٤).

عن مجاهد، قوله: "{كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ}، قال: يحضرون بهم الماء إذا غابت، واذا جاءت حضروا اللبن"(٥).

القرآن

{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠)} [القمر : ٢٩-٣٠]

التفسير:

فنادوا صاحبهم بالحض على عقرها، فتناول الناقة بيده، فنحرها فعاقَبْتُهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم، وإنذاري لمن عصى رسلي؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

قوله تعالى:{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} [القمر : ٢٩]، أي:" فنادوا صاحبهم بالحض على عقرها، فتناول الناقة بيده، فنحرها، غير مكترث بالأمر العظيم"(٦).

قال الطبري: يقول :" فنادت ثمود صاحبهم عاقر الناقة قدار بن سالف ليعقر الناقة حضّا منهم له على ذلك، فتناول الناقة بيده فعقرها"(٧).

قال ابن كثير:" قال المفسرون : هو عاقر الناقة، واسمه قُدّار بن سالف، وكان أشقى قومه. كقوله :{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} [الشمس : ١٢]. {فَتَعَاطَى}، أي : فَجَسر"(٨).

قال الزمخشري: " {فَتَعَاطَى}: فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له، فأحدث العقر بالناقة. وقيل :{فَتَعَاطَى} الناقة فعقرها، أو {فَتَعَاطَى} السيف"(٩).

قال مقاتل:" بعد ما كانوا منعوا الماء وكان القوم على شراب لهم ففني الماء، فبعثوا رجلا ليأتيهم بالماء ليمزجوا به الخمر، فوجدوا الناقة على الماء، فرجع، وأخبر أصحابه، فقالوا لقدار بن سالف اعقروها. وكانوا ثمانية فأخذ قدار السيف فعقرها، وهو عاقر الناقة"(١٠).

عن ابن عباس، قوله: "{فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}، قال: تناولها بيده"(١١).

عن ابن عباس(١٢)، ومجاهد(١٣):" {فَتَعاطى}، قال: تناول".

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٦٩):ص٢٨٠٤/٩.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٣) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٢.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢٢.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٠، وصفوة التفاسير: ٢٦٩/٣.
(٧) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٢-٥٩٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.
(٩) الكشاف: ٤٣٨/٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨١/٤-١٨٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢٢.
(١٢)أخرجه ابن المنذر -كما في الفتح ٨/ ٦١٦ - . وعزاه السيوطي إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.
(١٣)أخرجه الفريابي -كما في التغليق ٤/ ٣٢٧ - ، وابن جرير ٢٢/ ١٤٧ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

عن ابن عباس، قوله: {فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}، قال: "تناولها بيده، {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}، قال: يقال: إنه ولد زنية فهو من التسعة الذين كانوا يُفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وهم الذين قالوا لصالح: {لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} ولنقتلنهم "[1].

قال قتادة:" تناول أحيمر ثمود الناقة فعقرها"[2].

عن هشام بن عروة ، عن أبيه في قوله تعالى: {فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر} [القمر: ٢٩] أن النبي عليه السلام قال: «إن عاقر الناقة كان في قومه عزيزا منيعا ، كأبي زمعة»"[3].

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر : ٣٠]، أي:" فكيف كان عقابي وإنذاري لهم؟ ألم يكن فظيعاً شديداً؟!"[4].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لقريش: فكيف كان عذابي إياهم معشر قريش حين عذبتهم ألم أهلكهم بالرجفة. ونُذُر: يقول: فكيف كان إنذاري من أنذرت من الأمم بعدهم بما فعلت بهم وأحللت بهم من العقوبة"[5].

قال مقاتل:" يعني: الذي أنذر قومه ألم يجدوه حقا؟، فلما أيقن بالهلاك تكفنوا بالأنطاع وتطيبوا بالمر، ثم دخلوا حفرهم صبيحة يوم الرابع"[6].

قال ابن كثير:" أي : فعاقبتهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟"[7].

قال الحسن:"لمّا عقروا الناقة طلبوا فَصِيلها، فصار في قارة الجبل، فقطع الله قلوبهم"[8].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن أحيمر ثمود أبى أن يعقرها، حتى بايعه صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها"[9].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)} [القمر : ٣١]

التفسير:

إنا أرسلنا عليهم جبريل، فصاح بهم صيحة واحدة، فبادوا عن آخرهم، فكانوا كالزرع اليابس سريع الانكسار الذي يُجْعل حِظارًا على الإبل والمواشي.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً} [القمر : ٣١]، أي:" إنا أرسلنا عليهم جبريل، فصاح بهم صيحة واحدة"[10].

قال مقاتل:" صَيْحَةً واحِدَةً من جبريل- عليه السلام- وذلك أنه قام فى ناحية القرية فصاح صيحة فحمدوا أجمعين"[11].

قوله تعالى:{فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} [القمر : ٣١]، أي:" فصاروا كالزرع اليابس سريع الانكسار الذي يُجْعل حِظارًا على الإبل والمواشي"[12].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢٢.
(٢) الدر المنثور: ٦٧٩/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.
(٣) تفسير عبدالرزاق(٣٠٦٥):ص٢٦٠/٣.
(٤) صفوة التفاسير: ٢٦٩/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٥٩٣/٢٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٢/٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧-٤٨٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤، وابن أبي حاتم(٨٣٥٤٢):ص٢٩٠/٢٣.
(٩)أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤. وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٥٣٠/٨، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٢/٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٣٠.[بتصرف]

قال الطبري: يقول:" فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء، وحسنهم قبل بوارهم كيبس الشجر الذي حظرته بحظير حظرته بعد حُسن نباته، وخضرة ورقه قبل يُبسه"[١].

قال مقاتل:" شبههم في الهلاك بالهشيم البالي يعني الحظيرة من القصب ونحوها تحظر على الغنم، أصابها ماء السماء وحر الشمس حتى بليت من طول الزمان"[٢].

وفي قوله تعالى:{فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} [القمر : ٣١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: كالعظام المحترقة، قاله ابن عباس[٣].

وقال قتادة:" كرمادٍ محترق. قاله قتادة[٤].

وكان قتادة يقرأ: "«كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ»، يقول: المحترق"[٥].

الثاني : أنه التراب الذي يتناثر من الحائط وتصيبه الريح، فيحتظر مستديراً ، قاله سعيد بن جبير[٦].

قال ابن كثير:" وهذا قول غريب"[٧].

الثالث : عني به: هشيم الخيمة، وهو ما تكسَّر من خشبها. قاله مجاهد[٨].

عن مجاهد، قوله: "{كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}، قال: الرجل يهشِم الخيمة"[٩].

وقال مجاهد:" الهشيم: الخيمة"[١٠].

الرابع : أنه الورق الذي يتناثر من خشب الحطب. وهذا قول سفيان[١١].

قال سفيان: "الهشيم: إذا ضربت الحظيرة بالعصا تهشم ذاك الورق فيسقط. والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس: هشيما"[١٢].

الخامس : أنه المرعى بالصحراء حين يبيس وتحرق ونسفته الريح. قاله السدي[١٣].

السادس : أنه حظيرة الراعي للغنم. قاله الضحاك[١٤]، ورواه سفيان عن أبي إسحاق وأسنده[١٥].

ومنه قول الشاعر[١٦] :

أثرت عجاجة كدخان نار ... تشب بغرقد بال هشيم

وقال الضحاك:" المحتظر: الحظيرة تتخذ للغنم فتيبس، فتصير كهشيم المحتظر، قال: هو الشوك الذي تحظر به العرب حول مواشيها من السباع، والهشيم: يابس الشجر الذي فيه شوك ذلك الهشيم"[١٧].

وقال ابن زيد: "كانت العرب يجعلون حِظَارًا على الإبل والمواشي من يَبيس الشوك، فهو المراد من قوله :{كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}"[١٨].

---

(١) تفسير الطبري :٥٩٣/٢٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٢/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢٢-٥٩٤.

(٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩ بلفظ: كرمام، وابن جرير ٢٢/ ٥٩٤ بنحوه من طريق سعيد، وحسين على قراءة (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) –كما سيأتي-. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.

(١٣) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٤٨٠/٧.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢٢-٥٩٥.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢٢.

(١٦) بلا نسبة في "النكت والعيون: ٤١٧/٥.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.

(١٨) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٤٨٠/٧، ونحوه الماوردي في "النكت والعيون": ٤١٧/٥

قال الزمخشري:" الهشيم، الشجر اليابس المتهشم المتكسر. والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم"[١].

قال ابن قتيبة:" «الهشيم»: من النبت المتفتت. وأصله من: هشمت الشيء إذا كسرته. ومنه سمي الرجل: هاشما"[٢].

قال ابن كثير:" أي : فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخَمَدوا وهَمَدوا كما يهمد يَبيس الزرع والنبات. قاله غير واحد من المفسرين"[٣].

القرآن

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢)} [القمر : ٣٢]

التفسير:

ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل مِن متعظ به؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ٣٢]، أي:" ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر"[٤].

قال الطبري: يقول:" ولقد هوّنا القرآن بيَّناه لمن أراد أن يتذكر به فيتعظ"[٥].

قال الواحدي: أي:" سهَّلناه للحفظ فليس يحفظ كتابٌ من كتب الله ظاهراً إلاَّ القرآن"[٦].

قال البغوي: أي:" سهلنا {القرآن} ليتذكر ويعتبر به"[٧].

قال ابن عطية:" معناه: سهلناه وقربناه و«الذكر» : الحفظ عن ظهر قلب، يسر بما فيه من حسن النظم وشرف المعاني فله لوطة بالقلوب، وامتزاج بالعقول السليمة"[٨].

قال الزمخشري:" أي: سهلناه للادكار والاتعاظ، بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد، ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر، من يسر ناقته للسفر: إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو، إذا أسرجه وألجمه"[٩].

قال السمعاني:" معنى تيسر القرآن للذكرى: هو قراءته عن ظهر قلب، ولم يعط هذا في كتاب الله غير هذه الأمة، فإن أهل الكتابين إنما يقرءوا فهما عن الصحف"[١٠].

قال الماتريدي:" أي: يسرنا القرآن لذكر ما نسوا من نعم اللَّه تعالى، وأغفلوا عنها، أو يسرنا القرآن لذكر ما أغفلوا من الحجج والآيات ونسوها، أو يسرنا القرآن لذكر ما نسوا من الأنباء، وما نزل بمكذبي الرسل - عليهم السلام - بالتكذيب والعناد"[١١].

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٣٢]، أي:" فهل مِن متعظ به؟"[١٢].

قال الواحدي: أي:" مُتَّعظ بمواعظه"[١٣].

قال السمعاني:" أي: متفكر"[١٤].

---

(١) الكشاف: ٤٣٨/٤.
(٢) غريب القرآن:٢٦٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٢.
(٦) الوجيز: ١٠٤٧.
(٧) تفسير البغوي: ٤٢٩/٧.
(٨) المحرر الوجيز: ٢١٥/٥.
(٩) الكشاف: ٤٣٥/٤.
(١٠) تفسير السمعاني: ٣١٢/٥.
(١١) تأويلات أهل السنة: ٤٥٤/٩.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١٣) الوجيز: ١٠٤٧.
(١٤) تفسير السمعاني: ٣١٢/٥.

قال الطبري: " يقول: فهل من متَّعظ به ومعتبر فيعتبر به، فيرتدع عما يكرهه الله منه"[١].

قال ابن عطية:" وقوله: {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} استدعاء وحض على ذكره وحفظه، لتكون زواجره وعلومه وهداياته حاضرة في النفس، والآية تعديد نعمة في أن الله يسر الهدى ولا بخل من قبله، فلله در من قبل وهدى"[٢].

عن الحسن: {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، قال: " فهل من خائف يتذكّر"[٣].

قال محمد بن كعب القرظي:" هل من مزدجر عن المعاصي"[٤].

عن عبد الله، قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ :{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}"[٥].

عن ابن مسعود، قال : "أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، فقال رجل : يا أبا عبد الرحمن، مُدَّكر أو مُدَّكر؟ قال : أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم :{مُدَّكِرٍ}"[٦].

فوائد الآيات: [٢٣-٣٢]:

١- بيان سنة الله في إهلاك المكذبين.

٢- بيان أن الآيات لا تستلزم الإيمان وإلا فآية صالح من أعظم الآيات ولم تؤمن بها قوم ثمود.

٣- أشقى أمة الإسلام عقبة بن أبي معيط الذي وضع سلى الجذور على ظهر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي حول الكعبة، وعاقر ناقة صالح غدار بن سالف كما جاء في الحديث.

٤- دعوة الله إلى حفظ القرآن والتذكير به فإنه مصدر الإلهام والكمال والإسعاد.

القرآن

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣)} [القمر : ٣٣]

التفسير:

كذَّبت قوم لوط بآيات الله التي أنذِروا بها.

قال الطبري: يقول:" كذّبت قوم لوط بآيات الله التي أنذرهم وذكرهم بها"[٧].

قال النحاس:" أي: بالآيات التي أنذروا بها"[٨].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين"[٩].

قال قتادة:" بلغني أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان أو ما شاء الله من ذلك"[١٠].

عن جامع بن شداد أبي صخرة، قال: "كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل أن تكون في الرجال بأربعين سنة"[١١].

قال عمرو بن دينار: "ما نزلوا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٢.
(٢) المحرر الوجيز: ٢١٥/٥.
(٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.
(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢.
(٥)صحيح البخاري برقم (٤٨٦٩).
(٦)المسند (٣٩٥/١).
(٧) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢.
(٨) إعراب القرآن: ١٩٩/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.
(١٠) تفسير عبدالرزاق(١٢٢٢):ص١٩٣/٢.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٧):ص١٥١٧/٥.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٦):ص١٥١٧/٥.

قال وهب بن منبه:" كان سدوم الذين فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا، عن النساء بالرجال"[١].

عن الحسن البصري -من طريق إسماعيل- أنه سُئل: "يا أبا سعيد، أرأيت قوله: {كذبت قوم نوح المرسلين}، و {كذبت عاد المرسلين}، و {كذبت ثمود المرسلين}، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إنّ الآخر جاء بما جاء الأول، فإذا كذبوا واحدًا فقد كذبوا الرسل أجمعين"[٢].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥)} [القمر : ٣٤-٣٥]

التفسير:

إنا أرسلنا عليهم حجارةً إلا آل لوط، نجَّيناهم من العذاب في آخر الليل، نعمة من عندنا عليهم، كما أثبنا لوطًا وآله وأنعمنا عليهم، فأنجيناهم مِن عذابنا، نُثيب مَن آمن بنا وشكرنا.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا} [القمر : ٣٤]، أي:" إنا أرسلنا عليهم حجارةً"[٣].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: إنا أرسلنا عليهم حجارة"[٤].

قال النحاس:" أي حجارة تحصبهم"[٥].

قال ابن كثير:" أهلكهم الله هلاكا لم يُهلكه أمةً من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل، عليه السلام، فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ؛ ولهذا قال هاهنا. {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا} وهي : الحجارة"[٦].

قال الزمخشري:" {حاصِباً}: ريحا تحصبهم بالحجارة، أي: ترميهم"[٧].

قال الشوكاني:" أي: ريحا ترميهم بالحصباء، وهي الحصى"[٨].

عن الضحاك: :{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا}، " يعني: صغار الحصى"[٩].

و«الحاصب»: الريح العاصف، سميت بذلك لأنها تحصب أي: ترمي بالحصباء، و«القاصف»: الريح التي تقصف الشجر فتكسره[١٠].

قال سعيد بن المسيّب: "سمعتُ عمر بن الخطاب يقول لأهل المدينة: حصِّبوا المسجد. أي: صُبُّوا فيه الحجارة"[١١].

قوله تعالى:{إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} [القمر : ٣٤]، أي:" إلا آل لوط، نجَّيناهم من العذاب في آخر الليل"[١٢].

قال الطبري: " يقول: غير آل لوط الذين صدّقوه واتبعوه على دينه فإنا نجيناهم من العذاب الذي عذّبنا به قومه الذين كذبوه، والحاصب الذي حصبناهم به بسحر"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٨):ص١٥١٨/٥.
(٢)أخرجه الثعلبي ٧/ ١٧٣، وينظر: تفسير البغوي ٦/ ١٢٠.
(٣) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٤) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢.
(٥) إعراب القرآن: ١٩٩/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.
(٧) الكشاف: ٤٣٨/٤.
(٨) فتح القدير: ١٥٣/٥.
(٩)تفسير الثعلبي ٩/ ١٦٨ - ١٦٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٢٦.
(١٠) انظر: مجاز القرآن:٣٨٥/١، وغريب القرآن لابن قتيبة:٢٥٩، وغريب القرآن للسجستاني:٣٧٦
(١١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٦٩.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١٣) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢.

قال ابن كثير:" أي : خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالما لم يمسَسْه سوء"[١].

قال السمعاني:" هو لوط وابنتاه، وفي الخبر: أنه وأعنزة بين يديه، وهي أربعون يسوقها، وهو آخذ بيد ابنته الكبرى بيمينه، وبيد ابنته الصغرى بيساره، وامرأته خلفه، فلما سمعوا الوصية في هلاك القوم سجد هو وابنتاه شكرا، والتفتت المرأة فأصابتها الحجارة وهلكت"[٢].

قال النحاس:" «آل الرجل»: كلّ من كان على دينه ومذهبه، كما قال جلّ وعزّ لنوح صلّى الله عليه وسلّم: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود: ٤٦] وهو ابنه"[٣].

قال الزمخشري:" {بِسَحَرٍ}، بقطع من الليل، وهو السدس الأخير منه"[٤].

قال السدي:" لما قال لوط: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} ، بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه، ففقأ أعينهم، وخرجوا يدوس بعضُهم في أدبار بعض عميانًا يقولون: "النَّجَاءَ النجاء! فإن في بيت لوط أسحرَ قوم في الأرض"! فذلك قوله: {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} [سورة القمر: ٣٧] . وقالوا للوط: {إنا رسل ربِّك لن يصلوا إليك فأسرْ بأهْلكَ بقطع منَ اللَّيْل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها} ، وَاتبع أدبارَ أهلك، يقول: سرْ بهم {وامضوا حيث تؤمرون}، فأخرجهم الله إلى الشام. وقال لوط: أهلكوهم الساعة! فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصُّبح، أليس الصبح بقريب؟ فلما أن كان السَّحَر، خرج لوط وأهله معه امرأته، فذلك قوله: {إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} [سورة القمر: ٣٤]"[٥].

قال وهب بن منبه:" كانَ أهل سدوم الذين فيهم لوط، قومًا قد استغنوا عن النساء بالرجال، فلما رأى الله ذلك منهم ، بعث الملائكة ليعذبوهم، فأتوا إبراهيم، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه. فلما بشروا سارَة بالولد، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشي، قال: أخبروني لم بعثتم؟ وما خطبكم؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لندمرها، وإنهم قوم سَوء قد استغنوا بالرجال عن النساء. قال إبراهيم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون رجلا صالحًا؟ قالوا: إذًا لا نعذبهم! فجعل ينقص حتى قال أهل بَيْت؟ قالوا: فإن كان فيها بيت صالح! قال: فلوط وأهل بيته؟ قالوا: إن امرأته هَوَاها معهم! فلما يَئس إبراهيم انصرف. ومضوا إلى أهل سدوم، فدخلوا على لوط، فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم، فأرسلت إلى أهل القرية إنه قد نزل بنا قومٌ لم يُرَ قومٌ قطُّ أحسن منهم ولا أجمل! فتسامعوا بذلك، فغشُوا دار لُوط من كل ناحية وتسوَّروا عليهم الجدران. فلقيهم لوط فقال: يا قوم لا تفضحون في ضيفي، وأنا أزوّجكم بناتي، فهن أطهر لكم! فقالوا: لو كنَّا نُريد بناتك، لقد عرفنا مكانهن! فقال: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} ! فوجد عليه الرسل وقالوا: إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود! فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه، فطمس أبصارَهم فقالوا: سُحِرْنا، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه! فكان من أمرهم ما قد قصَّ الله تعالى في القرآن. فأدخل ميكائيل -وهو صاحبُ العذاب - جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، فقلبها، ونزلت حجارة من السماء، فتتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانُوا، فأهلكهم الله، ونجّى لوطًا وأهله، إلا امرأته"[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.

(٢) تفسير السمعاني: ٣١٥/٥-٣١٦.

(٣) إعراب القرآن: ١٩٩/٤.

(٤) الكشاف: ٤٣٨/٤.

(٥)رواه أبو جعفر في تاريخه ١/ ١٥٧، مع اختلاف بسيط. وذكر إسناده تامًا غير مختصر، إلى ابن عباس، وابن مسعود، وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وهو إسناد دائر في التفسير، في أوله، ثم اختصره أبو جعفر بعد.

(٦)رواه أبو جعفر في تاريخه ١: ١٥٦، ١٥٧.

قوله تعالى:{نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا} [القمر : ٣٥]، أي:" نعمة من عندنا عليهم"[١].
قال الطبري: " يقول: نعمة أنعمناها على لوط وآله، وكرامة أكرمناهم بها من عندنا"[٢].
قال السمعاني:" أي: إنعاما من عندنا"[٣].
قال الزجاج:" المعنى: نجيناهم للِإنعام عليهم"[٤].
قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ} [القمر : ٣٥]، أي:" كما أثبنا لوطًا وآله وأنعمنا عليهم، فأنجيناهم مِن عذابنا، نُثيب مَن آمن بنا وشكرنا"[٥].
قال الطبري: " يقول: وكما أثبنا لوطًا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا"[٦].
قال النحاس:" أي: نجزي من شكر جزاء كذلك النجاء"[٧].
قال الشوكاني:" أي: مثل ذلك الجزاء نجزي من شكر نعمتنا ولم يكفرها"[٨].
قال السمعاني:" أي: شكر نعم الله"[٩].

القرآن
{وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦)} [القمر : ٣٦]
التفسير:
ولقد خوَّف لوط قومه بأس الله وعذابه، فلم يسمعوا له، بل شكُّوا في ذلك، وكذَّبوه.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا} [القمر : ٣٦]، أي:" ولقد خوفهم لوط عقوبتنا الشديدة، وانتقامنا منهم بالعذاب"[١٠].
قال ابن عباس: "عذابنا"[١١].
قال الطبري: يقول:" ولقد أنذر لوط قومه بطشتنا التي بطشناها قبل ذلك"[١٢].
قال السمعاني:" أي: خوفهم بطشتنا بهم في الإهلاك"[١٣].
قال ابن كثير:" أي : ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه"[١٤].
قال الشوكاني:" أي: أنذر لوط قومه بطشة الله بهم، وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة"[١٥].
قوله تعالى:{فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ} [القمر : ٣٦]، أي:" فتشككوا وكذبوا بالإنذار والوعيد"[١٦].
قال الطبري: "يقول: فكذّبوا بإنذاره ما أنذرهم من ذلك شكا منهم فيه"[١٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٢) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢.
(٣) تفسير السمعاني: ٣١٦/٥.
(٤) معاني القرآن: ٩٠/٥.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٦) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢.
(٧) إعراب القرآن: ١٩٩/٤.
(٨) فتح القدير: ١٥٣/٥.
(٩) تفسير السمعاني: ٣١٦/٥.
(١٠) صفوة التفاسير: ٢٧١/٣.
(١١)انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣١، والتفسير البسيط للواحدي: ١١٦/٢١.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢.
(١٣) تفسير السمعاني: ٣١٦/٥.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.
(١٥) فتح القدير: ١٥٣/٥.
(١٦) صفوة التفاسير: ٢٧١/٣.
(١٧) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢.

قال السمعاني:" أي: شكوا برسالة الرسل"[١].
قال ابن كثير:" فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به"[٢].
قال الشوكاني:" أي: شكوا في الإنذار ولم يصدقوه، وهو تفاعل من المرية، وهي الشك"[٣].
عن قتادة، قوله: "{فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ}، لم يصدّقوه"[٤].
قال الفراء:" كذبوا بما قال لهم"[٥].
قال النحاس:" أي: كذّبوا بها شكّا"[٦].
قال مقاتل:" يقول: شكوا في العذاب بأنه غير نازل بهم الدنيا"[٧].

القرآن
{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧)} [القمر : ٣٧]
التفسير:
ولقد طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه من الملائكة، فطمسنا أعينهم فلم يُبصروا شيئًا، فقيل لهم: ذوقوا عذابي وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ} [القمر : ٣٧]، أي:" ولقد طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه من الملائكة"[٨].
قال الطبري: يقول: "ولقد راود لوطا قومه عن ضيفه الذين نزلوا به حين أراد الله إهلاكهم"[٩].
قال السمعاني:" أي: طلبوا من لوط أن يسلم إليهم أضيافه"[١٠].
قال الشوكاني:" أي: أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم"[١١].
قال ابن كثير:" وذلك ليلة وردَ عليه الملائكة : جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شباب مُرد حِسان محنَةً من الله بهم، فأضافهم لوط -عليه السلام- وبعثت امرأته العجوز السوءُ إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يُهْرَعُونَ إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط، عليه السلام، يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم :{هَؤُلاءِ بَنَاتِي} يعني : نساءهم، {إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [الحجر : ٧١]{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ}، أي : ليس لنا فيهن أرَبٌ، {وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [هود : ٧٩]"[١٢].
قوله تعالى:{فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} [القمر : ٣٧]، أي:" فطمسنا أعينهم فلم يُبصروا شيئًا"[١٣].
قال مقاتل:" فلطمهم جبريل بجناحه فذهبت أبصارهم"[١٤].

---

(١) تفسير السمعاني: ٣١٦/٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.
(٣) فتح القدير: ١٥٣/٥.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٢.
(٥) معاني القرآن: ١٠٩/٣.
(٦) إعراب القرآن: ١٩٩/٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٣/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٩) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٢-٥٩٧.
(١٠) تفسير السمعاني: ٣١٦/٥.
(١١) فتح القدير: ١٥٣/٥.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٣/٤.

قال الطبري: "يقول: فطمسنا على أعينهم حتى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شقّ، فلم يبصروا ضيفه. والعرب تقول: قد طمست الريح الأعلام: إذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب، كما قال كعب بن زُهَير[١]:

مِنْ كُلّ نَصَّاخَةِ الدّفْرَى إذَا أعْتَرَقَتْ ... عُرْضَتها طامِسُ الأعْلام مَجْهُولُ

يعني بقوله: {طامِسُ الأعْلام}: مندفن الأعلام"[٢].

قال الشوكاني:" أي: صيرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شق، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها"[٣].

قال ابن كثير:" فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل، عليه السلام، فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم. يقال : إنها غارت من وجوههم، وقيل : إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطا، عليه السلام، إلى الصباح "[٤].

قال ابن عباس:" عمى الله عليهم الملائكة حين دخلوا على لوط"[٥].

قال قتادة:" وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطا، وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه، فصفقهم بجناحه، وتركهم عميا يتردّدون"[٦].

قال الضحاك:" جاءت الملائكة في صور الرجال، وكذلك كانت تجيء، فرآهم قوم لوط حين دخلوا القرية. وقيل: إنهم نزلوا بلوط، فأقبلوا إليهم يريدونهم، فتلقّاهم لوط يناشدهم الله أن لا يخزوه في ضيفه، فأبوا عليه وجاءوا ليدخلوا عليه، فقالت الرسل للوط خلّ بينهم وبين الدخول، فإنا رسل ربك، لن يصلوا إليك، فدخلوا البيت، وطمس الله على أبصارهم، فلم يروهم; وقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت، فأين ذهبوا؟ فلم يروهم ورجعوا"[٧].

عن ابن زيد في قوله تعالى:"{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ}، قال: هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه، طمس الله أعينهم، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، فقالوا: إنا لا نترك عملنا فإياك أن تُنزل أحدا أو تُضيفه، أو تدعه ينزل عليك، فإنا لا نتركه ولا نترك عملنا. قال: فلما جاءه المرسلون، خرجت امرأته الشقية من الشقّ، فأتتهم فدعتهم، وقالت لهم: تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أر قطّ أحسن وجوها منهم، ولا أحسن ثيابًا، ولا أطيب أرواحا منهم، قال: فجاءوه يهرعون إليه، فقال: إن هؤلاء ضيفي، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، قالوا: أولم ننهك عن العالمين؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا بينك؟ قال: هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فقال له جبريل عليه السلام: ما يهولك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ فقال: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك، لتصنعن هذا الأمر سرّا، وليكوننّ فيه بلاء; قال: فنشر جبريل عليه السلام جناحا من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم، فجعلوا يجول بعضهم في بعض، فذلك قول الله: {فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ}"[٨].

قوله تعالى:{فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر : ٣٧]، أي:" فقيل لهم: ذوقوا عذابي وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام"[٩].

---

(١)ديوانه: ٩..
(٢) تفسير الطبري: ٢٢/٥٩٧.
(٣) فتح القدير: ٥/١٥٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٧/٤٨٠-٤٨١.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٩٧.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٩٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٩٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٩٧-٥٩٨.
(٩) التفسير الميسر: ٥٣٠.

قال الطبري:" فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثلات"[١].
قال السمعاني:" أي: فذوقوا عذابي وعاقبة إنذاري"[٢].
قال الزمخشري: أي:" فقلت لهم: ذوقوا. على ألسنة الملائكة"[٣].

القرآن
{وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩)} [القمر : ٣٩]
التفسير:
ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب دائم استقر فيهم حتى يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة، وذلك العذاب هو رجمهم بالحجارة وقلب قُراهم وجعل أعلاها أسفلها، فقيل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم؛ لكفركم وتكذيبكم، وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ} [القمر : ٣٩]، أي:" ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب دائم استقر فيهم حتى يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة"[٤].
قال السمعاني:" أي: نزل بهم العذاب واستقر بكرة. ومعنى الاستقرار هو هلاكهم بذلك العذاب"[٥].
قال الشوكاني:" أي: أتاهم صباحا عذاب مستقر بهم نازل عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم"[٦].
قال الطبري: يقول:" ولقد صُبِّحَ قوْمُ لوط عند طلوع الفجر{عَذَابِ}، وذلك قلب الأرض بهم، وتصيير أعلاها أسفلها بهم، ثم إتباعهم بحجارة من سجيل منضود، واستقرّ ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم "[٧].
قال الفراء:" {عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ}، يقول: عذاب حق"[٨].
قال ابن كثير:{عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ}، " أي : لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه"[٩].
عن سفيان: "{بُكْرَةً}، قال: عند طلوع الفجر"[١٠].
عن سفيان: "{وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ}، قال: حجارة رموا بها"[١١].
عن سفيان: "{مُسْتَقِرّ}، استقرّ"[١٢].
قال مقاتل:" يقول: استقر بهم العذاب بكرة"[١٣].
قال قتادة:" يقول: صبحهم عذاب مستقرّ، استقرّ بهم إلى نار جهنم"[١٤].
قال الحسن:" عذاب في الدنيا استقرّ بهم في الآخرة"[١٥].

---

(١) تفسير: ٥٩٨/٢٢ .
(٢) تفسير السمعاني: ٣١٦/٥.
(٣) الكشاف: ٤٣٩/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥) تفسير السمعاني: ٣١٦/٥.
(٦) فتح القدير: ١٥٣/٥.
(٧) تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٢.
(٨) معاني القرآن: ١٠٩/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٢.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٣/٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٢.
(١٥) الدر المنثور: ٦٨٠/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور.

قال ابن زيد:" ثم صبحهم بعد هذا، -يعني: بعد أن طمس الله أعينهم-، فهم من ذلك العذاب إلى يوم القيامة، قال: وكل قومه كانوا كذلك، ألا تسمع قوله حين يقول: {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ}"[١].

قوله تعالى:{فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر : ٣٩]، أي:" فقيل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم؛ لكفركم وتكذيبكم، وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهم: فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذي أحللته بكم، بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله، وإنذاري بكم الأمم سواكم بما أنزلته بكم من العقاب"[٣].

القرآن

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠)} [القمر : ٤٠]

التفسير:

ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر، فهل مِن متعظ به؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ٤٠]، أي:" ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد سهَّلنا القرآن للذكر لمن أراد التذكر به"[٥].

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٤٠]، أي:" مِن متعظ به؟"[٦].

قال الطبري: يقول :" فهل من متعظ ومعتبر به فينزجر به عما نهاه الله عنه إلى ما أمره به وأذن له فيه"[٧].

قال الشوكاني:" ولعل وجه تكرير تيسير القرآن للذكر في هذه السورة الإشعار بأنه منة عظيمة، لا ينبغي لأحد أن يغفل عن شكرها"[٨].

قال الزمخشري: " فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله: {فَذُوقُوا عَذابي وَنُذُرِ} {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}؟

قلت: فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبا من أنباء الأوّلين ادكارا واتعاظا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن[٩] تارات، لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير، كقوله: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ} عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمن، وقوله: {فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} عند كل آية أوردها في سورة «والمرسلات»، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة القلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان"[١٠].

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١)} [القمر : ٤١]

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٢.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٣) تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٢.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٢.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٧) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٢.
(٨) فتح القدير: ١٥٣/٥.
(٩)ويقعقع لهم الشن» القربة الخلق، كذا في الصحاح.
(١٠) الكشاف: ٤٣٩/٤.

التفسير:
ولقد جاء أتباعَ فرعون وقومَه إنذارُنا بالعقوبة لهم على كفرهم.
قال الطبري: يقول :" ولقد جاء أتباع فرعون وقومه إنذارنا بالعقوبة بكفرهم بنا وبرسولنا موسى [١].
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن فرعون وقومه إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة"[٢].
قال مقاتل يعني بـ«آل فرعون»: القبط، وكان فرعون قبطيا"[٣].
قال النحاس:{آلَ فِرْعَوْنَ}، " أي: أهل دينه والقائلين بقوله"[٤].
قال الزمخشري:" {النُّذُرُ}: موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو جمع: «نذير»، وهو الإنذار"[٥].

القرآن
{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢)} [القمر : ٤٢]
التفسير:
كذَّبوا بأدلتنا كلها الدالة على وحدانيتنا ونبوة أنبيائنا، فعاقبناهم بالعذاب عقوبة عزيز لا يغالَب، مقتدر على ما يشاء.
قوله تعالى:{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا} [القمر : ٤٢]، أي:" كذَّبوا بأدلتنا كلها الدالة على وحدانيتنا ونبوة أنبيائنا"[٦].
قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: كذّب آل فرعون بأدلتنا التي جاءتهم من عندنا، وحججنا التي أتتهم بأنه لا إله إلا الله وحده كلها"[٧].
قال الزمخشري:"{بِآياتِنا كُلِّها}، بالآيات التسع"[٨].
قال مقاتل:" يعني بـ«الآيات التسع»: اليد، والعصا، والطمس، والسنين، والطوفان، والجراد، والقمل والضفادع، والدم"[٩].
قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر : ٤٢]، أي:" فعاقبناهم بالعذاب عقوبة عزيز لا يغالَب، مقتدر على ما يشاء"[١٠].
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديد لا يغلب، مقتدر على ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف"[١١].
قال الزمخشري:"{أَخْذَ عَزِيزٍ}، لا يغالب، {مُقْتَدِرٍ}، لا يعجزه شيء"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : فأبادهم الله ولم يُبق منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا"[١٣].
قال قتادة:" يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٧.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٣/٤.
(٤) إعراب القرآن: ١٩٩/٤.
(٥) الكشاف: ٤٣٩/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٧) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٢.
(٨) الكشاف: ٤٣٩/٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٣/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١١) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٢.
(١٢) الكشاف: ٤٣٩/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٧.

فوائد الآيات: [٣٣-٤٢]:
١- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته بالالتزام وتقرير التوحيد وإثبات النبوة لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إذ أفعال الله العظيمة من إرسال الرسل والأخذ للظلمة الكافرين بأشد أنواع العقوبات من أجل أن الناس لم يعيدوا ولم يطيعوا دال على ربوبيته وألوهيته، وقص هذه القصص من أمي لم يقرأ ولم يكتب دال على نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٢- بيان جزاء الشاكرين لله تعالى بالإيمان به وطاعته وطاعة رسله.
٣- مشروعية الضيافة وإكرام الضيف، وفي الحديث: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"(٢).
٤- تيسير القرآن وتسهيله للحفظ والاتعاظ والاعتبار.

القرآن
{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣)} [القمر : ٤٣]
التفسير:
أكفاركم -يا معشر قريش- خير مِنَ الذين تقدَّم ذكرهم ممن هلكوا بسبب تكذيبهم، أم لكم براءة مِن عقاب الله في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة؟
قوله تعالى:{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} [القمر : ٤٣]، أي:" أكفاركم -يا معشر قريش- خير مِنَ الذين تقدَّم ذكرهم ممن هلكوا بسبب تكذيبهم"(٣).
قال الفراء:" يقول: أكفاركم يأهل مكة خير من هؤلاء الذين أصابهم العذاب"(٤).
قال ابن قتيبة:" أي: يا أهل مكة! أنتم خير من أولئك الذين أصابهم العذاب؟!"(٥).
قال ابن كثير:" أي : أيها المشركون من كفار قريش {خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} يعني : من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفرهم بالكتب : أأنتم خير أم أولئك؟"(٦).
قال مقاتل :" يعني: أكفار أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- خير من كفار الأمم الخالية الذين ذكرهم في هذه السورة يقول أليس أهلكتهم بالعذاب بتكذيبهم الرسل، فلستم خيرا منهم إن كذبتم محمدا- صلى الله عليه وسلم- أن يهلككم بالعذاب"(٧).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون، فهم يأملون أن ينجوا من عذابي، ونقمي على كفرهم بي، وتكذيبهم رسولي. يقول: إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبهم رسوله، كبعض هذه الأمم

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٢.
(٢)حديث أبى شريح: أخرجه أحمد (٣١/٤، رقم ١٦٤١٧) ، والبخاري (٢٢٤٠/٥، رقم ٥٦٧٣) ، ومسلم (٦٩/١، رقم ٤٨) وأبو داود (٣٤٢، رقم ٣٧٤٨) ، والترمذي (٣٤٥/٤، رقم ١٩٦٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٢١١/٢ رقم ٣٦٧٢) . وأخرجه أيضا: أبو عوانة (٤٢/١، رقم ٩٥) .
حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٢٦٧/٢، رقم ٧٦١٥) ، والبخاري (٢٢٤٠/٥، رقم ٥٦٧٢) ، ومسلم (١٠٩١/٢ رقم ١٤٦٨) ، وأبو داود (٣٣٩/٤، رقم ٥١٥٤) والترمذى (٦٥٩/٤، رقم ٢٥٠٠) وقال: صحيح. وابن ماجه (١٣١٣/٢ رقم ٣٩٧١) ، وابن حبان (٢٥٩/٢، رقم ٥٠٦) . وأخرجه أيضا: الطيالسي (ص ٣٠٨، رقم ٢٣٤٧) ، وأبو يعلى (٨٥/١ رقم ٦٢١٨) .
حديث ابن عمرو: أخرجه أحمد (١٧٤/٢، رقم ٦٦٢١) .
حديث رجل من مزينة: أخرجه أحمد (٤١٢/٥، رقم ٢٣٥٤٣).
(٣) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٤) معاني القرآن: ١١٠/٣.
(٥) غريب القرآن: ٤٣٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٧.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٣/٤-١٨٤.

التي وصفت لكم أمرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنيبوا"[١].

عن قتادة، قوله: "{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ}، أي: من مضى"[٢].

عن الربيع بن أنس: "{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ}، قال: كفار هذه الأمة"[٣].

قال عكرمة:" يقول: أكفاركم يا معشر قريش خير من أولئكم الذين مضوا"[٤].

قال ابن زيد:" يقول: أكفاركم خير من الكفار الذين عذبناهم على معاصي الله، وهؤلاء الكفار خير من أولئك. وقال: {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} استنفاها"[٥].

قال ابن عباس:" يقول: ليس كفاركم خيرا من قوم نوح وقوم لوط"[٦].

قوله تعالى:{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر : ٤٣]، أي:" أم لكم براءة مِن عقاب الله في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة؟"[٧].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: أم لكم براءة من عقاب الله معشر قريش، أن تصيبكم بكفركم بما جاءكم به الوحي من الله في الزبر، وهي الكتب"[٨].

قال ابن كثير:" أي : أم معكم من الله براءة ألا ينالكم عذاب ولا نكال ؟"[٩].

قال الفراء:" يقول: أم عندكم براءة من العذاب{فِي الزُّبُرِ}"[١٠].

قال مقاتل :" يقول: ألكم براءة من العذاب في الكتاب أنه لن يصيبكم من العذاب ما أصاب الأمم الخالية؟، فعذبهم الله ببدر بالقتل"[١١].

قال ابن قتيبة:" {الزُّبُرِ}، يعني: الكتب المتقدمة. واحدها: زَبُور"[١٢].

عن الضحاك، قوله: "{الزُّبُرِ}، يقول: الكتب"[١٣].

عن عكرمة: "{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}، يعني: في الكتب"[١٤].

عن ابن زيد، قوله: "{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}، في كتاب الله براءة مما تخافون"[١٥].

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤)} [القمر : ٤٤]

التفسير:

بل أيقول كفار «مكة» : نحن أولو حزم ورأي وأمرنا مجتمع، فنحن جماعة منتصرة لا يغلبنا من أرادنا بسوء؟

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أيقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميع منتصر ممن قصدنا بسوء ومكروه، وأراد حربنا وتفريق جمعنا"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢/٦٠٠-٦٠١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠١.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠١.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠١.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠١.
(٧) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٨) تفسير الطبري: ٢٢/٦٠١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٧/٤٨١.
(١٠) معاني القرآن: ٣/١١٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/١٨٤.
(١٢) غريب القرآن: ٤٣٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠٢.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠٢.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٢/٦٠٢.

قال الثعلبي:" أي جماعة لا ترام ولا تضام، ولا يقصدنا أحد بسوء، ولا يريد حربنا وتفريق جمعنا إلا انتقمنا منهم، وكان حقّه: منتصرون فتبع رؤوس الآي"(١).
قال ابن كثير:" أي : يعتقدون أنهم مناصرون بعضهم بعضا، وأن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء"(٢).
قال الزجاج:" المعنى: بل {أَيَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ}، فيدلون بقوة واجتماع عليك"(٣).
قال ابن عباس: "يريد جماعة ينصر بعضنا بعضاً"(٤).
وقال الكلبي: "نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا"(٥).
وفي التفسير: "أن أبا جهل هو القائل: {نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ}"(٦).

القرآن
{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)} [القمر : ٤٥]
التفسير:
سيهزم جمع كفار «مكة» أمام المؤمنين، ويولُّون الأدبار، وقد حدث هذا يوم «بدر».
سبب النزول:
عن ابن عباس: "{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}، قال: كان ذلك يوم بدر. قال: قالوا نحن جمع منتصر، قال: فنزلت هذه الآية"(٧).
قوله تعالى:{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر : ٤٥]، أي:" سيهزم جمع كفار «مكة» أمام المؤمنين"(٨).
قال الطبري: " فقال الله جلّ ثناؤه: سيهزم جمع كفار قريش"(٩).
قال مقاتل :" يعني: جمع أهل بدر"(١٠).
قال ابن كثير:" أي : سيتفرق شملهم ويغلبون"(١١).
قال الفراء:" وهذا يوم بدر"(١٢).
قوله تعالى:{وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥]، أي:" ويولُّون الأدبار"(١٣).
قال الطبري: " يقول: ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عن انهزامهم عنه"(١٤).

---

(١) الكشف والبيان: ١٦٩/٩.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٧.
(٣) معاني القرآن: ٩١/٥.
(٤) التفسير البسيط: ١١٩/٢١.
(٥) التفسير البسيط: ١١٩/٢١، وتفسير البغوي: ٢٦٤/٤.
(٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٩٦/٤. وانظر: الكشف والبيان: ١٤٣/٨، وذلك في تفسير قوله:" {مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ} [الصافات : ٢٥]، قال:"أي: لا تنتقمون ولا ينصر بعضهم بعضا، يقوله خزنة النار للكفار، وهذا جواب أبي جهل حين قال يوم بدر: نحن جميع منتصر".
وانظر: التفسير البسيط للواحدي،٣٦/١٩ وفيه:" وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر: نحن جميع منتصر، فقيل لهم ذلك اليوم: ما لكم غير متناصرين".
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٣/٢٢.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٩) تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٧.
(١٢) معاني القرآن: ١١٠/٣.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١٤) تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٢.

قال مقاتل :" يعني: الأدبار لا يلوون على شيء، وقتل عبد الله بن مسعود أبا جهل بن هشام بسيف أبي جهل، وأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه رأى في جسده مثل لهب النار، قال ذلك ضرب الملائكة، وأجهز على أبي جهل عوف ومعوذ ابنا عفراء"[١].

عن قتادة، قوله: "{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} ... الآية ذُكر لنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: يوم بدر"[٢].

عن ابن عباس:" أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال - وهو في قبة له يوم بدر - : «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبدا». فأخذ أبو بكر، رضي الله عنه، بيده وقال : حسبك يا رسول الله! ألححت على ربك. فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول :{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}"[٣].

عن عكرمة:" أن عمر قال لما نزلت: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ}، جعلت أقول: أيّ جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يثب في الدرع ويقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر}"[٤].

عن عكرمة، قوله: "{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ}، يعني: جمع بدر، {وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}"[٥].

عن الربيع بن أنس: "{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}، قال: يوم بدر، هزموا وولوا الدبر"[٦].

قال ابن زيد:" هذا يوم بدر"[٧].

القرآن

{بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)} [القمر : ٤٦]

التفسير:

والساعة موعدهم الذي يُجازون فيه بما يستحقون، والساعة أعظم وأقسى مما لحقهم من العذاب يوم «بدر».

قوله تعالى:{بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ} [القمر : ٤٦]، أي:" والساعة موعدهم الذي يُجازون فيه بما يستحقون"[٨].

قال الطبري:" يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ}، للبعث والعقاب"[٩].

قال مقاتل:" أوعدهم، فقال: {بَلِ السَّاعَةُ}، يعني: يوم القيامة {مَوْعِدُهُمْ} بعد القتل"[١٠].

قوله تعالى:{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]، أي:" والساعة أعظم وأقسى مما لحقهم من العذاب يوم «بدر»"[١١].

قال الطبري: يقول: "{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} عليهم من الهزيمة التي يهزمونها عند التقائهم مع المؤمنين ببدر"[١٢].

قال الفراء:" وهذا يوم بدر"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.
(٢) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢.
(٣)صحيح البخاري برقم (٢٩١٥، ٣٩٥٣، ٤٨٧٥، ٤٨٧٧) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٥٥٧).
(٤) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢.
(٥) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢.
(٦) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢-٦٠٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٣/٢٢.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٩) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١٢) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٢.

قال مقاتل:" يقول: أشد عليهم من عذاب يوم بدر، {وَأَمَرُّ}، من المرارة"[٢].

عن الحسن:" {والسّاعَةُ أدْهى} مِن تلك الأخذات التي أهلك بها الأمم السالفة، {وأمَرُّ}، أي: وأشدُّ"[٣].

عن الحسن البصري -من طريق المبارك بن فَضالة- في قوله: {فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم} [يونس: ١٠٢]، قال: خُوِّفوا بالعذاب، ثم قال: {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر}"[٤].

عن شهر بن حوشب، قال: "إن هذه الآية نزلت بهلاك إنما موعدهم الساعة، ثم قرأ: {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} ... إلى قوله: {وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}"[٥].

عن يوسف بن ماهَكَ قال : "إني عند عائشة أم المؤمنين، قالت : نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة - وإني لجارية ألعب - {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}"[٦].

فوائد الآيات: [٤٣-٤٦]:

١- بيان حقيقة يغفل عنها الناس وهي أن الكفر كله واحد ومورد للهلاك.

٢- لا قيمة أبداً لقوة الإنسان إزاء قوة الله تعالى.

٣- صدق القرآن في إخباره بغيب لم يقع ووقع كما أخبر وهو آية أنه وحي الله وكلامه.

٤- القيامة موعد لقاء البشرية كافة بحيث لا يتخلف عنه أحد.

القرآن

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)} [القمر : ٤٧-٤٨]

التفسير:

إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب. يوم يُجرُّون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم.

سبب نزول الآيات:[٤٧-٤٩]:

قال محمد بن كعب القرظيّ: "لما تكلم الناس في القَدَرِ نظرت، فإذا هذه الآية أنزلت فيهم: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧] ... إلى قوله: {خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر : ٤٩]"[٧].

عن أبي هريرة، قال: " جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر، فنزلت : {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٨ - ٤٩]"[٨].

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧]، أي:" إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب"[٩].

قال الطبري: يقول:" إن المجرمين في ذهاب عن الحقّ، وأخذ على غير هدى، وفي احتراق من شدّة العناء والنصب في الباطل"[١٠].

---

(١) معاني القرآن: ١١٠/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.

(٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٢٣ -.

(٤)أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٠٣/٢٢.

(٦)صحيح البخاري برقم (٤٨٧٦)، صحيح البخاري برقم (٤٩٩٣).

(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.

(٨)المسند (٤٤٤/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٢٩٠) وسنن ابن ماجة برقم (٨٣).

(٩) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٢

قال ابن كثير:" يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسُعُر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق"[١].

قال السعدي:" أي: هم ضالون في الدنيا، ضلال عن العلم، وضلال عن العمل، الذي ينجيهم من العذاب، ويوم القيامة في العذاب الأليم، والنار التي تتسعر بهم، وتشتعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفئدتهم"[٢].

قال يحيى بن سلام:" يعني: في شقاء وعناء"[٣].

عن قتادة، قوله: "{فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}، قال: في عناء"[٤].

قال الضحاك: "يعني: نارا ستعرض عليهم"[٥].

قال الحسين بن الفضل: "{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ} في الدنيا ونار في الآخرة"[٦].

وقال ابن كيسان: "بعد من الحق"[٧].

وقال القاسم بن سلام:" يعني: في جنون -بلغة عمان-"[٨].

قوله تعالى:{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ} [القمر : ٤٨]، أي:" يوم يُجرُّون في النار على وجوههم"[٩].

قال الطبري: يقول:" يوم يُسحب هؤلاء المجرمون في النار على وجوههم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : كما كانوا في سُعُر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضلالا سُحبوا فيها على وجوههم، لا يدرون أين يذهبون"[١١].

قال السعدي:" {يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ} التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من ألم غيرها، فيهانون بذلك ويخزون"[١٢].

وفي قراءة عبد الله: «يَوْمَ يُسْحَبُونَ إِلَى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ»[١٣].

قوله تعالى:{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [القمر : ٤٨]، أي:" ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم"[١٤].

قال ابن عباس:" {سَقَرُ} أسفل الجحيم، نابتٌ فيها شجرة الزَّقوم"[١٥].

قال ابن عباس: "وهي الطبق السادس من جهنم"[١٦].

قال الطبري: يقول: "يوم يُسحبون في النار على وجوههم، يقال لهم: ذوقوا مَسَّ سقَر"[١٧].

قال السعدي:" أي: ذوقوا ألم النار وأسفها وغيظها ولهبها"[١٨].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٧.
(٢) تفسير السعدي: ٨٢٧.
(٣)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٤٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٢.
(٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.
(٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.
(٧) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.
(٨) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٠.
(٩) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٢.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٧.
(١٢) تفسير السعدي: ٨٢٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٢.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(١٥) الدر المنثور: ٨/ ، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٦) التفسير البسيط: ٤٣٢/٢٢.
(١٧) تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٢.
(١٨) تفسير السعدي: ٨٢٧.

قال ابن كثير:" ويقال لهم تقريعا وتوبيخا :{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}"[1].
قال الثعلبي:" وإنّما هو كقولك: ذق المر السياط"[2].

القرآن
{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٩]
التفسير:
إنَّا كل شيء خلقناه بمقدار قدرناه وقضيناه، وسبق علمنا به، وكتابتنا له في اللوح المحفوظ.
سبب النزول:
عن أبي هريرة:" أن مشركي قريش خاصمت النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في القَدَر، فأنزل الله: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}"[3].
عن أبي هريرة، قال: "جاء مشركو قريش إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يخاصمونه في القدر، فنزلت: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}"[4].
قال الطبري: يقول: " إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدرناه وقضيناه، وفي هذا بيان، أن الله جلّ ثناؤه، توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم في القدر مع كفرهم به"[5].
قال الزجاج:" أي: كل ما خلقنا فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه"[6].
قال السعدي:" وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها، وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير"[7].
قال ابن كثير:" قوله :{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، كقوله :{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان : ٢] وكقوله :{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى : ١ - ٣] أي : قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه ؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرْقة القَدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة"[8].
قال الحسن: " قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له"[9].
وقال الربيع: "هو كقوله: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}، أي: أجلا لا يتقدم ولا يتأخر"[10].
عن طاووس بن كيسان، قال: "أدركتُ ناسًا مِن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون: كلّ شيء بقَدَر الله"[11].
وقال ابن عباس: "إنّا كل شيء جعلنا له شكلا يوافقه ويصلح له، فالمرأة للرجل، والأتان للحمار، والرمكة للفرس، وثياب الرجال للرجال لا تصلح للنساء، وثياب النساء لا تصلح للرجال وكذلك ما شاكلها على هذا"[12].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٧.
(٢) الكشف والبيان: ١٧٠/٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.
(٥) تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٢.
(٦) معاني القرآن: ٩٢/٥.
(٧) تفسير السعدي: ٨٢٧.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٧.
(٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.
(١٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.
(١١)أخرجه البغوي ٤/ ٣٢٨ - ٣٢٩.
(١٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.

عن ابن عباس، قوله: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، قال: "خلق الله الخلق كلهم بقدر، وخلق لهم الخير والشرّ بقدر، فخير الخير السعادة، وشرّ الشرّ الشقاء، بئس الشرّ الشقاء"(١).

عن أبي الحسن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن جعفر بن موسى بن جعفر المعروف بالموسوي، قال: سمعت أبي يذكر عن آبائه: "أنّ علي بن موسى الرضا كان يقعد في الرَّوضة وهو شاب، ملتحفٌ بمطرف خزّ، فيسأله الناس ومشايخ العلماء في المسجد، فيُسأل عن القَدَر، فقال: قال الله - عز وجل -: {إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر}. ثم قال الرّضا: كان أبي يذكر، عن آبائه، أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يقول: إنّ الله خلق كلّ شيء بقَدَر، حتى العَجْز والكَيْس، وإليه المشيئة، وبه الحَول والقوة"(٢).

عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ، قال: "ولما نزلت هذه الآية: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، قال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ أفي شيء نستأنفه، أو في شيء قد فرغ منه؟ قال: فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، سنُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسْرَى»"(٣).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال : "ما نزلت هذه الآيات :{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، إلا في أهل القدر"(٤).

قال محمد بن كعب:" ما نزلت هذه الآية إلا تعبيرا لأهل القدر: {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٨ - ٤٩]"(٥).

عن داود بن قيس, قال: سمعت محمد بن كعب القرظي , قال: " كنت أقرأ هذه الآية فلا أدري ما عني بها, حتى سقطت عليها: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر: ٤٧] إلى {كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر: ٥٠]، فإذا هم المكذبون بالقدر "(٦).

عن محمد بن كعب القُرَظي: "{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}، قال: نزلت تعييرا لأهل القَدَرِ"(٧).

عن ابن زُرَارة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية :{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، قال : "نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله"(٨).

قال ابن عباس:" إني أجد في كتاب الله قوما يسحبون في النار على وجوههم، يقال لهم {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}، لأنهم كانوا يكذّبون بالقَدَر، وإني لا أراهم، فلا أدري أشيء كان قبلنا، أم شيء فيما بقي"(٩).

عن عطاء بن أبي رَبَاح، قال : "أتيت ابن عباس وهو يَنزع من زمزم، وقد ابتلّت أسافل ثيابه، فقلت له : قد تُكُلّم في القدر. فقال : أو قد فعلوها ؟ قلت : نعم. قال : فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم :{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم ولا تُصَلّوا على موتاهم، إن رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعيّ هاتين"(١٠).

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.
(٢)أخرجه البيهقي في القضاء والقدر ٢/ ٣٣٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.
(٤)مسند البزار برقم (٢٢٦٥) "كشف الأستار"، وقال الهيثمي في المجمع (١١٧/٧) : "فيه يونس بن الحارث، وثقه ابن معين وابن حيان وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".
(٥) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.
(٦) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٠٧٢):ص٢٦٤/٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.
(٨)رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٦/٥) من طريق قرة بن حبيب عن جرير بن حازم - وأظن أن كنانة ساقط منه - عن سعيد بن عمرو به.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٢-٦٠٥.
(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٧.

عن نافع قال : "كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر : إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليّ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر"[١].

عن عبد الله بن عمر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون : لا قدر. إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"[٢].

عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "سيكون في هذه الأمة مسخ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية"[٣].

عن طاوس اليماني قال : سمعت ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل شيء بقدرن حتى العجز والكيس"[٤].

وفي الحديث الصحيح : "استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل : قَدَّرُ الله وما شاء فعل، ولا تقل : لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[٥].

وفي حديث ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم يكتبه الله لك، لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يكتبه الله عليك، لم يضروك. جفّت الأقلام وطويت الصحف"[٦].

عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال : "دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت : يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال : أجلسوني. فلما أجلسوه قال : يا بني، إنك لما تطعم طعم الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت : يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن أول ما خلق الله القلم. ثم قال له : اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة" يا بني، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلت النار"[٧].

عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره"[٨].

عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" زاد ابن وهب :{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود : ٧]"[٩].

القرآن

{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)} [القمر : ٥٠]

التفسير:

---

(١)المسند (٩٠/٢) وسنن أبي داود برقم (٤٦١٣).

(٢)المسند (٨٦/٢).

(٣)المسند (١٠٨/٢) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٢) وسنن ابن ماجه برقم (٤٠٦١).

(٤)المسند (١١٠/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٥).

(٥)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٦)رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٩٣/١).

(٧)المسند (٣١٧/٥)، وسنن الترمذي برقم (٣٣١٩)، وقال : "حسن صحيح غريب".

(٨)سنن الترمذي برقم (٢١٤٥) ورواه أحمد في مسنده (١٣٣/١) عن وكيع والحاكم في مستدركه (٣٣/١) عن أبي حذيفة، كلاهما عن سفيان الثوري به.
وقد رجح هذه الرواية الدارقطني في العلل (١٩٦/٣) فقال : "حديث شريك وورقاء وجرير وعمرو بن أبي قيس عن منصور عن ربعي عن علي. وخالفهم سفيان الثوري وزائدة أبو الأحوص وسليمان التيمي فرووه : عن منصور عن ربعي عن رجل من بني راشد عن علي وهو الصواب".

(٩)صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٦).

وما أمرنا للشيء إذا أردناه إلا أن نقول قولة واحدة وهي «كن» ، فيكون كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما أمرنا للشيء إذا أمرناه وأردنا أن نكوّنه إلا قولة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها ولا مرادّة، فيوجد ما أمرناه وقلنا له: كن كسرعة اللمح بالبصر لا يُبطئ ولا يتأخر"[١].

قال السعدي:" فإذا أراد شيئا قال له كن فيكون كما أراد، كلمح البصر، من غير ممانعة ولا صعوبة"[٢].

قال الفراء:" أي: مرة واحدة، هذا للساعة كلمح خطفة"[٣].

قال مقاتل:" يعني: إلا مرة واحدة لا مثنوية لها، كجنوح الطرف"[٤].

قال ابن كثير:" وهو إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال :{وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ}، أي : إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء[٥] :

إذا ما أرَادَ الله أمْرًا فَإنَّما... يقُولُ لهُ : كُنْ، فَوَلَهً فَيَكُونُ"[٦].

عن ابن عباس:" من طريق عطاء- {وما أمْرُنا إلّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ}: يريد: أنّ قضائي في خلْقي أسرع مِن لَمْح البصر"[٧].

عن ابن عباس: من طريق الكلبي-" ما أمرنا بمجيء الساعة في السُّرعة إلا كطرْف البصر"[٨].

قال الحسن:" يعني: إذا جاء عذاب كُفّار آخر هذه الأُمّة بالنفخة الأولى"[٩].

عن ابن عباس، "عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «ما طَنَّ دُباب إلا بقَدَر». ثم قرأ: {وما أمْرُنا إلّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ}"[١٠].

القرآن

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١)} [القمر : ٥١]

التفسير:

ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية، فهل من متعظ بما حلَّ بهم من النَّكال والعذاب؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ} [القمر : ٥١]، أي:" ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية"[١١].

قال مقاتل:" يعنى: عذبنا إخوانكم أهل ملتكم، يا أهل مكة، يعنى: الأمم الحالية حين كذبوا رسلهم"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٢.
(٢) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(٣) معاني القرآن: ١١٠/٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.
(٥) لم أقف على قائله، وهو في تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٧.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٥/٧-٤٨٦.
(٧)تفسير البغوي ٧/ ٤٢٦
(٨)تفسير البغوي ٧/ ٤٢٦.
(٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٢٤ -.
(١٠) الدر المنثور: ٧/ ٦٨٤، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لمشركي قريش الذين كذّبوا رسوله محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ولقد أهلكنا أشياعكم معشر قريش من الأمم السالفة والقرون الخالية، على مثل الذي أنتم عليه من الكفر بالله، وتكذيب رسله"(١).

قال ابن كثير: "يعني : أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل"(٢).

قال السعدي: أي:" من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتم"(٣).

عن ابن زيد، في قوله: "{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، قال: أشياعكم من أهل الكفر من الأمم الماضية"(٤).

قال ابن عباس:" الذين كفروا وكذبوا بالقدر قبلكم"(٥).

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٥١]، أي:" فهل من متعظ بما حلَّ بهم من النَّكال والعذاب؟"(٦).

قال مقاتل:" يقول: فهل من متذكر فيعلم أن ذلك حق فيعتبر ويخاف فلا يكذب محمدا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"(٧).

قال الطبري:" يقول: فهل من مُتَّعِظ بذلك منزجر ينزجر به"(٨).

قال ابن زيد:" يقول: فهل من أحد يتذكر"(٩).

قال ابن كثير: " أي : فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك، وقدر لهم من العذاب، كما قال :{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]"(١٠).

قال السعدي:" أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين والآخرين واحدة، وأن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار، فإن هؤلاء مثلهم، ولا فرق بين الفريقين"(١١).

قال ابن زيد:" المدّكر: الذي يتذكر، وفي كلام العرب: المذكر: المتذكر"(١٢).

قال الحسن:" فهل من خائف يتذكر"(١٣).

قال محمد بن كعب القرظي:" هل من مزدجر عن المعاصي"(١٤).

القرآن

{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢)} [القمر : ٥٢]

التفسير:

وكل شيء فعله أشباهكم الماضون من خير أو شرٍّ مكتوب في الكتب التي كتبتها الحفظة.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكل شيء فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم معشر كفَّار قريش في الكتب التي كتبتها الحفظة عليهم. وقد يحتمل أن يكون مرادا به في أمّ الكتاب"(١٥).

---

(١) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٧.
(٣) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٢.
(٥) الدر المنثور: ٦٨٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.
(٨) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٢.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٧.
(١١) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٢.
(١٣) تفسير عبدالرزاق(٣٠٦٧):ص٢٦١/٣.
(١٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢.
(١٥) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٢.

قال ابن كثير: " أي : مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام"[١].
قال السعدي:" أي: كل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم في الكتب القدرية"[٢].
عن الضحاك، قوله: "{فِي الزُّبُرِ}، قال: الكُتب"[٣].
وروي عن ابن زيد، قال:" في الكتاب"[٤].
قال ابن عباس:" في أم الكتاب"[٥].
قال أبو عبيدة:" {الزُّبُرِ}، جماعة: «زبور»، ويقال: زبرت الكتاب وذبرته"[٦].

القرآن
{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)} [القمر : ٥٣]
التفسير:
وكل صغير وكبير من أعمالهم مُسَطَّر في صحائفهم، وسيجازون به.
قال الطبري:" قول تعالى ذكره: {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ} من الأشياء، مُثْبَت في الكتاب مكتوب"[٧].
قال الفراء:" يريد: كل صغير من الذنوب أو كبير فهو مكتوب"[٨].
قال أبو عبيدة:" {مُسْتَطَرٌ}، أي: مفتعل مكتوب، مجازها مجاز: مسطور"[٩].
قال ابن قتيبة:" {مُسْتَطَرٌ}، أي: مكتوب: مُفْتَعَل، من :سطرت: إذا كتبت. وهو مثل: مَسْطور"[١٠].
قال الزجاج:" المعنى: كل صَغِيرْ من الذنوب وكبير مستطر مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه، ومكتوب لهم وعليهم إذا فعلوه لِيجازَوْا عَلَى أفعالهم"[١١].
قال ابن كثير: " {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ}، أي : من أعمالهم {مُسْتَطَرٌ}، أي : مجموع عليهم، ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"[١٢].
قال السعدي:" أي: مسطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء والقدر، وأن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[١٣].
عن ابن عباس، قوله: "{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}، يقول: مكتوب، فإذا أراد الله أن ينزل كتابا نَسَخَتْهُ السَّفَرةُ"[١٤].
قال عكرمة:" مكتوب في كلّ سطر"[١٥].
قال قتادة:" محفوظ مكتوب"[١٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٧.
(٢) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٢.
(٥) الدر المنثور: ٦٨٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) مجاز القرآن: ٢٤١/٢.
(٧) تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٢.
(٨) معاني القرآن: ١١٠/٣.
(٩) مجاز القرآن: ٢٤١/٢.
(١٠) غريب القرآن: ٤٣٤.
(١١) معاني القرآن: ٩٢/٥.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٧.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢.

عن الضحاك، "{مُسْتَطَرٌ}، قال: مكتوب"[١].

عن ابن زيد، في قوله: "{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}، قال: مكتوب، وقرأ: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}، وقرأ: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}"[٢].

عن عوف بن الحارث - وهو ابن أخي عائشة لأمها - عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : "يا عائشة، إياك ومُحَقِّرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا"[٣].

ورواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر، ثم قال سعيد : "فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي : ويحك يا سعيد بن مسلم! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره، فأتاه آت في منامه فقال له : يا سليمان :

لا تَحْقِرنَّ مِنَ الذنوبِ صَغِيرا... إن الصَّغير غدًا يعود كبيرا
إن الصغير ولو تقادم عهده... عند الإله مُسَطَّرٌ تسطيرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن... صعب القياد وشمرن تشميرا
إن المُحِبَّ إذا أحب إلهه... طار الفؤاد وألْهم التفكيرا
فاسأل هدايتك الإله بنِيَّة... فَكَفَى بِرَبّكَ هاديا ونصيرا"[٤].

القرآن

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤)} [القمر : ٥٤]

التفسير:

إن المتقين في بساتين عظيمة، وأنهار واسعة يوم القيامة.

قال الطبري: يقول:" إن الذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في بساتين يوم القيامة، وأنهار"[٥].

قال ابن كثير:" أي : بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسُّعر والسحب في النار على وجوههم، مع التوبيخ والتقريع والتهديد"[٦].

قال السعدي:" {إِنَّ الْمُتَّقِينَ} لله، بفعل أوامره وترك نواهيه، الذين اتقوا الشرك والكبائر والصغائر، في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الأنيقة، والمآكل والمشارب اللذيذة، والحور الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضوان الملك الديان، والفوز بقربه"[٧].

قال السمعاني:" أي: بساتين وأنهار، واحد بمعنى الجمع، والأنهار هذه ما ذكرها الله تعالى في «سورة محمد»[٨]"[٩].

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} [القمر : ٥٤]، ثلاثة أقوال:

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢-٦٠٩.
(٣)المسند (١٥١/٦) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٤٣).
(٤)تاريخ دمشق (٣٥٣/٧ "المخطوط") من طريق أبي عامر العقدي والقعنبي، كلاهما عن سعيد بن مسلم به.
(٥) تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٧/٧.
(٧) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(٨) قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد : ١٥].
(٩) تفسير السمعاني: ٣٢٠/٥.

أحدها : أن النهر: معناه: أنهار، أي: أنهار الماء، والخمر، والعسل، واللبن، قاله شريك[١]، وابن جريج[٢]، وبه قال الفراء[٣]، وأبو عبيدة[٤]، والطبري[٥].

قال أبو عبيدة:" {وَنَهَرٍ}، مجازها: أنهار"[٦].

قال الفراء:" {وَنَهَرٍ}، معناه: أنهار، وهو في مذهبه كقوله: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥][٧]. وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلانا فكنا في لحمة ونبيذة فوحد، ومعناه: الكثير"[٨].

عن شريك، في قوله: "{فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}، قال: جنات وعيون"[٩].

الثاني : أن النهر: الضياء والنور، ومنه: النهار ، قاله محمد بن إسحاق[١٠]، ومحمد بن كعب القرظي[١١]، ومنه قول الراجز[١٢]:

لَوْلا الثَّرِيدانِ هَلَكْنَا بِالضُّمُرْ ... ثَرِيدُ لَيْلٍ وثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ

قال القرظي:" في نور وضياء"[١٣].

قال الفيروزآبادي:" «النهار»: ضد الليل، ولا يجمع، كما لا يجمع العذاب والسراب، فإن جمعته قلت في قليله: أنهر، وفى كثيره: نهر، مثل سحاب وسحب"[١٤].

عن أبي عمران الجوني قال: "ليس في الجنة ليل، هو نهار كله، ويعرف مجيء النهار بفتح الأبواب ورفع الستور، ويعرف مجيء الليل برد الأبواب وإرخاء الستور"[١٥].

الثالث : أنه سعة العيش وكثرة النعيم ، ومنه اسم: نهر الماء ، قاله قطرب[١٦].

قال الراغب: " والنّهر: السّعة تشبيها بنهر الماء، ومنه: أَنْهَرْتُ الدَّمَ. أي: أسلته إسالة، وأَنْهَرَ الماء: جرى، ونَهْرٌ نَهرٌ: كثير الماء، قال أبو ذؤيب[١٧]:

أقامت به فابتنت خيمة ... على قصب وفرات نهر "[١٨].

الرابع: أن النّهر الضياء والسعة. قاله ابن عباس[١٩]، والضحاك[٢٠].

قال ابن عباس:" النّهر الضياء والسعة، ليس بنهرٍ جاري"[١].

---

(١) الدر المنثور: ٦٨٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٥.
(٣) انظر: معاني القرآن: ١١٠/٣.
(٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٤١/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٢.
(٦) مجاز القرآن: ٢٤١/٢.
(٧) أي: "وُحِّد؛ لأنه رأسُ آية، فقَابَلَ بالتوحيد رءوسَ الآي.
(٨) معاني القرآن: ١١٠/٣.
(٩) الدر المنثور: ٦٨٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٥.
(١١) .
(١٢) انظر: تهذيب الألفاظ: ٤٢٢، والمخصص ٩: ٥١، واللسان (نهر) ، والأزمنة والأمكنة ١: ٧٧، ١٥٥ وغيرها. ورواية اللسان والمخصص"لمتنا بالضمر". والضمر (بضم الميم وسكونها) مثل العسر والعسر: الهزال ولحاق البطن من الجوع وغيره. والثريد: خبز يهشم ويبل بماء القدر ويغمس فيه حتى يلين.
(١٣) الدر المنثور: ٦٨٧/٧، وعزاه إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول.
(١٤)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١٢٨/٥.
(١٥) حكاه عنه السمعاني في "التفسير" :٣٢١/٥.
(١٦)انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٥
وقطرب: هو محمد بن المستنير المعروف بـ (قطرب) أحد العلماء المشهورين بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه، مات سنة ست ومائتين. انظر ترجمته في: "طبقات النحويين واللغويين" ص ٩٩، "تاريخ بغداد" ٣/ ٢٩٨، "معجم الأدباء" ١٩/ ٥٢، "إنباه الرواة" ٣/ ٢١٩، "المزهر" ٢/ ٤٠٥.
(١٧)البيت في ديوان الهذليين ١/ ١٤٦، وشرح أشعار الهذليين ١/ ١١٢، وتهذيب إصلاح المنطق ١/ ١٣٠.
(١٨) المفردات :٨٢٦.
(١٩) الدر المنثور: ٧/ ٦٨٤، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢٠)تفسير الثعلبي ٩/ ١٧٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٠.

قال الضحاك:" يعني: في ضياء وسعة"[٢].
قال الفراء:" ويقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}: في ضياء وسعة، وسمعت بعض العرب ينشد[٣]:
إِنْ تَكَ لَيْلِيًّا فَإِنِّي نَهِرُ ... مَتَى أَرَى الصُّبْحَ فَلاَ أَنْتَظِرُ
ومعنى «نهر»: صاحب نهار"[٤].
قال ابن قتيبة، -ناقلا قول الفراء-:" قال-أي الفراء-: ويقال: " النهْر: الضياء والسعة؛ من قولك: أَنْهَرْتُ الطعنة؛ إذا وسعتها. قال قيس بن الخطِيم يصف طعنة[٥]:
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي, فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِها مَاوَرَاءَهَا
أي: وسَّعتُ فتقها"[٦].
قال القشيري:" أكثرُ أهل التفسير والمعاني على أنه أراد: وأنهار. يعني: أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل، ووحد لأنه قابل الفواصل فصار كقوله {وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} والواحد قد ينبى عن الجميع فيخبر به"[٧].

القرآن
{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)} [القمر : ٥٥]
التفسير:
في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم عند الله المَلِك العظيم، الخالق للأشياء كلها، المقتدر على كل شيء تبارك وتعالى.
قوله تعالى:{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ} [القمر : ٥٥]، أي:" في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم"[٨].
قال الطبري: " يقول: في مجلس حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم"[٩].
قال السمعاني:" وكل مكان ليس فيه لغو ولا تأثيم، فهو مقعد صدق"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : في دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه"[١١].
قال الواحدي: أي:" في مجلس حسن. والعرب إذا بالغت في مدح شيء أضافته إلى «الصدق»، كقوله تعالى {لِسَانَ صِدْقٍ} [الشعراء: ٨٤] و{قَدَمَ صِدْقٍ} (٤) [يونس: ٢]"[١٢].
عن عطاء: {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ} "يريد في جوار الرحمن"[١٣].

---

(١) الدر المنثور: ٧/ ٦٨٤، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢)تفسير الثعلبي ٩/ ١٧٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٠.
(٣) البيت في تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٢، وفيه: «متى أتى الصُّبْحُ» مكان« متى أرى»، واستشهد به القرطبي في التفسير: ١٥٠/١٧، نقلا عن الفراء، ولم ينسبه؟.
(٤) معاني القرآن: ١١٠/٣.
(٥)ورد في (ديوان قيس بن الخطيم) : ٨ بهذا النص:
ملكت بها كفّي فانهرت فتقها ... يرى قائما من خلفها ما وراءها
كما ورد البيت في (شرح الحماسة) للمرزوقي ١/ ١٨٤. وفي (شرح الحماسة) للتبريزي ١/ ١٧٨، و (خزانة الأدب) ٣/ ١٦٨. و (تأويل مشكل القرآن) صفحة ٣٢.
(٦) غريب القرآن: ٤٣٥.
(٧) لطائف الإشارات: ١٢٧/٢١-١٢٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٩) تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٢.
(١٠) تفسير السمعاني: ٣٢١/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٨٧/٧.
(١٢) التفسير البسيط: ١٢٨/٢١.
(١٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٢٨/٢١، ولم أقف عليه.

قال جعفر الصادق: مدح الله تعالى المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلَّا أهل الصِدق"[١].

عن خالد بن معدان، قال: "بلغنا أنَّ الملائكة يأتون المُؤْمنين يوم القيامة، فيقولون: يَا أولياء الله انطلقوا. فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتذهبون بنا إلى غير بغيتنا. فيقال: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد مع الحبيب"[٢].

عن عبد الله بن بريدة :" أنَّه قال في قوله تعالى: {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)} أن أهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار عز وجل، فيقرؤون القرآن على ربهم تبارك وتعالى، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر من الدرِّ، والياقوت، والزبرجد، والذهب، والزمرد، والفضة، بقدر أعمالهم، فلم تقرَّ أعينهم بشيء قط كما تقرُّ بذلك، ولم يسمعوا شيئًا أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى منازلهم قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد"[٣].

قوله تعالى:{عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر : ٥٥]، أي:" عند الله المَلِك العظيم، الخالق للأشياء كلها، المقتدر على كل شيء تبارك وتعالى"[٤].

قال الطبري: " يقول: عند ذي مُلك مقتدر على ما يشاء، وهو الله ذو القوّة المتين، تبارك وتعالى"[٥].

قال ابن كثير:" أي : عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون"[٦].

قال السمعاني يقال: إن «الملك» و«المليك» بمعنى واحد.. وقيل: إن «المليك» هو المستحق للملك، و«الملك»: القائم بالملك. ومعنى الآية: ذكر كرامة المؤمنين وقربهم من الله تعالى، وهو النهاية في الإكرام"[٧].

قال مقاتل:" وذلك أن أهل الجنة يدخلون على ربهم- تعالى- على مقدار كل يوم جمعة، فيجلسون إليه على قدر أعمالهم في الدنيا وبقدر ثوابهم في الآخرة فيعطون في ذلك المجلس ما يحبون من شيء، ثم يعطيهم الرب- تعالى- ما لم يسألوه من الخير من جنة عدن ما لم تره عين، ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر"[٨].

قال السعدي:" فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته، جعلنا الله منهم، ولا حرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا"[٩].

عن عبد الله بن عمرو يَبلُغُ به النبي صلى الله عليه وسلم - قال : "المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[١٠].

عن عبد الجبار بن عبيد الله بن سليمان الدمشقي، قال: "أقبل عيسى ابن مريم على أصحابه ليلة رُفِع، فقال لهم: لا تأكلوا بكتاب الله، فإنّكم إن لم تفعلوا أقعدكم الله على منابر، الحجرُ مِنها خيرٌ من الدنيا وما فيها. -قال عبد الجبار: وهي المقاعد التي ذكر الله في القرآن: {في مقعد صدق عند مليك مقتدر} [القمر: ٥٥]-. ورُفِع - عليه السلام –"[١١].

---

(١) تفسير الثعلبي: ٢٧٤/٢٥-٢٧٥، وتفسير البغوي: ٤٣٧/٧، وتفسير القرطبي: ١٥٠/٢٧..

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٨/٢٥، أخرجه الحكيم التِّرْمِذِيّ عن ثور بن يزيد. كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ١٨٨. [مرسل]

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٥/٢٥.

(٤) التفسير الميسر: ٥٣١.

(٥) تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٧/٧.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٢١/٥.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٨٢٨.

(١٠)صحيح مسلم برقم (١٨٢٧) وسنن النسائي (٢٢١/٨).

(١١)أخرجه ابن عساكر ٤٧/ ٤٦٩.

عن سعيد بن المسيّب، قال: "دخلتُ المسجدَ وأنا أرى أنّي قد أصبحتُ، فإذا عَلَيَّ ليلٌ طويل، وإذا ليس فيه أحد غيري، فقمتُ، فسمعتُ حركةً خلفي، ففزعتُ، فقال: أيها الممتلئ قلبه فَرقًا، لا تَفْرق -أو لا تفزع- وقل: اللهم، إنك مليك مقتدر، ما تشاء من أمرٍ يكون. ثم سَلْ ما بدا لك. قال سعيد: فما سألتُ الله شيئًا إلا استجاب لي"[1].

فوائد الآيات: [٤٧-٥٥]:

١- بيان مصير المجرمين وضمنه تخويف وتحذير من الإجرام الموبق للإنسان.

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٣- تقرير أن أعمال العباد مدونة في كتب الكرام الكاتبين لا يترك منها شيء.

٤- تقرير أن كل صغيرة وكبيرة من أحداث الكون هي في كتاب المقادير اللوح المحفوظ.

٥- بيان مصير المتقين مع الترغيب في التقوى إذ هي ملاك الأمر وجماع الخير.

٦- ذكر الجوار الكريم وهو مجاورة الله رب العالمين في الملكوت الأعلى في دار السلام.

«آخر تفسير سورة (القمر)، والحمد لله وحده»

(١)أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٢٥٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الرحمن»

«سورة الرحمن»: هي السورة «الخامسة والخمسون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «السابعة والتسعون» وَفْق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الرعد»، وآياتها ثمان وسبعون في عد الكوفة والشام، وسبع في الحجاز، وست في البصرة. وكلماتها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. وحروفها ألف وثلاثمائة وست وثلاثون. المختلف فيها خمس آيات: {الرَّحْمَنُ} [الرحمن : ١]، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن : ١٠] {الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣]، {شُوَاظٌ مِنْ نَار} [الرحمن : ٣٥] . مجموع فواصل آياتها :«مرن»، وقيل هذه الحروف الألف إلا {الْمَرْجَانُ} [الرحمن : ١٧]، و{الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣] [(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الرحمن»:**

وردت تسميتها بـ«سورة الرحمن» في أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-[(٢)]، وكذلك سميت في كتب السنة وفي المصاحف.

ووجه تسمية هذه السورة بـ«سورة الرحمن»، أنها ابتدأت باسمه تعالى: {الرَّحْمَنُ} [الرحمن : ١].

قال البقاعي:" فمقصودها بالذات: إثبات الاتصاف بعموم الرحمة، ترغيبا في إنعامه، بمزيد امتنانه وترهيبا من انتقامه، بقطع إحسانه، وعلى ذلك دل اسمها «الرحمن»، لأنه العام الامتنان"[(٣)].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة عروس القرآن»:**

ذكره البقاعي[(٤)]، والسيوطي[(٥)]، وروي البيهقي عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن"[(٦)].

وهذا لا يعدو أن يكون ثناء على هذه السورة وليس هو من التسمية في شيء كما روي أن سورة البقرة فسطاط القرآن[(٧)]، فالظاهر أن معنى: «لكل شيء عروس»، أي: لكل جنس أو نوع واحد من جنسه يزينه تقول العرب: عرائس الإبل لكرائمها فإن العروس تكون مكرمة مزينة مرعية من جمع الأهل بالخدمة والكرامة، ووصف سورة الرحمان بالعروس تشبيه ما تحتوي عليه من ذكر الحبرة والنعيم في الجنة بالعروس في المسرة والبذخ، تشبيه معقول بمحسوس ومن أمثال العرب: لا عطر بعد عروس -على أحد تفسيرين للمثل- أو تشبيه ما كثر فيها من تكرير فبأي آلاء ربكما تكذبان بما يكثر على العروس من الحلي في كل ما تلبسه.

قال البقاعي:" واسمها «عروس القرآن» واضح البيان في ذلك، لأنها الحاوية لما فيه من حلى وحلل وجواهر وكلل، والعروس مجمع النعم، والجمال والبهجة، في نوعها والكمال"[(٨)].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٧.

(٢) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٣) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٥/٣.

(٤) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٤/٣.

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٥/١، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن: ١٩٩/٣.

(٦) شعب الإيمان(٢٢٦٥):ص١١٦/٤، فيه أحمد بن الحسن، عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، قال الدارقطني: "ليس بثقة".

(٧)روى الدارمي عن خالد بن معدان قال: "سورة البقرة تعليمها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة وهي فسطاط القرآن". [سنن الدارمي رقم الحديث (٣٣٧١)]

(٨) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.

قال الطيبي:" أعرس الرجل يعرس فهو معرس إذا دخل بامرأته عند بنائها، والعروس -ها هنا- يحتمل وجهين:
أحدهما: الزينة، ومنه قوله تعالي: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَت} [يونس : ٢٤]، شبهها بالعروس إذا تزينت بالحلي والثياب الفاخرة.
وثانيهما: الزلفي إلي المحبوب والوصول إلي المطلوب، وذلك أنه كلما كرر قوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ١٦]، كأنه يجلو نعمة السابغة علي الثقلين، ويزينها ويمن عليهم بها"[١].

- **الاسم الثاني: «سورة الرفرف»:**

ذكره البقاعي[٢]، وقال:" وكذا سميت: «الرفرف» بما في آيته من جليل الإنعام، البالغ إلى أنهى غايته"[٣].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها مكية كلها. قالته عائشة[٤]، وابن عباس[٥]، وابن الزبير[٦]، وبه قال الحسن[٧]، وعطاء[٨]، وعكرمة[٩]، وجابر[١٠]، ومقاتل[١١]، والجمهور[١٢].

قال ابن عاشور:"الأصح أنها مكية كلها، وهي في مصحف ابن مسعود أول المفصل"[١٣].

عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: "كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: «أنا» ، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: «دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني» قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها فقام عند المقام، ثم قال: " بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١ - ٢]، قال: ثم استقبلها يقرأ فيها " قال: وتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك قال: «ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها» ، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون"[١٤].

قال القرطبي:" وفي هذا دليل على أنها مكية"[١٥].

---

(١)شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): ١٦٧٧/٥.
(٢) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٤/٣.
(٣) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.
(٤) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى النحاس.
(٦) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.
(٨) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.
(٩) حكاه عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.
(١٠) حكاه عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٣/٤.
(١٢) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤.
(١٣) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.
(١٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(١٥٣٥):ص٨٣٧/٢.
(١٥) تفسير القرطبي: ١٥١/١٧.

الثاني : أنها مدنية نزلت في صلح القضية عندما أبى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»[١]. وهذا القول منسوب إلى ابن مسعود[٢]، وابن عباس[٣].
الثالث : أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس-أيضا-[٤].

قال ابن عطية:" هي مكية فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين. وقال نافع بن أبي نعيم وعطاء وقتادة وكريب وعطاء الخراساني عن ابن عباس: هي مدنية، نزلت عند إباية سهيل بن عمرو وغيره أن يكتب في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، والأول أصح، وإنما نزلت حين قالت قريش بمكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وفي السيرة أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش فضربوه، وذلك قبل الهجرة"[٥].

قال هبة الله:" هي من السبع عشرة سورة المختلف فيها فقالت طائفة نزلت بمكة وقالت طائفة نزلت بالمدينة، وهي إلى تنزيل مكة أشبه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-:«لقد كانت الجن أحسن ردا منكم على ربهم تعالى حين قالوا: ولا بنعمة من نعمك ربنا نكذب»[٦]. وحديث عبد الله بن مسعود: «أنه قرأها في الحجر..». فهذا دليل على نزولها بمكة"[٧].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٩].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول جمهور الصحابة والتابعين"[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- إن فيها تفصيل أحوال المجرمين والمتقين التي أشير إليها في السورة السابقة إجمالا في قوله: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧]، وقوله: « {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} [القمر : ٥٤].

٢- إنه عدد في السورة السابقة ما نزل بالأمم التي قد خلت من ضروب النقم وبين عقب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس وإيقاظهم، ثم نعى عليهم إعراضهم- وهنا عدد ما أفاض الله على عباده من ضروب النعم الدينية والدنيوية في الأنفس والآفاق، وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بموجب شكرها.

٣- إن قوله: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١ - ٢]، كأنه جواب سائل يقول: ماذا صنع المليك المقتدر، وما أفاد برحمته أهل الأرض؟[١١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

---

(١)الحديث ف الإمام أحمد في «زوائده على فضائل الصحابة»(٥٥٨):ص ١/ ٣٧٣ ، وابن أبي شيبة(٣٦٨٣٩):ص٣٨١/٧، والبزاز(١٤٨):ص٢٥٣/١، والطبراني في «الكبير»(٨٢):ص ٧٢/١، والبيهقي في «المدخل إلى السُّنن الكبرى» (٢١٧):ص ١٩٢، والقَطيعي في «جزء الألف دينار» (٣٠٣):ص٤٥٠، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٠٨):ص١٢٥/١، ومحمد بن عبدالسلام الخشني، كما في «إعلام الموقعين» لابن القيم: (٢/ ١٠٣) من طريق يونس العُمَيري، به.

(٢) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٣) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل، وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٤) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٥) المحرر الوجيز: ٢٢٣/٥.

(٦) سوف يأتي تخريجه في فضائل السورة.

(٧) الناسخ والمنسوخ: ١٧١.

(٨)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٧/١.

(٩) زاد المسير: ١٩٦/٤.

(١٠) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.

(١١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٤/٢٧.

تناولت سورة الرحمن عدّة موضوعات، وكانت لها مقاصد مُتعدِّدة، منها ما يأتي:

١- دلّت سورة الرحمن من اسمها على مقصودها؛ فالرحمن هو الذي تعمّ رحمته، ويعمّ امتنانه على الخلائق، ممّا يجعلهم يطمعون في نعمائه، ويخافون من انتقامه، وانقطاع إحسانه.

٢- بيّنت سورة الرحمن من خلال عدّها لنِعَم الله -تعالى- أعظم نِعمة مَنّ الله بها على البشر؛ وهي نعمة تعلُّم الدِّين، وفي مُقدّمتها تنزيل القرآن الكريم، وتعليمه، ثمّ ذكرت خَلْق الإنسان، وتميُّزه بالعقل تِبعاً لذلك.

٣- دمجت سورة الرحمن بين تعداد نِعم الله -تعالى- على الناس، وقدرته -سبحانه وتعالى-، وإتقان صُنعه، وتناولت خَلْق الجنّ، وإثبات الجزاء لهم.

٤- نوّهت سورة الرحمن إلى موضوع العدل؛ وذلك بإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم؛ بما أعدّه الله -سبحانه وتعالى- للمُتّقين من الثواب والنعيم، وبما أعدّه لغير المؤمنين من العقاب، وذكرت مَنّ الله -تعالى- على الإنسان بنعمتَي العقل، والعلم.

٥- وصفت سورة الرحمن الجنّة وَصفاً دقيقاً، وبيّنت أنّ هناك مرتبتَين في الجِنان؛ إحداهما أعلى من الثانية؛ ليتناسب العُلوّ في الجنّة مع حال المؤمن في رفعة إيمانه.

٦- أبرزت سورة الرحمن أنّ الله -تعالى- هو وحده الدائم الباقي ذو الجلال والإكرام، وكلّ ما على الأرض إلى زوالٍ، وفناءٍ.

٧- بيّنت سورة الرحمن أنّ كلّ من في السموات والأرض يتوجّهون إلى الله -تعالى- في طلب ما يحتاجون إليه، والله في كلّ يوم له شؤون كثيرة في خَلْقه.

٨- صوّرت سورة الرحمن موقف الحساب يوم القيامة، وأنّه سيكون بيَد الله -تعالى- وحده؛ فهو الملك والحَكَم الواحد القهّار الذي لا يستطيع أحد أن يهرب من عقابه؛ لأنّه لا سُلطان إلّا إليه في ذلك الموقف العظيم، قال -تعالى-: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن ٣٣].

٩- وَعَظت سورة الرحمن الناس؛ بتذكيرهم بفنائهم، وأنّهم مُحاسَبون، وسيُجزَون على أعمالهم، ثمّ خُتِمت السورة بالثناء على الله -تعالى-، وتعظيمه، وذلك بقوله -تعالى-: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٧٨][١].

قال البقاعي:" اشتملت هذه السورة على جميع نعم الدنيا والآخرة، من ذكر الخلق والرزق، بالأقوات والفواكه، والحلى وغيرها، والفهم والعلم، والجنة وتفصيل ما فيها، والنار وأهوالها، فإنها نعمة من حيث إنها - بالخوف منها - سبب لنيل الجنة وما فيها، ومن حيث إنها سارة لمن ينجو منها بالنجاة منها، وبأن من عاداه الله عذب بها، وسجن فيها. وعلى ذلك كله، دل افتتاحها بـ {الرَّحْمَنُ (١)} [الرحمن : ١] "[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

قال هبة الله:" وليس فيها ناسخ ولا منسوخ"[٣].

قال ابن حزم:" «سورة الرحمن»: مكية، وجميعها محكم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ"[٤].

قال الفيروزآبادي:" السورة محكمة خالية عن الناسخ والمنسوخ"[٥].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

---

(١) انظر: مقاصد سورة الرحمن، إسلام ويب[موقع الكتروني].

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٧١.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٥٨.

(٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٨/١.

- عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن"[١].
- عن جابر قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»"[٢].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الرّحمن رحم الله ضعفه، وأدّى شكر ما أنعم الله عليه»[٣].[ضعيف]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) شعب الإيمان(٢٢٦٥):ص١١٦/٤، فيه أحمد بن الحسن، عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، قال الدارقطني: "ليس بثقة".

(٢) سنن الترمذي(٣٢٩١):ص٢٥٢/٥، وقال: "هذا حديث غريب". وأخرجه الحاكم في المستدرك(٣٧٦٦). [حكم الألباني] : حسن.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٦/٩، وذكره المستغفري في "فضائل القرآن"(١٢٢٢):ص٧٨٥/٢، والزمخشري في "الكشاف":٤٥٤/٤، والبيضاوي في "التفسير": ١٧٦/٥، وانظر: تفسير: مجمع البيان: ٩/ ٣٢٦. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

قال الفيروزآبادي:" فيه أحاديث منكرة، منها:

- حديث أبيّ: «لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره».
- وقال: «من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه».
- وقال: «يا على، من قرأها فكأنما أعتق بكل آية في القرآن رقبة، وله بكل آية قرأها مثل ثواب امرأة تموت في نفاسها».

[بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٩/١]

القرآن

{الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١-٢]

التفسير:

الرحمن علَّم الإنسان القرآن؛ بتيسير تلاوته وحفظه وفهم معانيه.

سبب النزول:

قال مقاتل: " وذلك أنه لما نزل: {اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان : ٦٠]، قال كُفّار مكّة: {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} [الفرقان : ٦٠]؟! فأنكروا الرحمن، وقالوا: لا نعرف الرحمن، فأخبر الله- تعالى- عن نفسه، وذكر صنعه ليعرف، فيوحد فقال: {الرَّحْمَنُ (١)} [الرحمن : ١] الذي أنكروه هو الذي {عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ٢]"[١].

قال الثعلبي:" {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١-٢]، نزلت حين قالوا: {وَمَا الرَّحْمنُ}؟، وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: {إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل : ١٠٣]"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن. فأنعم بذلك عليكم، إذ بصَّركم به ما فيه رضا ربكم، وعرّفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنبكم ما يُسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجوا من أليم عقابه"[٣].

قال النحاس:" أي: من رحمته علّم القرآن فبصّر به رضاه الذي يقرّب منه وسخطه الذي يباعد منه ومن رحمته"[٤].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه : أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه "[٥].

عن قتادة- أنه قال: في تفسير: "{الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ}، قال: نعمة والله عظيمة"[٦].

عن محمد بن السّائِب الكلبي: "{عَلَّمَ الْقُرْآنَ} علّم القرآنَ محمدًا"[٧].

القرآن

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)} [الرحمن : ٣-٤]

التفسير:

خلق الإنسان، علَّمه البيان عمَّا في نفسه تمييزًا له عن غيره.

قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، أي:" خلق جنس الإنسان"[٨].

قال السعدي: أي: " في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، محكم البناء، قد أتقن البديع تعالى البديع خلقه، أي إتقان"[٩].

وفي قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: آدم-عليه السلام- ، قاله ابن عباس[١٠]، والحسن[١١]، وقتادة[١٢]،وابن جريج[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٥/٤، وعزاه إليه ابن الجوزي في " زاد المسير": ٢٠٥/٤. وسبق مرارا أن مقاتل ممن يضع الحديث، والخبر منكر جدا.

(٢) الكشف والبيان: ١٧٧/٩.

(٣) تفسير الطبري: ٧/٢٣.

(٤) إعراب القرآن: ٢٠٤/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٧/٢٣.

(٧)تفسير البغوي: ٣٣٠/٤.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ١٠٦/٢٧.

(٩) تفسير السعدي: ٨٢٨.

(١٠) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٧٧/٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٣.

عن قتادة، في قوله: {خَلَقَ الإِنْسَانَ}، قال:" الإنسان: آدم- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-"[٢].
قال الثعلبي: علّمه" أسماء كل شيء، وقيل: علّمه اللغات كلّها، وكان آدم عليه السّلام يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية"[٣].
الثاني : يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم – حكاه الزجاج[٤]، وعزاه الثعلبي لابن كيسان[٥].
قال ابن كيسان: علّمه" بيان ما كان وما يكون، لأنه كان يبيّن عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين"[٦].
الثالث : أنه أراد جميع الناس وإن كان بلفظ واحد، كما قيل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]. قاله الحسن[٧]، وأبو العالية[٨]، وابن زيد[٩]، وحكاه الطبري[١٠]- وهو قول الأكثرين[١١].
قال الزجاج:" يجوز في اللغة أن يكون الِإنسان اسماً لجنس الناس جميعاً"[١٢].
قال الطبري:" القولان[يعني: الأول والثالث] كلاهما غير بعيدين من الصواب، لاحتمال ظاهر الكلام إياهما"[١٣].
قوله تعالى:{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن : ٤]، أي:" علّمه البيان عمَّا في نفسه تمييزًا له عن غيره"[١٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: علّم الإنسان البيان"[١٥].
قال النحاس:" فهو خبر بعد خبر"[١٦].
وفي قوله تعالى:{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن : ٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن البيان الحلال والحرام ، قاله قتادة[١٧].
عن قتادة: "{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}، الدنيا والآخرة ليحتجّ بذلك عليه"[١٨].
قال قتادة:" علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه، ليحتجّ بذلك على خلقه"[١٩].
الثاني : يعني: الخير والشر، قاله الضحاك[٢٠]، والربيع بن أنس[٢١]، وقتادة[٢٢].
قال قتادة: "تَبَيَّنَ له الخيرُ والشرّ، وما يأتي، وما يدع"[٢٣].

---

(١) الدر المنثور: ٧/ ٦٩١، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢) أخرجه الطبري: ٧/٢٣.
(٣) الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٩٥/٥.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(٧)تفسير البغوي ٧/ ٤٣٨.
(٨)تفسير البغوي ٧/ ٤٣٨.
(٩)تفسير البغوي ٧/ ٤٣٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٣-٨.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥. وحكاه عن الأكثرين.
(١٢) معاني القرآن: ٩٥/٥.
(١٣) تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٣١.
(١٥) تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(١٦) إعراب القرآن: ٢٠٤/٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٨/٢٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٨/٢٣.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.
(٢١) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(٢٣) أخرجه الطبري: ٨/٢٣.

الثالث : أن البيان: الكلام، قاله وأبو العالية[١]، ومرّة الهمذاني[٢]، وابن زيد[٣]، وبه قال ابن قتيبة[٤].

قال السدي: "علّم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به"[٥].

وقال:" محمد ابن كعب: ما يقول وما يقال له"[٦].

الرابع : النطق والتمييز. قاله الحسن[٧]. وبه قال ابن كثير[٨].

قال ابن كثير:" قول الحسن ها هنا أحسن وأقوى ؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها"[٩].

الخامس : الكتابة والخط بالقلم. نظيره {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، حكاه الثعلبي[١٠]، وهو مأثور[١١].

السادس : الهداية، قاله ابن جريج[١٢].

السابع : العقل، لأن بيان اللسان مترجم عنه. حكاه الماوردي[١٣].

قال الزجاج:" جعله مميزاً حتى انفصل الِإنسان من جميع الحيوان"[١٤].

الثامن : يعني: بيان كل شيء. قاله مقاتل[١٥].

التاسع: أن البيان ما اشتمل على أمرين : إبانة ما في نفسه ومعرفة ما بين له. أفاده الماوردي[١٦].

العاشر : يعني: علّمه الكلام الذي هو من نفس الروح وفهم العقل وفطنة القلب وذهن الخلق وعلم نفس الطبع، ألهم الله ذلك آدم عليه السلام وبين ذلك. قاله سهل بن عبدالله[١٧].

الحادي عشر: علّم النبي-عليه السلام- القرآن الذي فيه بيان كل شيء. – حكاه الزجاج[١٨].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علّم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام، والمعايش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك، أنه علّمه من البيان بعضا دون بعض، بل عمّ فقال: علّمه البيان، فهو كما عمّ جلّ ثناؤه"[١٩].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(٤) انظر: غريب القرآن: ٤٣٦.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩، والنكت والعيون: ٤٢٣/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(١٤) معاني القرآن: ٩٥/٥.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٥/٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(١٧) انظر: تفسير التستري: ١٥٩.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ٩٥/٥.
(١٩) تفسير الطبري: ٨/٢٣.

قال السعدي: وميزه على سائر الحيوانات. بأن {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الآدمي على غيره من أجل نعمه، وأكبرها عليه"[١].

القرآن

{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)} [الرحمن : ٥]

التفسير:

الشمس والقمر يجريان متعاقبَين بحساب متقن، لا يختلف ولا يضطرب.

وفي تفسير {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)} [الرحمن : ٥]، أقوال:

أحدها : يعني: بحساب، قاله ابن عباس[٢]، وأبو مالك[٣]، وقتادة[٤].

قال ابن عباس:" بحساب ومنازل يرسلان"[٥].

قال ابن عباس:" يجريان بعدد وحساب"[٦].

قال قتادة:" أي: بحساب وأجل"[٧].

قال قتادة:" يجريان في حساب"[٨].

و«الحسبان»: مصدر الحساب ، وقيل : جمعه[٩].

الثاني : أي: أنهما يجريان بقدر. قاله الضحاك[١٠].

الثالث: معناه: أنهما يدوران في مثل قطب الرحا. قاله مجاهد[١١].

عن مجاهد، قوله: {بِحُسْبَانٍ}، قال: "كحسبان الرحا"[١٢].

الرابع: معنى الحسبان هذه آجالها ، فإذا انقضى الأجل كانت القيامة ، قاله السدي[١٣].

الخامس : أنه يقدر بهما الزمان لامتياز النهار بالشمس والليل بالقمر، ولو استمر أحدهما فكان الزمان ليلاً كله أو نهاراً كله لما عرف قدر الزمان ، قاله ابن زيد[١٤].

قال ابن زيد:" حسب بهما الدهر والزمان لولا الليل والنهار، والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر ليلا كله، كيف يحسب، أو نهارا كله كيف يحسب"[١٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حسابا وحسبانا، مثل قولهم: كفرته كفرانا، وغفرته غُفْرانا. وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب"[١٦].

القرآن

{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)} [الرحمن : ٦]

---

(١) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٩/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٩/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٩/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٩/٢٣.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٠/٢٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٩/٢٣.
(١٦) تفسير الطبري: ١٠/٢٣.

التفسير:
والنجوم التي في السماء أو النبات الذي ينجم ويطلع من الأرض ولا ساق له، وأشجار الأرض التي لها ساق، تعرف ربها وتسجد له، وتنقاد لما سخرَّها له مِن مصالح عباده ومنافعهم.

واختلف أهل التفسير في معنى «النجم» -في هذا الموضع-، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أن النجم –ههنا- يعني به: ما نبت على وجه الأرض وما طلع من نجوم السماء، يقال لكل ما طلع: قَدْ نَجَم. ذكره الزجاج(١).

الثاني: أن النجم: نجم السماء، وهو موحد والمراد به جميع النجوم ، قاله الحسن(٢)، ومجاهد(٣)، وقتادة(٤).

قال قتادة:" إنما يريد النجم"(٥).

قال الزجاج:" وهذا جائز أن يكون، لأن اللَّه - عزَّ وجلَّ - قد أعلمنا أن النجم يسجد، فقال: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ} [الحج : ١٨]"(٦).

الثالث : أن النجم: النبات الذي قد نجم في الأرض وانبسط فيها، ليس له ساق مثل البقل ونحوه، والشجر ما كان على ساق ، قاله ابن عباس(٧)، وسعيد بن جبير(٨)، وسفيان(٩)، والسدي(١٠)، والكلبي(١١).

عن ابن عباس، قوله: "{وَالنَّجْمِ}، قال: ما يُبسط على الأرض"(١٢).

قال سعيد بن جبير:" النجم كل شيء ذهب مع الأرض فرشا، قال: والعرب تسمي الثبل نجما"(١٣).

قال سفيان:" النجم: الذي ليس له ساق"(١٤).

قال السدي:" النجم: نبات الأرض"(١٥).

قال الطبري:" والصواب قول من قال: عُنِي بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره"(١٦).

قال يحيى بن سلام:" النَّجم كلُّ نبت ليس له ساق، والشَّجر كلُّ ما قام على ساق"(١٧).

قال الفراء:" النجم: ما نجم مثل: العشب، وَالبقل وشبهه. والشجر: ما قام عَلَى ساق"(١٨).

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٩٦/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٢٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ١٢/٢٣.
(٦) معاني القرآن: ٩٦/٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(١١) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٠٧٦):ص٢٦٥/٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ١١/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١١/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١١/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ١١/٢٣.
(١٦) تفسير الطبري: ١٢/٢٣.
(١٧)الكتاب: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٩٢.
(١٨) معاني القرآن: ١١٣/٣.

قال أبو عبيدة:" الشجر: ما كان على ساق، والنجم: ما نجم من الأرض ولم يكن على ساق ومجازها على الأشجار وثنّى فعلهما على لفظهما"[١].

قال الزجاج:" قال أهل اللغة وأكثر أهل التفسير: «النجم»: كل ما نبت على وجه الأرض مما ليس له سَاق، و«الشَجَرُ»: كل ما له ساق"[٢].

قال الطبري: "أجمعوا على أن الشجر ما قام على ساق"[٣].

عن ابن عباس، قوله: "{وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}، قال: الشجر: كل شيء قام على ساق"[٤]. وروي عن سعيد بن جبير مثله[٥].

قال سفيان:" الشجر الذي له سُوق"[٦].

قال قتادة:" الشجر: شجر الأرض"[٧].

قال سهل بن عبدالله: "قوله تعالى: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ} [الصافات: ٨٨- ٨٩]، قال: وحكي عن محمد بن سوار عن أبي عمرو بن العلاء قال: معناه نظر إلى النبات، كقوله: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ} [الرحمن: ٦]، وأراد بالنجم ما لا ساق له من النبات، وبالشجر ما له ساق"[٨].

واختلفوا في سجود «النجم والشجر»، على خمسة أقوال:

أحدها : هو سجود ظلهما، قاله سعيد بن جبير[٩]، والضحاك[١٠]، وأبو رزين[١١]. وبه قال الطبري[١٢].

قال الطبري:" عُنِي به سجود ظلهما، كما قال جلّ ثناؤه: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد : ١٥] "[١٣].

عن مجاهد في قوله: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}، قال: "يسجد بكرة وعشيا"[١٤].

قال قتادة:" ما نزل من السماء شيئا من خلقه إلا عَبَّده له طوعا وكرها"[١٥].

الثاني : هو ما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود والخضوع ، قاله ابن بحر[١٦].

الثالث : أن سجودهما دوران الظل معهما ، كما قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} [النحل : ٤٨]. قاله الزجاج[١٧].

الرابع : أن سجود النجم أفوله ، وسجود الشجر إمكان الإجتناء لثمارها. حكاه الماوردي[١٨].

الخامس : أن سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان معها إذا انكسر الفيء، قاله الفراء[١٩].

---

(١) مجاز القرآن: ٢٤٢/٢.
(٢) معاني القرآن: ٩٦/٥.
(٣) تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٤) تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٦) تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٧) تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٨) تفسير التستري: ١٣١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(١٣) تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٣/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٣/٢٣.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٥.
(١٧) انظر: معاني القرآن: ٩٦/٥.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٥.
(١٩) انظر: معاني القرآن: ١١٢/٣.

السادس : معناه: أنهما يستسلمان لله بالتّسخير. وهذا قول ابن قتيبة[١].

قال ابن قتيبة:" والظلّ في أول النهار قبل طلوع الشمس يعمّ الأرض كما تعمّها ظلمة الليل، ثم تطلع الشمس فتعمّ الأرض إلا ما سترته الشّخوص، فإذا ستر الشّخص شيئا عاد الظّل، فرجوع الظلّ بعد أن كان شمسا، ودورانه من جانب إلى جانب- هو سجوده، لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتّسخير، وهو في ذلك يميل، والميل: سجود. وكذلك قوله: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ}[الرحمن: ٦] ، أي: يستسلمان لله بالتّسخير"[٢].

القرآن

{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧)} [الرحمن : ٧]

التفسير:

والسماء رفعها فوق الأرض، ووضع في الأرض العدل الذي أمر به وشرعه لعباده.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا} [الرحمن : ٧]، أي:" والسماء رفعها فوق الأرض"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والسماء رفعها فوق الأرض"[٤].

قال ابن أبي زمنين:" بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام"[٥].

قال سعيد بن جبير: "كانت السماء والأرض ملتزقتين، فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض، كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه"[٦].

قال الحسن وقتادة: "كانتا جميعا، ففصل الله بينهما بهذا الهواء"[٧].

قوله تعالى:{وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} [الرحمن : ٧]، أي:" ووضع في الأرض العدل الذي أمر به وشرعه لعباده"[٨].

قال الطبري:" يقول: ووضع العدل بين خلقه في الأرض"[٩].

عن مجاهد، في قوله: "{وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}، قال: وضع العدل"[١٠].

وقال الحسن وقتادة والضَّحَاك: "هو الذي يوزن به لينتصف به النَّاس بعضهم من بعض"[١١].

وفي قراءة عبد الله: «خَفَضَ المِيزَانَ»، والخفض والوضع متقاربا المعنى في كلام العرب[١٢].

القرآن

{أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)} [الرحمن : ٨-٩]

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٣٧.
(٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٧.
(٣) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٤) تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٢٥/٤.
(٦)تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٣١/١٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٩) تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(١٠) تفسير مجاهد:٦٣٦، وتفسير الطبري: ١٤/٢٣.
(١١) تفسير الثعلبي: ٢٩٥/٢٥. وأورده الزجاج ولم ينسبه، "معاني القرآن" ٥/ ٩٦، وذكره الماوردي ونسبه للضحاك، "النكت والعيون" ٥/ ٤٢٤، الواحدي ولم ينسبه، "الوسيط" ٤/ ٢١٨، والبَغَويّ ذكره عنهم جميعًا، "معالم التنزيل" ٧/ ٤٤٢، "زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ١٠٧، "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٥٤، الخازن ولم ينسبه، "لباب التأويل" ٧/ ٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣.

التفسير:
لئلا تعتدوا وتخونوا مَن وَزَنتم له، وأقيموا الوزن بالعدل، ولا تُنْقِصوا الميزان إذا وَزَنتم للناس.
قوله تعالى:{أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ} [الرحمن : ٨]، أي:" لئلا تعتدوا وتخونوا مَن وَزَنتم له"(١).
قال الطبري: يقول: " ألا تظلموا وتبخسوا في الوزن"(٢).
قال قتادة:" اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحبّ أن يُوَفى لك، فإن بالعدل صلاح الناس"(٣).
عن أبي المغيرة، قال: "سمعت ابن عباس يقول في سُوق المدينة: يا معشر الموالي، إنكم قد بُليتم بأمرين أهلك فيهما أمتان من الأمم: المِكْيال، والميزان"(٤).
عن مغيرة، قال: "رأى ابن عباس رجلا يزن قد أرجح، فقال: أقم اللسان، أقم اللسان، أليس قد قال الله: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}"(٥).
قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ} [الرحمن : ٩]، أي:" وأقيموا الوزن بالعدل"(٦).
عن مجاهد:" {وأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ}، قال: اللسان"(٧).
قال الطبري: " يقول: وأقيموا لسان الميزان بالعدل"(٨).
قال عطاء:" أقيموا لسان الميزان بالعدل"(٩).
قال سفيان بن عيينة:" الإقامة باليد، والقِسط بالقلب"(١٠).
قوله تعالى:{وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرحمن : ٩]، أي:" ولا تُنْقِصوا الميزان إذا وَزَنتم للناس"(١١).
قال الطبري: يقول: " ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس وتظلموهم"(١٢).
قال ابن زيد:" نقصه إذا نقصه فقد خَسَّره، تخسيره نقصه"(١٣).
عن قتادة في قوله:{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)} [الرحمن : ٧ - ٩]، قال قتادة:" قال ابن عباس: يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم، اتقى الله رجل عند ميزانه، اتقى الله رجل عند مكياله، فإنما يعدله شيء يسير، ولا ينقصه ذلك، بل يزيده الله إن شاء الله"(١٤).

القرآن
{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢)} [الرحمن : ١٠-١٢]
التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٢) تفسير الطبري: ١٤/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٤/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٤/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ١٤/٢٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٧)أخرجه ابن المنذر -كما في فتح الباري ٨/ ٦٢١ -.
(٨) تفسير الطبري: ١٤/٢٣.
(٩)تفسير البغوي ٧/ ٤٤٢.
(١٠)تفسير الثعلبي ٩/ ١٧٨، وتفسير البغوي ٧/ ٤٤٢.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣١.
(١٢) تفسير الطبري: ١٤/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٥/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٥/٢٣.

والأرض وضعها ومهَّدها؛ ليستقر عليها الخلق. فيها من أنواع الفواكه المختلفة الألوان والطعوم والروائح، وفيها النخل ذات الأوعية التي يكون منها الثمر، وفيها الحب ذو القشر؛ رزقًا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة[١].

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن : ١٠]، أي:" والأرض وضعها ومهَّدها؛ ليستقر عليها الخلق"[٢].

قال الطبري: يقول: " والأرض وطأها للخلق، وهم الأنام"[٣].

عن ابن عباس، قوله:" {لِلأنَامِ}، يقول: للخلق"[٤]. وقال في رواية:" كلّ شيء فيه الروح"[٥].

وقال الحسن:" للخلق الجنّ والإنس"[٦].

عن قتادة: "{لِلأنَامِ}، قال: للخلق"[٧].

قال مجاهد:" للخلائق"[٨].

قال ابن زيد:" الأنام: الخلق"[٩].

قال الضحاك:" كلّ شيء يَدِبّ على الأرض"[١٠].

قال عامر الشعبي:" لكلّ ذي رُوح"[١١].

قوله تعالى:{فِيهَا فَاكِهَةٌ} [الرحمن : ١١]، أي:" فيها من أنواع الفواكه المختلفة الألوان والطعوم والروائح"[١٢].

قال الطبري: يقول:" في الأرض فاكهة"[١٣].

قال الثعلبي: يعني: أنواع الفواكه"[١٤].

وقال ابن كيسان: "يعني: ما يفكههم الله به من النعم التي لا تحصى، وكل النعمة يتفكَّه بها"[١٥].

قوله تعالى:{وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ} [الرحمن : ١١]، أي:" وفيها النخل التي يطلع فيها أوعية الثمر"[١٦].

قال أبو عبيدة:" واحدها كم"[١٧].

قال الطبري: " الأكمام: جمع كِمّ، وهو ما تكممت فيه"[١٨].

وفي قوله تعالى:{وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ} [الرحمن : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن الأكمام: رفاتها، وهو : الليف الذي على عنق النخلة، قاله الحسن[١٩]، وقتادة[١].

---

(١) انظر: التفسير الميسر: ٥٣١، وصفوة التفاسير: ٢٧٦/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٣) تفسير الطبري: ١٥/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٥/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ١٥/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ١٥/٢٣-١٦.
(٧) أخرجه الطبري: ١٦/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١٦/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٦/٢٣.
(١٠) الدر المنثور: ٧/ ٦٩٣، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٧٨.
(١٢) صفوة التفاسير: ٢٧٦/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ١٧/٢٣.
(١٤)تفسير الثعلبي: ٢٩٨/٢٥. [ط. دار التفسير].
(١٥) تفسير الثعلبي: ٢٩٨/٢٥. [ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٤٤٢/٧.
(١٦) صفوة التفاسير: ٢٧٦/٣.
(١٧) مجاز القرآن: ٢٤٢/٢.
(١٨) تفسير الطبري: ١٧/٢٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٣.

قال الحسن: "سَعَفة من ليف عُصبَتْ بها"[٢].
عن قتادة والحسن: "{ذَاتُ الأَكْمَامِ} أكمامها: ليفها"[٣].
قال قتادة:" الليف الذي يكون عليها"[٤].
وعن قتادة، قال:" أكمامها رُفاتها"[٥].
وحكي الثعلبي عن قتادة قال:" رقابها"[٦].
وقال الضحاك: "{ذَاتُ الْأَكْمَامِ} ذات الغُلف"[٧].
وقال عكرمة: "ذات الأحمال"[٨].
الثاني: أنه الطلع قبل أن يتفتق، قاله ابن زيد[٩].
عن ابن وهب، قال :" قال ابن زيد في قوله: {وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ}، وقيل له: هو الطلع، قال: نعم، وهو في كم منه حتى ينفتق عنه، قال: والحبّ أيضا في أكمام. وقرأ: {وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا}"[١٠].
الثالث : أن الأكمام: أوعية الطلع. قاله ابن عباس[١١].
قال ابن كثير:" وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسرا ثم رطبا ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه"[١٢].
عن الشعبي قال : "كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تشقق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تَيْنَع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج أُكِل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادًا للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر بن الخطاب من عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله، فإن {مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [آل عمران : ٥٩، ٦٠]"[١٣].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكممة في ليفها، وطلعها متكم في جُفِّهِ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفه، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام. والصواب أن يقال: عني بذلك ذات ليف، وهي به مُتَكَمة وذات طلعْ هو في جُفِّه متكمِّمٌ فيُعَمَّم، كما عَمَّ جلّ ثناؤه"[١٤].
قال ابن عطية:" الأكمام: جمع كم، وهو غلاف التمر قبل ظهوره"[١٥].
قال مقاتل:" يعنى: الكفرى موقر طلعها"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٧٩/٩. بدون إسناد.
(٧) تفسير الثعلبي: ٢٥/ ٢٩٩، [ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٤٤٢/٧.
(٨) تفسير الثعلبي: ٢٥/ ٢٩٩، [ط. دار التفسير]، وتفسير القرطبي: ١٥٦/١٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٢١):ص٣٣٢٢/١٠.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٠/٧.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٢١):ص٣٣٢٢/١٠-٣٣٢٣.
(١٤) تفسير الطبري: ١٧/٢٣.
(١٥) المحرر الوجيز: ٢١/٥.

قال ابن قتيبة:" أي: ذات الكُفُرَّى قبل أن ينفتق. وغِلاف كل شيء: كُمُّه، و"الكُفُرَّى": هو الجُفُّ وهو الكُمُّ وهو الكافور وهو الذي ينشق عن الطَّلْع"[٢].

قال الزجاج:" معنى «الأكمام»: ما غَطَّى وكل شجرة تخرج ما هو مُكَمَّم فهي ذات أكمام وأكمامُ النخلة ما غَطى جُمّارَها من السَّعَف والليف والجِذْع وكلُّ ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام فالطَّلْعة كُمُّها قشرها ومن هذا قيل للقَلَنْسُوة كُمَّة لأنها تُغَطِّي الرأس ومن هذا كُمّا القميص لأنهما يغطيان اليدين"[٣].

قوله تعالى:{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ} [الرحمن : ١٢]، أي:" وفيها الحب ذو القشر؛ رزقًا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة"[٤].

قال الطبري:" الحبّ: هو حبّ البُرّ والشعير ذو الورق"[٥].

قال الضحاك:" الحبّ: البّر والشعير"[٦].

عن سعيد بن جبير:" {وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ}، البقل من الزرع"[٧].

قال الفراء:" العصف، فيما ذكروا: بقل الزرع لان العرب تَقُولُ: خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا مِنْهُ شيئًا قبل أن يدرك فذلك العصف"[٨].

عن أبي مالك قوله: "{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ}، قال: الحب أول ما ينبت"[٩].

وفي «العصف»، ثلاثة أقوال :

أحدها : تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الريح، قاله ابن عباس[١٠]، والضحاك[١١]، وقتادة[١٢].

قال الضحاك:" العصف: التِّبن"[١٣].

قال قتادة:" عصفه تبنه"[١٤].

قال ابن عباس:" العصف: الزرع"[١٥].

قال ابن عباس:" العصف: ورق الزرع الأخضر الذي قطع رءوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس"[١٦].

وقال مجاهد:" العصف: الورق من كل شيء. قال: يقال للزرع إذا قُطع: عصافة، وكلّ ورق فهو عصافة"[١٧].

قال الزجاج:" {ذُو الْعَصْفِ}: ذو الورق"[١٨].

قال ابن قتيبة:" {الْعَصْفِ} ورق الزرع؛ ثم يصير -إذا جَفَّ ودَرَس- تبنًا"[١٩].

الثاني : أن العصف: هو الحب من البرّ والشعير بعينه. قاله الضحاك-أيضا-[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان : ١٩٦/٤.
(٢) غريب القرآن: ٤٣٦-٤٣٧.
(٣) معاني القرآن: ٩٧/٥.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٥) تفسير الطبري: ١٧/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.
(٨) معاني القرآن: ١١٣/٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣، ١٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.
(١٨) معاني القرآن: ٩٧/٥.
(١٩) غريب القرآن: ٤٣٧.

الثالث : أنه حب المأكول منه، قاله الضحاك[٢]، كما قال تعالى : {كَعَصْفٍ مَأْكُول} [الفيل : ٥].
وأما «الريحان»، ففيه وجوه:
أحدها : أنه الرزق، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، والضحاك[٥].
قال ابن عباس:" كلّ ريحان في القرآن فهو رزق"[٦].
عن الضحاك: "{وَالرَّيْحَانُ}: الرزق، ومنهم من يقول: ريحاننا"[٧].
وقال الضحاك في رواية:" الرزق والطعام"[٨].
قال مقاتل:" يعني: الرزق -بلسان حمير- الذي يخرج من الحب من دقيق أو سويق أو غيره"[٩].
قال الفراء:" {وَالرَّيْحَانُ}: هُوَ رزقه"[١٠].
قال ابن قتيبة:" {وَالرَّيْحَانُ} الرزق؛ يقال: خرجت أطلب ريحان الله. قال النَّمِر بن تَوْلَبٍ[١١]:
سلامُ الإلهِ ورَيْحَانُهُ ... ورَحْمَتُه وسَماءٌ دِرَرْ"[١٢].
قال الزجاج:" {وَالرَّيْحَانُ}: والرزق، العرب تقول: سبْحَانَ اللَّه وَرَيْحانه، قال أهل اللغة: معناه: واسترزاقه"[١٣].
الثاني : أن الريحان الزرع الأخضر الذي لم يسنبل ، قاله ابن عباس[١٤].
قال ابن عباس:" الريحان حين يستوي على سوقه ولم يسنبل"[١٥].
الثالث : أنه الريحان الذي يشم ، قاله ابن عباس-أيضا-[١٦]، والحسن[١٧]، وابن زيد[١٨].
قال الحسن:" أما الريحان فما أنبتت الأرض من ريحان"[١٩].
عن الحسن: "{وَالرَّيْحَانُ}، قال: ريحانكم"[٢٠].
قال ابن زيد:" الرياحين التي توجد ريحها"[٢١].
الرابع : أن الريحان: خُضرة الزرع. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٤. عن الضحاك: "{كَعَصْفٍ مَأْكُول}- قال: كزرع مأكول".
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩/٢٣-٢٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣-٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣-٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٦/٤.
(١٠) معاني القرآن: ١١٣/٤.
(١١) البيت في ديوان النمر بن تولب ص ٣٤٥، ولسان العرب (روح) ، (درر) ، والتنبيه والإيضاح ١/ ٢٤٣، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٢١، والمخصص ١٢/ ٢٧٥، ١٧/ ١٦٤، وتاج العروس (روح) ، (درر) ، والبيت بلا نسبة في ديوان الأدب ٣/ ٤٧، ٣٨٣.
(١٢) غريب القرآن: ٤٣٧.
(١٣) معاني القرآن: ٩٧/٥.
(١٤) انظر: الدر المنثور: ٦٩٣/٧، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وانظر: النكت والعيون: ٤٢٦/٥.
(١٥) الدر المنثور: ٦٩٣/٧، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣.
(٢١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٣.

الخامس : أنه ما قام على ساق. وهذا قول سعيد بن جبير[١].
السادس : أن العصف المأكول من الحب، والريحان: الصحيح الَّذِي لم يؤكل. حكاه الفراء[٢]، والطبري[٣].

قال أبو عبيدة:" الريحان الحبّ منه الذي يؤكل، يقال: سبحانك وريحانك أي: رزقك"[٤].

وحكي الماوردي عن الكلبي: "أن العصف الورق الذي لا يؤكل، والريحان هو الحب المأكول"[٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي به الرزق، وهو الحبّ الذي يؤكل منه، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الحبّ أنه ذو العصف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالريحان، أن يكون حبه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب رَيْحان الله ورزقه، ويقال: سبحانَك وريحانَك: أي: ورزقك"[٦].

قال ابن كثير:" معنى هذا - والله أعلم - أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو : ما على السنبلة، وريحان، وهو : الورق الملتف على ساقها"[٧].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)} [الرحمن : ١٣]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما الدينية والدنيوية -يا معشر الجن والإنس- تكذِّبان؟

قال الطبري: يقول :" فبأيّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم تكذّبان"[٨].

قال مقاتل:" يعني: فبأي نعماء ربكما تكذبان بأنها ليست من الله- تعالى-"[٩].

قال ابن قتيبة:" «الآلاء»: النعم. واحدها «ألًى» "[١٠].

قال الزجاج:" أي: فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها منعم بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم والوصلة إلى حياتكم، والآلاء واحدها: أَلًى وَإِلْيٌ، وكل ما في السورة من قوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، فمعناه على ما فسَّرْناه، فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"[١١].

قال ابن كثير:" أي : فبأي الآلاء - يا معشر الثقلين، من الإنس والجن - تكذبان؟ أي : النِّعَمُ ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون : «اللهم، ولا بشيء من آلائك ربنا نكذِّب، فلك الحمد»"[١٢].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٣].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٣.
(٢) انظر: معاني القرآن: ١١٤/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٣-٢٢.
(٤) مجاز القرآن: ٢٤٣/٢.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٢٦/٥.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/٢٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩١/٧.
(٨) تفسير الطبري: ٢٢/٢٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٦/٤.
(١٠) غريب القرآن: ٤٣٧.
(١١) معاني القرآن: ٩٨/٥.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٩١/٧.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

قال ابن عباس:" يقول: فبأيّ نعمة الله تكذّبان"[٢].
عن ابن عباس، في قوله: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، قال:" لا بأيتها يا ربّ"[٣].
عن ابن عباس:" أنه كان إذا قرأ: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، قال: لا بأيتها ربنا"[٤].
قال ابن زيد:" الآلاء: القدرة، فبأيّ آلائه تكذّب خلقكم كذا وكذا، فبأيّ قُدرة الله تكذّبان أيها الثَّقَلان، الجنّ والإنس"[٥].
عن ابن عمر، قال: "إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قرأ سورة الرحمن، أو قُرئت عنده، فقال "ما لِيَ أَسْمَعُ الجنّ أَحْسَنَ جَوَابا لِرَبِّها مِنْكُمْ؟ " قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: "ما أَتَيْتُ على قَوْلِ اللهِ: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}؟ إلا قالت الجنّ: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنا نُكَذّبُ"[٦].
عن أسماء بنت أبي بكر قالت : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ، وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يستمعون: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}"[٧].
فوائد الآيات: [١-١٣]:
١- الرحمن مثل اسم الله لا يصح أن يطلق على غير الرب تبارك وتعالى، فيقال فلان عزيز أو رحيم أو عليم أو حكيم، ولكن لا يقال رحمان، كما لا يقال إله أو الإله أو الله.
٢- ورد في الصحيح في فضل تعلم القرآن وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيركم من تعلم القرآن وعلمه.
٣- وجوب إقامة العدل والتواصي به، ومراقبة الموازين لدى التجار وإصلاح فاسدها.
٤- وجوب شكر الله على آلائه.
٥- استحباب قول: «لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد»، عند سماع قراءة: {فبأي آلاء ربكما تكذبان}. وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فكلما مر بهذه الآية، قالوا: «ولا بشيء من آلائك ربَّنا نكذب، فلك الحمد»، وهكذا ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يُقرَّ بها، ويشكر الله ويحمده عليها.
٦- مشروعية تعلم علم الفلك لمعرفة القبلة ومواقيت الصلاة والصيام والحج.

القرآن
{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥)} [الرحمن :١٤-١٥]
التفسير:
خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالفَخَّار، وخلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط بعضه ببعض.
قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن : ١٤]، أي:" خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالفَخَّار"[٨].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار، يعني أنه من يُبسه وإن

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٧)المسند (٣٤٩/٦).
(٨) التفسير الميسر: ٥٣١.

لم يكن مطبوخا، كالذي قد طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار"[١].

وفي قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن : ١٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه الطين اليابس الذي لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ، قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، وبه قال الطبري[٥]، ومنه قول الشاعر[٦]:

وقاعٍ ترى الصَّلصال فيه ودونه ... بقايا بلالٍ بالقرى والمناكبِ

عن ابن عباس، قوله: "{خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}، يقول: الطين اليابس"[٧].

قال ابن عباس:" الصلصال: التراب المدقق"[٨].

قال ابن عباس:" هو من الطين الذي إذا مطرت السماء فيبست الأرض كأنه خزف رقاق"[٩].

عن قتادة: "{خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}، قال: من تراب يابس له صلصلة"[١٠].

عن قتادة، في قوله: "{مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}، قال: من طين له صلصلة كان يابسا، ثم خلق الإنسان منه"[١١].

قال مجاهد:" الصلصال: التراب اليابس الذي يُسمع له صلصلة فهو كالفخار، كما قال الله عزّ وجلّ"[١٢].

قال الماوردي: "«الصلصة»: الصوت الشديد المسموع من غير الحيوان، وهو مثل القعقعة في الثوب"[١٣].

قال أبو عبيدة:" «الصلصال»: الطّين اليابس لذى لم تصبه نار فإذا نقرته صلّ فسمعت له صلصلة فإذا طبح بالنار فهو فخّار وكل شيء له صلصلة، صوت فهو صلصال سوى الطين، قال الأعشى[١٤]:

عنتريس تعدو إذا حرّك السّو ... ط كعدو المصلصل الجوال"[١٥].

قال الزجاج:" الصلصال الطين اليابس الذي يصل ليبسه، ومعنى يصل يصوت، قال الشاعر:

رجعت إلى صدر كجرة حنتم إذا قرعت صفرا من الماء صلت"[١٦].

وقال الضحاك:" طين صُلب يخالطه الكثيب"[١٧].

وقال مجاهد:" التراب اليابس"[١].. وقال "الصلصال: الذي يصلصل، مثل الخَزَف من الطين الطيب"[٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤/٢٣.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٧٢)، و(١٢٣٧٤):ص٢٢٦٣/٧، وتفسير الطبري:٩٥/١٧-٩٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/٢٣.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٧٥):ص٢٢٦٣/٧، وتفسير الطبري:٩٦/١٧، و ٢٥/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٣.
(٦) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٥٧/٣، وتفسير السمعاني:١٣٧/٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٣) النكت والعيون:١٥٧/٣.
(١٤)ديوانه ٨- والكامل ٤٨٩، واللسان والتاج (صلصل) . وقال ثعلب:
روى أبو عبيدة السوط وروى «إذا حرك الصوت» (شرح الديوان).
(١٥) مجاز القرآن:٣٥٠/١-٣٥١.
(١٦) معاني القرآن:١٧٨/٣.
(١٧) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.

الثاني : أنه طين خلط برمل، قاله ابن عباس –أيضا-[٣]، وعكرمة[٤]. وبه قال الفراء[٥].
قال عكرمة:" الصلصال: طين خُلط برمل فكان كالفخار"[٦].
الثالث : أنه الطين المنتن، قاله مجاهد[٧]، مأخوذ من قولهم : «صَلَّ اللحمُ وأصَلَّ»، إذا أنتن، قال قال الشاعر[٨]:
ذَاكَ فَتًى يَبْذُلُ ذَا قِدْرِهِ ... لَا يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُولُ
وقال ابن زيد:" يبس آدم في الطين في الجنة، حتى صار كالصلصال، وهو الفخار، والحمأ المسنون: المنتن الريح"[٩].
الرابع: أنه الطين تعصره بيدك فيخرج الماء من بين أصابعك. قاله ابن عباس- أيضا-[١٠].
عن ابن عباس: "{خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}، قال: ما عصر فخرج من بين الأصابع"[١١].
قال ابن عباس :" خلق الله آدم من طين لازب، واللازب: اللَّزج الطيب من بعد حمأ مسنون مُنْتن، قال: وإنما كان حمأ مسنونا بعد التراب، قال: فخلق منه آدم بيده، قال: فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوّت، قال: فهو قول الله تعالى: {كَالْفَخَّارِ}، يقول: كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت"[١٢].
قال عبد الله بن سلام : "خلق الله آدم من تراب من طين لازب ، فتركه كذلك أربعين سنة ، ثم صلصله كالفخار أربعين سنة ، ثم صوره فتركه جسداً لا روح فيه أربعين سنة ، فذلك مائة وعشرون سنة ، كل ذلك والملائكة تقول سبحان الذي خلقك ، لأمر ما خلقك"[١٣].
قوله تعالى:{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ١٥]، أي:" وخلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط بعضه ببعض"[١٤].
قال الطبري: يقول:" وخلق الجانّ من مارج من نار، وهو ما اختلط بعضه ببعض، من بين أحمر، وأصفر وأخضر من قولهم: مَرج أمر القوم: إذا اختلط، ومن قول النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لعبد الله بن عمرو :«كَيْفَ بِكَ إذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأماناتُهُمْ! وَذلكَ هُوَ لَهَبُ النَّارِ وَلِسانُهُ»"[١٥].
وفي قوله تعالى:{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ١٥]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه لهب النار، قاله ابن عباس[١٦]، والحسن[١٧]، وقتادة[١٨]، وعكرمة[١]، والضحاك[٢].
والضحاك[٢].

---

(١) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.
(٢) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٧٣):ص٢٢٦٣/٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/٢٣.
(٥) انظر: معاني القرآن:٨٨/٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(٧) انظر:تفسير الطبري:٩٧/١٧.
(٨) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٥٧/٣، وللحطيئة في تفسير القرطبي: ٢١/١٠، وفتح القدير للشوكاني: ١٥٥/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٧٦):ص٢٢٦٣/٧.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٣.
(١٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٢٨/٥.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٣١.
(١٥) تفسير الطبري: ٢٥/٢٣-٢٦.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.

قال ابن عباس:" يقول: خلقه من لهب النار، من أحسن النار"[٣].
عن ابن عباس، في قوله: "{مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}، قال: من أوسطها وأحسنها"[٤].
قال ابن عباس:" يقول: خالص النار"[٥].
قال ابن عباس:" خلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت"[٦].
قال عكرمة:" من أحسن النار"[٧].
قال الضحاك:" أحسن النار"[٨]. وفي رواية:" من لهب النار"[٩].
قال قتادة والحسن:" أي: من لهب النار"[١٠].
قال ابن زيد:" المارج: اللهب"[١١].
قال ابن كثير: {مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}" هو : طرف لهبها"[١٢].
الثاني : من خلط من النار ، قاله أبو عبيدة[١٣].
الثالث : أنه اللهب الأخضر والأصفر والأحمر الذي يعلو النار إذا أوقدت ويكون بينها وبين الدخان ، قاله مجاهد[١٤].
قال مجاهد:" هو اللهب المنقطع الأحمر"[١٥].
عن مجاهد، في قوله: {مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}، قال: "اللهب الأصفر والأخضر[١٦]، الذي يعلو النار إذا أوقدت"[١٧].
قال مجاهد:" الحمرة التي تكون في طرف النار"[١٨].
الرابع : أنها النار المرسلة التي لا تمتنع ، قاله المبرد[١٩].
الخامس : أنها النار المضطربة التي تذهب وتجيء ، وسمي مارجاً لاضطرابه وسرعة حركته. حكاه الماوردي[٢٠].
وفي الجان المخلوق من مارج من نار قولان :
أحدهما : أنه إبليس، قاله الحسن[٢١]، وقتادة[٢٢]، وبه قال ابن جرير الطبري[٢٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٧.
(١٣) انظر" مجاز القرآن: ٢٤٣/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦) وفي رواية:" والأحمر". انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٣
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(١٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٧):ص١٩/١.
(١٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٢٨/٥.
(٢٠) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٢٨/٥.
(٢١) انظر: النكت والعيون:١٥٨/٣.
(٢٢)انظر: تفسير الطبري:٩٩/١٧.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري:٩٩/١٧.

الثاني : أنه أبو الجن، قاله أبو فروة يعقوب عن مجاهد[١]، وبه قال الكلبي[٢].

قال ابن عباس:" كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة. قال: وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا في القرآن من مارج من نار"[٣].

وقال ابن عباس : "الجان أبو الجن وليسوا شياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس . والجن يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر"[٤].

عن وهب بن منبه:" وسئل عن الجنّ ما هم، وهل يأكلون أو يشربون، أو يموتون، أو يتناكحون؟ قال: هم أجناس، فأما خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون. ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون، وهي هذه التي منها السعالِي والغُول وأشباه ذلك"[٥].

وفي النار التي خلق من مارجها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها من النار الظاهرة بين الخلق ، حكاه الماوردي عن الأكثرين[٦].

الثاني : من نار تكون بين الجبال من دون السماء وهي كالكلة الرقيقة ، قاله الكلبي[٧].

الثالث : من نار دون الحجاب، ومنها هذه الصواعق وترى جلد السماء منها ، ذكره الفراء[٨].

قال الفراء:" المارج: نار دون الحجاب- فيما ذكر الكلبي- منها هَذِهِ الصواعق، ويُرى جلد السماء منها"[٩].

عن عائشة، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[١٠].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦)} [الرحمن : ١٦]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -يا معشر الإنس والجن- تكذِّبان؟

قال الطبري: يقول:" فبأيّ نعمة ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان؟"[١١].

قال القاسمي:" أي مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم، ومما أظهره لكما بالقرآن"[١٢].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٣].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١٤].

القرآن

{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧)} [الرحمن : ١٧]

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٢٩/٥.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٥٨/٣.
(٣) أخرجه الطبري:١٠٠/١٧.
(٤) النكت والعيون:١٥٧/٣، وتفسير القرطبي:٢٥/١٠.
(٥) أخرجه الطبري:١٠٠/١٧.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٢٩/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٢٩/٥.
(٨) انظر: معاني القرآن: ١١٥/٣.
(٩) انظر: معاني القرآن: ١١٥/٣.
(١٠)المسند (١٦٨/٦) وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٦).
(١١) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٢) محاسن التأويل: ١٠٤/٩.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

التفسير:
هو سبحانه وتعالى ربُّ مشرقَي الشمس في الشتاء والصيف، ورب مغربَيها فيهما، فالجميع تحت تدبيره وربوبيته.

قوله تعالى:{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ} [الرحمن : ١٧]، أي:" هو سبحانه وتعالى ربُّ مشرقَي الشمس في الشتاء والصيف"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ذلكم أيها الثقلان {رَبُّ} مشرق الشمس في الشتاء، ومشرقها في الصيف"(٢).

قوله تعالى:{وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن : ١٧]، أي:" هو سبحانه وتعالى ربُّ مغربي الشمس صيفًا وشتاء"(٣).

قال الطبري:" يعني: وربّ مغرب الشمس في الشتاء، ومغربها في الصيف"(٤).

قال ابن كثير في الآية:" يعني : مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء. وقال في الآية الأخرى :{فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج : ٤٠]، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس. وقال في الآية الأخرى :{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا} [المزمل : ٩]. وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب"(٥).

عن مجاهد، قوله: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}، قال: "مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه"(٦).

قال قتادة:" فمشرقها في الشتاء، ومشرقها في الصيف"(٧).

قال قتادة:" مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه"(٨).

قال القرظي:" مغرب الشتاء، ومغرب الصيف، ومشرق الشتاء، ومشرق الصيف(٩).

قال ابن زيد:" أقصر مشرق في السنة، وأطول مشرق في السنة، وأقصر مغرب في السنة، وأطول مغرب في السنة"(١٠).

عن ابن أبزى، قوله: "{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}، قال: مشارق الصيف ومغارب الصيف، مشرقان تجري فيهما الشمس ستون وثلاث مئة في ستين وثلاث مئة بُرْج، لكلّ برج مطلع، لا تطلع يومين من مكان واحد. وفي المغرب ستون وثلاث مئة برج، لكل برج مغيب، لا تغيب يومين في برج"(١١).

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨)} [الرحمن : ١٨]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(٣) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٤) تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٧.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(٩) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(١٠٩):ص٥٥/٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١].

قال الطبري: "يقول: فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التي أنعم بها عليكم من تسخيره الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين تجري لكما دائبة بمرافقكما، ومصالح دنياكما ومعايشكما تكذّبان"[٢].

قال ابن كثير :" ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب، مصالح للخلق من الجن والإنس قال :{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}؟"[٣].

قال المراغي:" أي فبأي نعمة من هذه النعم تكذبان؟ أفتنكران الأمطار وفوائدها؟ أم تنكران ما لاختلاف الفصول من منافع، فبها تختلف صنوف المزروعات من صيفية إلى شتوية، أم تنكران ما لاختلاف الأجواء من مزايا في تنظيم مزاج الإنسان والحيوان"[٤].

القرآن

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠)} [الرحمن : ١٩-٢٠]

التفسير:

خلط الله ماء البحرين -العذب والملح- متلاقيين، لا فاصل بينهما في مرأى العين، ومع ذلك بينهما حاجز، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ويذهب بخصائصه، بل يبقى العذب عذبًا، والملح ملحًا مع تلاقيهما.

قوله تعالى:{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} [الرحمن : ١٩]، أي:" أرسل البحر الملح والبحر العذب يتجاوران يلتقيان ولا يمتزجان"[٥].

قال الطبري: يقول:" أرسل وخلى ربّ المشرقين وربّ المغربين البحرين يلتقيان، يقال: مرج فلان دابته: إذا خلاها وتركها"[٦].

قال أبو عبيدة:" مرجت دابتك، خليت عنها وتركتها"[٧].

عن ابن عباس، قوله: "{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ}، يقول: أرسل"[٨].

واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله جلّ ثناؤه في هذه الآية، على أقوال:

أحدها: أنهما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض. قاله ابن عباس[٩]، وابن أبزى[١٠]، وسعيد بن جبير[١١]. وبه قال الطبري[١٢].

قال ابن عباس:" بحر في السماء والأرض يلتقيان كل عام"[١٣].

الثاني: أنهما بحر فارس وبحر الروم. قال قتادة[١٤].

وقال الحسن:" بحر الروم، وبحر فارس واليمن"[١٥].

وقال قتادة:" بحر فارس وبحر الروم وبحر المشرق وبحر المغرب"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٢٨/٢٣-٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٧.
(٤) تفسير المراغي: ١١٢/٢٧.
(٥) صفوة التفاسير: ٢٧٨/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢٩/٢٣.[بتصرف]
(٧) مجاز القرآن: ٢٤٣/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٣.

الثالث : أنه البحر المالح والأنهار العذبة ، قاله ابن جريج[٢]. وبه قال ابن كثير[٣].
الرابع : أنه بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما. حكاه الماوردي[٤].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني به بحر السماء، وبحر الأرض، وذلك أن الله قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}، واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطْرْ ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء"[٥].
قال ابن كثير :" المراد بقوله :{البحرين} الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس. وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة «الفرقان» عند قوله تعالى :{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٥٣]، قال ابن جرير : لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض. وهذا وإن كان هكذا ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يساعده اللفظ ؛ فإنه تعالى قد قال :{بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ}، أي : وجعل بينهما برزخا، وهو : الحاجز من الأرض، لئلا يبغي هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه. وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا "[٦].
قوله تعالى:{بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} [الرحمن : ٢٠]، أي:" بينهما حاجزٌ من قدرة الله تعالى لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة"[٧].
قال الطبري:" بينهما حاجز وبعدٌ، لا يُفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، وما بين الدنيا والآخرة برزخ"[٨].
قال أبو عبيدة:" ما بين كل شيئين برزخ وما بين الدنيا والآخرة برزخ"[٩].
وفي «البزخ» الذي بينهما، أربعة أقوال:
أحدها : أنه حاجز، قاله ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١].
عن ابن عباس، قوله: "{بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ}، يقول: حاجز"[١٢].
قال مجاهد:" بينهما حاجز من الله، لا يبغي أحدهما على الآخر"[١٣].
قال ابن كثير :" أي : وجعل بينهما برزخا، وهو : الحاجز من الأرض، لئلا يبغي هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه"[١٤].
الثاني : أنه عرض الأرض ، قاله مجاهد-أيضا-[١٥]، وابن زيد[١٦].

---

(١) الدر المنثور: ٦٩٦/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٢٩/٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٧.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥.
(٥) تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٧-٤٩٣.
(٧) صفوة التفاسير: ٢٧٨/٣.
(٨) تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.
(٩) مجاز القرآن: ٢٤٣/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٣.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٧-٤٩٣.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.

وقال ابن زيد:" منعهما أن يلتقيا بالبرزخ الذي جعل بينهما من الأرض. قال: والبرزخ بعد الأرض الذي جعل بينهما"[١].

الثالث : أنه ما بين السماء والأرض ، قاله عطية[٢]، والضحاك[٣].

الرابع : أنه الجزيرة التي نحن عليها وهي جزيرة العرب ، قاله الحسن[٤]، وقتادة[٥].

قال قتادة:" والبرزخ: هذه الجزيرة، هذا اليبَس"[٦].

قال قتادة:" البرزخ الذي بينهما: الأرض التي بينهما"[٧].

قال قتادة:" حُجِز المالح عن العذب، والعذب عن المالح، والماء عن اليبس، واليبس عن الماء، فلا يبغي بعضه على بعض بقوتّه ولطفه وقُدرته"[٨].

عن الحسن:" {بينهما برزخ}، قال: أنتم البرزخ {لا يبغيان} عليكم فيغرقانكم"[٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَّا يَبْغِيَانِ} [الرحمن : ٢٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها : لا يختلطان، قاله مجاهد[١٠].

الثاني : لا يبغي أحدهما على صاحبه، قاله ابن أبزى[١١]، ومجاهد[١٢]، وقتادة[١٣].

وروي عن قتادة، قوله: "{لا يَبْغِيانِ}: على اليبس، وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي، فحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى"[١٤].

الثالث : لا يبغي أحدهما أن يلتقي مع صاحبه، قاله ابن زيد[١٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان، ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء، بل عمّ الخبر عنهما بذلك، فالصواب أن يُعَمَّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: إنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حدّ الله الذي حدّه لهما"[١٦].

وقال سهل : " أحد البحرين القلب، فيه أنواع الجواهر: جوهر الإيمان وجوهر المعرفة وجوهر التوحيد وجوهر الرضى وجوهر المحبة وجوهر الشوق وجوهر الحزن وجوهر الفقر وغيرها والبحر الآخر النفس. قوله تعالى: {بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيان}، وهو العصمة والتوفيق"[١٧].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١)} [الرحمن : ٢١]

التفسير:

---

(١) أخرجه الطبري: ٣١/٢٣.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥، والدر المنثور: ٦٩٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣١/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣١/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١/٢٣.

(٩) الدر المنثور: ٦٩٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣-٣٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٢/٢٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢/٢٣.

(١٦) تفسير الطبري: ٣٢/٢٣.

(١٧) تفسير التستري: ١٥٩.

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢].

قال الطبري: يقول:" فبأيّ نعم الله ربكما معشر الجنّ والإنس تكذّبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مَرْجه البحرين، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك"[٣].

قال القاسمي:" أي: مما في البحرين وخلقهما من الفوائد"[٤].

قال المراغي:" أي فبأي هذه المنافع تكذبان؟ إذ لو بغى الملح على العذب لم نجد ماء للشرب ولا لسقى الحيوان والنبات ولم نجد ما نقتات به فنهلك جوعا، ولو بغى العذب على الملح لم نجد ما يصلح الهواء ويمنع عاديات الجراثيم التي فيه"[٥].

القرآن

{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢)} [الرحمن : ٢٢]

التفسير:

يخرج من البحرين بقدرة الله اللؤلؤ والمَرْجان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يخرج من هذين البحرين اللذين مرجهما الله، وجعل بينهما برزخا اللؤلؤ والمرجان"[٦].

قال ابن كثير:" أي : من مجموعهما، فإذا وجد ذلك لأحدهما كفى، كما قال تعالى :{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} [الأنعام : ١٣٠]، والرسل إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن، وقد صح هذا الإطلاق. واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقيل : هو صغار اللؤلؤ"[٧].

قال ابن عباس:" إن السماء إذا أمطرت، فتحت الأصداف أفواهها، فمنها اللؤلؤ"[٨].

قال ابن عباس:" إذا نزل القطر من السماء، تفتَّحت الأصداف فكان لؤلؤا"[٩].

قال ابن عباس:" إن السماء إذا أمطرت تفتحت لها الأصداف، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ"[١٠].

قال عكرمة:" ما نزلت قطرة من السماء في البحر إلا كانت بها لؤلؤة أو نبتت بها عنبرة"[١١].

واختلف أهل التفسير في صفة اللؤلؤ والمرجان، على أقوال:

أحدها: اللؤلؤ: ما عظم من الدر، والمرجان: ما صغُر منه. قاله ابن عباس[١٢]، وقتادة[١٣]، والضحاك[١٤]، وابن زيد[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٣) تفسير الطبري: ٣٢/٢٣.

(٤) محاسن التأويل: ١٠٥/٩.

(٥) تفسير المراغي: ١١٣/٢٧.

(٦) تفسير الطبري: ٣٣/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٣-٣٦.

(٩) اخرجه الطبري: ٣٥/٢٣-٣٦.

(١٠) اخرجه الطبري: ٣٥/٢٣-٣٦.

(١١) اخرجه الطبري: ٣٥/٢٣-٣٦.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٣.

قال الضحاك:" أما المرجان: فاللؤلؤ الصغار، وأما اللؤلؤ: فما عظُم منه"[١].

قال قتادة:" أما اللؤلؤ فعظامه، وأما المرجان فصغاره، وإن لله فيهما خزانة دلّ عليها عامة بني آدم، فأخرجوا متاعا ومنفعة وزينة، ويُبلغه إلى أجل"[٢].

روي عن كعب الأحبار يُسأل عن المرجان، فقال: "هو البُسَّذ. قال أبو جعفر: البُسَّذ له شُعَب، وهو أحسن من اللؤلؤ"[٣].

قال السدي:" وهو البُسَّذ بالفارسية"[٤].

قال السمعاني:" البُسَّذ جوهر معروف"[٥].

قال أبو عبيدة:" المرجان: صغار اللؤلؤ واحدتها: مرجانة، وإنما يخرج اللؤلؤ من أحدهما فخرج مخرج: أكلت خبزا ولبنا"[٦].

الثاني: أن المرجان من اللؤلؤ: الكبار، واللؤلؤ منها: الصغار. قاله ابن عباس -أيضا-[٧]، ومجاهد[٨]، ومرّة[٩].

قال مجاهد:" المرجان، قال: ما عظم من اللؤلؤ"[١٠].

قال ابن عباس:" المرجان: عظيم اللؤلؤ"[١١].

الثالث: أن المرجان: جيد اللؤلؤ. قاله مرّة –أيضا-[١٢].

عن موسى بن أبي عائشة، قال: "سألت مرّة عن اللؤلؤ والمرجان قال: المرجان: جيد اللؤلؤ"[١٣].

الرابع: أن المرجان: حجر. قاله ابن مسعود[١٤].

قال الطبري:" والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحبّ، وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعونه أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ. قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم، والله أعلم بصواب ذلك"[١٥].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)} [الرحمن : ٢٣]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال المراغي:" أي: فبأي هذه النعم تكذبان؟"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٣-٣٤.

(٤) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٤٩٣/٧.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٢٧/٥.

(٦) مجاز القرآن: ٢٤٤/٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(١٥) تفسير الطبري: ٣٤/٢٣-٣٥.

(١٦) تفسير المراغي: ١١٣/٢٧.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم بها عليكم فيما أخرج لكم من منافع هذين البحرين تكذّبان"[١].
قال ابن كثير:" ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض، امتن بها عليهم فقال :{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}"[٢].

القرآن
{وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤)} [الرحمن : ٢٤]
التفسير:
وله تعالى ملك تسخير السفن الضخمة التي تجري في البحر بمنافع الناس، رافعة سواريها وأشرعتها كالجبال.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولربّ المشرقين والمغربين الجواري، وهي السفن الجارية في البحار كالجبال، شبَّه السفن بالجبال، والعرب تسمي كل جبل طويل علما"[٣].
قال ابن أبي زمنين:" يعني: السفن التي عليها شرعها، وهي القلع، ومعنى المنشآت: التي أنشئن، والأعلام: الجبال"[٤].
قال ابن كثير:" يعني : السفن التي تجري في البحر كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، مما فيه من صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع"[٥].
قال السعدي:" أي: وسخر تعالى لعباده السفن الجواري، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الآدميون، فتكون من كبرها وعظمها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون عليها أمتعتهم وأنواع تجاراتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم وضرورتهم، وقد حفظها حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة"[٦].
قال الشوكاني:" المراد بالجوار: السفن الجارية في البحر، والمنشآت: المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بضع وركب، حتى ارتفعت وطالت، حتى صارت في البحر كالأعلام، وهي الجبال، والعلم: الجبل الطويل"[٧].
قال أبو عبيدة:" {الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ}: المجريات المرفوعات، {كَالْأَعْلَامِ} كالجبال قال جرير يصف الإبل[٨]:
إذا قطعن علما بدا علم"[٩].
قال الزجاج:" معنى «المنشئآت» المرفوعات الشُّرُع. و«المنشئَات» على معنى: الحاملات الرافعات الشرع، ومعنى {كالأعلام}: كالجبال"[١٠].
عن قتادة: "{وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ}، يعني: السفن"[١١]. وروي عن ابن زيد مثله[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٦/٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٧.
(٣) تفسير الطبري: ٣٦/٢٣-٣٧.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٢٩/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٧.
(٦) تفسير السعدي: ٨٣٠.
(٧) فتح القدير: ١٦٢/٥.
(٨)من أرجوزة له في ديوانه٥٢٠, وبعده:
فهن بحثا كمضلات الخدم.
(٩) مجاز القرآن: ٢٤٤/٢.
(١٠) معاني القرآن: ١٠٠/٥.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧/٢٣.

عن مجاهد، قوله: "{الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ}، قال: ما رفع قلعه من السفن فهي منشئات، وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة"[١].

قال الزمخشري:" الأعلام: جمع: علم، وهو الجبل الطويل"[٢].

عن عميرة بن سعد قال : "كنت مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها، فبسط على يديه ثم قال : يقول الله عز وجل :{وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأعْلامِ}. والذي أنشأها تجري في بحر من بحوره ما قتلتُ عثمان، ولا مالأت على قتله"[٣].

قرأ إبراهيم النخعي، والضحاك:" «المُنشِآتُ»، قال: أي: الفاعلات"[٤][٥].

عن عاصم، أنه قرأها على الوجهين:" {المُنشَآتُ}، و «المُنشِآتُ» بكسر الشين وفتحها"[٦].

عن سليمان بن مهران الأعمش:" أنه كان يقرؤها: «المُنشِآتُ»، يعني: الباديات"[٧].

قرأ حمزة وأبو بكر :«المنشئات»، بكسر الشين، والباقون بفتحها[٨].

قال الزمخشري:" وقرئ بكسر الشين: وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ"[٩].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥)} [الرحمن : ٢٥]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٠].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم، بإجرائه الجواري المنشئات في البحر جارية بمنافعكم- تكذّبان"[١٢].

قال القاسمي:" أي: نعمه التي أنعم بها في هذه الجواري"[١٣].

قال الشوكاني:" فإن ذلك من الوضوح والظهور بحيث لا يمكن تكذيبه ولا إنكاره"[١٤].

قال المراغي:" أي فبأي هذه النعم تكذبان- أبخلق مواد السفن أم بكيفية تركيبها، أم بإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر عليها غيره سبحانه. أي عبادي، هل ظننتم أن مجرد الإيمان كاف لكم في شكر هذه النعم، فهل خلقت الشمس والقمر والنجم والشجر والزرع والحب،

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٣.

(٢) الكشاف: ٤٤٦/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٣٥):ص٣٣٢٤/١٠، وكما في تفسي ابن كثير: ٤٩٤/٧.

(٤) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وانظر: كتاب السبعة لابن مجاهد ٦٢٠، والبحر المحيط ٨/ ١٩١، وتيسير الداني ١٦٧.

(٥)قال الزمخشري:" وقرئ بكسر الشين: وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ". [الكشاف: ٤٤٦/٤].

(٦) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٨)انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٦٢٠، والبحر المحيط ٨/ ١٩١، وتيسير الداني ١٦٧.

(٩) الكشاف: ٤٤٦/٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٨/٢٣.

(١٣) محاسن التأويل: ١٠٥/٩.

(١٤) فتح القدير: ١٦٢/٥.

والأنهار والبحار، والدر والمرجان لقوم لا يعقلون، أو خلقتها لقوم يقبلون منى النعمة، وكيف يقبلونها دون أن يعرفوها؟"[١].

فوائد الآيات: [١٤-٢٥]:

١- بيان أصل خلق الإنسان والجان فالأول من طين لازب ذي صلصال كالفخار والثاني من مارج من نار وأخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن خلق الملائكة كان من نور.

عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[٢].

٢- معرفة مطالع الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف وهما مطلعان ومغربان.

٣- معرفة صناعة اللؤلؤ والمرجان, والسفن التي هي في البحر كالجبال علواً وظهوراً.

٤- وجوب شكر الرحمن على إنعامه على الإنس والجان.

القرآن

{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)} [الرحمن :]

التفسير:

كل مَن على وجه الأرض مِن الخلق هالك، ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والفضل والجود.

قوله تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن : ٢٦]، أي:" كل مَن على وجه الأرض مِن الخلق هالك"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك"[٤].

قال السمعاني:" أي: كل من على الأرض هالك"[٥].

قال الشوكاني:" أي: كل من على الأرض من الحيوانات هالك، وغلب العقلاء على غيرهم، فعبر عن الجميع بلفظ من، وقيل: أراد من عليها من الجن والإنس"[٦].

قال مقاتل:" فلما نزلت هذه الآية قالت الملائكة الذين في السماء: هلك أهل الأرض، العجب لهم كيف تنفعهم المعيشة! حتى أنزل الله- تعالى- في القصص :{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه} [القصص : ٨٨]، يعني: كل شيء من الحيوان في السموات والأرض يموت إلا وجهه، يقول: إلا الله، فأيقنوا عند ذلك كلهم بالهلاك"[٧].

قوله تعالى:{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٢٧]، أي:" ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والفضل والجود"[٨].

قال الطبري: يقول :"ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام"[٩].

قال السمعاني:" أي: يبقى ربك، {ذو الجلال}، أي: الكبرياء والعظمة. وأما الإكرام: هو ما أكرم أولياءه، وأصفياءه"[١٠].

---

(١) تفسير المراغي: ١١٣/٢٧.
(٢) صحيح مسلم(٢٩٩٦):ص٢٢٩٤/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٤) تفسير الطبري: ٣٨/٢٣.
(٥) تفسير السمعاني: ٣٢٨/٥.
(٦) فتح القدير:١٦٣/٥.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٩) تفسير الطبري: ٣٨/٢٣.
(١٠) تفسير السمعاني: ٣٢٨/٥.

قال الشوكاني:" الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده، قيل: معنى {يبقى وجه ربك}، تبقى حجته التي يتقرب بها إليه، والجلال: العظمة والكبرياء، واستحقاق صفات المدح، يقال: جل الشيء، أي: عظم، وأجللته، أي: أعظمته، وهو اسم من جل. ومعنى ذو الإكرام: أنه يكرم عن كل شيء لا يليق به، وقيل: إنه ذو الإكرام لأوليائه، والخطاب في قوله: ربك، للنبي صلى الله عليه وسلم، أو لكل من يصلح له"[١].

وروى الضحاك عن ابن عباس: "أنه يبقى ما أريد به وجه ربك"[٢].

وفي قراءة عبد الله :«ذي الجَلال والإكْرام»، بالياء، على أنه من نعت الربّ وصفته[٣].

عن الحسن في قوله:{ وَالْإِكْرَامِ}، قال:" الذي يكرم أهل دينه وولايته"[٤].

وعن الكلبي:" الكريم على خلقه في عفوه عنهم"[٥].

وعن ابن عباس:" الذي لا أكرم منه ولا أجل ولا أعظم"[٦].

وعن ابن عباس-أيضا-:" {ذو الجلال والإكرام} قال: ذو الكبرياء والعظمة"[٧].

قال الشعبي: "إذا قرأت {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} فلا تسكت حتى تقول: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}"[٨].

عن حميد بن هلال قال: "قال رجل: يرحم الله رجلا أتى على هذه الآية {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}، فسأل الله تعالى بذلك الوجه الكافي الكريم" -ولفظ البيهقي- "بذلك الوجه الباقي الجميل"[٩].

عن علي بن الحسين، سأل كعب الأحبار، عن قوله: {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر : ٦٨]، من الذين استثنى؟ قال: هم ثلاثة عشر، جبريل وميكائيل، وإسرافيل، وحملة العرش الثمانية، وملك الموت، ورب العزة، فيأمر ملك الموت فيقبض فلانا وفلانا وحملة العرش حتى لا يبقى غيره، فيقول رب العزة، مت يا ملك الموت فيموت، فذلك قوله: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)} [الرحمن :]، وذلك قوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص : ٨٨]"[١٠].

قال عبد الله بن عباس:" لَمّا أُنزِلَتْ هذه الآية: {كُلُّ مَن عَلَيْها فانٍ} قالت الملائكة: هَلَك أهل الأرض. فأنزل الله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَهُ} [القصص: ٨٨] فأيقَنتِ الملائكة بالهلاك"[١١].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)} [الرحمن : ٢٨]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

---

(١) فتح القدير:١٦٣/٥.

(٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٢٨/٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢٣.

(٤) التفسير البسيط للواحدي: ١٦٠/٢١.

(٥) التفسير البسيط للواحدي: ١٦٠/٢١.

(٦) التفسير البسيط للواحدي: ١٦٠/٢١.

(٧) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٨) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه ابن أبي حاتم ، وانظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٥٨/٢١، وتفسير ابن كثير: ٢٧٢/٤-٢٧٣.

(٩) الدر المنثور: ٦٩٩/٧، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢١٦):ص٣٠٢٨/٩.

(١١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٢.

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢].
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعَم ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان"[٣].
قال الشوكاني:" وجه النعمة في فناء الخلق أن الموت سبب النقلة إلى دار الجزاء والثواب"[٤].
قال الزمخشري:" أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك"[٥].

القرآن
{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)} [الرحمن : ٢٩-٣٠]
التفسير:
يسأله مَن في السموات والأرض حاجاتهم، فلا غنى لأحد منهم عنه سبحانه. كل يوم هو في شأن: يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويعطي ويَمْنع. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
سبب النزول:
قال مقاتل:" وذلك أن اليهود قالت: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا، فأنزل الله- تعالى- : {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، يوم السبت وغيره "[٦].
قوله تعالى:{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الرحمن : ٢٩]، أي:" يسأله مَن في السموات والأرض حاجاتهم، فلا غنى لأحد منهم عنه سبحانه"[٧].
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: إليه يَفْزع بمسألة الحاجات كلّ من في السموات والأرض، من مَلَك وإنس وجنّ وغيرهم، لا غنى بأحد منهم عنه"[٨].
قال الزمخشري:" كل من أهل السماوات والأرض مفتقرون إليه، فيسأله أهل السماوات ما يتعلق بدينهم، وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم"[٩].
قال مقاتل:" يعني: يسأل أهل الأرض الله الرزق، وتسأل الملائكة أيضا لهم الرزق والمغفرة"[١٠].
قال الشوكاني:" أي: يسألونه جميعا لأنهم محتاجون إليه لا يستغني عنه أحد منهم.. يسأله كل مخلوق من مخلوقاته بلسان المقال أو لسان الحال، من خيري الدارين أو من خيري إحداهما"[١١].
عن ابن عباس، قوله: "{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ}، قال: يعني: مسألة عباده إياه الرزق والموت والحياة، كلّ يوم هو في ذلك"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣) تفسير الطبري: ٣٨/٢٣.
(٤) فتح القدير:١٦٣/٥.
(٥) الكشاف: ٤٤٧/٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤، وانظر: الكشاف: ٤٤٧/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٨) تفسير الطبري: ٣٨/٢٣.
(٩) الكشاف: ٤٤٧/٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤.
(١١) فتح القدير:١٦٣/٥.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.

قال قتادة:" لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، يُحْيي حَيا، ويُمِيت ميتا، ويربي صغيرا، ويذلّ كبيرًا، وهو مَسْأل حاجات الصالحين، ومنتهى شكواهم، وصريخ الأخيار"[١].

قوله تعالى:{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، أي:" كل يوم هو في شأن: يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويعطي ويَمْنع"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هو كلّ يوم في شأن خلقه، فيفرج كرب ذي كرب، ويرفع قوما، ويخفض آخرين، وغير ذلك من شئون خلقه"[٣].

قال الزمخشري:" أي: كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا"[٤].

قال مقاتل:" وشأنه أنه يحدث في خلقه ما يشاء من خلق، أو عذاب، أو شدة، أو رحمة، أو رخاء، أو رزق، أو حياة، أو موت. فمن مات محى اسمه من اللوح المحفوظ"[٥].

عن عبيد بن عمير، "{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}، قال: يجيب داعيا، ويعطي سائلا أو يفكّ عانيا، أو يشفي سقيما"[٦]. وفي رواية:" يفكّ عانيا، ويشفي سقيما، ويجيب داعيا"[٧].

قال عبيد بن عمير:" يجيب داعيا، ويعطي سائلا ويفك عانيا، ويتوب على قوم، ويغفر"[٨].

قال مطر الوراق:" يُحيي ميّتًا، ويُميت حيًّا، ويُربي صغيرًا، ويجيب داعيًا، ويشفي سقيمًا، ومنتهى شكوى الصالحين، ويعرض حاجات المؤمنين"[٩].

قال الربيع بن أنس:" خلق خلقًا، ويُميت آخرين، ويرزقهم، ويَكْلؤهم[١٠].

قال مجاهد:" من شأنه أن يعطي سائلا ويفك عانيا، ويجيب داعيا، ويشفي سقيما"[١١].

قال مجاهد:" كلّ يوم هو يجيب داعيا، ويكشف كربا، ويجيب مضطرًا، ويغفر ذنبا"[١٢].

قال قتادة:" يخلق مخلقا، ويميت ميتا، ويحدث أمرا"[١٣].

قال أبو الجوزاء:" لا يشغله شأن عن شأن"[١٤].

قال سفيان بن عُيينة: "الدّهر كلّه عند الله يومان: أحدهما مدة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا: الاختبار بالأمر والنهي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وشأن يوم القيامة: الجزاء والحساب، والثواب والعقاب"[١٥].

عن أبي سليمان الدّاراني، في قوله تعالى: "{كل يوم هو في شأن}، قال: "ليس من الله شيء يَحْدُثُ إنما هو في تنفيذ ما قدّر أن يكون في ذلك اليوم"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٣-٣٩.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣) تفسير الطبري: ٣٩/٢٣.
(٤) الكشاف: ٤٤٧/٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤-١٩٩.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(٩)أخرجه أبو الشيخ في العظمة(١٥١):ص ٢/ ٤٨٤ - ٤٨٥.
(١٠) الدر المنثور: ٧٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(١٤) الدر المنثور: ٧٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٥)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٤، وتفسير البغوي ٧/ ٤٤٥.
(١٦)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٧٣.

عن عبيد الله بن أبي نَهيك -من طريق الفضل بن موسى-:" {يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن}، قال: يُسأل كلّ يوم، والرّبّ -تبارك وتعالى- في شأن، وهو اسم من أسماء الله - عز وجل -"[1].

عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه قال: "تلا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم هذه الآية: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}، فقلنا: يا رسول الله، وما ذلك الشأن؟ قال: "يَغْفِرُ ذَنْبًا، ويُفَرّجُ كَرْبا، ويَرْفَعُ أقْوَاما، وَيَضَعُ آخَرِينَ"[2].

قال ابن عباس:" إن الله خلق لوحا محفوظا من درّة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كلّ يوم ثلاث مئة وستين نظرة، يخلق بكل نظرة، ويُحيي ويميت، ويُعزّ ويُذلّ، ويفعل ما يشاء"[3].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٠]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس، التي أنعم عليكم من صرفه إياكم في مصالحكم، وما هو أعلم به منكم من تقليبه إياكم، فيما هو أنفع لكم تكذّبان"[5].

قال مقاتل:" يعني: نعماء ربكما تكذبان أنها ليست من الله- تعالى-"[6].

قال الشوكاني:" فإن اختلاف شؤونه سبحانه في تدبير عباده نعمة لا يمكن جحدها، ولا يتيسر لمكذب تكذيبها"[7].

القرآن

{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢)} [الرحمن : ٣١-٣٢]

التفسير:

سنفرُغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكما التي عملتموهما في الدنيا، أيها الثقلان -الإنس والجن-، فنعاقب أهل المعاصي، ونُثيب أهل الطاعة. فبأيِّ نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ} [الرحمن : ٣١]، أي:" سنفرُغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكما التي عملتموهما في الدنيا، أيها الثقلان -الإنس والجن-، فنعاقب أهل المعاصي، ونُثيب أهل الطاعة"[8].

قال الطبري: يقول: "سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجنّ، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة.. فإنه وعيد من الله لعباده وتهدد، كقول القائل الذي يتهدّد غيره ويتوعده، ولا شغل له يشغله عن عقابه، لأتفرغنّ لك، وسأتفرّغ لك، بمعنى: سأجدّ في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل للذي لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت لشتمي: أي أخذت فيه، وأقبلت عليه"[9].

---

(١)أخرجه أبو الشيخ في العظمة(١٥٤):ص ٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٥) تفسير الطبري: ٤٠/٢٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤-١٩٩.
(٧) فتح القدير:١٦٣/٥.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٩) تفسير الطبري: ٤١/٢٣.

قال مقاتل:" يعني: سنفرغ لحساب الإنس والجن، ولم يعن به الشياطين لأنهم هم أغووا الإنس والجن، وهذا من كلام العرب يقول سأفرغ لك، وإنه لفارغ قبل ذلك وهذا تهديد، والله- تعالى- لا يشغله شيء"[١].

قال الفراء:" وهذا من اللّه وعيد لأنَّه عزَّ وجلَّ لا يشغله شيء عنْ شيء، وأنت قائل للرجل الَّذِي لا شغل لَهُ: قَدْ فرغت لي، قَدْ فرغت لشتمي. أي: قَدْ أخذت فِيهِ، وأقبلت عَلَيْه"[٢].

قال أبو عبيدة: أي:" سنحاسبكم، لم يشغله شيء تبارك وتعالى"[٣].

قال ابن قتيبة:" والله تبارك وتعالى لا يشغله شأن عن شأن. ومجازه: سنقصد لكم بعد طول التّرك والإمهال"[٤].

قال الزجاج:" معناه: سنقصد لِحِسَابِكُمْ، واللّه لا يَشْغَلُه شأن عن شأن. والفراغ في اللغة على ضربين: أحدهما الفراغ من شُغلٍ. والآخر: القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي: قد زال شغلي به، وتقول: سَأَتَفَرغ لفلانٍ، أي سأجْعَلُ قَصْدِي له"[٥].

قال أبو بكر الكيساني: "إن الفراغ ليس يستعمل عند الفراغ عن الشغل خاصة، لكن يستعمل له ولغيره من نحو: إنجاز ما وعد، وأوعد؛ كأنه قال: سننجز لكم ما أوعدتكم أيها الثقلان"[٦].

قال الزحيلي:"{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلان} استعارة تمثيلية، شبه محاسبة الخلائق وجزاءهم يوم القيامة بالتفرغ للأمر، والله تعالى لا يشغله عن شأن، وإنما ذلك على سبيل المثال، إذ شبه تعالى ذاته في المجازاة بحال من فرغ للأمر"[٧].

عن الضحاك: "{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلان}، قال: وعيد"[٨].

عن ابن عباس، قوله: "{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلان}، قال: وَعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ"[٩].

قال سعيد بن جبير:" يقول: سأقصد لحسابكم"[١٠].

عن الحسن:" {سَنَفْرُغُ لَكُمْ} مما أوعدناكم وأخبرناكم، فنحاسبكم ونجازيكم، ونُنجز لكم ما وعدناكم، ونُوصل كلًّا إلى ما وعدناه، فيتمّ ذلك، ويفرغ منه"[١١].

عن قتادة:" أنه تلا: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلان}، قال: دنا من الله فراغ لخلقه"[١٢]. قال ابن قتيبة:" يريد: أن الساعة قد أزفت وجاء أشراطها"[١٣].

عن جعفر بن محمد الصادق: "{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلان} سُمي الجن والإنس: ثَقلين؛ لأنهما مُثقلان بالذنوب"[١٤].

وقرئ: «سَيَفرغ لَكُمْ»، بالياء، وفتحها ردّا على قوله: {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}، ولم يقل: يسألنا من في السموات، فأتبعوا الخبر الخبر[١٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤-١٩٩.
(٢) معاني القرآن: ١١٦/٣.
(٣) مجاز القرآن: ٢٤٤/٢.
(٤) تأويل مشكل القرآن: ٧٠.
(٥) معاني القرآن: ٩٩/٥.
(٦) نقلا عن: تأويلات أهل السنة: ٤٧٣/٩.
(٧) التفسير المنير: ٢١٢/٢٧.
(٨) أخرجه الطبري: ٤١/٢٣-٤٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤١/٢٣.
(١٠) رواه مقاتل بن سليمان في "التفسير": ١٩٩/٤.
(١١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٥، وتفسير البغوي ٧/ ٤٤٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤١/٢٣.
(١٣) تأويل مشكل القرآن: ٧٠.
(١٤)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤٤٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤١/٢٣.

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٢]، أي:" فبأيِّ نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[١].

قال الطبري: يقول:" فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعمها عليكم، من ثوابه أهل طاعته، وعقابه أهل معصيته تكذّبان؟"[٢].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٤].

القرآن

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤)} [الرحمن : ٣٣-٣٤]

التفسير:

يا معشر الجن والإنس، إن قَدَرْتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هاربين من أطراف السموات والأرض فافعلوا، ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأنَّى لكم ذلك، وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعًا ولا ضرًا؟ . فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا} [الرحمن : ٣٣]، أي:" يا معشر الجن والإنس، إن قَدَرْتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هاربين من أطراف السموات والأرض فافعلوا"[٥].

قال البغوي:" معناه: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض: فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى: حيثما كنتم أدرككم الموت، كما قال جل ذكره: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} [النساء : ٧٨]"[٦].

قال ابن كثير:" أي : لا تستطيعون هربا من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام المحشر، الملائكة محدقة بالخلائق، سبع صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحد على الذهاب {إِلا بِسُلْطَانٍ}، أي : إلا بأمر الله، {يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلا لا وَزَرَ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة : ١٠ - ١٢]. وقال تعالى :{وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس : ٢٧]"[٧].

عن سفيان: "{إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}، قال: من أطرافها"[٨].

قال الزجاج:" الأقطار: النَواحي"[٩].

قال الزحيلي:" الأمر هنا للتعجيز، فقوله: {فَانْفُذُوا} أمر تعجيزي"[١٠].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٢) تفسير الطبري: ٤٢/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٦) تفسير البغوي: ٤٤٨/٧.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٦/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٣-٤٤.
(٩) معاني القرآن: ٩٩/٥.
(١٠) التفسير المنير: ٢١٢/٢٧.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا} [الرحمن : ٣٣]، على ثلاثة أقوال:

أحدها : إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، لن تعلموه إلا بسلطان ، قاله عطية العوفي[١].

الثاني : إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هرباً من الموت فانفذوا ، رواه عبيد عن الضحاك[٢].

قال الضحاك:" يعني بذلك أنه لا يجيرهم أحد من الموت، وأنهم ميتون لا يستطيعون فرارا منه، ولا محيصا، لو نفذوا أقطار السموات والأرض كانوا في سُلطان الله، ولأخذهم الله بالموت"[٣].

الثالث : معناه: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض، فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم؛ فجوزوا ذلك، فإنكم لا تجوزونه إلا بسلطان من ربكم. وهذا قول يقال لهم يوم القيامة. رواه الأجلح عن الضحاك[٤].

قال الضحاك بن مزاحم: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقَّقت بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية، ثم بالثالثة، ثم بالرابعة، ثم بالخامسة، ثم بالسادسة، ثم بالسابعة، فصفوا صفا دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبّته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوّا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ}، وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قوله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}"[٥].

قوله تعالى:{لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن : ٣٣]، أي:" ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأنَّى لكم ذلك"[٦].

وفي قوله تعالى:{لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن : ٣٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: إلا بحجة ، قاله مجاهد[٧]، وعكرمة[٨].

قال عكرمة:" كلّ شيء في القرآن سلطان فهو حجة"[٩].

قال ابن بحر : "والحجة الإيمان"[١٠].

قال الزجاج:" أي: حيثما كنتم شاهدتم حجةً لِلَّهِ وسلطاناً تدل على أنه واحدٌ"[١١].

الثاني : لا تنفذون إلا بمُلْك وليس لكم مُلْك ، قاله قتادة[١٢].

وقال قتادة:" إلا بسلطان من الله، إلا بملكة منه"[١٣].

قال قتادة: يقول: إلا بملكة من الله"[١٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٣.
(١٠) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٣٤/٥.
(١١) معاني القرآن: ٩٩/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٣.

وقال عطاء:" لا تخرجون من سلطاني[١].
الثالث : معناه: لا تنفذون إلا في سلطانه وملكه، لأنه مالك السموات والأرض وما بينهما ، قاله ابن عباس[٢].
عن ابن عباس، قوله: {لا تَنْفُذُونَ إلا بِسُلْطَان}، يقول: لا تخرجون من سلطاني"[٣].
الرابع: إلا البينة من الله جلّ ثناؤه . قاله ابن عباس أيضا-[٤].
قال ابن عباس:" يقول: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه، لن تعلموه إلا بسلطان، يعني البينة من الله جلّ ثناؤه"[٥].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة وبينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل الملك في ذلك، لأن الملك حجة"[٦].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٤]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟"[٧].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما تكذّبان معشر الثقلين التي أنعمت عليكم -من التسوية بين جميعكم، لا يقدرون على خلاف أمر أراده بكم- تكذّبان"[٨].

القرآن
{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦)}
[الرحمن : ٣٥-٣٦]
التفسير:
يُرْسَل عليكم لهب من نار، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضًا يا معشر الجن والإنس. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قوله تعالى:{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ} [الرحمن : ٣٥]، أي:" يُرْسَل عليكم لهب من نار، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضًا يا معشر الجن والإنس"[٩].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا} أيها الثقلان يوم القيامة {شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ}، وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجَّج بغير دخان كان فيه، فلا تنتصران أيها الجنّ والإنس منه، إذا هو عاقبكما هذه العقوبة، ولا تُستنقذان منه"[١٠].
عن قتادة: "{فَلا تَنْتَصِرَانِ}، قال: يعني الجنّ والإنس"[١١].
قال السمعاني:" أي: لا تمتنعان، يقال: لا يكون لكما قوة دفع العذاب"[١٢].
قال البغوي:" أي: فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه"[١٣].

---

(١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٣.
(٦) تفسير الطبري: ٤٤/٢٣-٤٥.
(٧) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٨) تفسير الطبري: ٤٥/٢٣.
(٩) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٤٥/٢٣، ٤٩.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٣.
(١٢) تفسير السمعاني: ٣٣١/٥.
(١٣) تفسير البغوي: ٤٤٩/٧.

قال المراغي:" أي: يصب عليكما ألوان من النيران، فمن لهب خالص يضيء كضوء السراج، إلى نار مختلطة بالدخان، فلا تستطيعان المهرب منها، بل يسوقكم إلى الحشر سوقا"[١].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ٣٥]، على وجوه:

أحدها : أن الشواظ: لهب النار، قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، والضحاك[٥]، وابن زيد[٦]، ومقاتل[٧]. ومنه قول أمية بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت[٨]:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً تَدِبُّ إِلَى عُكَاظِ

أَلَيْسَ أَبُوكَ فِينَا كَانَ قَيْنًا ... لَدَى الْقَيْنَاتِ فَسْلًا فِي الْحَفَاظِ

يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُدُّ كِيرًا ... وَيَنْفُخُ دَائِبًا لَهَبَ الشُّوَاظِ

فأجابه حسان فقال[٩]:

أتاني عن أميّ ثنا كلام ... وما هو في المغيب بذي حفاظ

ستأتيه قصائد محكّمات ... وتنشد بالمجاز إلى عكاظ

همزتك فاختضعت بذلّ لفظ ... بقافية تأجّج كالشّواظ

قال ابن زيد:" الشواظ: اللهب، وأما النحاس فالله أعلم بما أراد به"[١٠].

الثاني : أنه قطعة من النار فيها خضرة ، قاله مجاهد[١١]، وسفيان[١٢].

قال مجاهد:" الشُّواظ: الأخضر المتقطع من النار"[١٣].

قال مجاهد:" الشواظ: هذا اللهب الأخضر المتقطع من النار"[١٤].

قال سفيان:" الشواظ: اللهب الأخضر المتقطع من النار"[١٥].

الثالث : الشُّواظ: هو الدخان الذي يخرج من اللهب، قاله الضحاك-أيضا-[١٦]، قال رؤبة بن العجاج[١٧]:

إنَّ لَهُمْ مِنْ وَقْعِنا أقْياظا ... ونارُ حَرْب تُسْعِرُ الشُّوَاظا

قال الضحاك:" الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب"[١٨].

الرابع : أنها طائفة من العذاب ، قاله الحسن[١٩].

وأما «النحاس»، ففيه أربعة أقوال:

---

(١) تفسير المراغي: ١١٩/٢٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٥/٢٣-٤٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٣.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٠/٤.

(٨)البيت الأول لأمية بن خلف الخزاعي في المقاصد النحوية ٤/ ٥٦٣، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٣/ ٨٠٧، والبيتان الثاني والثالث لأمية بن خلف في لسان العرب (شوظ) ، وتاج العروس (شوظ).

(٩)الديوان : ١٤٤- ١٤٥. في ثمانية أبيات أولها:

أتاني عن أميّة زور قول ... وما هو بالمغيب بذي حفاظ.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٦/٢٣.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٣.

(١٧) ديوان العجاج: ٨١.

(١٨) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٣.

(١٩) انظر: النكت والعيون: ٤٣٥/٥.

أحدها : أنه الصفر يعذّبون به، رواه العوفي عن ابن عباس[١]، وبه قال مجاهد[٢]، وقتادة[٣]، وسفيان[٤]، ومقاتل[٥].

قال مجاهد:" يذاب الصفر من فوق رءوسهم"[٦]. وفي رواية:" يذاب الصفر فيصبّ على رأسه"[٧].

قال سفيان:" يذاب الصفر فيصبّ على رءوسهم"[٨].

قال قتادة:" توعدهما بالصُّفر كما تسمعون أن يعذّبهما به"[٩].

قال قتادة:" يخوّفهم بالنار وبالنحاس"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: الصفر الذائب وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رءوس أهل النار ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار أنهار الدنيا"[١١].

الثاني : أنه دخان النار ، قاله ابن عباس[١٢]، وسعيد بن جبير[١٣]، وبه قال الفراء[١٤]، وأنشد قول النابغة الجعدي[١٥]:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سَرَاجِ السَّلِيطِ ... لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسَا

الثالث : أنه القتل، قاله عبد الله بن أبي بكرة[١٦].

الرابع : أنه نحس لأعمالهم ، قاله الحسن[١٧].

قال الطبري:" الصواب قول من قال: عُنِي بالنحاس: الدخان، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيَّين شواظ من نار، وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان. والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يُتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب، دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان، والعرب تسمي الدخان نُحاسا بضم النون، ونحاسا بكسرها، والقرّاء مجمعة على ضمها"[١٨].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٦]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟"[١٩].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٠/٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٠/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٣.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ١١٧/٣.
(١٥)البيت في "ديوان النابغة" ٧٥، و"شواهد الكشاف" ص ١٥٧، و"اللسان" ٣/ ٥٩٦ (نحس).
والسَّلِيطُ عند عامة العرب الزيت، وعند أهل اليمن دُهْنُ السمسم. ورجح ابن منظور أنه الزيت.
انظر: "اللسان" ٢/ ١٨٢ (سلط).
والسّراج: المصباح الزاهر. والنحاس. معدن أحمر اللون، يوجد في الطبيعة منفردا أو مركبا، وهو شديد القابلية للسّحب والطّرق، يستخدم في أسلاك الكهرباء وغيرها.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٣٥/٥.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٣٥/٥.
(١٨) تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.
(١٩) التفسير الميسر: ٥٣٢.

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢].
قال المراغي:" أي: فبأى هذه النعم تكذبان، فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالإنعام على الأول والانتقام من الثاني، من أجل نعم الإله القادر على جزاء عباده"[٣].
قال البيضاوي:" فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار في عداد الآلاء"[٤].
قال الشعراوي:" فاعتبر الشواظ والنار من النِّعم التي ينبغي ألاَّ نُكذِّب بها، لأنه نبَّهنا إليها حتى لا نقع فيها"[٥].
فوائد الآيات: [٢٦-٣٦]:
١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
٢- بيان جلال الله وعظمته وقوة سلطانه.
٣- بيان عجز الخلائق أمام خالقها عز وجل.
٤- وجوب حمد الله تعالى وشكره على السراء والضراء.

القرآن
{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آَلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨)} [الرحمن : ٣٧-٣٨]
التفسير:
فإذا انشقت السماء وتفطرت يوم القيامة، فكانت حمراء كلون الورد، وكالزيت المغلي والرصاص المذاب؛ من شدة الأمر وهول يوم القيامة. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قوله تعالى:{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ} [الرحمن : ٣٧]، أي:" فإذا انشقت السماء وتفطرت يوم القيامة"[٦].
قال الطبري: يقول:" فإذا انشقّت السماء وتفطَّرت، وذلك يوم القيامة"[٧].
قال مقاتل:" يعني: انفرجت من المجرة، وهو البياض الذي يرى في وسط السماء وهو شرج السماء لنزول من فيها، يعني الرب- تعالى- والملائكة"[٨].
قال ابن الجوزي:" أي: انفرجتْ من المجرَّة لنُزول مَنْ فيها يومَ القيامة"[٩].
قوله تعالى:{فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} [الرحمن : ٣٧]، أي:" فكانت حمراء كلون الورد، وكالزيت المغلي والرصاص المذاب؛ من شدة الأمر وهول يوم القيامة"[١٠].
قال الطبري: يقول:" فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر"[١١].
قال ابن كثير:" أي : تذوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم"[١٢].
وفي قوله تعالى:{فَكَانَتْ وَرْدَةً} [الرحمن : ٣٧]، وجوه:

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣) تفسير المراغي: ١١٩/٢٧.
(٤) تفسير البيضاوي: ١٧٣/٥.
(٥) تفسير الشعراوي: ١١٨٦٣/١٩.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٧) تفسير الطبري: ٤٩/٢٣.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٠/٤.
(٩) زاد المسير: ٢١٢/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(١١) تفسير الطبري: ٤٩/٢٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٧.

أحدهما : أنه أراد بالوردة: الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي الشتاء أغبر، فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفرس الورد ، لاختلاف ألوانه ، قاله أبو صالح[١]، والضحاك[٢]، والكلبي[٣]، والفراء[٤]، وابن قتيبة[٥].

قال أبو صالح الدنداني [الهُذيل بن حبيب]: "شبّه لونها بلون دُهن الوَرد، ويقال: بلون الفَرس الوَرد؛ يكون في الربيع كميتًا أشقر، وفي الشتاء أحمر، فإذا اشتد البَرد كان أغبر، فشبّه لون السماء في اختلاف أحوالها بلون الفَرس في الأزمنة المختلفة"[٦].

قال الضحاك:" يقول: تتغير السماء فيصير لونها كلون الدابة الوردة"[٧].

قال أبو صالح:" كلون البرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان"[٨].

قال الفراء:" أراد بالوردة الفَرس، الوردةُ تكون فِي الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كَانَ بعد ذَلِكَ كانت وردة إلى الغُبْرة، فشبه تلوّن السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة فِي اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه"[٩].

وقال السدي:" تكون كلون البغلة الوردة"[١٠].

الثاني: أنها وردة النبات، وهى الزهرة المعروفة التي تشم والغالب على الورد الحمرة، وبها يضرب المثل في لون الحمرة، كذلك تصير السماء يوم القيامة حمراء كالورد ، قاله ابن بحر[١١].

قال عبد بني الحسحاس[١٢]:

فَلَوْ كُنْتُ وَرْداً لونُهُ لعشِقْتَنِي ... ولكِنَّ ربِّي شَانَنِي بِسَوَادِيَا

قال الزجاج:" معنى {وَرْدَةً} صارت كلون الورد، وذلك في يوم القيامة"[١٣].

قال قتادة:" هي اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر"[١٤]. وفي رواية:" إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون آخر"[١٥].

قال ابن زيد:" مشرقة كالدهان"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٥٠.

وأبو صالح: هو: باذان، ويقال باذام، ويقال: ذكوان، أبو صالح مولى أم هانئ، مفسر ومن رواة الأخبار، روى عن مولاته وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم إلا أنه ضعيف. وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع، وروى عن الكلبي، قال حبيب بن أبي ثابت: كنا نسمي أبا صالح باذام دروغزن، وكان الشعبي يمر به فيأخذ بأذنه ويقول: ويحك كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ، وتركه يحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي. توفي سنة ١٢٠هـ تقريبا.

ينظر: "طبقات ابن سعد" ٥/ ٣٠٢، "التاريخ الكبير" ٢/ ١٤٤، "الجرح والتعديل" ٣/ ٤٤١، "سير أعلام النبلاء" ٥/ ٣٧ - ٣٨، و"تقريب التهذيب" ص ١٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٥٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٣٦.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣/١١٧.

(٥) انظر: غريب القرآن: ٤٣٩.

(٦)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٠١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٠.

(٩) معاني القرآن: ٣/١١٧.

(١٠) حكاه عنه ابن كثير: في "التفسير": ٧/٤٩٨.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٣٦.

(١٢) ديوانه : ٢٦؛ ولسان العرب ١٠/ ٢٥١ (عسق)؛ وتاج العروس (عسق)، وحماسة الخالديين: ٦١، وأمالي المرزوقي: ٧٠، وحماسة الظرفاء، من أشعار المحدثين والقدماء، للزوزني: ١٩.

وسحيم عبد بني الحسحاس :شاعر مفلق، بديع القول، لا صحبه له.

(١٣) معاني القرآن: ٥/١٠١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٠.

(١٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٠.

وفي قوله تعالى:{كَالدِّهَانِ} [الرحمن : ٣٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : يعني: خالصة، قاله الضحاك[١].
الثاني : صافية الحمرة مشرقة، قاله مجاهد[٢]، والأخفش[٣]. وبه قال الطبري[٤].
قال النحاس:" {كَالدِّهان}، أصح ما قيل فيه، وهو قول مجاهد والضحاك، أنه جمع: دهن، أي: صافية ملساء"[٥].
قال الطبري:" الصواب قول من قال: عني به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب"[٦].
قال مقاتل:" يعني: فصارت من الخوف {وردة كالدهان}، شبه لونها في التغير والتلون بدهان الورد الصافي"[٧].
قال أبو عبيدة:" تمور كالدهن صافية، وردة لونها كلون الورد وهو الجلّ"[٨].
وحكي ابن كثير عن أبي الجوزاء:" في صفاء الدهن"[٩].
الثالث : ذات ألوان، قاله الحسن[١٠].
الرابع : صفراء كلون دُهْن الوَرْد، وهذا قول عطاء الخراساني[١١]، وأبي الجوزاء[١٢].
قال الزجاج:" معنى: {كَالدِّهَانِ}، تتلون من الفزع الأكبر تَلَوْن الدهان المختلفة، والدِّهَان جمع: دُهْنٍ، ودليل ذلِك قَوله: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}، أي: كالزيت الذي قد أُغْلِيَ"[١٣].
الخامس : كعكر[١٤] الزيت. قاله زيد بن أسلم[١٥].
وقال السدي:" وتكون كالمهل، كدردي الزيت"[١٦].
وقال ابن جريج:" بن جريج : تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يُصيبها حر جهنم"[١٧].
السادس : الدهان: أديم الأرض الأحمر، قاله ابن عباس[١٨]، وحكاه الفراء[١٩]، والطبري الطبري[٢٠]، دون نسبة، قال الأعشى[٢١]:
وأجْرَدَ مِنْ كِرامِ الخَيْلِ طِرْفٍ ... كأنَّ على شَواكِلِه دِهانا

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٣٦/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٣.
(٥) إعراب القرآن: ٢١٠/٤.
(٦) تفسير الطبري: ٥١/٢٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٠/٤.
(٨) مجاز القرآن: ٢٤٥/٢.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٧-٤٩٩.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٣٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٩٨/٧.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٣٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٩٨/٧.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٣٦/٥.
(١٣) معاني القرآن: ١٠١/٥.
(١٤)العكر: آخر الشيء وخاثره من شراب وماء ودُهن. انظر: "الصحاح" ٢/ ٧٥٦ (عكر)، و"المصباح المنير" ٢/ ٥٠٦ (عكر).
(١٥) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٨٥):ص١٢٤/١.
(١٦) حكاه عنه ابن كثير: في "التفسير": ٤٩٨/٧.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٧.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٣٦/٥، وزاد المسير: /٢١٢.
(١٩) انظر: معاني القرآن: ١١٧/٣.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٣-٥١.
(٢١) انظر: الصحاح:٢١١٥/٥،واللسان، مادة(دهن):ص ١٦٢/١٣، النكت والعيون: ٤٣٦/٥.
والأجرد: القصير الشعر، وهو مدح فِي الخيل

أي: أديماً أحمر.

قال الماوردي: "وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة ، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق ، وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل زرقاء ، فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها"[١].

عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يبعث الناس يوم القيامة والسماء تَطِش عليهم"[٢].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٨]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ قدرة ربكما معشر الجنّ والإنس -على ما أخبركم بأنه فاعل بكم- تكذّبان"[٤].

القرآن

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)} [الرحمن : ٣٩-٤٠]

التفسير:

ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس والجن عن ذنوبهم. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٣٩]، أي:" ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس والجن عن ذنوبهم؟"[٥].

قال الطبري: يقول: " فيومئذ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، لأن الله قد حفظها عليهم، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض، ربهم"[٦].

وفي قوله تعالى:{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٣٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : كانت المسألة قبل، ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، قاله الحسن[٧]، وقتادة[٨].

قال الحسن: "قد حفظ الله عليهم أعمالهم"[٩].

قال قتادة:" حفظ الله عزّ وجلّ عليهم أعمالهم"[١٠].

قال قتادة:" قد كانت مسألة ثم ختم على ألسنة القوم، فتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون"[١١].

الثاني : أنه لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا، قاله ابن عباس[١٢].

قال الزجاج:" فَلَا يسأل عن ذنْبِه ليستفهم، قد علم اللَّه عزَّ وجلَّ ما سَلَفَ مِنْهُم"[١].

---

(١) النكت والعيون: ٤٣٦/٥.
(٢) المسند: ٢٢٦/٣. قال الجوهري : الطش : المطر الضعيف. [معجم مقاييس اللغة، "طش":ص ٤١٠/٣]
(٣) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٤) تفسير الطبري: ٥١/٢٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٦) تفسير الطبري: ٥١/٢٣.
(٧) تفسير عبدالرزاق(٣٠٩٤):ص٢٦٩/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٣.
(٩) تفسير عبدالرزاق(٣٠٩٤):ص٢٦٩/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥١/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٥١/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٣.

قال النحاس:" معناه: أنه لا يسأل سؤال استعلام"[٢].
الثالث : أنه لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغل كل واحد منهم بنفسه ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً[٣].
قال ابن عباس:" يقول تعالى ذكره: لا يسألهم عن أعمالهم، ولا يسأل بعضهم عن بعض وهو مثل قوله: {وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}، ومثل قوله لمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}"[٤].
الرابع : لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم قد رفعوا أعمالهم في الدنيا، قاله مجاهد[٥].
قال مجاهد:" لا يسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم"[٦]. وفي رواية: " لا تسأل الملائكة عن المجرم إنسا ولا جانا، يقول: يعرفون بسيماهم "[٧].
الخامس : المعني: لا يسأل إنس عنْ ذنبه، ولا جان عنْ ذنبه لأنهم يعرفون بسيماهم كما وصف اللَّه: فالكافر يعرف بسواد وجهه، وزرقة عينه، والمؤمن أغر محجل من أثر وضوئه ، قاله الفراء[٨].
قال ابن كثير:" وهذه كقوله :{هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات : ٣٥، ٣٦]، فهذا في حال، وثَمّ حال يسأل الخلائق فيها عن جميع أعمالهم، قال الله تعالى :{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر : ٩٢، ٩٣]"[٩].
قال عكرمة:" إنها مواطن، يُسأل في بعضها، ولا يُسأل في بعضها"[١٠].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٤٠]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[١١].
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين، -التي أنعم عليكم من عدله فيكم، أنه لم يعاقب منكم إلا مجرما-[تكذّبان]"[١٢].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٣].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١٤].

القرآن
{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١)} [الرحمن : ٤١]
التفسير:
تَعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم، فتأخذهم بمقدمة رؤوسهم وبأقدامهم، فترميهم في النار.
قوله تعالى:{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ} [الرحمن : ٤١]، أي:" تَعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم"[١٥].

---

(١) معاني القرآن: ٢٣/٤.
(٢) معاني القرآن: ١٠/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٥١/٢٣.
(٥)انظر: تفسير الطبري: ٥٢/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٧) تفسير مجاهد: ٦٣٨.
(٨) انظر: معاني القرآن: ١١٧/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٧.
(١٠)تفسير البغوي ٧/ ٤٥٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٣٢.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره تعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم وسيماهم التي يسوّمهم الله بها من اسوداد الوجوه، وازرقاق العيون"[١].

قال النحاس:" السيما والسيمياء العلامة"[٢].

عن قتادة: "{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ}، قال: زرق العيون، سود الوجوه"[٣].

قال الحسن:" يعرفون باسوداد الوجوه، وزُرقة العيون"[٤].

قال الضحاك:" بسواد وجوههم، وزُرقة عيونهم"[٥].

قال البيضاوي:" {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ}: وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن"[٦].

قوله تعالى:{فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن : ٤١]، أي:" فتأخذهم الملائكة بمقدمة رؤوسهم وبأقدامهم، فترميهم في النار"[٧].

قال الطبري: يقول: " فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم، وتقذفهم فيها"[٨].

قال السعدي:" أي: فيؤخذ بنواصي المجرمين وأقدامهم، فيلقون في النار ويسحبون فيها، وإنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ وتقرير بما وقع منهم، وهو أعلم به منهم، ولكنه تعالى يريد أن تظهر للخلق حجته البالغة، وحكمته الجليلة"[٩].

قال الزجاج:" قيل: تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار. وذلك أشد لعذابهم، والتشويه بهم"[١٠].

قال ابن عباس:" تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه، ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنور"[١١].

قال الزمخشري:" وقيل: تسحبهم الملائكة: تارة تأخذ بالنواصي، وتارة تأخذ بالأقدام"[١٢].

قال ابن عباس:" تأخذ الزّبانية بناصيته وقدميه، ويُجمع فيُكسر كما يُكسر الحطب في التَّنُّور"[١٣].

قال الضحاك:" يأخذ المَلَك بناصية أحدهم، فيَقْرُنها إلى قدميه، ثم يكسر ظهره، ثم يُلقيه في النار"[١٤].

قال الضحاك:" يُجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة مِن وراء ظهره"[١٥].

عن عائشة -من طريق عُروة- قالت: لا يُحاسَب أحدٌ يوم القيامة إلا دخل الجنة. ثم قرأتْ: {فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق ٧، ٨]، ثم قرأتْ: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي والأقْدامِ} [الرحمن: ٤١]"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٢) إعراب القرآن: ٢١٠/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٥)أخرجه هناد (٣٠٢). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٦) تفسير البيضاوي: ١٧٤/٥.
(٧) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٩) تفسير السعدي: ٨٣١.
(١٠) معاني القرآن: ١٠٢/٥.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٤٠):ص٣٣٢٥/١٠.
(١٢) الكشاف: ٤٥١/٤.
(١٣)أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٥٩١). وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٧٠٤/٧ إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.
(١٤) الدر المنثور: ٧٠٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٥)أخرجه هناد في الزهد (٢٦٨).

عن أنس بن مالك، سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «والذي نفسي بيده، لقد خُلِقَتْ زبانية جهنم قبل أن تُخلَق جهنم بألف عام، فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم، حتى يَقبِضوا مَن قَبضوا عليه بالنواصي والأقدام»[٢].

سُئِلَتْ عائشة: أسمعتِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحد شفاعة؟ قالت: نعم، لقد سألتُه، فقال: «نعم، حين يوضع الصراط، وحين تَبيضّ وجوه وتَسودُّ وجوه، وعند الجسر حين يُشحذ حتى يكون مثل شَفرة السيف ويُسجر حتى يكون مثل الجمْرة؛ فأما المؤمن فيُجيزه ولا يضرّه، وأما المنافق فينطلِق حتى إذا كان في وسطه خُزَّ في قدميه، فيهوي بيديه إلى قدميه، فهل رأيتَ مِن رجل يسعى حافيًا فيؤخذ بشوكة حتى تكاد تَنفُذ قدميه؟ فإنه كذلك يَهوي بيديه إلى قدميه، فيضربه الزبانيّ بخُطّاف في ناصيته، فيُطرح في جهنم، يَهوي فيها خمسين عامًا». فقلت: أيَثقُل؟ قال: «يَثقُل خمسَ خَلِفاتٍ، فيومئذ {يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي والأقْدامِ}»[٣].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢)} [الرحمن : ٤٢]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس -التي أنعم عليكم بها من تعريفه ملائكته أهل الإجرام من أهل الطاعة منكم، حتى خصوا بالإذلال والإهانة المجرمين دون غيرهم"[٤].

قال القاسمي:" أي: من عقوبته أهل الكفر به، وتكريمه أهل الإيمان به"[٥].

القرآن

{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤)} [الرحمن : ٤٣-٤٤]

التفسير:

يقال لهؤلاء المجرمين -توبيخًا وتحقيرًا لهم-: هذه جهنم التي يكذِّب بها المجرمون في الدنيا: تارة يُعذَّبون في الجحيم، وتارة يُسقون من الحميم، وهو شراب بلغ منتهى الحرارة، يقطِّع الأمعاء والأحشاء.

قوله تعالى:{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣]، أي:" يقال لهؤلاء المجرمين -توبيخًا وتحقيرًا لهم-: هذه جهنم التي يكذِّب بها المجرمون في الدنيا"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر جلّ ثناؤه أنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم حين يؤخذ بالنواصي والأقدام: هذه جهنم التي يكذّب بها المجرمون"[٧].

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة):(٣٥٨٩٠):ص ١٩/ ٢٣١.

(٢) الدر المنثور: ٧٠٤/٧، وعزاه إلى ابن مردويه، والضياء المقدسي في صفة النار.

(٣)أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢٩٣ - ٢٩٤ (١١٣١)، وابن الأعرابي في معجمه ٢/ ٧١٤ - ٧١٥ (١٤٠٩)، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٧/ ٤٩٩ - ٥٠٠ - ، من طريق رجل من كندة، عن عائشة به.
قال ابن كثير: «هذا حديث غريب جدًّا، وفيه ألفاظ مُنكر رفعها، وفي الإسناد مَن لم يُسمّ، ومثله لا يُحتج به». وقال ابن رجب في التخويف من النار ص ٢٣٢: «خرّجه بقي بن مخلد في مسنده، وابن أبي حاتم في تفسيره، وفي إسناده جهالة، وفي بعض ألفاظه نكارة».

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣-٥٣.

(٥) محاسن التأويل: ١١٢/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٥٣/٢٣.

قال النحاس:" أي يقال لهم: هذه جهنم التي كانوا يكذبون بها في الدنيا"[١].

قال السمعاني:" يقال لهم هذا حين يرون جهنم، وهذا على طريق التقريع والتوبيخ، يعني: ما أنكرتموه وجحدتموه فأبصروه عيانا"[٢].

قال الكلبي:" قال الكلبي: تقول الملائكة لهم: هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها أنها لا تكون "[٣].

قوله تعالى:{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤]، أي:" يترددون بين نار جهنم وبين ماءٍ حار بلغ النهاية في الحرارة"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يطوف هؤلاء المجرمون الذين وصف صفتهم في جهنم بين أطباقها وبين ماء قد أسخن وأغلي حتى انتهى حرّه وأنى طبخه، وكل شيء قد أدرك وبلغ فقد أنى، ومنه قوله: {غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ}، يعني: إدراكه وبلوغه"[٥].

قال الزمخشري:" أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم"[٦].

قال النحاس:" {يَطُوفُونَ بَيْنَها}، أي: بين أطباقها"[٧].

قال افراء:" بين عذاب جهنم وبين الحميم إذا عطشوا"[٨].

وفي قوله تعالى:{حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤]، ثلاثة أوجه :

أحدها : هو الذي انتهى حره وحميمه. قاله ابن عباس[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، والحسن[١١]، وقتادة[١٢]، وسفيان[١٣]، والسدي[١٤]. ومنه قول نابغة بني ذُبيان[١٥]:

ويُخْضَب لِحْيَةٌ غدَرَتْ وخانَتْ ... بأحمَرَ مِنْ نَجيع الجَوْفِ آني

يعني: مدرك.

قال أبو عبيدة: أي: " بلغ إناه في شدة الحر وكل مدرك آن وفى آية أخرى:{غَيْرَ ناظِرِينَ إناهُ}، أي: إدراكه"[١٦].

قال ابن قتيبة:" «الحميم»: الماء المغلي، و«الآني»: الذي قد انتهت شدة حره"[١٧].

قال الزجاج:" أي: متناهية في شدة الحرِّ"[١٨]، " قد أنى يأنى فهو آنٍ، إذا انتهى في النضج والحرارة، فإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني الذي قد صار كالمهل، فيطاف بهم مرَّةً إلى الحميم ومرة إلى النار"[١٩].

عن ابن عباس قوله: "{وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}، يقول: انتهى حرُّه"[٢٠].

---

(١) إعراب القرآن: ٢١٠/٤.
(٢) تفسير السمعاني: ٣٣٢/٥.
(٣) التفسير البسيط للواحدي: ١٧٩/٢١-١٨٠.
(٤) صفوة التفاسير: ٢٨٠/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٥٣/٢٣-٥٤.
(٦) الكشاف: ٤٥١/٤.
(٧) إعراب القرآن: ٢١٠/٤.
(٨) معاني القرآن: ١١٨/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤/٢٣.
(١٠)انظر: تفسير الطبري: ٥٤/٢٣.
(١١)انظر: تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.
(١٢)انظر: تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.
(١٣)انظر: تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٣٧/٦.
(١٥) ديوانه: ١٩٤. نجيع الجوف: الدم الخالص. والآنى: الشديد الحرارة، وهو الذي بلغ أناه.
(١٦) مجاز القرآن: ٢٤٥/٢.
(١٧) غريب القرآن: ٤٣٩.
(١٨) معاني القرآن: ٣١٧/٥.
(١٩) معاني القرآن: ١٠٢/٥.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.

قال ابن عباس:" غلى حتى انتهى غليه"[١].
قال ابن عباس:" الآني: ما اشتدّ غليانه ونضجه"[٢].
قال سعيد بن جبير:" الآني الذي قد انتهى حرّه"[٣].
قال الحسن:" يقول: حميم قد آن منتهى حره"[٤].
قال سفيان:" قد انتهى حرّه"[٥].
قال الضحاك:" هو الذي قد انتهى غَلْيه"[٦].
قال قتادة:" يقول: حميم قد أنى طبخه منذ خلق الله السموات والأرض"[٧].
الثاني: أن الآني :الحاضر. قاله ابن زيد[٨]، ومحمد بن كعب[٩].
الثالث : أنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته، وهو معنى قول مجاهد[١٠].
عن مجاهد، قوله: "{وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}، قال: قد بلغ إناه"[١١].
قال كعب الأحبار: «آن»: وادي من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم وهم في الأغلال، فيغمسون في ذلك الوادي حتى تخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد أحدث الله سبحانه لهم خلقا جديدا، فيلقون في النار فذلك قوله سبحانه: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}"[١٢].
قال قتادة:" فهم في عناء وعذاب بين نار وحميم وتلا هذه الآية: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤]"[١٣].
قال مقاتل:" لا يستريحون ساعة من غم يطاف عليهم في ألوان عذابهم، فذلك قوله: { ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُم}[الصافات: ٦٨] من الزقوم والحميم يعني الشراب، {لَإِلَى الْجَحِيمِ}[الصافات: ٦٨]، فيذهب به مرة إلى الزقوم، ثم إلى الجحيم، ثم إلى منازلهم في جهنم"[١٤].
وفِي قراءة عَبْد اللَّه: «هَذِهِ جهنم التي كنتما بها تكذبان، تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان تطوفان»[١٥].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)} [الرحمن : ٤٥]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٦].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٥/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٥/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٥/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٣٧/٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(١٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٨٨/٩-١٨٩.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٠١):ص٣٢١٧/١٠.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠١/٤-٢٠٢.
(١٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ١١٧/٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

قال الطبري:" يقول: فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم -بعقوبته أهل الكفر به، وتكريمه أهل الإيمان به – تكذّبان"[٢].

قال النحاس:" أي: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم بها عليكم فلم يعاقب منكم إلّا المجرمين، وجعل لهم سيمياء يعرفون بها حتّى لا يختلط بهم غيرهم"[٣].

قال الزمخشري:" ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب: نجاة الناجي منه برحمته وفضله، وما في الإنذار به من اللطف"[٤].

فوائد الآيات: [٣٧-٤٥]:

١- بيان الانقلاب الكوني وخراب العالم للقيامة.

٢- يبعث الناس من قبورهم ولهم علامات تميزهم فيعرف السعيد والشقي.

٣- التنديد بالإجرام وهو الشرك والظلم والمعاصي.

القرآن

{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦)} [الرحمن : ٤٦]

التفسير:

ولمن اتقى الله من عباده من الإنس والجن، فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه، وترك معاصيه، جنتان.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال ابن شَوْذب، وعطاء الخراساني : "نزلت هذه الآية :{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} في أبي بكر الصديق"[٥].

الثاني: عن عطية بن قيس في قوله :{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} : نزلت في الذي قال : أحرقوني بالنار، لعلي أضل الله، قال : تاب يوما وليلة بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة"[٦].

قال ابن كثير:" الصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول تعالى : ولمن خاف مقامه بين يدي الله، عز وجل، يوم القيامة، {وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات : ٤٠]، ولم يطغ، ولا آثر الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان.. وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ؛ ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء "[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولمن اتقى الله من عباده -فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه - جنتان، يعني: بستانين"[٨].

قال الزمخشري:" {مَقامَ رَبِّهِ}: موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ}، ونحوه: {لِمَنْ خافَ مَقامِي}، ويجوز أن يراد بمقام ربه: أن الله قائم عليه، أي: حافظ مهيمن من قوله تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ}، فهو يراقب

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.

(٣) إعراب القرآن: ٢١٠/٤-٢١١.

(٤) الكشاف: ٤٥١/٤.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧، ٥٠٢.

(٨) تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.

ذلك فلا يجسر على معصيته. وقيل: هو مقحم كما تقول: أخاف جانب فلان، وفعلت هذا لمكانك. وأنشد[١]:

ذَعَرْتُ به القَطَا وَنَفَيتُ عنه ... مقام الذئبِ كالرجُلِ اللعينِ

يريد: ونفيت عنه الذئب"[٢].

عن ابن عباس، قوله: "{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، يقول: خاف ثم اتقى، والخائف: من ركب طاعة الله، وترك معصيته"[٣].

قال ابن عباس:" وعد الله جلّ ثناؤه المؤمنين الذين خافوا مقامه، فأدَّوا فرائضه الجنة"[٤].

عن مجاهد، في قوله: "{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر مقام ربه فينزع"[٥].

قال مجاهد:" الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان"[٦].

قال مجاهد:" الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها"[٧].

قال مجاهد:" هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله"[٨].

قال مجاهد:" يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيدعه"[٩].

قال إبراهيم:" إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله"[١٠].

قال قتادة:" إن لله مقاما قد خافه المؤمنون"[١١].

قال قتادة:" إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار"[١٢].

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عدن"[١٣].

عن أبي الدرداء، قال، قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإنْ زَنى وسَرقَ وإنْ رَغِمَ أنْف أبي الدَّرْداء»"[١٤].

عن عطاء بن يسار، قال: أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، قرأ يوما هذه الآية: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال فقلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: {وَلِمَنْ خَافَ

---

(١)البيت للشماخ بن ضرار في "ديوانه" ص ٣٢١، "مجاز القرآن" ١/ ٤٦، "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٧٠ "تفسير الثعلبي" ١/ ١٠٢٩، "لسان العرب" ٧/ ٤٠٤٤، "تفسير القرطبي" ٢/ ٢٣، وذكره الطبري في "تفسيره" ١/ ٤٠٨ برواية: مكان الذئب.

قوله: "كالرجُلِ اللعينِ": هو شيء ينصب وسط الزرع لطرد الوحوش. كذا في الصحاح.

(٢) الكشاف: ٤/٤٥١-٤٥٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٥-٥٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٧.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٧.

(١٣)صحيح البخاري برقم (٤٨٧٨) وصحيح مسلم برقم (١٨٠) وسنن الترمذي برقم (٢٥٢٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٧٦٥) وسنن ابن ماجه برقم (١٨٦).

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٧.

مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وَإِنْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ رَغْمَ أَنْفِ أبي الدَّرْدَاءِ»"[1].

عن أبي موسى، عن أبيه، -قال حماد لا أعلمه إلا رفعه- في قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال: "جنتان من ذهب للمقرّبين أو قال: للسابقين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين"[2].

عن سيار، قال: "قيل لأبي الدرداء في هذه الآية: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، فقيل: وإن زنى وإن سرق، فقال: وإن زنى وإن سرق. وقال: إنه إن خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق"[3].

عن ابن مسعود في قوله: "{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال: وإن زنى وإن سرق"[4].

عن ابن وهب، قال:" قال ابن زيد، في قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال: مقامه حين يقوم العباد يوم القيامة، وقرأ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، وقال: ذاك مقام ربك"[5].

عن ابن وهب، قال:" قال ابن زيد، في قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال: جنتا السابقين، فقرأ: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}، فقرأ حتى بلغ: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، ثم رجع إلى أصحاب اليمين، فقال: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، فذكر فضلهما وما فيهما"[6].

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة"[7].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم قال جَنَّتَانِ؟

قلت: الخطاب للثقلين، فكأنه قيل: لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الإنسى، وجنة للخائف الجنى. ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي، لأنّ التكليف دائر عليهما وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل، كقوله تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَة"[8].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧)} [الرحمن : ٤٧]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما أيها الثقلان -التي أنعم عليكم بإثابته المحسن منكم ما وصف جلّ ثناؤه في هذه الآيات – تكذّبان"[9].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[10].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[11].

القرآن

{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨)} [الرحمن : ٤٨]

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣-٥٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٨/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٨/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٨/٢٣.
(٧)سنن الترمذي برقم (٢٤٥٠) وتفسير البغوي (٤٥١/٧).
(٨) الكشاف: ٤٥٢/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٥٨/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

التفسير:
الجنتان ذواتا أغصان نضرة من الفواكه والثمار.
قال الطبري:" يقول: ذواتا ألوان، واحدها فن، وهو من قولهم: افتن فلان في حديثه: إذا أخذ في فنون منه وضروب"[١].
قال ابن كثير:" أي: أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة"[٢].
وتعددت عبارات أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} [الرحمن : ٤٨]، على وجوه:
أحدها : ذواتا ألوان ، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، وأبو سنان[٥].
عن ابن عباس في قوله: "{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}، قال: ذواتا ألوان"[٦].
الثاني : ذواتا ألوان من الفاكهة، قاله الضحاك[٧].
الثالث : ذواتا أغصان، قاله مجاهد-أيضا-[٨]، ومقاتل[٩]، وأبو عبيدة[١٠]، والأخفش[١١]، وابن بحر[١٢].
قال مقاتل:" يعني: ذواتا أغصان يتماس أطراف شجرها بعضه بعضا كالمعروشات"[١٣].
وحكى البغوي، عن مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والكلبي : " الغصن المستقيم طولا"[١٤].
الرابع: ذواتا أطراف أغصان الشجر. قاله ابن عباس-أيضا-[١٥].
قال ابن عباس:" يقول: فيما بين أطراف شجرها، يعني: يمسّ بعضها بعضا كالمعروشات، ويقال: ذواتا فضول عن كل شيء"[١٦].
الخامس: عنى بذلك فضلهما وسعتهما على ما سواهما. قاله قتادة[١٧].
قال قتادة:" يعني: فضلهما وسعتهما على ما سواهما"[١٨].
قال قتادة:" ذواتا فضل على ما سواهما"[١٩].
السادس: إن الأفنان أغصان الشجَر يمس بعضُها بعضا، قاله عطاء الخراساني[٢٠].
السابع: يعني: ظِل الأغصان على الحيطان. قاله عكرمة[٢١]، وأنشد قول الشاعر[١]:

---

(١) تفسير الطبري: ٥٨/٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٢/٤.
(١٠) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٥/٢.
(١١) انظر" النكت والعيون: ٤٣٨/٥.
(١٢) انظر" النكت والعيون: ٤٣٨/٥.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٢/٤.
(١٤) تفسير البغوي: ٤٥٢/٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٣.
(٢٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٧.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.

ما هاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَدِيل حَمامَة ... تَدْعُو على فَنن الغُصُون حَماما
تَدْعُوا أبا فَرْخَين صَادَفَ ضاريا ... ذا مِخْلَبين مِنَ الصُّقُور قَطاما"[٢].

وحكي البغوي عن الحسن، قال:" ذواتا ظلال"[٣].

الثامن: واسعتا الفناء. قاله الربيع بن انس[٤].

قال ابن كثير-بعد أن ذكر طرفا من الأقوال السابقة:" وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافاة بينها، والله أعلم"[٥].

قال الزمخشري:" خص الأفنان بالذكر: وهي الغصنة[٦] التي تتشعب من فروع الشجرة، لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتنى الثمار. وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين"[٧].

عن أسماء، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر سدرة المنتهى - فقال : "يسير في ظل الفَنَن منها الراكب مائة سنة - أو قال : يستظل في ظل الفَنَن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القِلال"[٨].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩)} [الرحمن : ٤٩]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكما بإثابته هذا الثواب أهل طاعته – تكذّبان"[٩].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٠].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١١].

القرآن

{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠)} [الرحمن : ٥٠]

التفسير:

في هاتين الجنتين عينان من الماء تجريان خلالهما.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره في هاتين الجنتين عينا ماء تجريان خلالهما"[١٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣، ولم أقف على قائلهما، وأنشد ابن بري في "اللسان": «هدر» البيت الأول منهما، ولم ينسبه قال صاحب اللسان عن ابن سيده في المحكم: الهديل: صوت الحمام، وخص بعضهم به وحشها، كالدباسي والقماري ونحوهما، هدل يهدل هديلا. وأنشد ابن بري:.... البيت قال: وقد جاء الهديل في صوت الهدهد. اهـ. والفنفن الغصن المستقيم طولا وعرضا. وقيل الغصن: القضيب، يعني المقضوب، والفنن: ما تشعب منه. والجمع: الأفنان ثم والأفانين.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٣.

(٣) تفسير البغوي: ٤٥٢/٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٧.

(٦) الغصنة : جمع غصن، كقرطة جمع قرط. أفاده الصحاح.

(٧) الكشاف: ٤٥٢/٤.

(٨)سنن الترمذي برقم (٢٥٤١) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب".

(٩) تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.

قال ابن كثير:" أي : تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان"[١].

قال الشوكاني:" هذا أيضا صفة أخرى لـ «جنتان» ، أي: في كل واحدة منهما عين جارية"[٢].

قال الرازي:" أي: في كل واحدة عين واحدة"[٣].

قال مقاتل:" في عين أخدود من ماء غير آسن"[٤].

قال الزمخشري:" {عَيْنانِ تَجْرِيانِ} حيث شاءوا في الأعالي والأسافل. وقيل: تجريان من جبل من مسك"[٥].

وعن الحسن: "تجريان بالماء الزلال: إحداهما التسنيم، والأخرى: السلسبيل"[٦].

وقال عطية : "إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين"[٧].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ الله اختار مِن الملائكة أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل». وذكر الحديث حتى قال: «واختار من العيون أربعة، يقول في محكم كتابه: {فيهما عينان تجريان}، وقال: {فيهما عينان نضاختان} [الرحمن: ٦٦]، فأما التي تجريان: فعين بَيْسان، وعين سُلْوان، وأما النَّضّاختان: فعين زمزم، وعين عَكا ... »"[٨].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١)} [الرحمن : ٥١]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال الشوكاني:" فإن من جملتها هذه النعمة الكائنة في الجنة لأهل السعادة"[٩].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٠].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١١].

القرآن

{فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)} [الرحمن : ٥٢]

التفسير:

في هاتين الجنتين من كل نوع من الفواكه صنفان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فيهما من كلّ نوع من الفاكهة ضربان"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير:٥٠٣/٧.

(٢) فتح القدير: ١٦٩/٥.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٧٢/٢٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٣/٤.

(٥) الكشاف: ٤٥٢/٤.

(٦) نقلا عن: الكشاف: ٤٥٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.

(٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.

(٨)أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١/ ٢٢١ - ٢٢٢، من طريق أبي الفضل العباس بن ميمون، عن أبي محمد المراغي، عن قتيبة، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به.
قال ابن عساكر: «هذا حديث منكر بمرّة، وأبو الفضل والمراغي مجهولان». وأورده الكناني في تنزيه الشريعة ٢/ ٦٥.

(٩) فتح القدير: ١٦٩/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٠/٢٣-٦١.

قال ابن كثير:" أي : من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[١].

قال الشوكاني:" هذا صفة ثالثة لجنتان، والزوجان: الصنفان والنوعان، والمعنى: أن في الجنتين من كل نوع يتفكه به ضربين يستلذ بكل نوع من أنواعه، قيل: أحد الصنفين رطب والآخر يابس، لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب"[٢].

قال الرازي:" معناه: كل واحدة منهما زوج، أو معناه في كل واحدة منهما من الفواكه زوجان، ويحتمل أن يكون المراد مثل ذلك أي في كل واحدة من الجنتين زوج من كل فاكهة ففيهما جميعا زوجان من كل فاكهة"[٣].

عن ابن عباس : "ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظلة"[٤].

وقال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء"[٥]. قال ابن كثير:" يعني : أن بين ذلك بَونًا عظيما، وفرقًا بينا في التفاضل"[٦].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣)} [الرحمن : ٥٣]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٧].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٨].

قال الطبري: يقول :" فبأي آلاء ربكما -التي أنعم بها على أهل طاعته من ذلك- تكذّبان"[٩].

قال الشوكاني:" فإن في مجرد تعداد هذه النعم ووصفها في هذا الكتاب العزيز من الترغيب إلى فعل الخير والترهيب عن فعل الشر ما لا يخفى على من يفهم، وذلك نعمة عظمى ومنة كبرى، فكيف بالتنعم به عند الوصول إليه"[١٠].

القرآن

{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤)} [الرحمن : ٥٤]

التفسير:

وللذين خافوا مقام ربهم جنتان يتنعمون فيهما، متكئين على فرش مبطَّنة من غليظ الديباج، وثمر الجنتين قريب إليهم.

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن : ٥٤]، أي:" وللذين خافوا مقام ربهم جنتان يتنعمون فيهما، متكئين على فرش مبطَّنة من غليظ الديباج"[١١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.
(٢) فتح القدير: ١٦٩/٥.
(٣) مفاتيح الغيب: ٣٧٢/٢٩.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.
(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.
(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٩) تفسير الطبري: ٦١/٢٣.
(١٠) فتح القدير: ١٦٩/٥.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣٣.

قال ابن كثير:" {مُتَّكِئِينَ} يعني : أهل الجنة. والمراد بالاتكاء هاهنا : الاضطجاع. ويقال : الجلوس على صفة التّربّع. {عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} وهو : ما غلظ من الديباج.. فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة. وهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى "[1].

قال الطبري:" بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج، والإستبرق عند العرب: ما غلظ من الديباج وخشن"[2].

قال الزمخشري:" {مُتَّكِئِينَ} نصب على المدح الخائفين. أو حال منهم، لأنّ من خاف في معنى الجمع"[3].

عن يحيى بن أبي إسحاق، قال:" قال لي سالم بن عبد الله: ما الإستبرق؟ قال، قلت: ما غلظ من الديباج وخشن منه"[4].

عن عكرمة، في قوله: "{إِسْتَبْرَق}، قال: الديباج الغليظ"[5].

وقال أبو عِمْران الجَوْني : هو الديباج المغَرّي بالذهب"[6].

قال الفراء:" الإستبرق: ما غلظ من الديباج"[7].

قال أبو عبيدة:" يسمّى المتاع الصيني الذي ليس له صفاقة: الديباج ولا خفّة الفرند إستبرقا"[8].

قال الزجاج:" قيل الإستبرق: الديباج الصفيق جدًّا نحو ما يعمل للكعبة، والبطائن: ما يلي الأرض"[9].

وفي قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن : ٥٤]، وجهان:
أحدهما : أن بطائنها يريد به: ظواهرها، قاله قتادة[10]، والحسن[11]، ومقاتل[12].

قال مقاتل:" يعني: ظاهرها من الديباج الأخضر فوق الفرش الديباج وهي بلغة فارس، نظيرها في آخر السورة : {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} [الرحمن : ٧٦]، يعني: المحابس الخضر على الفرش"[13].

قال الفراء:" وَقَدْ تكون البطانة: ظهارة، والظهارة بطانة فِي كلام العرب، وذلك أن كل واحد منهما قَدْ يكون وجهًا، وَقَدْ تَقُولُ العرب: هَذَا ظهر السماء، وهذا بطن السماء لظاهرها الَّذِي تراه. قَالَ: وأخبرني بعض فصحاء المحدثين عَنِ ابْنِ الزُبَيْر يعيب قتلة عثمان رحمه اللَّه فَقَالَ: «خرجوا عَلَيْهِ كاللصوص من وراء القرية، فقتلهم اللَّه كلّ قتلة، ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب». يريد: هربوا ليلًا، فجعل ظهور الكواكب بطونًا، وذلك جائز عَلَى ما أخبرتك به"[14].

قال ابن قتيبة-بعد أن نقل كلام الفراء-:" وهذا أيضا من عَجَب التفسير. كيف تكون البطانةُ ظِهارةً، والظِّهارةُ بطانةً - والبطانةُ: ما بَطَن من الثوب وكان من شأن الناس إخفاؤه؛ والظِّهارةُ: ما ظَهَر منه وكان من شأن الناس إبداؤه؟!. وهل يجوز لأحد أن يقول لوجهِ مصلًّى:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.
(٢) تفسير الطبري: ٦١/٢٣.
(٣) الكشاف: ٤٥٢/٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦١/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٦١/٢٣.
(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.
(٧) معاني القرآن: ١١٨/٣.
(٨) مجاز القرآن: ٢٤٥/٢.
(٩) معاني القرآن: ١٠٤/٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٣٩/٥.
(١١) حكاه عنه السمعاني في "التفسير":٣٣٤/٥.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٣/٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٣/٤.
(١٤) معاني القرآن: ١١٨/٣.

هذا بطانته؛ ولما وَلِيَ الأرضَ منه: هذا ظِهارتُه؟!. وإنَّما أراد الله جل وعز أن يعرفنا -من حيثُ نفهم- فضلَ هذه الفُرش وأن ما وليَ الأرضَ منها إستَبْرَقٌ، وهو: الغليظ من الدِّيباج. وإذا كانت البطانة كذلك: فالظِّهارةُ أعلى وأشرفُ. وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لَمَنَادِيلُ سعدِ بن مُعاذٍ -في الجنة- أحسنُ من هذه الحُلَّة»[1] . فذكر المناديلَ دون غيرها: لأنها أخشنُ من الثياب. وكذلك البطائنُ: أخشنُ من الظواهر. وأما قولهم: ظهر السماء وبطن السماء؛ -لما ولِينَا-:فإن هذا قد يجوز في ذي الوَجْهين المتساويَيْن إذا ولِيَ كلُّ واحد منهما قومًا. تقول في حائط بينك وبين قوم -لِمَا ولِيَكَ منه-: هذا ظهرُ الحائط؛ ويقول الآخَرون لما ولِيَهم: هذا ظهر الحائط. فكلُّ واحد -من الوجهين-: ظهرٌ وبطنٌ. ومثلُ هذا كثيرٌ. كذلك السماء: ما وَلِينا منها ظهرٌ؛ وهو لمن فوقها -من الملائكة- بطن"[2].

الثاني : أنه أراد البطانة دون الظهارة، لأن البطانة إذا كانت من إستبرق وهي أدون من الظاهرة دل على أن الظهارة فوق الإستبرق ، قاله الكلبي[3].

قال ابن مسعود:" قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟"[4].

قال هبيرة[5]: "هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟"[6].

قال ابن عباس:" إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم، فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله"[7].

عن جعفر، عن سعيد، قال: "قيل له: هذه البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}"[8].

سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله: " {بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} قال: ظواهرها من نور جامد[9].

قال مالك بن دينار : "بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور"[10].

قال سفيان الثوري - أو شريك - : "بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد"[11].

قال القاسم بن محمد: "بطائنها من إستبرق، وظواهرها من الرحمة"[12].

قال ابن شَوْذَب، عن أبي عبد الله الشامي : "ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر، وعلى الظواهر المحابس، ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله"[13].

وفي قراءة عبد الله : «متكئين على سرر وفرش بطائنها من رفرف من استبرق»[14].

---

(١)أخرجه الترمذي والنسائي من طريق البراء؛ وأخرجه أحمد والشيخان من طريقه وطريق أنس رضي الله عنهما. على ما في الفتح الكبير ٢٩٥/٣.

(٢) غريب القرآن: ٤٤١-٤٤٢.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٣٩/٥.

(٤) أخرجه الطبري :٦٢/٢٣.

(٥)هبيرة بن يريم الشبامي، ويقال: الخارفي، أبو الحارث الكوفي، روى عن علي وابن مسعود وابن عباس، روى عنه: أبو إسحاق السبيعي وأبو فاختة. قال ابن حنبل: لا بأس بحديثه. وقال النسائي: ليس بالقوي. قال ابن حجر: لا بأس بحديثه، وقد عيب بالتشيع. ينظر: "الجرح والتعديل" ٩/ ١٠٩، "تهذيب الكمال" ٣٠/ ١٥٠، "التقريب".

(٦) أخرجه الطبري :٦٢/٢٣. وذكر مثله الثعلبي عن أبي هريرة، انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ١٩٠، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٣٩/٥، وتفسير العز بن عبدالسلام: ٢٦٩/٣، وتفسير القرطبي: ١٧٩/١٧، واللباب: ٣٤٦/١٨.

(٨) أخرجه الطبري :٦٢/٢٣.

(٩) الدر المنثور: ٧١٠/٧ وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(١٤) الدر المنثور: ٧٠٩/٧ وعزاه إلى عبد بن حميد عن الضحاك.

قوله تعالى:{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن : ٥٤]، أي:" وثمر الجنتين قريب إليهم"[١].

قال الطبري:" يقول: وثمر الجنتين الذي يجتني قريب منهم، لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها، لاجتناء ثمرها، ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ثمرها قريب إليهم، متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال :{قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الحاقة : ٢٣]، وقال :{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا} [الإنسان : ١٤] أي : لا تمنع ممن تناولها، بل تنحط إليه من أغصانها"[٣].

قال أبو عبيدة:" ما يجتنى قريبا لا يعنّى الجاني"[٤].

قال ابن عباس:" يقول: ثمارها دانية"[٥].

قال السمعاني:" أي: ثمار الجنتين دانية، ومنه قول العرب: هذا جناي خيار فيه، إذ كل جان يده إلى فيه، وهو يحكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين دخل بيت المال بالكوفة، ورأى ما فيه من الذهب والفضة فقال: «يا صفراء، ويا بيضاء غرا غيري»، ثم قال: «هذا جناي ... إلى آخره"[٦].

قال القرطبي:" «الجنى» ما يجتنى من الشجر، يقال: أتانا بجناة طيبة لكل ما يجتنى"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن : ٥٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : داني لا يبعد على قائم ولا على قاعد، قاله ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]،، والضحاك[١٠].

قال ابن عباس:" جناها ثمرها والداني القريب منك يناله القائم والقاعد"[١١].

عن مجاهد:" {وجَنى الجَنَّتَيْنِ دانٍ} ما يُجتنى من قريب"[١٢].

قال الضحاك:" دانٍ ثمارها"[١٣].

الثاني : أنه لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك ، قاله قتادة[١٤].

قال قتادة:" ثمارهم دانية، لا يردّ أيديهم عنه بعد ولا شوك. ذُكر لنا أن نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «وَالَّذِي نَفسِي بيَدِهِ، لا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمَرة مِنَ الجَنَّةِ، فَتَصِلُ إلى فِيهِ حتى يُبَدّلَ الله مَكانَها خَيْرا منْها»"[١٥].

الثالث: أي: ما يجنى من ثمرهما إذا أرادوه دنا من أفواههم حتى يتناوَلوه بأفواههم وأيديهم. قاله الزجاج[١٦].

عن علي بن أبي طالب، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « ... وفيها ثمار متدلّية، إذا اشتَهَوها انشَعب الغُصن إليهم، فيأكلون مِن أيّ الثمار اشتَهوا؛ إن شاء قائمًا، وإن شاء مُتكئًا، وذلك قول الله - عز وجل -: {وجَنى الجَنَّتَيْنِ دانٍ} ... »[١٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٢) تفسير الطبري: ٦٢/٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧.
(٤) مجاز القرآن: ٢٤٥/٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٢/٢٣.
(٦) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٥.
(٧) تفسير القرطبي: ١٨٠/١٧.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٤٥):ص٣٣٢٦/١٠، والدر المنثور: ٧١٠/٧.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٣٩/٥.
(١٠)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٥ (١١٦) -.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٤٥):ص٣٣٢٦/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٧١٠/٧، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث.
(١٢)أخرجه الطبري -كما في الفتح ٦/ ٣٢٣ -.
(١٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٥ (١١٦) -.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٢/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٢/٢٣.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ١٠٤/٥.
(١٧)أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ص ٣٥ - ٣٧ (٦) مطولًا، من طريق محمد بن عباد بن موسى

وقرئ: «وجِنى»، بكسر الجيم[١].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥)} [الرحمن : ٥٥]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ آلاء ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكما -من أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب، وأكرمهم هذه الكرامة - تكذّبان"[٢].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٤].

القرآن
{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦)} [الرحمن : ٥٦]
التفسير:
في هذه الفرش زوجات قاصرات أبصارهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم متعلقات بهم، لم يطأهن إنس قبلهم ولا جان.
قوله تعالى:{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} [الرحمن : ٥٦]، أي:" في هذه الفرش زوجات قاصرات أبصارهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم متعلقات بهم"[٥].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره في هذه الفرش التي بطائنها من إستبرق {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}، وهنّ النساء اللاتي قد قُصِرَ طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال"[٦].
قال مقاتل:" يقول حافظات النظر عن الرجال، لا ينظرن إلى أحد غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم"[٧].
قال سهل بن عبدالله:" أي: غاضات الأبصار عن غير أزواجهن فمن قصر طرفه في الدنيا عن الحرام والشبهات، وعن اللذات وزينتها، أعطاه الله في الجنة قاصرات الطرف، كما وعد"[٨].
قال ابن كثير:" ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك :{فِيهِنَّ}، أي : في الفرش {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}، أي: غضيضات عن غير أزواجهن، فلا يرين شيئا أحسن في الجنة من أزواجهن "[٩].
قال مجاهد:" قَصُر طرفهنّ عن الرجال، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ"[١٠].
قال قتادة:" يقول: قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم"[١].

العكلي، عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، عن الحارث، عن علي به.
وسنده ضعيف؛ فيه الحارث بن عبد الله الأعور، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (١٠٢٩): «في حديثه ضعف».
(١) انظر: الكشاف: ٤٥٢/٤.
(٢) تفسير الطبري: ٦٢/٢٣-٦٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٦) تفسير الطبري: ٦٣/٢٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٣/٤.
(٨) تفسير التستري: ١٥٩.
(٩) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٣.

قال ابن زيد:" لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ، تقول: وعزّة ربي وجلاله وجماله، إن أرى في الجنة شيئا أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجَك"[٢].

قوله تعالى:{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦]، أي:" لم يطأهن إنس قبلهم ولا جان"[٣].

قال الطبري:" يقول: لم يمسهنّ إنس قبل هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم، وهم الذين قال فيهم {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، ولا جانّ"[٤].

قال مقاتل:" لأنهن خلقن في الجنة مع شجر الجنة، يعني لم يطمثهن إنس قبل أهل الجنة، ولا جان، يعني: جن"[٥].

قال ابن كثير:" أي : بل هن أبكار عرب أتراب، لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن. وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة"[٦].

عن عليّ: "{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}، قال: منذ خلقهنّ"[٧].

عن عامر الشعبي -من طريق رجل- {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ}، قال: منذ أُنشِئن"[٨].

قال محم بن السائب الكلبي:" قال محمد بن السّائِب الكلبي: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ} هنّ مِن نساء الدنيا، لم يُمْسَسْنَ منذ أُنشِئن خلقًا"[٩].

وفي قوله تعالى:{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : لم يَمَسَّهنّ شيء إنسٌ ولا غيره. قاله مجاهد[١٠]، ابن زيد[١١]، وأبو عبيدة[١٢]، والزجاج[١٣].

قال أبو عمرو : "الطمث: المس ، وذلك في كل شيء يمس"[١٤].

قال أبو عبيدة:" لم يمسسهن، يقال: ما طمث هذا البعير حبل قط، أي: ما مسّه حبل"[١٥].

الثاني : لم يذللهن إنس قبلهم ولا جان، والطمث : التذليل، قاله المبرد[١٦].

الثالث : لم يُدْمِهُنَّ إنس ولا جان، قاله الفراء[١٧]، ورواه أبو صالح عن مقاتل[١٨]، ومنه قول الشاعر[١٩]:

وقَعْنَ إليَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي ... وهُنَّ أصحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٣.
(٣) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٤) تفسير الطبري: ٦٣/٢٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٣/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.
(٨)أخرجه هناد (٢٢).
(٩)تفسير البغوي ٧/ ٤٥٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.
(١٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٥/٢-٢٤٦.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ١٠٢/٥.
(١٤) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٣٩/٥.
(١٥) مجاز القرآن: ٢٤٥/٢-٢٤٦.
(١٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٣٩/٥.
(١٧) انظر: معاني القرآن: ١١٩/٣.
(١٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٤/٤.
(١٩)البيت منسوب إلى الفرزدق في اللسان (طمث) وليس في ديوانه.

قال ابن قتيبة:" قال ابن قتيبة:" «الطَّمْث»: النكاح بالتَّدْمِيَة. ومنه قيل للحائض: طامثٌ"[١]. .. "قال في الحور العين: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ} [الرحمن: ٧٤] ، فدل على أن الجن تطمث الإنس"[٢].

قال الزجاج:" وفي هذه الآية دليل على أن الجني يغشى، كما أن الِإنسى يغشى"[٣].

قال الماوردي:" وفي الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس"[٤].

الرابع: لم يجامعهنّ إنس قبلهم ولا جانّ. قاله ابن عباس[٥]، وعكرمة[٦]، وعطاء الخراساني[٧].

قال عطاء:" لم يضاجعهم إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ"[٨].

عن عكرمة، من طريق مُغيرة- قال: "{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ} لم يُجامعهنّ"[٩].

قال عكرمة:" لا تقل للمرأة: طامث، فإن الطَّمْث هو الجماع، إن الله يقول: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}"[١٠].

عن عاصم، قال: "قلت لأبي العالية امرأة طامث، قال: ما طامث؟ فقال رجل: حائض، فقال أبو العالية: حائض، أليس يقول الله عزّ وجل: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}"[١١].

قال الطبري:" فإن قال قائل: وهل يجامع النساء الجنّ، فيقال: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}؟

فإن مجاهدا روي عنه ..، قال: «إذا جامع الرجل ولم يسمّ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه، فذلك قوله: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}»[١٢]. وكان بعض أهل العلم ينتزع بهذه الآية في أن الجنّ يدخلون الجنة"[١٣].

عن أرطاة بن المنذر، قال: "سألت ضَمْرة بن حبيب: هل للجنّ من ثواب؟ قال: نعم، ثم نزع بهذه الآية: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}، فالإنسيات للإنس، والجنيات للجنّ"[١٤].

ويقرأ :«لَمْ يَطْمُثْهُنَّ»[١٥].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧)} [الرحمن : ٥٧]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ آلاء ربكما معشر الجنّ والإنس -من هذه النعم التي أنعمها على أهل طاعته تكذّبان"[١٦].

---

(١) غريب القرآن: ٤٤٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٧٩.

(٣) معاني القرآن: ١٠٣/٥.

(٤) النكت والعيون: ٤٤٠/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.

(٧) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٣٦):ص١١٤/١.

(٨)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٣٦):ص١١٤/١.

(٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣١. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣-٦٥.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٦٥/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٣.

(١٥) انظر: السبعة في القراءات: ٦٢١.

(١٦) تفسير الطبري: ٦٥/٢٣.

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢].

القرآن
{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨)} [الرحمن : ٥٨]
التفسير:
كأن هؤلاء الزوجاتِ من الحور الياقوتُ والمَرْجانُ في صفائهن وجمالهن.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كأن هؤلاء القاصرات الطرف، اللواتي هنّ في هاتين الجنتين في صفائهنّ الياقوت، الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فكذلك يرى مخّ سوقهنّ من وراء أجسامهنّ، وفي حسنهنّ الياقوت والمرجان"[٣].
قال الزجاج:" قال أهل التفسير وأهل اللغة: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان، والمرجان صغار اللؤلؤ وهو أشد بياضاً"[٤].
قال ابن زيد:" كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض، الصفاء: صفاء الياقوتة، والبياض: بياض اللؤلؤ"[٥].
قال الضحاك:" كالياقوت واللؤلؤ في صفائه"[٦].
عن الحسن، في قوله: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، في بياض المرجان"[٧].
قال السدي:" صفاء الياقوت وحسن المرجان"[٨].
قال سفيان:" في صفاء الياقوت وبياض المرجان"[٩].
قال قتادة: "شبه بهنّ صفاء الياقوت في بياض المرجان"[١٠].
عن قتادة: "{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، صفاء الياقوت في بياض المرجان. ذُكر لنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:" مَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ فَلَهُ فِيها زَوْجتَان يُرىَ مُخُّ سُوقِهما مِنْ وَرَاءِ ثِيابِهما"[١١].
عن عبد الله بن الحارث الهاشميّ:"{كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ} كأنهن اللؤلؤ في الخيط"[١٢].
قال مجاهد:" يُرى مخّ سُوقهنّ مِن وراء الثياب؛ كما يُرى الخيط في الياقوتة"[١٣].
عن إسحاق بن عبد الله، قال: بلغني: "أنه يقول -يعني: الولي- في الجنة: أشتهي العين. فيُقال له: أفإنهنّ حور عين. فيقول: أشتهي البياض. فيقال: إنهنّ كأنهنّ بيضٌ مكنون. فيقول: أخشى أن يكون في وجهها كَلَف. فيقال له: {كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ}. فيقول: أخشى أن تكون خفيفة. فيقال له: {حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ}. فيقول: إني غيور. فيقال: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣) تفسير الطبري :٦٥/٢٣.
(٤) معاني القرآن: ١٠٣/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٣.
(٦)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٠، وهناد (١٨). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣-٦٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٣.
(١٢)أخرجه ابن أبي شيبة: ١٣/ ١٣٠.
(١٣)أخرجه ابن أبي شيبة: ١٣/ ١٣٠ - ١٣١.

ولا جانٌّ}. قال: قال ابن عباس: تسنيم، وماء التسنيم يشربها المُقرّبون صرفًا، وتُمزج لأصحاب اليمين"[١].

عن عمرو بن ميمون، قال:" إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة، فيرى مخّ ساقها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء"[٢].

عن كعب الأحبار، قال: "إنّ المرأة مِن الحور العين لتلبس سبعين حُلّة، لهي أرقُّ مِن شَفّكُم هذا الذي تُسمّونه شَفًّا، وإنّ مُخ ساقها ليُرى من وراء اللحم"[٣].

قال ابن مسعود: "إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ، ذلكم بأن الله يقول: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر"[٤].

عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:" إنَّ المَرأةَ مِنْ أهْل الجَنَّة لَيُرَى بَياضُ ساقها مِنْ وَرَاء سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حرير ومُخُّها، وذلكَ أن اللهَ تَبارَكَ وَتَعَالى يَقُولُ: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، أمَّا الياقُوتُ فإنَّهُ لَوْ أدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرأيْتَهُ مِنْ وَرَائِه"[٥].

عن محمد بن سيرين، قال : إما تفاخروا وإما تذكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضْوَأ كوكب دُرّي في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يُرَى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب"[٦].

عن أنس ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لَغَدْوَةٌ في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوس أحدكم - أو موضع قيده - يعني : سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولطاب ما بينهما، ولنَصِيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها"[٧].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩)} [الرحمن : ٥٩]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكم معشر الثقلين -من إثابته أهل طاعته منكم بما وصف في هذه الآيات- تكذّبان"[٨].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٩].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١٠].

القرآن

{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١)} [الرحمن : ٦٠-٦١]

التفسير:

---

(١)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٩٢ - ٣٩٣ (٣٤٧) -.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.

(٣) الدر المنثور: ٧/ ٧١٣، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.

(٦)صحيح مسلم برقم (٢٨٣٤)، وصحيح البخاري برقم (٣٢٤٥).

(٧)المسند (١٤١/٣) وصحيح البخاري برقم (٢٧٩٦).

(٨) تفسير الطبري: ٦٧/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

هل جزاء مَن أحسن بعمله في الدنيا إلا الإحسان إليه بالجنة في الآخرة؟ فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن : ٦٠]، أي:" هل جزاء مَن أحسن بعمله في الدنيا إلا الإحسان إليه بالجنة في الآخرة؟"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجلّ لمن خافه، فأحسن فى الدنيا عَمله، وأطاع ربه، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربُّهُ، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا، ما وصف في هذه الآيات من قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} ... إلى قوله: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}"(٢).

وفي قوله تعالى:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن : ٦٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : هل جزاء الطاعة إلا الثواب. وهو معنى قول قتادة(٣).

قال قتادة:" عملوا خيرا فجوزوا خيرا"(٤).

الثاني : هل جزاء الإحسان في الدنيا إلا الإحسان في الآخرة، وهو معنى قول ابن زيد(٥).

قال ابن زيد:" ألا تراه ذكرهم ومنازلهم وأزواجهم، والأنهار التي أعدّها لهم، وقال: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ}: حين أحسنوا في هذه الدنيا أحسنا إليهم، أدخلناهم الجنة"(٦).

قال الزجاج:" أي: ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرةِ"(٧).

قال ابن كثير:" أي : ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة. كما قال تعالى :{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦]"(٨).

الثالث : هل جزاء من شهد أن لا إله إلا الله إلا الجنة في الآخرة، قاله ابن عباس(٩)، وروي ذلك مرفوعا.

عن أنس بن مالك قال : "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ}، قال : «هل تدرون ما قال ربكم ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : «يقول هل جزاء ما أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»"(١٠).

عن ابن عمر قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في قوله:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إلا الْإِحْسَانُ}، قال رسول الله :«هل جزاء من أنعمت عليه ممن قال: لا إله إلا الله في الدنيا إلا الجنة في الآخرة"(١١).

عن ميمون بن مهران قال: سمعت ابن عمر وابن عباس يقولان: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ يقول الله سبحانه: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلّا أن أسكنه جنّتي وحظيرة قدسي برحمتي»(١٢).

وقال محمد بن المنكدر:" هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة"(١٣).

قال يحيى بن سلام:" يقول: هل جزاء أهل الإيمان، أهل طاعة الله إلاَّ الجنَّة"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٢) تفسير الطبري: ٦٧/٢٣-٦٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٨/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٨/٢٣.
(٧) معاني القرآن: ١٠٢/٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٥/٧.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٩٢/٩، والنكت والعيون: ٤٤٩/٥.
(١٠)معالم التنزيل للبغوي (٤٥٦/٧) وفيه بشر الأصبهاني يروي عن الزبير بن عدي عن أنس بنسخة موضوعة.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٤٩):ص٣٣٢٧/١٠.
(١٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٩٢/٩.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٨/٢٣.

الرابع : هل جزاء التوبة إلا المغفرة ، قاله جعفر بن محمد الصادق[٢].
الخامس : أنها مسجلة للبر والفاجر، للفاجر في دنياه وللبرّ في آخرته. قاله محمد ابن الحنفية[٣]، والحسن[٤].
السادس : هل جزاء إحسان الله عليكم إلا طاعتكم له. أفاده الماوردي[٥].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦١]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟"[٦].
قال الطبري:" يقول: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم -من إثابته المحسن منكم بإحسانه- تكذّبان؟"[٧].
قال ابن كثير:" ولما كان في الذي ذُكِرَ نعم عظيمة لا يقاومها عمل، بل مجرد تفضل وامتنان، قال بعد ذلك كله :{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}"[٨].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٩].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١٠].
فوائد الآيات: [٤٦-٦١]:
١- فضل الخوف من الله تعالى وذلك كأن تعرض للعبد المعصية فيتركها خوفا من الله تعالى.
٢- فضل نساء أهل الجنة في حبهن لأزواجهن بحيث لا ينظرن إلا إليهم.
٣- بيان أن أفضل النساء في الدنيا تلك التي تقصر نظرها على زوجها فتحبه ولا تحب غيره من الرجال.
٤- بيان أن الجن المتقين يدخلون الجنة ولهم أزواج كما للإنس سواء بسواء.
٥- الإشادة بالإحسان وبيان جزائه والإحسان هو إخلاص العبادة لله والإتيان بها على الوجه الذي شرع أداؤها عليه، مع الإحسان إلى الخلق بكف الأذى عنهم وبذل الفضل لمن احتاجه منهم.

القرآن
{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣)} [الرحمن : ٦٢-٦٣]
التفسير:
ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟
قوله تعالى:{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} [الرحمن : ٦٢]، أي:" ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان"[١١].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ومن دون هاتين الجنتين -اللتين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهما التي ذكر أنهما لمن خاف مقام ربه – جنتان"[١٢].
واختلف أهل التفسير في معنى قوله: «وَمِنْ دُونِهِمَا» في هذا الموضع، على قولين:

---

(١)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٢٨.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٠/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٦٨.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٩٢/٩.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٠/٥.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٧) تفسير الطبري: ٦٨/٢٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٥/٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(١٢) تفسير الطبري: ٦٩/٢٣.

أحدهما: ومن دونهما في الدَّرَج. وهو معنى قول ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وسعيد بن جبير[٣].

عن الحسن:" {ومِن دُونِهما جَنَّتان} قال: هما دون {تَجْرِيان}"[٤].

قال ابن عباس:" عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها جنة أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة. قال: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، وهي التي لا تعلم، أو قال: وهما التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون. قال: وهى التي لا تعلم الخلائق ما فيهما، أو ما فيها، يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة"[٥].

الثاني: ومن دونهما في الفضل. قاله ابن زيد[٦].

قال ابن زيد:" هما أدنى من هاتين لأصحاب اليمين"[٧].

قال ابن كثير:" هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن، قال الله تعالى :{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}"[٨].

وقال القشيري:" هما جنتان غير هاتين اللتين ذكرتا جنتان أخريان. وليس يريد دونهما في الفضل، ولكن يريد «جَنَّتانِ» سواهما"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} [الرحمن : ٦٢]، وجوه[١٠]:

أحدها : أن الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه، فيكون في الأوليين النخل والشجر ، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط. حكاه الماوردي عن ابن عباس[١١].

الثاني : أن الأوليين للسابقين، والأخريين للتابعين، قاله الحسن[١٢].

قال مقاتل : " في هذه الجنان الأربع..: جنة عدن، وجنة النعيم، وجنة الفردوس، وجنة المأوى، ففي هذه الجنان الأربع جنان كثيرة في الكثرة مثل ورق الشجر ونجوم السماء"[١٣].

قال ابن كثير:" الدليل على شرف الأوليين على الأخريين وجوه : أحدها : أنه نعت الأولين قبل هاتين، والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال :{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}. وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني"[١٤].

الثالث : أن يكون من دونهما جنتان لأتباعه، لقصور منزلتهم عن منزلته ، إحدهما: للحور العين، والأخرى: للولدان المخلدين، لتميز بهما الذكور عن الإناث. أفاده الماوردي[١٥].

الرابع : أن الأوليين من ذهب للمقربين، والأخريين من وَرِقٍ لأصحاب اليمين.

عن أبي موسى، عن أبيه، -قال: حماد لا أعلمه إلا رفعه- في قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال: جنتان من ذهب للمقرّبين- أو قال: للسابقين-، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين"[١٦].

وقال أبو موسى : "جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٣.
(٢) الدر المنثور: ٧١٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٣.
(٤) الدر المنثور: ٧١٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٦/٧.
(٩) لطائف الإشارات: ٥١٤/٣.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٠/٥-٤٤١.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٠/٥-٤٤١.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٠/٥.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمن: ٢٠٣/٤.
(١٤) تفسيرا بن كثير: ٥٠٧/٧.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤١/٥.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.

وقال ابن جريج:" هن أربع: جنتان للمُقرّبين السابقين، فيهما مِن كلّ من فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين، فيهما فاكهة ونخل ورمان"[٢].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦٣]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟"[٣].

قال الطبري:" يقول: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكم -بإثابته أهل الإحسان ما وصف من هاتين الجنتين - تكذّبان؟"[٤].

القرآن

{مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥)} [الرحمن : ٦٤-٦٥]

التفسير:

هاتان الجنتان خضراوان، قد اشتدَّت خضرتهما حتى مالت إلى السواد. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قوله تعالى:{مُدْهَامَّتَانِ} [الرحمن : ٦٤]، أي:" هاتان الجنتان خضراوان، قد اشتدَّت خضرتهما حتى مالت إلى السواد"[٥].

وفي قوله تعالى:{مُدْهَامَّتَانِ} [الرحمن : ٦٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: خضراوان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٦]، وعطاء بن أبي رباح[٧].

وقال عطاء الخراساني:" كثرة الشجر وخضرته"[٨].

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: "{مُدْهامَّتانِ} هما جنتان خَضْراوان"[٩].

الثاني : مسودتان من شدة خضرتهما من الريّ، قاله ابن عباس-أيضا-[١٠]، ومجاهد[١١]، وأبو سنان[١٢]، وابن زيد[١٣]، وبه قال الطبري[١٤]- مأخوذ من: الدهمة، وهي السواد ، ومنه سمي سود الخيل: دهماً[١٥]، قال ذو الرُّمة -وذكر غيثًا-[١٦]:

كَسا الأكَمَ بُهْمَى غَضَّةٌ حَبَشِيَةٌ ... تُؤَامًا ونُقْعانُ الظُّهورِ الأقارِعِ

جعلها حبشية من شدة الخضرة.

قال ابن عباس:" قد اسودتا من الخضرة، من شدة الري من الماء"[١٧].

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٦/٧.

(٢)تفسير الثعلبي ٩/ ١٩٣، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٦.

(٣) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٤) تفسير الطبري: ٦٩/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣، ٧٢.

(٧)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٢، وهناد (٣٩ - ٤٠). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٨)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٣١):ص١١٣/١.

(٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٢، وهناد (٣٩ - ٤٠). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٠) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥٠٧/٧.

(١١) انظر: تفسير مجاهد: ٦٣٩، وتفسير الطبري: ٧١/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٣.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤١/٥،و"تهذيب اللغة" ٦/ ٢٢٤، و"اللسان" ١/ ١٠٢٦ (دهم)

(١٦)البيت في ديوانه ٣٦١، واللسان ١٤١/١٠، والتاج: (قرع) . وفيهما: "قواما". ولعل المراد منه: طوالا مستقيمة. ومن "تؤاما": مجتمعة غير متفرقة. و "البهمى": نبت تَجِدُ به الغنم وجدا شديدا ما دام أخضر. و "النقعان" جمع "نقع" بالفتح: مجتمع الماء. و "الظهور القوارع": الأراضي المرتفعة الشديدة الصلبة. انظر: اللسان ١٩٦/٦ و ١٤١/١٠ و ٢٣٧ و ٣٢٦/١٤ و ٣٣٨ و ٤٠٠/١٥ و ٤٠٧.

(١٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٧.

قال أبو سنان:" مسوادّتان من الريّ"[١].
قال ابن زيد:" من الخضرة من شدة خضرتهما، حتى كادتا تكونان سَوْداوين"[٢].
قال ابن قتيبة:" سَوْداوَان من شدة الخُضرة والرِّي"[٣].
قال ابن كثير:" قال هناك :{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} : وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ، وقال هاهنا :{مُدْهَامَّتَانِ}، أي سوداوان من شدة الري"[٤].
الثالث : خضراوان من الرّي، قاله ابن عباس –في إحدى الروايات- [٥]، وابن الزبير[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، وقتادة[٨]، وعطية[٩]، وأبو صالح[١٠].
عن حارثة بن سليمان السلميّ، قال: "سمعت ابن الزبَير وهو يفسر هذه الآية على المنبر، وهو يقول: هل تدرون ما {مُدْهَامَّتَانِ}؟ خضراوان من الري"[١١].
وقال قتادة:" خضراوان من الريّ، ناعمتان"[١٢].
قال قتادة:" خضراوان من الريّ: إذا اشتدت الخضرة ضربت إلى السواد"[١٣].
وقال سعيد بن جبير:" علاهما الريّ من السواد والخضرة"[١٤].
قال الفراء:" خضراوان إلى السواد من الري"[١٥].
قال أبو عبيدة:" خضراوان إلى السواد من الري"[١٦].
الرابع: ملتفتان. حكاه ابن عباس[١٧].
الخامس: ناعمتان. قاله الحسن[١٨]. وروي عن قتادة نحوه[١٩].
السادس : ممتلئتان من الخضرة. قاله محمد بن كعب[٢٠].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦٥]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟"[٢١].
قال الطبري:" يقول: فبأيّ نِعَم ربكما التي أنعم عليكم -بإثابته أهل الإحسان ما وصف في هاتين الجنتين- تكذّبان"[٢٢].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(٣) غريب القرآن: ٤٤٢.
(٤) تفسيرا بن كثير: ٥٠٧/٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(١٥) معاني القران: ١١٩/٣.
(١٦) مجاز القران: ٢٤٦/٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٢٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٧.
(٢١) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٢٢) تفسير الطبري: ٧٢/٢٣.

{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧)} [الرحمن :]

التفسير:

فيهما عينان فوَّارتان بالماء لا تنقطعان. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [الرحمن : ٦٦]، أي:" فيهما عينان فوَّارتان بالماء لا تنقطعان"[١].

وفي قوله تعالى:{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [الرحمن : ٦٦]، وجوه من التفسير:

أحدهما : ممتلئتان لا تنقطعان، قاله الضحاك[٢].

الثاني : جاريتان ، قاله الفراء[٣].

الثالث : فياضتان. رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[٤].

الرابع : يعني: فوّارتان. قاله أبو عبيدة[٥]، والطبري[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: في هاتين الجنتين اللتين من دون الجنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه، عينان نضاختان، يعني: فوّارتان"[٧].

قال الماوردي: وذكر في الجنتين الأوليين عينين تجريان، وذكر في الأخريين عينين نضاختين، والجري أكثر من النضخ"[٨].

قال ابن كثير:" قال هناك :{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}، وقال هاهنا :{نَضَّاخَتَانِ}، والجري أقوى من النضخ "[٩].

وبماذا هما نضاختان ؟ فيه سبعة وجوه :

أحدها : نضاختان بالماء، قاله ابن عباس[١٠]، وعكرمة[١١]، وابن زيد[١٢]، وبه قال ابن قتيبة[١٣].

وقال عكرمة:" تَنضَخان بالماء هوامش أنهار الجنة"[١٤].

الثاني : بالمسك والعنبر ، قاله أنس[١٥].

قال أنس:" بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ تَنْفُخَانِ عَلَى دُورِ الْجَنَّةِ كَمَا يَنْضَخُ الْمَطَرُ عَلَى دُورِ أَهْلِ الدُّنْيَا"[١٦].

الثالث : تنضخان بالخير. قاله قتادة[١٧].

وحكي الماوردي عن الحسن والكلبي، قالا:" بالخير والبركة"[١٨].

وعن مجاهد:" {نَضّاخَتَانِ}، قال: بكلّ خير"[١٩].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أنهما ينضخان كُلَّ خَيرٍ"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٣.
(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٤١/٥.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٧.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٦/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢/٢٣.
(٧) تفسير الطبري: ٧٢/٢٣.
(٨) النكت والعيون: ٤٤١/٥.
(٩) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٣.
(١٣) انظر: غريب القرآن: ٤٤٣.
(١٤)أخرجه هناد في الزهد (٩٧).
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٧٥٧):ص٣٣٢٨/١٠.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٥٧):ص٣٣٢٨/١٠.
(١٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣١٠٣):ص٢٧١/٣.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٤١/٥.
(١٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد بلفظ: بالخير.

الرابع : بالماء والفاكهة، قاله سعيد بن جبير[٢].
الخامس : نضاختان بألوان الفاكهة. قاله سعيد بن جبير-أيضا-[٣].
السادس : نضاختان بالخير. قاله ابن عباس-أيضا-[٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك أنهما تنضخان بالماء، لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء"[٥].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦٧]، أي:" . فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعم ربكما التي أنعم عليكم -بإثابته محسنكم هذا الثواب الجزيل- تكذّبان؟"[٧].

القرآن

{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨)} [الرحمن : ٦٨]

التفسير:

في هاتين الجنتين أنواع الفواكه ونخل ورمان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وفي هاتين الجنتين المدهامتَّين فاكهة ونخل ورمَّان"[٨].

واختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان؛ وقد ذكر قبل أن فيهما الفاكهة، وفيه قولان:

أحدهما: أعيد ذلك، لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة. حكاه الطبري[٩].

الثاني أنهما من الفاكهة؛ وأعيدا ترغيبا لأهل الجنة. كقوله: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} ، فقد أمرهم بالمحافظة على كلّ صلاة، ثم أعاد العصر تشديدا لها. حكاه الطبري-أيضا[١٠].

قال ابن كثير:" قال هناك :{فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}، وقال هاهنا :{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}، ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم ؛ ولهذا فسر قوله :{وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} من باب عطف الخاص على العام، كما قرره البخاري وغيره، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما"[١١].

قال الزجاج:" قال بعض أهل اللغَةِ- منهم يونس النحوي، وهو يتلو الخليل في القدم والحذق-: إن الرَّمَّان والنخل من أفضل الفاكهة، وإنما فُصِلا بالواو لفضلهما، واستشهد في ذلك بقوله تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ}، فقال لفضلهما فصلِا بالواو"[١٢].

---

(١) معاني القرآن: ١٠٣/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٣-٧٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢٣.
(٥) تفسير اطبري: ٧٣/٢٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٧) تفسير الطبري: ٧٣/٢٣.
(٨) تفسير الطبري: ٧٣/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٧.
(١٢) معاني القرآن: ١٠٣/٥.

عن ابن عباس قال :" نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة، منها مُقَطَّعَاتهم، ومنها حُلَلهم، وكَرَبُها ذهب أحمر، وجذوعها زمرد أخضر، وثمرها أحلى من العسل، وألين من الزبد، وليس له عجم"[١].

عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "نظرت إلى الجنة فإذا الرّمانة من رمانها كمثل البعير المُقْتَب"[٢].

قال سعيد بن جبير:" نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرد، وسعفها كسوة لأهل الجنة، ورطبها كالدلاء، أشدّ بياضا من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم"[٣].

عن وهب الذماري، قال:" بلغنا أن في الجنة نخلا جذوعها من ذهب، وكرانيفها من ذهب، وجريدها من ذهب وسعفها، كسوة لأهل الجنة، كأحسن حلل رآها الناس قط، وشماريخها من ذهب، وعراجينها من ذهب، وثفاريقها من ذهب، ورطبها أمثال القلال، أشدّ بياضا من اللبن والفضة، وأحلى من العسل والسكر، وألين من الزُّبد والسَّمْن"[٤].

قال الأعمش:" إنّ في الجنة شجرة لو أنّ غرابًا خرج من عُشّه فطار لمات هَرمًا قبل أن يقطعها"[٥].

عن عمر بن الخطاب قال :«جاء أناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد، أفي الجنة فاكهة ؟ قال : "نعم، فيها فاكهة ونخل ورمان". قالوا : أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ قال : "نعم وأضعاف". قالوا : فيقضون الحوائج ؟ قال : "لا ولكنهم يعرقون ويرشحون، فيذهب الله ما في بطونهم من أذى"»[٦].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩)} [الرحمن : ٦٩]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال الطبري:" يقول: فبأيّ نعم ربكما تكذّبان، يقول: فبأيّ نعم ربكما التي أنعمها عليكم - بهذه الكرامة التي أكرم بها محسنكم- تكذّبان"[٧].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٨].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٩].

القرآن

{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠)} [الرحمن : ٧٠]

التفسير:

في هذه الجنان الأربع زوجات طيبات الأخلاق حسان الوجوه.

اختلف أهل العلم في تفسير الآية على قولين:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.

(٢)رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧، والثعلبي في تفسيره كما في تخريج الإحياء (٢٧٨٧/٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق كما في تهذيبه (٤٦٢/٥) من طريق أبي هارون العبدي به.

(٣) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٣.

(٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٦٨.

(٦)رواه عبد بن حميد في "المنتخب" برقم (٣٥) وفيه حصين بن عمر وهو متروك.

(٧) تفسير الطبري: ٧٤/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

أحدهما: أن المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة، قاله قتادة[١].
الثاني: أن «خيرات» جمع: خيرة، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخُلُق الحسنة الوجه، قاله عبدالله[٢]، وقتادة-أيضا-[٣]، وابن زيد[٤]، وبه قال الطبري[٥]، وحكاه ابن كثير عن الجمهور[٦]. وروي مرفوعا عن أم سلمة[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: في هذه الجنان الأربع اللواتي اثنتان منهنّ لمن يخاف مقام ربه، والأخريان منهنّ من دونهما المدهامتان خيرات الأخلاق، حسان الوجوه"[٨].

قال ابن زيد:" الخيرات الحسان: الحور العين"[٩].

قال قتادة:" يقول: في هذه الجنان خيرات الأخلاق، حسان الوجوه"[١٠].

قال قتادة:" خيرات في الأخلاق، حسان في الوجوه"[١١].

قال عبدالله:" في كل خيمة زوجة"[١٢].

عن مجاهد:" {فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ}، قال: النساء"[١٣].

قال الحسن:" خيِّرات فاضلات"[١٤].

قال أبو صالح:" عذارى الجنة"[١٥].

قال إسماعيل بن أبي خالد: "عذارى"[١٦].

قال الأوزاعي:" لسْنَ بذَربات[١٧] اللسان، ولا يغَرْنَ، ولا يؤذين"[١٨].

عن أمّ سلمة قالت: "قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ}، قال: «خَيْرَاتُ الأَخْلاق، حِسانُ الوُجُوهِ»"[١٩].

عن ابن أبي ذئب، عمن سمع أنسا، يقول: إن الحور العين في الجنة ليتغنين , يقلن: نحن الخيرات الحسان حبسنا للأزواج الكرام"[٢٠].

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين [ص:١٥٠] أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط. إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان. أزواج قوم كرام. ينظرن بقرة أعيان. وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه. نحن الآمنات فلا يخفنه. نحن المقيمات فلا يظعنه»[٢١].

---

(١) حكاه عنه ابن كثير في " التفسير": ٥٠٨/٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٣.
(٤)انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٣.
(٦)انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.
(٧)انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٣.
(٨) تفسير الطبري: ٧٤/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(١٣) الدر المنثور: ٧١٧/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٤)تفسير الثعلبي ٩/ ١٩٤.
(١٥)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٣٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٦٦.
(١٧)ذَربَة: صخّابة، حديدة، سَلِيطة اللسان، فاحِشَة، طويلة اللسان. وذَرَبُ اللسان: حِدَّتُه. لسان العرب (ذرب).
(١٨)أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٣٩).
(١٩) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(٢٠) مصنف ابن أبي شيبة(٣٣٩٨٨):ص٣٢/٧.
(٢١) المعجم الأوسط للطبراني(٤٩١٧):ص١٤٩/٥، والمعجم الصغير(٧٣٤):ص٣٥/٢، وصفة الجنة لأبي نعيم الأصفهاني(٣٢٢):ص١٦٦/٢.، وانظر: انظر صحيح الجامع: (١٥٦١), الصحيحة: (٣٧٤٩).

وقرأ بعضهم : «فيهن خَيّرات»، بالتشديد[١].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١)} [الرحمن : ٧١]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال الطبري:" يقول: فبأيّ نِعم ربكما التي أنعم عليكما -بما ذكر- تكذّبان"[٢].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٤].

القرآن
{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)} [الرحمن : ٧٢]
التفسير:
حور مستورات مصونات في الخيام.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الخيرات الحسان{حُورٌ}، يعني: بقوله حور: بيض، وهي جمع حوراء، والحوراء: البيضاء"[٥].
قال ابن كثير:" ثم قال :{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، وهناك قال :{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}، ولا شك أن التي قد قَصَرَت طرفها بنفسها أفضل ممن قُصرت، وإن كان الجميع مخدرات"[٦].
قال أبو عبيدة:" الحوراء: الشديدة بياض بياض العين والشديدة سواد سواد العين"[٧].
عن أبي صالح، في قوله: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، قال: عَذارى الجنة"[٨].
واختلف في تفسير قوله: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ} [الرحمن : ٧٢]، على أقوال:
أحدها : مقصورات الطرف على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً، ولا يرفعن طرفاً إلى غيرهم من الرجال ، قاله مجاهد[٩]، والربيع[١٠].
قال مجاهد:" قُصِر طرفهنّ وأنفسهنّ على أزواجهن"[١١].
قال مجاهد:" قُصر طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم"[١٢].
قال مجاهد:" قَصَرْن أنفسَهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم"[١٣].
الثاني : المحبوسات في الحجال، لَسْنَ بالطوافات في الطرق، قاله ابن عباس[١٤]، والحسن[١٥]، ومجاهد-أيضا-[١]، والضحاك[٢]، وأبو العالية[٣]، والربيع-أيضا-[٤]، ومحمد بن كعب[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.
(٢) تفسير الطبري: ٧٥/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥) تفسير الطبري: ٧٥/٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.
(٧) مجاز القرآن: ٢٤٦/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.

قال الحسن:" محبوسات، ليس بطوّافات في الطرق"[٦].
قال سهل بن عبدالله:" أي: محبوسات في الخيام"[٧].
قال الضحاك:" المحبوسات في الخيام لا يخرجن منها"[٨].
قال مجاهد:" لا يبرحن الخيام"[٩].
الثالث : المخدرات المصونات، ولا متعطلات ولا متشوِّفات ، قاله زيد بن الحارث[١٠]، وأبو عبيدة[١١].
قال أبو عبيدة:" مقصورات: أي خدّرن في الخيام"[١٢].
الرابع : أنهن المسكنات في القصور، قاله الحسن-أيضا-[١٣].
الخامس : أن يريد بالمقصورات البيض ، مأخوذ من قصارة الثوب الأبيض ، لأن وقوع الفرق بين المقصورات والقاصرات يقتضي وقوع الفرق بينهما في التفسير. أفاده الماوردي[١٤].
قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وصفهنّ بأنهن مقصورات في الخيام، والقصر: هو الحبس. ولم يخصص وصفهنّ بأنهنّ محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر، بل عمّ وصفهنّ بذلك. والصواب أن يعمّ الخبر عنهنّ بأنهنّ مقصورات في الخيام على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، كما عمّ ذلك"[١٥].
وفي «الخيام» ثلاثة أقوال:
أحدها : أنها خيام تضرب لأهل الجنة خارج الجنة كهيئة البداوة ، قاله سعيد بن جبير[١٦].
الثاني : أنها خيام في الجنة تضاف إلى القصور. حكاه الماوردي[١٧].
الثالث: أن الخيام هي البيوت، قاله أبو عبيدة[١٨]، والطبري[١٩]، وابن بحر[٢٠]، ومنه قول لبيد[٢١]:
شاقَتْكَ ظُعْنُ الحَي يَوْم تَحَمَّلُوا ... فَتَكَنَّسُوا قُطُنا تَصِرُّ خِيامُها
وقال جرير[٢٢]:
متى كان الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث أيتها الخيام
قال أبو عبيدة:" الخيام البيوت والهوادج أيضا خيام"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.
(٧) تفسير التستري: ١٥٩.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٢/٥.
(١١) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٦/٢.
(١٢) مجاز القرآن: ٢٤٦/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٤٢/٥.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٢/٥.
(١٥) تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.
(١٨) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٦/٢.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.
(٢١)البيت من معلقته فى شرح العشر ص ٧٠.
(٢٢)ديوانه ص ٥١٢ ومعجم البلدان ٣/ ٥٤٤.

قال مقاتل:" «الخيام»، يعني: الدر المجوف الدرة الواحدة مثل القصر العظيم جوفاء على قدر ميل في السماء طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فذلك قوله- تعالى-: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} [الرعد : ٢٣]"[٢].

عن ابن عباس: "{فِي الخِيامِ}، قال: بيوت اللؤلؤ"[٣].

قال ابن عباس:" الخيمة لؤلؤة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب"[٤].

قال ابن عباس:" الخيمة في الجنة من درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع"[٥].

عن عبد الله: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، قال: الدر المجوّف"[٦].

عن سعيد بن جُبير، ومجاهد، قالا: "الخيام: درّ مجوّف"[٧].

قال عمرو بن ميمون:" الخيام: الخيمة: درّة مجوّفة"[٨].

قال الضحاك:" الخيمة درّة مجوفة"[٩].

قال الحسن:" الخيام: الدرّ المجوّف"[١٠].

قال مجاهد:" خيام اللؤلؤ"[١١].

قال ابن زيد:" يقال: خيامهم في الجنة من لؤلؤ"[١٢].

قال مجاهد:" الخيام: اللؤلؤ والفضة، كما يقال والله أعلم"[١٣].

عن محمد بن كعب والربيع، في قوله: {فِي الخِيامِ}، قالا: "في الحجال"[١٤].

عن أبي الأحوص، قال، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أتدرون ما حور مقصورات في الخيام؟ الخيام: درّ مجوّف"[١٥].

عن أبي الأحوص في قوله: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، قال: درّ مجوّف"[١٦].

قال أبو الأحوص:" الخيمة: درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب"[١٧].

عن خُلَيْد العَصَري، عن أبي الدرداء، قال : "الخيمة لؤلؤة واحدة، فيها سبعون بابا من در"[١٨].

عن خليد العصريّ قال: "لقد ذكر لي أن الخيمة لؤلؤة مجوّفة، لها سبعون مِصْراعا، كلّ ذلك من درّ"[١٩].

---

(١) مجاز القرآن: ٢٤٦/٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٥/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٣-٨٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(١٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.
(١٩) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.

قال قتادة:" ذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول: الخيمة: درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة الآف باب من ذهب"[١].

وقال: قتادة: "كان يقال: مسكن المؤمن في الجنة، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال، وأنهاره وجنانه وما أعدّ الله له من الكرامة"[٢].

قال ابن عباس:" الخيمة: درّه مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف باب من ذهب"[٣].

عن أبي مجلز" أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال في قول الله: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، قال: «درّ مُجَوَّفٌ»"[٤].

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون"[٥].

وفي رواية مسلم: "إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا"[٦].

عن أسماء بنت يزيد الأشهلية:" أنها أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عَزَّ وَجَلَّ بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلاهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم. وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ وإن الرجل إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ ! فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟ " فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها فقال: " افهمي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله ". فانصرفت المرأة وهي تهلل"[٧].

عن عبد الله قال : "إن لكل مسلم خَيرة، ولكل خَيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا مَرّاحات ولا طمّاحات، ولا بخرات ولا ذفرات، حور عين، كأنهن بيض مكنون"[٨].

عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : "أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية وصنعاء"[٩].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣)} [الرحمن : ٧٣]

---

(١) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٨١/٢٣.
(٣) تفسير الطبري: ٨١/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٣.
(٥)صحيح البخاري برقم (٤٨٧٩)، (٣٢٤٣).
(٦)صحيح مسلم برقم (٢٨٣٨).
(٧)ذكر هذا الحديث ابن الأثير في أسد الغابة ٧/ ١٧ في ترجمة أسماء بنت يزيد الأشهلية.
(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.
(٩)سنن الترمذي برقم (٢٥٦٢) وقال : "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين". ولم يتفرد به رشدين بل تابعه ابن وهب كما هنا، وفي إسناده دراج يروي عن أبي الهيثم مناكير.

التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال الطبري:" يقول: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكما -من الكرامة، بإثابة محسنكم هذه الكرامة- تكذّبان"[١].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٢].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٣].

القرآن
{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤)} [الرحمن : ٧٤]
التفسير:
لم يطأ هؤلاء الحور إنس قبل أزواجهن ولا جان.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لم يمسهنّ بنكاح فيدميهن إنس قبلهم ولا جانّ"[٤].
قال مقاتل:" لأنهن خلقن في الجنة، يعني لم يطأهن إنس قبل أهل الجنة، ولا جان يعني ولا جني"[٥].
قال القاسمي:" يعني: بهن حور الجنتين اللتين من دون الأوليين. أو تكرير لما سبق، للتنويه بهذا الوصف، وكونه في مقدمة المشتهيات، وطليعة الملذات"[٦].
قال ابن كثير:" زاد في وصف الأوائل بقوله :{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}"[٧].
قال عامر الشعبي:" {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ} منذ أُنشِئن"[٨].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥)} [الرحمن : ٧٥]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال الطبري:" يقول: فبأيّ نِعمَ ربكما التي أنعم عليكم بها -مما وصف - تكذّبان"[٩].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٠].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١١].

القرآن
{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)} [الرحمن : ٧٦]
التفسير:
متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر وفرش بديعة فائقة الصنع في غاية الحسن.
قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} [الرحمن : ٧٦]، أي:" متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٨٢/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٤) تفسير الطبري: ٨٢/٢٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٥/٤.
(٦) محاسن التأويل: ١١٤/٩.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.
(٨)أخرجه هناد (٢٢).
(٩) تفسير الطبري: ٨٢/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

اختف أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} [الرحمن : ٧٦]، على وجوه:

أحدها: أن الرفرف المحبس المطيف ببسطه ، قاله ابن كامل[٢].

الثاني : أن الرفرف فضول المحابس والبسط، قاله ابن عباس[٣]، ومروان[٤]، وآخرون.

عن سلمة بن كُهيل الحضرميّ، عن رجل يقال له غزوان، {رَفْرَفٍ خُضْرٍ}، قال: "فضول المحابس"[٥].

عن عنترة، عن أبيه، قال: "فضول الفُرُش والمحابس"[٦].

قال عطاء الخراساني:" الرّفرف: فُضول الفُرُش والمحابس[٧].

قال الحسن:" هي البسط، أهل المدينة يقولون: هي البسط"[٨].

قال قتادة:" الرفرف الخضر: المحابس"[٩]. وقال:" محابس خضر"[١٠].

قال الضحاك:" هي المحابس"[١١].

قال ابن زيد:" الرفرف: المحابس"[١٢].

عن محمد بن جُحادَةَ، في قول الله: "{مُتَّكِئِينَ عَلى رَفارَفٍ خُضْرٍ}، قال: مجالس"[١٣].

وقال مجاهد:" فُضول الفُرش"[١٤].

قال سفيان بن عيينة: "هي الزّرابي"[١٥].

الثالث : أنها الوسائد ، قاله الحسن[١٦]، وعاصم الجحدري[١٧].

قال الحسن:" الرفرف: مرافق خُضْر"[١٨].

الرابع : أنها الفرش المرتفعة ، مأخوذ من الرف. حكاه الماوردي[١٩].

الخامس : أنها المجالس يتكئون على فضولها. حكاه الماوردي-أيضا-[٢٠].

السادس : رياض الجنة ، قاله سعيد بن جبير[٢١].

قال سعيد بن جبير:" الرّفرف: رياض الجنة، {خضر} مُخضبة"[٢٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٣/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(٧)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(١٣)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٢١.
(١٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٧، وهناد (٨٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٥)تفسير الثعلبي ٩/ ١٩٧، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢٣.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.
(١٨) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٨٣/٢٣.
(٢٢)أخرجه ابن حجر في تغليق التعليق ٤/ ٦٣ بسنده إلى أبي نعيم عن سعيد بن جبير من طريق أبي بشر بلفظ: الرفرف: رياض الجنة، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٨.

قوله تعالى:{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن : ٧٦]، أي:" وفرش بديعة فائقة الصنع في غاية الحسن"[١].

وفي قوله تعالى:{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن : ٧٦]، قولان:

أحدهما: أنها الزَّرابيّ، قاله ابن عباس[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، وقتادة[٤]، والضحاك[٥]، والسدي[٦]، وابن زيد[٧].

وعن الحسن:" أنها الطنافس المخملية"[٨].

قال مقاتل:" يعني: الزرابي[٩]، وهي: الطنافس المخملة وهي الحسان"[١٠].

قال الفراء:" الطنافس الثخان"[١١].

قال ابن قتيبة: العبقريّ: الطّنافِس الثّخان.

قال أبو عبيدة: يقال لكل شيء من البُسُط: عبقريّ.

وقال سعيد بن جبير : "هي عتاق الزرابي"[١٢]. يعني : كرام الوسائد وجيادها.

عن محمد بن جُحادَةَ، في قول الله: "(وعَباقِرِيَّ حِسانٍ)، قال: طنافس. وكان يقرأها: (وعَباقِرِيَّ)"[١٣].

قال الطبري:" وأما العبقريّ، فإنه الطنافس الثخان، وهي جماع واحدها: عبقرية، وقد ذُكر أن العرب تسمي كل شيء من البسط عبقريا"[١٤].

وسئل الحسن البصري عن قوله :{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} فقال : "هي بسط أهل الجنة - لا أبا لكم – فاطلبوها"[١٥].

الثاني: أنه الدِّيباج الغليظ، قاله مجاهد[١٦].

وقال أبو حَزْرَة يعقوب بن مجاهد : "العبقري : من ثياب أهل الجنة، لا يعرفه أحد"[١٧].

وقال القتيبي : "كل ثوب مُوَشى عند العرب عبقري"[١٨].

قال ابن كثير:" وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة ؛ فإنه قد قال هناك :{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}، فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها، اكتفاءً بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأحرى"[١٩].

وفي أصل كلمة «عبقري»، قولان[١]:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.

(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.

(٩) قال الجوهري: الزرابي. النمارق. انظر "الصحاح" ١/ ١٤٣ (زرب)، ورده الرازي بقوله: النمارق: الوسائد، وهي مذكورة قبل آية الزرابي[في سورة الغاشية]، فكيف يكون الزرابي النمارق، وإنما هي الطنافس المحملة والبسط. مختار "الصحاح" ٢٧٠، وحكاه الفخر عن أهل اللغة في "التفسير الكبير" ٣١/ ١٥٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٥/٤.

(١١) معاني القرآن: ١٢٠/٣.

(١٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.

(١٣)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٢١.

(١٤) تفسير الطبري: ٨٤/٢٣.

(١٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧-٥١٠.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.

(١٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٠/٧.

(١٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٠/٧.

(١٩) تفسير ابن كثير: ٥١٠/٧.

أحدهما : أنه سيد القوم وعينهم، قاله عبدالله بن عمر[٢]، ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في عمر رضي الله عنه :« فلم أر عبقريا في الناس يفري فريه»[٣]. فنسبه إلى أرفع الثياب لاختصاصه.

قال الأصمعي: "سألت أبا عمرو بن العلاء عن «العبقري»، فقال: يقال: هذا عبقري قوم كقولك: هذا سيد قوم وكبيرهم وقويهم"[٤].

وروي سلمة عن الفراء قال: "العبقري السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر"[٥].

الثاني : أرض عبقر. قاله أبو عبيد[٦].

وفي تسميتها بذلك قولان[٧]:

أحدهما: لكثرة رملها ويكون المراد بذلك أنها تكون مثل العبقري لأن ما ينسج بعبقر لا يكون في الجنة إذا قيل إن عبقر اسم أرض.

الثاني : لكثرة الجن فيها.

قال الليث: "عبقر، موضع بالبادية كثير الجن يقال في المثل: كأنهم جن عبقر"[٨].

قال أبو عبيد: " العَبقَري: البُسُط التي فيها الأصباغ والنُّقوش، والعَبقَري: جمعٌ، واحده: عَبقَريةٌ، وكذلك الرَّفرَف، واحدتُهُ: رَفْرَفَة، زَعَم ذلك الأحمر. قال: وهو منسوب إلى بلاد يقال لها: عَبقَر، يُعمَلُ بها الوَشْي. قال ذو الرُّمَّة[٩]:

حتى كأنَّ رياضَ القُفِّ ألبَسَها ... مِن وَشْي عَبقَرَ تَجليلٌ وتَنجيدُ

قال: والعربُ ينسبون إلى هذه البلاد كلَّ شيءٍ يريدون مدحَهُ، ويَرفعون قدرَهُ، وما وَجَدنا أحدًا يدري أين هذه البلاد، ومتى كانت"[١٠].

قال الزجاج:" وأصل «العبقري» -في اللغة-: صفة لكل ما بولغ في وصفه، وأصله أن عبقر: اسم بلد كان يوَشَّى فيه البسط وغيرها، فنسب كل شيء جيد، وكل ما بولغ في وصفه إلى عبقر. قال زهير[١١]:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَريةٌ ... جَديرون يوماً أن يَنالوا فيَسْتَعْلُوا"[١٢].

قال ابن الأثير: عبقر: قرية تسكنها الجن فيما زعموا، فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق أو شيئا عظيما في نفسه نسبوه إليها فقالوا: عبقري، اتسع فيه حتى سمي به

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٤/٥.

(٢) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٣٧/٥.

(٣) صحيح البخاري(٣٦٣٣):ص٤/ ٢٠٥، وصحيح مسلم(٢٣٩٣):ص١٨٦٢/٤، والمسند(٤٩٧٢):ص٤٦٩/٤.

ونص الحديث: عن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «رأيت الناس مجتمعين في صعيد، فقام أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين، وفي بعض نزعه ضعف، والله يغفر له ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غربا، فلم أر عبقريا في الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن»، وقال همام: سمعت أبا هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «فنزع أبو بكر ذنوبا أو ذنوبين».

(رأيت) في المنام. (صعيد) هو في اللغة وجه الأرض. (ذنوبا) الدلو الممتلئ ماء. (غربا) هو الدلو الكبير يسقى به البعير وهو أكبر من الذنوب وتفسير هذا ما حصل من طول خلافته وما كان فيها من فتح وخير. (عبقريا) هو الحاذق في عمله وعبقري قومه سيدهم. (يفري فري) يعمل عملا مصلحا وجيدا مثله ويقوى قوته.

(٤) نقلا عن: غريب الحديث للقاسم بن سلام: ٨٧/١.

(٥)انظر: "معالم التنزيل" ٤/ ٢٧٨، و"المفردات" (عبقر)، و"اللسان" ٢/ ٦٧٢ (عبقر).

(٦) انظر: مسند الفاروق(٨٧٣):ص٥٩٠/٢، وتهذيب اللغة: ١٨٧/٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٤/٥.

(٨) انظر: "تهذيب اللغة"، و"اللسان" ٢/ ٦٧٢ (عبقر).

(٩)ديوانه ١٣٦٦، والقف ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلا في ارتفاعه.

(١٠) مسند الفاروق(٨٧٣):ص٥٩٠/٢، وانظر: غريب الحديث :٤/ ٢٩٢، و تهذيب اللغة: ١٨٧/٣.

(١١) ديوانه: ١٠٣ و تهذيب اللغة، واللسان (عبقر)، وتفسير القرطبي: ١٧/ ١٩٢.

(١٢) معاني القرآن: ١٠٥/٥.

السيد والكبير. وفي الحديث: «أنه كان يسجد على عبقري»[١]؛ وهي هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش، حتى قالوا ظلم عبقري، وهذا عبقري قوم للرجل القوي، ثم خاطبهم الله تعالى بما تعارفوه: فقال: {عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن : ٧٦] "[٢].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧)} [الرحمن : ٧٧]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعم ربكما التي أنعم عليكم -من إكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة – تكذّبان"[٣].

قال الزجاج:" أي: فَبأيِّ نعم رَبِّكما التي عددت عليكما يا معشر الجن والإنس تكذبان، فإنما ينبغي أن يعظِّما الله ويمجداه، فختم السورة بما ينبغي أن يمجَّدَ به"[٤].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٥].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٦].

القرآن

{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨)} [الرحمن : ٧٨]

التفسير:

تكاثرت بركة اسم ربك وكثر خيره، ذي الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: تبارك ذكر ربك يا محمد، {ذِي الجَلَال}: يعني ذي العظمة، {والإكْرام}، يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه"[٧].

قال مقاتل:" يعني: بـ {الْجَلَال}: العظيم، {وَالْإِكْرَامِ}، يعني: الكريم فلا أكرم منه، يمدح الرب نفسه- تبارك وتعالى-."[٨].

قال النحاس:" أي: البركة في اسمه جل وعز، والبركة -في اللغة-: بقاء النعمة وثباتها، فحضهم بهذا على أن يكثروا ذكر اسمه جل وعز ودعاءه، وأن يذكروه بالإجلال والتعظيم له فقال: ذي الجلال والإكرام، أي: الجليل الكريم، وفي الحديث «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام»[٩]"[١٠].

قال القرطبي:" {الجلال}: عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح، يقال: جل الشيء أي عظم وأجللته أي عظمته، والجلال اسم من جل. {والإكرام}، أي: هو أهل لان يكرم عمالا يليق به من الشرك، كما تقول: أنا أكرمك عن هذا، ومنه إكرام الأنبياء والأولياء"[١١].

عن الحسن في قوله:{ وَالْإِكْرَامِ}، قال:" الذي يكرم أهل دينه وولايته"[١].

---

(١)خبر سجود عمر بلفظه، في غريب الحديث: (١/ ٦١ - ٦٢)؛ والفائق للزمخشري: (٢/ ٣٨٨).

(٢) نقلا عن: لسان العرب: ٥٣٥/٤، وانظر: السنن الكبرى للبيهقي(٤٢٨٣):ص٦١٢/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٨٦/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٠٥/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٧) تفسير الطبري: ٨٦/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٥/٤.

(٩)أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) ، وأحمد في المسند ٤/ ١٧٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٨، والطبراني في الكبير ٥/ ٦٠، والبخاري في التاريخ ٣/ ٢٨٠، وذكره السيوطي في الدرر ٦/ ١٥٣، والهيثمي في المجمع ١٠/ ١٥٨.

(١٠) إعراب القرآن: ٢١٤/٤.

(١١) تفسيرا لقرطبي: ١٦٥/١٧.

قال ابن كثير:" وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة :{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ} فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلى المراتب والنهايات، كما في حديث جبريل لما سأل عن الإسلام، ثم الإيمان. فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخيريين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين. ثم قال :{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}، أي : هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى"[٢].

عن ابن عباس، في قوله تعالى:{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}، " يقول: ذو العظمة والكبرياء"[٣].

عن أبي الدرداء، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أجِدّوا الله يغفر لكم"[٤].

وفي الحديث الآخر : "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وذي السلطان، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه"[٥].

عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام"[٦].

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام"[٧].

قال ابن كثير:" وقول ابن مسعود: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام»[٨]، أي : الزموا. ويقال : الإلظاظ هو الإلحاح. قلت : وكلاهما قريب من الآخر - والله أعلم - وهو المداومة واللزوم والإلحاح. وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لا يقعد - يعني : بعد الصلاة - إلا قدر ما يقول : «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»[٩]"[١٠].

قال ابن عطية:" والدعاء بهاتين الكلمتين حسن مرجو الإجابة"[١١].

قال الجوهري : "ألظ فلان بفلان : إذا لزمه[١٢].

---

(١) التفسير البسيط للواحدي: ١٦٠/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥١٠/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٨٦/٢٣.
(٤)المسند (١٩٩/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٣١/١) : "وفي إسناده أبو العذراء وهو مجهول".
(٥)رواه أبو داود في السنن برقم (٤٨٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٣/٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٦)المسند(١٧٥٩٦):ص١٣٨/٢٩، وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٢٨٠/٣، والنسائي في "الكبرى" (٧٧١٦) و (١١٥٦٣) ، والطبراني في "الكبير" (٤٥٩٤) ، وفي "الدعاء" (٩٢) ، والحاكم ٤٩٨/١-٤٩٩، والبيهقي في "الدعوات" (١٩٦) ، والقضاعي في "مسنده" (٦٩٣) ، والمزي في ترجمة ربيعة من "التهذيب" ١٢٠/٩ من طرق عن عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
وفي الباب عن أنس عند الترمذي (٣٥٢٤) و (٣٥٢٥) ، والطبراني في "الدعاء" (٩٣) و (٩٤) .
ومن حديث أبي هريرة عند الحاكم ٤٩٩/١.
قوله: "ألظوا" قال السندي: بفتح الهمزة وكسر اللام وتشديد الظاء المنقوطة، أي: الزموا ذلك.
(٧)مسند أبي يعلى (٤٤٥/٦) وسنن الترمذي برقم (٣٥٢٢):ص٤٢٦/٥، وقال:" هذا حديث غريب وليس بمحفوظ. وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن البصري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أصح. ومؤمل غلط فيه فقال: عن حميد، عن أنس، ولا يتابع فيه".
(٨) رواه أنس كما سبق، وروي أنه من قول ابن مسعود. [انظر: تفسير القرطبي: ١٦٥/١٧]
(٩)صحيح مسلم برقم (٥٩٢) وسنن أبي داود برقم (١٥١٢) وسنن الترمذي برقم (٢٩٨) وسنن النسائي (٦٩/٣) وسنن ابن ماجه برقم (٩٢٤).
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥١١/٧.
(١١) المحرر الوجيز: ٢٣٧/٥.
(١٢)لسان العرب (٤٥٩/٧).

قرأ جمهور الناس: «ذي الجلال» على اتباع الرب. وقرأ ابن عامر وأهل الشام. «ذو» على اتباع الاسم، وكذلك في الأول، وفي حرف أبيّ وابن مسعود، «ذي الجلال» في الموضعين، وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه[1].

فوائد الآيات: [٦٢-٧٨]:

١- بيان أن نعيم الآخرة أعظم وأجل من نعم الدنيا.

٢- فضيلة التمر والرمان فلنبحث منافعهما فإن الحقيقة بنت البحث.

٣- فضل المرأة المقصورة في بيتها وذم الولاجة الخارجة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

٤- بيان أن الجن يدخلون الجنة ويسعدون فيها.

٥- البركة تنال ببسم الله الرحمن الرحيم.

«آخر تفسير سورة (الرحمن)، والحمد لله وحده»

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٥/٢٣٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الواقعة»

«سورة الواقعة»: هي السورة السادسة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة السادسة والأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة طه»، وقبل «سورة الشعراء». آياتها تسع وتسعون في عد الحجاز والشام، وسبع في البصرة، وست في الكوفة. وكلماتها ثلاثمائة وثمان وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة وثلاث. المختلف فيها أربع عشرة آية: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة : ٩]، {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة : ٤١]، {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، {إِنْشَاءً} [الواقعة : ٣٥]، {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ} [الواقعة : ٤٢]، {وَكَانُوا يَقُولُونَ} [الواقعة : ٤٧]، {وَأَبَارِيقَ } [الواقعة : ١٨]، {مَوْضُونَةٍ} [الواقعة : ١٥]، {وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، {تَأْثِيمًا} [الواقعة : ٢٥]، {وَالْآخِرِينَ} [الواقعة : ٤٩]، {لَمَجْمُوعُونَ } [الواقعة : ٥٠]، {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} [الواقعة : ٨٩]. مجموع فواصل آياتها: «لا بد منه»، على الباء منها آية واحدة: {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة : ٣١][١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الواقعة»:**

سميت هذه السورة «الواقعة» بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم؛ روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، و {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}"[٢].

وكذلك سميت في عصر الصحابة رضي الله عنهم، روى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور"[٣].

سميت بسورة الواقعة، لافتتاحها بلفظ: «الواقعة»، وهي القيامة، قال تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١)} [الواقعة : ١].

قال المهايمي:" سميت بها، لأنها مملوءة بوقائع القيامة التي هي الواقعة العظمى لوقوعها في أشد الأهوال"[٤].

وهكذا سميت في المصاحف، وكتب السنة، فلا يُعرف لها اسم غير هذا.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قالته، وابن عباس[٥]، وابن الزبير[٦]، والحسن[٧]، وعطاء[٨]، وعكرمة[٩]، وقتادة[١٠]، وجابر[١١]، ومقاتل[١]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٢].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٥٠.

(٢) سنن الترمذي(٣٢٩٧):ص٢٥٥/٥. وقال"هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه".

[حكم الألباني] : صحيح

(٣) المسند(٢٠٩٩٥):ص٥٠٤/٣٤، و"مصنف عبد الرزاق" (٢٧٢٠) ، ومن طريقه أخرجه الطبراني (١٩١٤) و (١٩٢٩)، وأخرجه ابن خزيمة (٥٣١) ، وعنه ابن حبان (١٨١٣).

(٤) تفسير المهايمي: ٣١٥/٢.

(٥) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(١١) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

الثاني : أنها مكية إلا آية، نزلت في مدنيّة، وهي قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة : ٨٢]. حكي ذلك عن ابن عبس[٣].
الثالث: أنها مدنيّة، رواه عطيّة عن ابن عباس[٤].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع ممن يعتد بقوله من المفسرين. وقيل إن فيها آيات مدنية، أو مما نزل في السفر، وهذا كله غير ثابت"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:
١- أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار.
٢- أنه ذكر في السورة السابقة عذاب المجرمين ونعيم المتقين، وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض آخر منهم، وبين هنا انقسام المكلفين إذ ذاك إلى أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسابقين.
٣- أنه ذكر في سورة الرحمن انشقاق السماء، وذكر هنا رج الأرض، فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما موضوعا سورة واحدة مع عكس في الترتيب، فقد ذكر في أول هذه ما في آخر تلك، وفى آخر هذه ما في أول تلك[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يدور موضوع «سورة الواقعة» حول تقسيم الناس يوم القيامة؛ لمجازاة العباد الموضوعين في الحياة الدنيا موضع الامتحان، إلى ثلاثة أصناف:
الصنف الأول: المؤمنون المسلمون أصحاب اليمين، وهم أهل الجنة بوجه عام، على درجاتهم المنخفضة والمتوسطة.
الصف الثاني: الكافرون المجرمون أصحاب الشمال، وهم أهل النار بوجه عام، على دركاتهم الأولى فالمتوسطة.
الصنف الثالث: السابقون المقربون من المحسنين والأبرار، وهم أصحاب الدرجات العليا في جنات النعيم.
ويُفهم من التقابل والتناظر «صنف رابع» وهم الموغلون في الكفر، وارتكاب الجرائم الكبرى، ونشر شررهم في الأرض، ودعوتهم إلى الكفر، وهم أصحاب الدركات السفلى من النار، ومنهم المنافقون، الذي هم في الدرك الأسفل من النار.
قال ابن عطية:" فيها ذكر القيامة، وحظوظ النفس في الآخرة، وفهم ذلك غنى لا فقر معه، ومن فهمه شغل بالاستعداد"[٧].
وعلى الجملة، تتجلى مقاصد هذه السورة من خلال الأمور التالي:
١- التذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه.
٢- تقديم بيانات إقناعية، وأدلة برهانية للمكذبين بالبعث وبيوم الدين على صدق الأخبار القرآنية المتعلقة بيوم الدين، وأنها حق يقين.
٣- توجيه العقول المستقيمة لاستبصار المكانة الرفيعة التي يتحلى بها القرآن، المشتمل على أخبار يوم الدين، وما فيه من الجزاء والحساب.
٤- الترغيب والترهيب بما في يوم الدين من ثواب وعقاب.
٥- وصف ما يعرض في هذا العالم الأرضي عند ساعة القيامة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٣/٤.
(٢) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.
(٥) المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٢٧.
(٧) المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥.

٦- بيان صفة أهل الجنة وبعض نعيمهم.
٧- بيان صفة أهل النار وما هم فيه من العذاب، وأن ذلك لتكذيبهم بالبعث.
٨- إثبات الحشر والجزاء، والاستدلال على إمكان الخلق الثاني بما أبدعه الله من الموجودات بعد أن لم تكن.
٩- تتحدث السورة عن بعض آلاء الله ونعمه، وآثار قدرته فيما خلق وأبدع في الزرع والماء والنار، وأن ذلك يستوجب تسبيح الله وتقديسه على نعمه الغامرة، وشكره على آياته الظاهرة الباهرة، وتوضح أن من خلق هذا وأوجده قادر على البعث، وإعادة الناس إلى الحياة مرة ثانية للحساب والجزاء؛ لأن الإعادة أسهل من البداءة عادة.
١٠- تذكر السورة أن الله سبحانه قضى بين الناس بالموت، وجعل لموتهم وقتاً معيناً، وهو جلَّ وعلا ليس بعاجز على أن يبدل صورهم بغيرها، وينشئهم خلقاً آخر في صور أخرى لا يعرفونها.
١١- الاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد والناس كارهون، لا يستطيع أحد منعها من الخروج، على أن الذي قدر على نزعها دون مدافع قادر على إرجاعها متى أراد.
١٢- في السورة قَسَمٌ على مكانة القرآن وعلو شأنه، وتقريع للكافرين على قبح صنعهم، وعجيب شأنهم؛ حيث وضعوا التكذيب موضع الشكر، وقابلوا النعمة بالجحود والكفر.
١٣- أكدت السورة أن القرآن منزل من عند الله، وأنه نعمة أنعم الله بها عليهم، فلم يشكروها وكذبوا بما فيه.
١٤- في آخر السورة إجمال ما فصلته أولاً عن أحوال الأصناف الثلاثة، وما ينتظر كل صنف من ثواب أو عقاب.
١٥- تُختم السورة بأمر كل مُتَلَقٍ لديه الاستعداد لأن يومن ويُسلم؛ لما في قلبه من خير، بأن يسبح باسم ربه العظيم، المهيمن عليه دوماً بصفات ربوبيته"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

قال هبة الله:" قد أجمع المفسرون كلهم على أن لا ناسخ فيها ولا منسوخ إلا مقاتل بن سليمان فانه يقال فيها من المنسوخ آية واحدة وهو قوله تعالى: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)} [الواقعة : ١٣ - ١٤]، نسخها قوله تعالى: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]"[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، و{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}"[٣].
- عن ابن عباس قال: "ألظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقعة والحاقة وعم يتساءلون والنازعات وإذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت فاستطار فيه الفقر فقال له أبو بكر: قد أسرع فيك الفقر قال: شيبتني هود وصواحباتها هذه"[٤].
- عن عبد الله بن مسعود، قال: " إني قد أمرت بناتي أن يقرأن سورة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة»[١].

---

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.
(٢) الناسخ والمنسوخ: ١٧٢.
(٣) سنن الترمذي(٣٢٩٧):ص٥/٢٥٥. وقال"هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه".
[حكم الألباني] : صحيح
(٤) الدر المنثور: ٤/٨، وعزاه إلى ابن عساكر.

- عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سورة الواقعة سورة الغنى فاقرأوها وعلموها أولادكم"[٢].
- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى"[٣].
- عن سليمان التيمي قال: "قالت عائشة للنساء: لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة"[٤].
- عن مسروق قال: "من أراد أن يتعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة"[٥].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)أخرجه أبو عبيد في فضائله بسنده إلى ابن مسعود ص ١٨٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة باب ما يستحب أن يقرأ في اليوم والليلة: ص ٢٥٢. ونسبه السيوطي إلى أبي عبيد وابن الضريس والحارث بن أسامة وأبي يعلى وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان كلهم عن ابن مسعود يرفعه. الدر المنثور ٨/ ٣، وانظر روح المعاني للآلوسي ٢٧/ ١٢٨ والإتقان ٤/ ١٤٢، وقد ذكر ابن كثير ٤/ ٢٨١ والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٥٨ هذا الحديث ولم يتعرضا له بتصحيح أو تضعيف. وفي سنده شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود. قال الذهبي: قال أحمد بن حنبل: لا أعرفهما. ثم قال الذهبي: وهو صاحب حديث (من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة). الميزان ٢/ ٢٦٥.
وقال الشوكاني في إسناده كذاب اه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣١١.
(٢) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى الديلمي.
(٤) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى أبي عبيد.
(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٩٩/٩.

القرآن

{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣)} [الواقعة : ١-٣]

التفسير:

إذا قامت القيامة، ليس لقيامها أحد يكذِّب به، هي خافضة لأعداء الله في النار، رافعة لأوليائه في الجنة.

قوله تعالى:{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الواقعة : ١]، أي:" إذا قامت القيامة"[١].

قال الطبري: يعني :" إذا نزلت صيحة القيامة، وذلك حين يُنفخ في الصور لقيام الساعة"[٢].

وفي قوله تعالى:{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الواقعة : ١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: الصيحة، قاله الضحاك[٣].

قال مقاتل:" يعني: إذا وقعت الصيحة، وهي النفخة الأولى"[٤].

الثاني : الساعة وقعت بحق فلم تكذب، قاله السدي[٥].

الثالث : أنها القيامة ، قاله ابن عباس[٦]، والحسن[٧]، وابن قتيبة[٨].

قال ابن عباس:" الواقعة والطامة والصاخة، ونحو هذا من أسماء القيامة، عظَّمه الله، وحذره عباده"[٩].

قال ابن كثير:" الواقعة : من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، كما قال :{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الحاقة : ١٥]"[١٠].

قوله تعالى:{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة : ٢]، أي:" ليس لقيامها أحد يكذِّب به"[١١].

قال الطبري: " يقول تعالى: ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ولا مثنوية"[١٢].

وفي قوله تعالى:{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : ليس لها مرد يرد، قاله ابن عباس[١٣]، وبه قال الفراء[١٤]، وابن قتيبة[١٥]، والزجاج[١٦].

قال الفراء:" يقول: ليس لها مردودة ولا رد، فالكاذبة –هاهنا- مصدر مثل: العاقبة، والعافية، وقَالَ لي أَبُو ثروان[١٧] فِي كلامه: إن بني نمير ليس لحدهم مكذوبة، يريد: تكذيب"[١٨].

قال ابن قتيبة:" أي: ليس لها مردود . يقال: حمل عليه فما كذَب؛ أي: فما رجع"[١٩].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٨٧/٢٣.

(٣) تفسير الطبري: ٨٧/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٥/٥.

(٦) تفسير الطبري: ٨٧/٢٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٥/٥.

(٨) انظر: غريب القرآن: ٤٤٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٧.

(١١) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٨٧/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٨٦٥):ص٣٣٢٩/١٠.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ١٢١/٣.

(١٥) انظر: غريب القرآن: ٤٤٥.

(١٦) انظر: معاني القرآن:١٠٧/٥ .

(١٧)هو: أبو ثروان العكلي، من بني عُكْل، أعرابي فصيح مصنف، له من الكتب "خلق الإنسان"، وكتاب "معاني الشعر". انظر: "الفهرست" ص ٧٣، "إنباه الرواة" ٤/ ١٠٥.

(١٨) معاني القرآن: ١٢١/٣.

(١٩) غريب القرآن: ٤٤٥.

قال الزجاج:" أي: لا يردها شيء كما تقول: قَدْ حَمَلَ فُلان لا يُكَذَبُ، أي: لايرد حَمْلته شيء"[١].

قال ابن كثير:" أي : ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها، ولا دافع يدفعها، كما قال :{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} [الشورى : ٤٧]، وقال :{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} [المعارج : ١، ٢]، وقال تعالى :{وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام : ٧٣]"[٢].

الثاني : ليس لها مثنوية، ولا رجعة، ولا ارتداد. قاله قتادة[٣].

قال مقاتل:" يعنى: ليس لصيحتها {كاذبة} أنها كائنة ليس لها مثنوية ولا ارتداد"[٤].

وحكي الماوردي عن قتادة: "لا رجعة فيها ولا مشورة"[٥].

الثالث : معناه: لا بد أن تكون. قاله محمد بن كعب[٦].

الرابع : ليس لها مكذب من مؤمن ولا من كافر. قاله ابن كامل[٧].

الخامس : ليس الخبر عن وقوعها كذباً. حكاه الماوردي[٨].

قوله تعالى:{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة : ٣]، أي:" هي خافضة لأعداء الله في النار، رافعة لأوليائه في الجنة"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الواقعة حينئذ خافضة، أقواما كانوا في الدنيا، أعزّاء إلى نار الله، ورفعت أقواما كانوا في الدنيا وُضعَاء إلى رحمة الله وجنته"[١٠].

وفي قوله تعالى:{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة : ٣]، وجوه:

أحدها : تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين، قاله ابن عباس[١١]، والحسن[١٢]، وقتادة[١٣]، ومحمد بن كعب[١٤].

قال ابن عباس:" تخفض ناسا وترفع آخرين"[١٥].

وقال السُّدِّيّ : "خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين"[١٦].

قال ابن كثير:" أي : تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزّاء. وترفع آخرين إلى أعلى عليّين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء"[١٧].

وقال سهل بن عبدالله:" يعني: القيامة تخفض أقواماً بالدعاوى، وترفع أقواماً بالحقائق"[١٨].

---

(١) معاني القرآن:١٠٧/٥ .
(٢) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٦) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٣/٧.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٩) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٩٠/٢٣.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٨٦٥):ص٣٣٢٩/١٠.
(١٢) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٤/٧.
(١٣) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٤/٧.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٥١٤/٧.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٨٦٥):ص٣٣٢٩/١٠.
(١٦) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٤/٧.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٥١٤/٧.
(١٨) تفسير التستري: ١٦٠.

قال زيد بن أسلم:" ن انخفض يومئذٍ لم يرتفع أبدًا، ومَن ارتفع يومئذٍ لم ينخفض أبدًا"[١].
الثاني : أن الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة، قاله عمر بن الخطاب[٢]، وبه قال عثمان بن عبدالله بن سراقة[٣]، واختاره ابن قتيبة[٤].
قال الفراء:" أي: الواقعة يومئذ خافضة لقومٍ إلى النار، ورافعة لقوم إلى الجنة"[٥].
ورواه عن الكلبي[٦].
الثالث : خفضت الصوت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى، فكان القريب والبعيد من الله سواء. قاله قتادة[٧]، والضحاك[٨]، وعكرمة[٩]، وروي نحوه عن ابن عباس[١٠].
قال ابن عباس:" سمَّعت القريب والبعيد"[١١].
قال الضحاك:" خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى، فكان فيها القريب والبعيد سواء"[١٢].
قال مقاتل:" {خافضة}، يقول: أسمعت القريب، ثم قال: {رافعة}، يقول: أسمعت البعيد، فكانت صيحة، يعني: فصارت صيحة واحدة، أسمعت القريب والبعيد"[١٣].
الرابع : تخللت كلّ سهل وجبل، حتى أسمعت القريب والبعيد، ثم رفعت أقواما في كرامة الله، وخفضت أقواما في عذاب الله. قاله قتادة[١٤].
الخامس : «خافضة» أسمعت أهل الأرض، «ورافعة» أسمعت أهل السماء. حكاه مقاتل[١٥].
السادس : أنها خفضت بالنفخة الأولى من أماتت ، ورفعت بالنفخة الثانية من أحيت. أفاده الماوردي[١٦].

القرآن
{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦)} [الواقعة : ٤-٦]
التفسير:
إذا حُرِّكت الأرض تحريكًا شديدًا، وفُتِّتت الجبال تفتيتًا دقيقًا، فصارت غبارًا متطايرًا في الجو قد ذَرَتْه الريح.
قوله تعالى:{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا} [الواقعة : ٤]، أي:" إذا حُرِّكت الأرض تحريكًا شديدًا"[١٧].
وفي قوله تعالى:{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا} [الواقعة : ٤]، وجهان من التفسير:

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٧٧.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٨٦٦):ص٣٣٢٩/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٤) انظر: غريب القرآن: ٤٤٥.
(٥) معاني القرآن: ١٢١/٣.
(٦) نقلا عن: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٩١/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٩١/٢٣.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٣٤.

أحدهما : رجفت وزلزلت ، قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، ومنه قول رؤبة بن العجاج[٤]:

أليسَ يَوْمٌ سُمِّيَ الخُرُوجا. . . أعْظَمَ يَوْمٍ رَجَّةً رَجُوجا؟

عن ابن عباس، قوله: "{إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا}، يقول: زلزلها"[٥].

قال قتادة:" يقول: زلزلت زلزلة"[٦].

قال الفراء:" إذا زلزلت حتَّى ينهدم كل بناء عَلَى وجه الأرض"[٧].

قال أبو عبيدة:" اضطربت، والسهم يرتجّ في الغرض"[٨].

قال الطبري:" إذا زلزلت الأرض فحرّكت تحريكا من قولهم: السهم يرتجّ في الغرض، بمعنى: يهتزّ ويضطرب"[٩].

قال الكلبي: "وذلك أن الله عزّ وجل إذا أوحى إليها اضطربت فرقا"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: رجا شدة الزلزلة لا تسكن حتى تلقى كل شيء في بطنها على ظهرها، يقول: إنها تضطرب وترتج، لأن زلزلة الدنيا لا تلبث حتى تسكن وزلزلة الآخرة لا تسكن وترنج كرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها من جبل، أو مدينة، أو بناء، أو شجر، فيدخل فيها كل شيء خرج منها من شجر أو نبات، وتلقى ما فيها من الموتى، والكنوز على ظهرها"[١١].

الثاني : أنها ترج بما فيها كما يرج الغربال بما فيه ، قاله الربيع بن أنس[١٢].

قال الماوردي: "فيكون تأويلها على القول الأول: أنها ترج بإماتة ما على ظهرها من الأحياء ، وتأويلها على القول الثاني: أنها ترج لإخراج من في بطنها من الموتى"[١٣].

وأصل «الرجّ» -في اللغة-: "التحريك. يقال: رججته فارتجّ فارتضى عنقه، ورجرجته فترجرج"[١٤].

قوله تعالى:{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} [الواقعة : ٥]، أي:" وفُتّتت الجبال تفتيتًا دقيقًا"[١٥].

وفي قوله تعالى:{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} [الواقعة : ٥]، وجوه من التفسير:

أحدها: يعنى: فتتت الجبال فتا. قاله ابن عباس[١٦]، ومجاهد[١٧]، وعكرمة[١٨]، ومقاتل[١٩].

الثاني : نسفت نسفا. قاله قتادة[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير اطبري: ٩١/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣، وتفسير مجاهد: ٦٤٠.

(٣) انظر: تفسير اطبري: ٩١/٢٣.

(٤) ديوانه: ١١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٢٣/٢، ومعاني القرآن للزجاج: ٥٠/٥، والنكت والعيون: ٣٥٨/٥، ٤٤٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٩١/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٩١/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ١٢١/٣.

(٨) مجاز القرآن: ٢٤٧/٢.

(٩) تفسير الطبري: ٩١/٢٣.

(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٠٠/٩.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.

(١٣) النكت والعيون: ٤٤٦/٥.

(١٤) انظر: "اللسان" ١/ ١١٢٥ (رَجج)، والكشف والبيان: ٢٠٠/٩.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٣.

(١٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤.

(٢٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣١٢١):ص٢٧٦/٣

الثالث : سالت سيلاً ، حكاه الماوردي عن مجاهد[١].
الرابع : هدت هداً، حكاه الماوردي عن عكرمة[٢].
الخامس : قطعت قطعاً ، حكاه الماوردي عن الحسن[٣].
السادس : سيرت سيرا ، حكاه الماوردي عن محمد بن كعب[٤]، وأنشد قول الأغلب العجلي[٥]:
نحن بسسنا بأثر أطاراً ... أضاء خمساً ثمت سارا
السابع : إنها بست كما يبس السويق، أي: بلت، والبسيسة هي: الدقيق يلت ويتخذ زاداً، قاله مجاهد أيضا-[٦]، وإسماعيل السدي[٧]، وأبو صالح[٨]، وبه قال الفراء[٩]، وأبو عبيدة[١٠]، وأنشدا قول لص من غطفان[١١]:
لا تَخْبِزَا خَبْزًا وبُسَّا بَسَّا ... مَلْسا بِذَوْدِ الحَلْسِ مَلْسا
أي: أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن الخبز فبلّ الدقيق فأكله عجينا[١٢].
عن مجاهد، قوله: "{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا}، قال: كما يبس السويق"[١٣].
قال الفراء:" صارت كالدقيق، وذلك قوله: {وَسُيِّرَتِ الْجِبال}"[١٤].
قال أبو عبيدة:" مجازها كمجاز السّويق المبسوس أي: المبلول، والعجين"[١٥].
قال ابن قتيبة:" فُتِّتَتْ حتى صارت كالدقيق والسَّوِيق المَبسوس"[١٦].
قال الطبري: أي: "فتتت الجبال فتا، فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول، كما قال جلّ ثناؤه: {وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلا}، و«البسيسة» -عند العرب-: الدقيق والسويق تلتّ وتتخذ زادا"[١٧].
قال ابن زيد:" صارت كثيبا مهيلا كما قال الله"[١٨].
قوله تعالى:{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} [الواقعة : ٦]، أي:" فصارت الجبال غبارًا متطايرًا في الجو قد ذرّته الريح"[١٩].
وفي قوله تعالى:{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} [الواقعة : ٦]، وجوه من التفسير:

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٥.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٥.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٥.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(٩) انظر: معاني القرآن: ١٢١/٣-١٢٢.
(١٠) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٧/٢-٢٤٨.
(١١) انظر: والصحاح واللسان (بسس)، و"معاني القرآن" للزجاج ٥/ ١٠٨، و"تفسير الطبري: ٩١/٢٣، وتفسير القرطبي: ١٧/ ١٩٦، وفي تمامه اختلاف. وذكره الأزهري عن الأصمعي حيث قال: وسمعت العرب تنشد .. ، انظر: "تهذيب اللغة" ١٢/ ٣١٦ (بس)، وفى المخصص (٧: ١٢٧) :
ملسا يذوذ الحدسى ملسا.
والبيت فى تفسير القرطبي (١٧/ ١٩٦) :
ولا تطيلا بمناخ حبسا [.....]
(١٢) انظر: مجاز القرآن أبي عبيدة: ٢٤٨/٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٩٢/٢٣.
(١٤) معاني القرآن: ١٢١/٣.
(١٥) مجاز القرآن: ٢٤٧/٢-٢٤٨.
(١٦) غريب القرآن: ٤٤٥.
(١٧) تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٣.
(١٩) التفسير الميسر: ٥٣٤.

أحدها : رهج الدوابّ، قاله علي[١]، والسدي.
روي الحارث عن عليّ -رضي الله عنه- قال: رهج الدوابّ"[٢].
قال ابن قتيبة:" أي ترابًا منتشِرًا. و "الهباءُ المُنْبَثُّ": ما سطع من سنابك الخيل"[٣].
الثاني : أنه الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً ، قاله ابن عباس[٤]، وعطية العوفي[٥].
قال عطية بن سعد العَوفيّ: "الهباء: ما تطاير مِن شَرر النار"[٦].
الثالث : أنه ما يبس من ورق الشجر تذروه الريح، قاله قتادة[٧].
قال قتادة:" كيبيس الشجر، تذروه الرياح يمينا وشمالا"[٨].
قال قتادة:" الهباء: ما تذروه الريح من حطام الشجر"[٩].
الرابع: أنها شعاع الشمس الذي دخل من الكوة كهيئة الغبار، قاله ابن عباس[١٠]، وسعيد بن جبير[١١]، ومجاهد[١٢].
عن ابن عباس، في قوله: "{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا}، يقول: شعاع الشمس"[١٣].
قال سعيد بن جبير:" شعاع الشمس حين يدخل من الكوّة"[١٤].
قال مجاهد:" شعاع الشمس يدخل من الكوّة، وليس بشيء"[١٥].
قال أبو مالك:" الغبار الذي يخرج مِن الكَوّة مع شعاع الشمس"[١٦].
قال الحسن:" هو الذي تراه في الشمس إذا دخَلتْ من الكَوّة إلى البيت"[١٧].
قال الحسن:" غُبارًا ذا هباء"[١٨].
قال أبو عبيدة:" الهباء: الغبار الذي تراه في الشمس من الكوّة منبثًا منثورا متفرقا والهبوة من الغبار والعجاج يرى في الظل"[١٩].
وقال مقاتل:" يقول: فصارت بعد القوة والشدة، عروقها في الأرض السابعة السفلى، ورأسها فوق الأرض العليا، من الخوف {هَبَاءً مُنْبَثًّا}، يعني: الغبار الذي تراه في الشمس إذا دخل من الكوة في البيت"[٢٠].
قال الطبري:" وأما قوله: {مُنْبَثًّا}، فإنه يعني: متفرّقا"[٢١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٣.
(٣) غريب القرآن: ٤٤٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢٣.
(٥)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠١.
(٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٣.
(١٦) الدر المنثور: ٥/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٧) الدر المنثور: ٥/٨ ، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٣٦ -.
(١٩) مجاز القرآن: ٢٤٨/٢.
(٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٥/٤-٢١٦.
(٢١) تفسير الطبري: ٩٤/٢٣.

قال ابن كثير:" وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونسفها - أي قلعها - وصيرورتها كالعهن المنفوش"[١].

القرآن

{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧)} [الواقعة : ٧]

التفسير:

وكنتم -أيها الخلق- أصنافًا ثلاثة:

قال الطبري: يقول:" وكنتم أيها الناس أنواعا ثلاثة وضروبا"[٢].

قال الفراء:" ثُمَّ فسرهم فقال: {فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ}.. {وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ}..{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}، فهذا الصنف الثالث"[٣].

عن قتادة: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}، قال: منازل الناس يوم القيامة"[٤].

قال مجاهد:" يعني : فرقا ثلاثة"[٥].

وقال ميمون بن مِهْران : "أفواجا ثلاثة"[٦].

عن ابن عباس، قوله: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}، قال: أصنافا"[٧].

عن ابن عباس، قوله: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}، قال: هي التي في سورة «فاطر»: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} [فاطر : ٣٢]"[٨].

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- يقول: "وجدتُ الهوى ثلاثة أثلاث، فالمرء يجعل هواه عِلْمه، فيُدالُ هواه على عِلْمه، ويقهر هواه عِلْمَه، حتى إنّ العلم مع الهوى قبيحٌ ذليل، والعلم ذليل الهوى غالب قاهر، فهذا الذي قد جعل الهوى والعلم في قلبه، فهذا مِن أزواج النار، وإذا كان مِمَّن يريد الله به خيرًا استَفاق واستَنبَه، فإذا هو عَوْنٌ للعلم على الهوى حتى يُديل الله العلم على الهوى، فإذا حَسُنتْ حال المؤمن، واستقامت طريقته كان الهوى ذليلًا، وكان العلم غالبًا قاهرًا، فإذا كان مِمّن يريد الله به خيرًا خَتَم عمله بإدالة العلم، فتَوفّاه حين توفّاه وعِلْمه هو القاهر، وهو العامل به، وهواه الذليل القبيح، ليس له في ذلك نصيب ولا فعل، والثالث: الذي قبّح الله هواه بعِلْمه، فلا يطمع هواه أن يغلب العلم، ولا أن يكون له مع العلم نصف ولا نصيب، فهذا الثالث، وهو خيرهم كلّهم، وهو الذي قال الله - عز وجل - في سورة الواقعة: {وكنتم أزواجا ثلاثة} قال: فزوجان في الجنة، وزوج في النار. قال: والسابق الذي يكون العلم غالبًا للهوى، والآخر الذي ختم الله بإدالة العلم على الهوى، فهذان زوجان في الجنة، والآخر هواه قاهر لعِلْمه، فهذا زوج النار"[٩].

قال ابن كثير:" أي : ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السُّدِّيّ : وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار - عياذًا بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٧.
(٢) تفسير الطبري: ٩٤/٢٣.
(٣) معاني القرآن: ١٢٢/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٣.
(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٥/٧.
(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٥/٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٧٣):ص٣٣٢٩/١٠.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٧٤):ص٣٣٢٩/١٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣-٩٧.

سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ؛ ولهذا قال :{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى :{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} الآية [فاطر : ٣٢]، وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه "[١].

القرآن

{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩)} [الواقعة : ٨-٩]

التفسير:

فأصحاب اليمين، أهل المنزلة العالية، ما أعظم مكانتهم!! وأصحاب الشمال، أهل المنزلة الدنيئة، ما أسوأ حالهم!!

قوله تعالى:{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، أي:" فأصحاب اليمين، أهل المنزلة العالية، ما أعظم مكانتهم!!"[٢].

قال مقاتل:" يقول: ما لأصحاب اليمين من الخير والكرامة في الجنة"[٣].

قال ابن قتيبة:" على التعجب. كأنه قال: أيُّ شيء هم؟!، ويقال في الكلام : زيدٌ ما زَيدٌ!، أيْ: أيُّ رجل هو"[٤].

قال الفراء:" عجّب نبيّه منهم فَقَالَ: ما أصحاب الميمنة؟ أي: شيء هُمْ؟ وهم أصحاب اليمين"[٥].

قال الطبري:" وهذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة.. يعجِّب نبيه محمدا منهم، وقال: {مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أيّ شيء أصحاب اليمين"[٦].

قال الزجاج:" هم أصحاب المنزلة الرفيعة"[٧].

عن قتادة، قوله: "{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}، أي: ماذا لهم، وماذا أعد لهم"[٨].

وفي قوله تعالى:{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، وجوه:

أحدها : أن أصحاب الميمنة الذين أخذوا من شق آدم الأيمن ، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر ، قاله زيد بن أسلم[٩].

الثاني : أن أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه ، وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بيساره ، قاله عطاء[١٠]، ومحمد بن كعب[١١].

وعن الضحاك:" {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} هم الذين يُعطون كتبهم بأيمانهم"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٦/٤.
(٤) غريب القرآن: ٤٤٥-٤٤٦.
(٥) معاني القرآن: ١٢٢/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٩٥/٢٣.
(٧) معاني القرآن: ١٠٩/٥.
(٨) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(١٠)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(١٢)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠١، وتفسير البغوي ٨/ ٨.

الثالث : أن أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات، وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات ، قاله ابن جريج[١].
الرابع : أن أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم ، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم ، قاله الحسن[٢]، والربيع[٣].

عن الحسن، و والربيع بن أنس: "{فَأَصْحابُ المَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ المَيْمَنَةِ} هم الذين كانوا ميامين مُباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله - عز وجل -، وهم التابعون بإحسان"[٤].

الخامس : أن أصحاب الميمنة أهل الجنة ، وأصحاب المشأمة أهل النار ، قاله السدي[٥].
السادس : أن أصحاب الميمنة أصحاب التقدم، وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدمين ولا تجعلنا من المتأخرين. قاله المبرد[٦].

عن أنس بن مالك، قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل: لخازن السماء افتح، قال: من هذا؟ قال هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول: ففتح، - قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة، قال أنس - فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم "، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم، أن ابن عباس، وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»، قال ابن حزم، وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال:

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٤)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠١، وتفسير البغوي ٨/ ٨.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.
(٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.

راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك"»[1].

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة : ٩]، أي:" وأصحاب الشمال، أهل المنزلة الدنيئة، ما أسوأ حالهم!!"[2].

قال مقاتل:" يقول: ما لأصحاب المشأمة من الشر في جهنم"[3].

قال الفراء:" عجبه أيضا منهم، وهم أصحاب الشمال"[4].

قاب الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشؤمي؛ ومنه قول أعشى بني ثعلبة[5]:

فأنْحَى على شُؤْمَي يَدَيه فَذادَها ... بأظْمأ مِنْ فَرْع الذُّوَابَةِ أسْحَما"[6].

قال الزجاج:" «أصحاب الشمال» هم أصحاب المنزلة الدنيئة الخسيسة"[7].

قال ابن قتيبة:" والعرب تسمِّي اليدَ اليسرى: الشُّؤمَى؛ والجانبَ الأيسر: الجانبَ الأشْأَمَ. ومنه قيل: اليُمْن والشُّؤم. فاليُمن: كأنه ما جاء عن اليمين؛ والشُّؤم: ما جاء عن الشمال. ومنه سميت: اليَمَنُ، والشَّأم"[8].

عن قتادة، قوله: "{وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}، أي: ماذا لهم وماذا أعد لهم"[9].

عن الحسن، عن معاذ بن جبل: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٢٧] ، {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة: ٤١]- فقبض بيديه قبضتين فقال: «هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي»"[10].

قال القرطبي:" والتكرير في: {ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ}. و{ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ} للتفخيم والتعجيب، كقوله: {الْحَاقَّةُ(١) مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة : ١-٢]، و {الْقَارِعَةُ(١) {مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة : ١-٢]، كما يقال: زيد ما زيد! وفي حديث أم زرع رضي الله[11] عنها: مالك وما مالك! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب"[12].

القرآن

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)} [الواقعة : ١٠-١٢]

التفسير:

---

(١) صحيح البخاري(٣٤٩):ص٧٨/١.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٦/٤.

(٤) معاني القرآن: ١٢٢/٣.

(٥)ديوانه ،طبع القاهرة: ٢٩٥، من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي. ورويت في مدح قيس ابن معد يكرب. وأنحى: اعتمد، يقال: أنحى البعير: اعتمد في سيره على أيسره. واليد الشؤمى: اليسرى. وأظمأ: أسمر ذابل.

والفرع: الشعر. والذؤابة: شعر الناصية. وأسحم: أسود. يصف ثورا اجتمعت عليه كلاب الصيد، فذادها عنه بقرنه الذابل المحدد، وهو أشد سوادا من خصلة الشعر. والشاهد في قوله شؤمى يديه أي يسراهما.

(٦) تفسير الطبري: ٩٥/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ١٠٩/٥.

(٨) غريب القرآن: ٤٤٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.

(١٠)المسند (٢٢٠٧٧):ص٣٩٥/٣٦، والحسن لم يسمع من معاذ.

(١١)حديث أم زرع رواه مسلم في فضائل الصحابة، عن عائشة رضى الله عنها أنه: جلس احدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا، فقالت إحداهن: زوجي مالك وما مالك! مالك خير من ذلك ..... إلخ. الحديث. [صحيح مسلم(٢٤٤٨):ص١٨٩٦/٤]

(١٢) تفسيرا لقرطبي: ١٩٩/١٧.

والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة، أولئك هم المقربون عند الله، يُدْخلهم ربهم في جنات النعيم.

قوله تعالى:{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة :]، أي:" والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة"(١).

قال الفراء:" فهذا الصنف الثالث"(٢).

قال الزمخشري:" قيل: الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا السابق المقرّب، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة، ثم تراجع بتوبة، فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه، ثم يزل عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا صاحب الشمال"(٣).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة :]، وجوه:

أحدها : أنهم الأنبياء، قاله محمد بن كعب(٤).

الثاني : أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة ، قاله الحسن(٥)، وقتادة(٦).

عن قتادة، قوله: "{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}، أي: من كل أمة"(٧).

عن الحسن، في قوله: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} . . . إلى {ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم سوى بين أصحاب اليمين من الأمم السابقة، وبين أصحاب اليمين من هذه الأمة، وكان السابقون من الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة"(٨).

قال الزمخشري:" {وَالسَّابِقُونَ}: المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عز وجل"(٩).

الثالث : أنهم الذين صلوا إلى القبلتين، قاله ابن سيرين(١٠).

الرابع : هم أول الناس رواحاً إلى المساجد وأسرعهم خفوقاً في سبيل الله ، قاله عثمان بن أبي سودة(١١).

عثمان بن أبي سَوَدة مولى عبادة بن الصامت -من طريق أبي عمرو- قال: "بلغنا في هذه الآية: {والسّابِقُونَ السّابِقُونَ} أنهم السابقون إلى المساجد والخروج في سبيل الله"(١٢).

الخامس : أنهم السابقون إلى الصلوات الخمس. قاله علي-رضي الله عنه-(١٣).

السادس : أنهم السابقون إلى الجهاد. قاله الضحاك(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٢) معاني القرآن: ١٢٢/٣.
(٣) الكشاف: ٤٥٧/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.
(٩) الكشاف: ٤٥٧/٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٣، وابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٠/ ٢٥٥ (١٩٦٨٥). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. كما أخرج نحوه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٢٦٣، وفيه: عن عثمان بن أبي مرة، وربما كان تصحيفًا.
(١٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.
(١٤) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.

السابع : أنهم السابقون إلى التوبة وأعمال البر، قال الله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَ} [آل عمران : ١٣٣]. وهذا قول سعيد بن جبير[١].

عن عبد الله بن شُمَيط، قال: سمعت أبي يقول: "الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حَداثة سِنّه ثم داوم عليه حتى خرج عن الدنيا فهذا السابق المقرب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة حتى ختم له بهذا فهو من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى حتى ختم له بهذا فهذا من أصحاب الشمال"[٢].

الثامن : أنهم ثلاثة: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس، سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- سبق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم-وفي رواية" وسابقان من أمة محمد-صلى الله عليه وسلم- وهما : أبو بكر وعمر"[٣]-. قاله ابن عباس[٤].

وقال مقاتل:"منهم أبو بكر وعلي- -رضي الله عنهما- هم {السابقون} إلى الإيمان بالله ورسوله من كل أمة، هم السابقون إلى الجنة"[٥].

التاسع : أنهم الذي أسلموا بمكة قبل هجرة النبي- صلى الله عليه وسلم- وبالمدينة قبل هجرته إليهم، لأنهم سبقوا بالإسلام قبل زمان الرغبة والرهبة. أفاده الماوردي[٦].

العاشر : أن السابق: هو الذي يكون العلم غالبا للهوى. قاله ابن زيد[٧].

قال ابن زيد: "وجدت الهوى ثلاثة أثلاث، فالمرء يجعل هواه علمه، فيديل هواه على علمه، ويقهر هواه علمه، حتى إن العلم مع الهوى قبيح ذليل، والعلم ذليل، الهوى غالب قاهر، فالذي قد جعل الهوى والعلم في قلبه، فهذا من أزواج النار، وإذا كان ممن يريد الله به خيرا استفاق واستنبه، فإذا هو عون للعلم على الهوى حتى يديل الله العلم على الهوى، فإذا حسنت حال المؤمن، واستقامت طريقه كان الهوى ذليلا وكان العلم غالبا قاهرا، فإذا كان ممن يريد الله به خيرا، ختم عمله بإدالة العلم، فتوفاه حين توفاه، وعلمه هو القاهر، وهو العامل به، وهواه الذليل القبيح، ليس له في ذلك نصيب ولا فعل. والثالث: الذي قبح الله هواه بعلمه، فلا يطمع هواه أن يغلب العلم، ولا أن يكون معه نصف ولا نصيب، فهذا الثالث، وهو خيرهم كلهم، وهو الذي قال الله عزّ وجلّ في سورة الواقعة: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}، قال: فزوجان في الجنة، وزوج في النار، قال: والسابق الذي يكون العلم غالبا للهوى، والآخر: الذي ختم الله بإدالة العلم على الهوى، فهذان زوجان في الجنة، والآخر: هواه قاهر لعلمه، فهذا زوج النار"[٨].

الحادي عشر : ما روي النعمان بن بشير، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير : ٧]، قال: «الضرباء، كل رجل مع قوم كانوا يعملون بعمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)} [الواقعة : ٧ - ١٠]، قال: هم الضرباء"[٩].

الثاني عشر : أنهم السابقون "إلى كلّ خير" . قاله محمد بن كعب القُرَظيّ[١٠].

---

(١) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.

(٢)أخرجه الثعلبي ٩/ ٢٠٢.

(٣) حكي الماوردي عن ابن عباس:" أنهم أربعة : منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون ، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية ، وسابقان من أمة محمد-صلى الله عليه وسلم- وهما : أبو بكر وعمر ". [النكت والعيون: ٤٤٨/٥].

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٧٣):ص٣٣٣٠/١٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٦/٤.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥-٤٤٩.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢٣-٩٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣-٩٧.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٧٤):ص٣٣٣٠/١٠.

(١٠)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠٢، وتفسير البغوي ٨/ ٩.

الثالث عشر: أن السابقين: أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأصحاب الأنبياء. قاله الحسن[١].

عن آدم بن عبد الله الخَثْعميّ، قال: "سألتُ زيد بن علي عن قول الله - عز وجل -: {والسابقون السابقون أولئك المقربون} مَن هؤلاء؟ قال: أبو بكر، وعمر. ثم قال: لا أنالني اللهُ شفاعة جدّي إن لم أُوالِهما"[٢].

الرابع عشر: أنهم أهل القرآن، وهم المتوَّجُون يوم القيامة. قاله كعب الأحبار[٣].

الخامس عشر: أنهم المهاجرون، وكل من سبق إلى نبي من الأنبياء. قاله الفراء[٤].

وقال الطبري:" وهم الزوج الثالث وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأوّلون"[٥].

قال الزجاج:" معناه :السابقون إلى طاعة اللّه عزَّ وجل والتصديق بأنبيائه"[٦].

قال ابن كثير-بعد أن ذكر طرفا من الأقوال السابقة-:" وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ} [آل عمران : ١٣٣]، وقال :{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} [الحديد : ٢٢]، فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان ؛ ولهذا قال تعالى :{أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}"[٧].

عن عبد الله بن عمرو قال :" قالت الملائكة : يا رب، جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة. فقال : لا أفعل. فراجعوا ثلاثا، فقال : لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له : كن، فكان. ثم قرأ عبد الله :{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}"[٨].

عن عثمان بن عبد الله بن سُراقة، قوله: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً}، قال: اثنان في الجنة وواحد في النار، يقول: الحور العين للسابقين، والعُرُب الأتراب"[٩].

عن عائشة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال : «أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»[١٠].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة : ١١]، أي:" أولئك هم المقربون عند الله"[١١].

قال الواحدي:" إلى كرامة الله"[١٢].

---

(١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٣٧ -.

(٢)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/ ٤٦١.

(٣)أخرجه الثعلبي ٩/ ٢٠٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٧٧ مختصرًا. وينظر: تفسير البغوي ٨/ ٩.

(٤) انظر: معاني القرآن: ١٢٢/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٩٥/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٠٩/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٧.

(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٧/٧. قال ابن كثير:« وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان (٢) بن سعيد الدارمي في كتابه : "الرد على الجهمية"، ولفظه : فقال الله عز وجل : "لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي، كمن قلت له : كن فكان"».

وقد رواه عثمان بن سعيد الدارمي فرفعه كما في البداية والنهاية (٥٥/١) لابن كثير، وقال : "وهو أصح" وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٤٨/١) وقال : "هذا حديث لا يصح".

(٩) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٣-٩٦.

(١٠) المسند(٢٤٣٧٩):ص٤٤٠/٤٠.

(١١) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(١٢) الوجيز: ١٠٥٩.

قال مقاتل: أي:" عند الله- تعالى- في الدرجات والفضائل"[١].
قال أبو سليمان الدمشقي: "يعني: عند الله في ظلّ عرشه وجواره"[٢].
قال ابن عباس:" هم أقرب الناس مِن دار الرحمن مِن بُطنان الجنة، وبُطنانها: وسطها، {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}"[٣].
عن عُرْوة بن الزّبير -من طريق سعد بن إبراهيم- قال:" كان يقال: تقدّموا تقدّموا"[٤].
قال سهل:" إن الله تعالى مدح أمته فقال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة: ١٠- ١١] ولم يقل القريبون، وعلامات المقرب واضحات من هذه الأمة، فالقريب وجد من الله المنة والكرامة، والبعيد وجد من الله العذاب والعقوبة، والمعبد وجد من الله الحجاب والقطيعة، والمقرب وجد من الله اللقاء والزيارة"[٥].
قوله تعالى:{فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الواقعة : ١٢]، أي:" يُدْخلهم ربهم في جنات النعيم"[٦].
عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٧].
قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٨].
قال مالك بن دينار: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جواري خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب"[٩].
فوائد الآيات: [١-١٢]:
١- تقرير البعث والجزاء في الآخرة.
٢- الإيمان والتقوى يرفعان والشرك والمعاصي يضعان ويخفضان.
٣- السابقون إلى الطاعات لهم فضل الأسبقية في كل زمان زمكان.
٤- اليساريون هم أشقياء الدنيا والآخرة. لأنهم عندما أخذ غيرهم ذات اليمين طالبين الإيمان والاستقامة أخذوا هم ذات الشمال طالبين الكفر والفسوق.

القرآن
{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)} [الواقعة : ١٣-١٦]
التفسير:
يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة، وغيرهم من الأمم الأخرى، وقليل من آخر هذه الأمة على سرر منسوجة بالذهب، متكئين عليها يقابل بعضهم بعضًا.
قوله تعالى:{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الواقعة : ١٣]، أي:" يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة، وغيرهم من الأمم الأخرى"[١٠].
وفي معنى قوله تعالى:{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الواقعة : ١٣]، وجوه:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٦/٤.
(٢) زاد المسير: ٢٢٠/٤.
(٣) الدر المنثور: ٤١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤)أخرجه الثعلبي ٩/ ٢٠٣.
(٥) تفسير التستري: ٣٩.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٨) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٩٤):ص١١٧٠/٤س.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٣٤.

أحدها : أنهم الجماعة، ذكره أبو عبيدة[١]، وبه قال الطبري[٢]، والزجاج[٣]، ومنه قول الشاعر[٤]:

ولست ذليلاً في العشيرة كلها ... تحاول منها ثلة لا يسودها

قال الزجاج:" الثُّلَّة: الجماعَة"[٥].

قال مقاتل:" يعنى: جمعا من الأولين"[٦].

الثاني : يعني: أمة. قاله مجاهد[٧].

الثالث : الشطر، وهو النصف ، قاله الضحاك[٨].

الرابع : أنها الفئة ، قاله أبو عبيدة[٩]، ومنه قول دريد بن الصمة [١٠]:

ذريني أسير في البلاد لعلني ... ألاقي لبشر ثلة من محارب

الخامس : بقية. ذكره أبو عبيدة[١١].

قال أبو عبيدة:{ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِين}، " تجيء جماعة وأمة وتجيء بقيّة"[١٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الواقعة : ١٣]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- ، قاله أبو بكرة[١٣].

الثاني : أنهم قوم نوح ، قاله الحسن[١٤].

الثالث : يعنى: سابقي الأمم الخالية، وهم الذين عاينوا الأنبياء- عليهم السلام- فلم يشكوا فيهم طرفة عين فهم السابقون. قاله مقاتل[١٥]، والطبري[١٦]، والزجاج.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: جماعة من الأمم الماضية"[١٧].

قال الزجاج:" أي: جماعة ممن عاين الأنبياء وصدق بهمْ، فالذين عاينوا جميع النبيين وصدَّقوا بهم أكثر ممن عاين النبي عليه السلام، وذلك قوله في قصة يونس: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)} [يونس: ١٤٧-١٤٨]، هَؤلاء سوى سائر من آمن بجميع الأنبياء ممن عاينهم وصَدَّقَهُم، ويجوز أن يكون الثُّلَّة بمعنى: قليل من الأولين وقليل من الآخرين، لأن اشتقاق «الثلة» من: القطعة، و«الثل» الكسر والقطع، و«الثُّلَّة» نحو: الفئة والفرقة"[١٨].

قوله تعالى:{وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة : ١٤]، أي:" وقليل من آخر هذه الأمة"[١٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة : ١٤]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم-، قاله الحسن[١].

---

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٨/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٨/٢٣.
(٣) انظر: معاني القرآن: ١٠٩/٥.
(٤) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٤٩/٥.
(٥) معاني القرآن: ١٠٩/٥.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٦/٤.
(٧) انظر: تفسير مجاهد: ٦٤٣.
(٨) حكاه عنه الماوردي في: النكت والعيون: ٤٤٩/٥.
(٩) حكاه عنه الماوردي في: النكت والعيون: ٤٤٩/٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٩/٥.
(١١) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٨/٢.
(١٢) مجاز القرآن: ٢٤٨/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٤٩/٥.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٩/٥.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٦/٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٨/٢٣.
(١٧) تفسير الطبري: ٩٨/٢٣.
(١٨) معاني القرآن: ١٠٩/٥.
(١٩) التفسير الميسر: ٥٣٤.

عن السُّرِّيّ بن يحيى، قال : "قرأ الحسن :{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ} ثلة ممن مضى من هذه الأمة"[٢].

عن محمد بن سيرين: أنه قال في هذه الآية :{ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ} قال: "كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة"[٣].

قال ابن كثير:" فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل أمة بحسبها ؛ ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها، من غير وجه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٤]، الحديث بتمامه"[٥].

عن مجاهد، والضحاك، وعطاء بن أبي رباح، قالوا: "{ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ} مِن سابقي هذه الأمّة، {وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ} مِن آخر هذه الأمّة في آخر الزمان"[٦].

عن محمد بن سيرين: {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين} [الواقعة: ٤٠] قال: " كانوا يقولون: كلهم من هذه الأمة"[٧]. وفي رواية: "كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة"[٨].

عن مجاهد:" {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين}، قال: مثل قوله: {فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات} [فاطر: ٣٢]"[٩].

عن ميمون بن مهران، في قوله: "{ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، قال: كثير من الأوّلين، وكثير من الآخرين"[١٠].

عن معمر ، عن قتادة ، أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» قالوا: نعم ، قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قالوا: نعم ، قال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ثم تلا قتادة {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين} [الواقعة: ٤٠]"[١١].

الثاني : أنهم الذين تقدم إسلامهم قبل أن يتكاملوا. حكاه الماوردي[١٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٩/٥، وتفسير ابن كثير: ٥١٨/٧.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٨/٧.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٩/٧.

(٤)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٦٥١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٧. ثم قال ابن كثير:" عمار بن ياسر، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره"[المسند (٣١٩/٤)]، فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذي يحتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض، ولا تعلق أساسه فيها ؛ ولهذا قال، عليه السلام : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة". وفي لفظ : "حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة ؛ لشرف دينها وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. وفي لفظ : "مع كل ألف سبعون ألفا". وفي آخر مع كل واحد سبعون ألفا".

(٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠٩، وتفسير البغوي ٨/ ١٨.

(٧) تفسير مجاهد: ٦٤٣.

(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٩/٧.

(٩)تفسير مجاهد ص ٦٤٣، وأخرجه عبد بن حميد -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٣٥ -، والفريابي -كما في الفتح ٨/ ٦٢٦ -.

(١٠)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦٢٦ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١١) تفسير عبدالرزاق(٣١٣٤):ص٢٧٨/٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٩/٥.

الثالث : يعني: أمة محمد- صلى الله عليه وسلم-، فهم أقل من سابقي الأمم الخالية. قاله مقاتل[1]، والطبري[2].

قال الطبري:" قيل لهم الآخرون: لأنهم آخر الأمم"[3].

عن أبي هريرة قال: "لما نزلت: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة: ١٣-١٤]، شق ذلك على أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فنزلت: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم الشطر الثاني»"[4].

عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لما نزلت :{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}، فذكر فيها {ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ}، قال عمر : يا رسول الله، ثلة من الأولين وقليل منا ؟ قال : فأمسك آخر السورة سنة، ثم أنزل الله تبار وتعالى:{ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا عمر، تعال اسمع ما قد أنزل الله :{ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، ألا وإن من آدم ثلة وأمتي ثلة ولن تستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل، ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له "[5]

قال ابن كثير:" وهذا الذي اختاره ابن جرير هاهنا، فيه نظر، بل هو قول ضعيف ؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم. فالقول الثاني في هذا المقام، هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله :{ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ}، أي : من صدر هذه الأمة، {وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ}، أي : من هذه الأمة"[6].

عن أبي مالك، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما والذي نفسي بيده، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما جاء مع الأنبياء، عليهم السلام"[7].

عن ابن زَمْل الجهني، رضي الله عنه، قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح قال، وهو ثان رجله : "سبحان الله وبحمده. أستغفر الله، إن الله كان توابا" سبعين مرة، ثم يقول : "سبعين بسبعمائة، لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة". ثم يقول ذلك مرتين، ثم يستقبل الناس بوجهه، وكان يعجبه الرؤيا، ثم يقول : "هل رأى أحد منكم شيئا ؟" قال ابن زمل : فقلت : أنا يا رسول الله. فقال : "خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين. اقصص رؤياك". فقلت : رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لا حب، والناس على الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك، إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله، يرف رفيفا يقطر ماؤه، فيه من أنواع الكلأ قال : وكأني بالرعلة الأولى حين أشفوا على المرج كبّروا، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فلم يظلموه يمينا ولا شمالا. قال : فكأني أنظر إليهم منطلقين. ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا، فلما أشفوا على المرج كبّروا، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث. ومضوا على

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٦/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٨/٢٣.

(٣) تفسير الطبري: ٩٨/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٧٥):ص٣٣٣٠/١٠.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٢٩/٤٠. قال ابن كثير٥١٨/٧:" في إسناده نظر، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله صلى الله عليه وسلم : "إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة" الحديث بتمامه، وهو مفرد في "صفة الجنة".

ومن هذه الطرق: حديث عمران بن حصين، أخرجه الترمذي في السنن برقم (٣١٦٨) وحديث عبد الله بن مسعود، أخرجه أحمد في المسند (٤٢٠/١).

(٦) تفسيرا بن كثير: ٥١٨/٧.

(٧)المعجم الكبير (٢٩٧/٣) وفي إسناده محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف لم يسمع من أبيه.

ذلك. قال : ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا : هذا خير المنزل. كأني أنظر إليهم يميلون يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك، لزمت الطريق حتى آتي أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل أقنى، إذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا وإذا عن يسارك رجل ربعة باذ كثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره بالماء، إذا هو تكلم أصغيتم إكراما له. وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها، كلكم تؤمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها. قال : فامتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمّا ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللا حب، فذاك ما حملتم عليه من الهدى وأنتم عليه. وأما المرج الذي رأيت، فالدنيا مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء، ولم تتعلق منا، ولم نردها ولم تردنا. ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافا، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث، ونجوا على ذلك. ثم جاء عظم الناس، فمالوا في المرج يمينا وشمالا فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما أنت، فمضيت على طريقة صالحة، فلن تزال عليها حتى تلقاني. وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة، فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفا. وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشثل، فذلك موسى، عليه السلام، إذا تكلم، يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه. والذي رأيت عن يساري الباز الربعة الكثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره بالماء، فذلك عيسى ابن مريم، نكرمه لإكرام الله إياه. وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقا ووجها فذاك أبونا إبراهيم، كلنا نؤمه ونقتدي به. وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها، فهي الساعة، علينا تقوم، لا نبي بعدي، ولا أمة بعد أمتي". قال : فما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل، فيحدثه بها متبرعا»"[١].

قوله تعالى:{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ} [الواقعة : ١٥]، أي:" على سرر منسوجة بالذهب"[٢].

قال الطبري:" يقول: فوق سُرر منسوجة، قد أدخل بعضها في بعض، كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة؛ ومنه قول الأعشى[٣]:

وَمِنْ نَسْج دَاوُدَ مَوْضُونَةً ... تُساقُ مَعَ الحَيّ عِيرًا فعِيْرًا

ومنه وضين الناقة، وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا كالحلق حلق الدرع"[٤].

وفي قوله تعالى:{مَوْضُونَةٍ} [الواقعة : ١٥]، وجوه:

أحدها : أنها المنسوجة بالذهب ، قاله ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦].

قال مجاهد:" الموضونة: المرملة بالذهب"[٧].

قال ابن عباس:" مرمولة[٨] بالذهب"[٩].

قال ابن عباس:" يعني الأسرة المرملة"[١٠].

---

(١)دلائل النبوة (٣٦/٧) وفي إسناده سليمان بن عطاء بن قيس، قال ابن حبان في المجروحين (٣٢٩/١) : "شيخ يروي عن مسلمة ابن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي بأشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات فلست أدري التخليط فيها منه أو من مسلمة بن عبد الله".

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٣) ديوانه: ٩٩.

(٤) تفسير الطبري: ٩٨/٢٣-٩٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٣.

(٨)في الصحاح: رملت الحصير، أى: سففته. وفيه أيضا: سففت الخوص: أى نسجته.

(٩) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٣.

وقال قتادة:" الموضونة: المرمولة، وهى أوثر السرر"[١].
عن أبي هلال، في قوله: {مَوْضُونَةٍ}، قال:" مرمولة"[٢].
قال معمر:" مرملة مشبكة"[٣].
قال ابن زيد:" الموضونة: المرمولة بالجلد، ذاك الوضين منسوجة"[٤].
وقال السُّدِّيّ : "مرمولة بالذهب واللؤلؤ"[٥].
الثاني : أنها المشبكة النسج، قاله الضحاك[٦]، ومنه قول لبيد[٧]:
إن يفزعوا فسرا مع موضونة ... والبيض تبرق كالكواكب لامها
قال الضحاك:" الوضن: التشبيك والنسج، يقول: وسطها مشبك منسوج"[٨].
وقال عكرمة:" مشبكة بالدّر والياقوت"[٩].
قال مقاتل:" يعني: بـ «الموضون»: السرر وتشبكها مشبكة أوساطها بقضبان الدر والياقوت والزبرجد"[١٠].
قال الفراء:" موضونة: منسوجة، وإنما سمت العرب: وضين الناقة وضينا، لأنه منسوج، وَقَدْ سمعت بعض العرب يَقُولُ: فإذا الآجر موضون بعضه عَلَى بعض يريد: مُشْرَج، قَالَ الفراء: الوضين: الحِزام"[١١].
قال أبو عبيدة:" {مَوْضُونَةٍ}: بعضها على بعض مداخلة كما توضن كحلق الدرع بعضها فى بعض مضاعفة"[١٢].
الثالث : أنها المصفوفة. قاله ابن عباس -أيضا-[١٣].
الرابع : أنها المضفورة ، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد[١٤].
ومنه: "وضين الناقة. وهو البطان العريض المضفور من السيور"[١٥].
الخامس : أنها المسندة بعضها إلى بعض. حكاه الماوردي[١٦].
قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة : ١٦]، أي:" متكئين عليها يقابل بعضهم بعضًا"[١٧].
قال مجاهد:" لا ينظر أحدُهم في قفا صاحبه"[١٨].
قال ابن عباس:" ينظر الرجل منهم في قفا صاحبه، يقول: حِلقًا حِلقًا"[١٩].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره متكئين على السُّرر الموضونة، متقابلين بوجوههم، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.
(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٣.
(٧) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٠/٥.
(٨) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٣.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٧/٤.
(١١) معاني القرآن: ١٢٢/٣.
(١٢) مجاز القرآن: ٢٤٨/٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٣.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ١١٠/١٧، و١٠٠/٢٢.
(١٩) الدر المنثور:٤١/٨ ، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال ابن كثير:" أي : وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد"[٢].
قال الزجاج:" معنى {متقابلين}: ينظر بعضهم إلى وجوه بعض ولا ينظر في أقفاء بعض. وصفوا مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة ومن ذلك قوله عزَّ وجلَّ: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر : ٤٧]"[٣].

القرآن
{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩)} [الواقعة : ١٧-١٩]
التفسير:
يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة، لا تُصَدَّعُ منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم.
قوله تعالى:{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} [الواقعة : ١٧]، أي:" يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون"[٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يطوف على هؤلاء السابقين الذين قرّبهم الله في جنات النعيم، ولدان على سنّ واحدة، لا يتغيرون ولا يموتون"[٥].
قال ابن قتيبة:" أي: يَطُوفون عليهم في الخدمة"[٦].
وفي قوله تعالى:{مُخَلَّدُونَ} [الواقعة : ١٧]، أقوال:
أحدها : مسورون بالأسورة. روي عن أبي عبيدة[٧]، وحكاه الفراء[٨]، وابن قتيبة[٩].
الثاني: مُقَرَّطون بالأقراط ، حكاه الفراء-أيضا-[١٠]، وابن قتيبة[١١]، وأنشد الأخير فيه قول الشاعر[١٢]:
ومُخَلَّداتٌ باللُّجَيْنِ كأنَّمَا ... أعْجَازُهُنَّ أقاوزُ الكُثْبان
وقال الزجاجي: "محلَّون"[١٣].
الثالث : أنهم الباقون على صغرهم لا يموتون ولا يكبرون ولا يتغيرون ، قاله الحسن[١٤]، ومجاهد[١٥]، ومنه قول امرىء القيس[١٦]:
وهَلْ ينعمَنْ إلا سعيدٌ مُخلدٌ ... قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجال
قال مقاتل:" يعني: غلمان لا يكبرون، {مخلدون}، لا يموتون"[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٠/٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٣) معاني القرآن: ١١٠/٥.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٥) تفسير الطبري: ١٠١/٢٣.
(٦) غريب القرآن: ٣٠٧.
(٧) انظر: اللسان: ١٦٤/٣.
(٨) انظر: معاني القرآن: ١٢٣/٣.
(٩) انظر: غريب القرآن: ٤٤٦.
(١٠) انظر: معاني القرآن: ١٢٣/٣.
(١١) انظر: غريب القرآن: ٤٤٧.
(١٢)البيت في "تهذيب اللغة" ٧/ ٢٧٧، و"اللسان" ١٦٤/٣، (خلد) و٣/ ١٨٦ (قوز)، و"تفسير غريب القرآن" ص ٤٤٧، ولم ينسب لقائل، واللجين هي الفضة.
(١٣) اللسان: ١٦٤/٣.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.
(١٥) انظر: تفسير مجاهد: ٦٤١، وتفسير الطبري: ١٠١/٢٣.
(١٦)ديوانه: ٢٧.
(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٧/٤.

قال أبو عبيدة:" من الخلد، أي: لا يهرمون يبقون على حالهم لا يتغيرون ولا يكبرون"[١].

قال الفراء:" يُقال: إنهم عَلَى سن واحدة لا يتغيرون، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلّد، وإذا لم تذهب أسنانه عَنِ الكبر قيل أيضًا: إنه لمخلد"[٢].

قال ابن كثير:" أي : مخلدون على صفة واحدة، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون"[٣].

الرابع : أنهم الباقون معهم لا يبصرون عليهم ولا ينصرفون عنهم بخلافهم في الدنيا. أفاده الماوردي[٤].

الخامس: أنهم مبقون أبدا على شكل الولدان وحدّ الوصافة، لا يتحوّلون عنه. قاله الزجاج[٥]، وبه قال الزمخشري[٦].

قال الطبري:" والذي هو أولى بالصواب في ذلك قول من قال معناه: إنهم لا يتغيرون، ولا يموتون، لأن ذلك أظهر معنييه، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد، وإنما هو مفعل من الخلد"[٧].

وروي عن على -رضى الله عنه- وعن الحسن :" أنهم أولاد أهل الدنيا: لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها"[٨].

عن سمرة بن جندب، رضي الله عنه،" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال: «هم خدم أهل الجنة»"[٩].

عن سمرة بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة»[١٠].

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة "[١١].

عن يزيد، قال: "قلنا لأنس: يا أبا حمزة، ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تكن لهم سيئات، فيعاقبوا بها، فيكونوا من أهل النار، ولم تكن لهم حسنات، فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، هم خدم أهل الجنة»[١٢].

وفي رواية:" لم يكن لهم سيئات فيعاقبوا بها فيكونوا من أهل النار ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة هم خدم أهل الجنة"[١٣]. يعنى: أطفال المشركين.

قوله تعالى:{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} [الواقعة : ١٨]، أي:" بأقداح وأباريق"[١٤].

قال ابن الجوزي:" قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الإبريق: فارسيّ معرَّب، وترجمتُه من الفارسية أحدُ شيئين: إمّا أن يكون: طريقَ الماء، أو: صبَّ الماءِ على هينة، وقد تكلمتْ به العربُ قديماً، قال عديُّ بن زيد[١]:

---

(١) مجاز القرآن: ٢٤٩/٢.
(٢) معاني القرآن: ١٢٢/٣-١٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.
(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٦١/٥.
(٦) انظر: الكشاف: ٤٥٩/٤.
(٧) تفسير الطبري: ١٠١/٢٣.
(٨) حكاه عنهما الزمخشري في "الكشاف": ٤٥٩/٤.
(٩) مسند البزاز(٤٥١٦):ص٣٨٤/١٠.
(١٠) المعجم الأوسط(٢٠٤٥):ص٣٠٢/٢.
(١١) .
(١٢) مسند أبي داود(٢٢٢٥):ص٥٨٠/٣.
(١٣)أخرجه الطيالسى (ص ٢٨٢، رقم ٢١١١).
(١٤) التفسير الميسر: ٥٣٤.

ودَعَا بالصَّبُوحِ يوماً فجاءتْ ... قينة في يمينها إبريق"[٢].

وفي قوله تعالى:{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} [الواقعة : ١٨]، قولان:

أحدهما : أن الأكواب : التي ليس لها عُرى، وأما الأباريق: فهي التي لها عرى. قاله الضحاك[٣]، وانشد قول الأعشى[٤]:

صَرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها ... لَهَا زَبَدٌ بَينَ كُوب ودَنٌ

قال مجاهد:" الأباريق: ما كان لها آذان، والأكواب ما ليس لها آذان"[٥]. وفي رواية:" ليس لها عرى ولا آذان"[٦].

قال قتادة:" الأكواب التي دون الأباريق ليس لها عُرًى"[٧].

عن السدي: "{وَأَكْوَابٍ}، قال: الأكواب التي ليست لها آذان"[٨].

عن ابن إدريس، قال: "سمعت أبي، قال: مر أبو صالح صاحب الكلبي قال: فقال أبي، قال لي الحسن وأنا جالس: سله، فقلت: ما الأكواب؟ قال: جرار الفضة المستديرة أفواهها، والأباريق ذوات الخراطيم"[٩].

قال ابن عباس:" الأكواب: الجرار من الفضة"[١٠].

عن أبي رجاء، قال: سئل الحسن عن الأكواب، قال: هي الأباريق التي يصبّ لهم منها"[١١].

قال الفراء:" الكوب: ما لا أذن لهُ ولا عروة لهُ. والأباريق: ذوات الآذان والعرا"[١٢].

قال أبو عبيدة:{بِأَكْوَابٍ}،" واحدها: كوب. وهو الذي لا خرطوم له من الأباريق واسع الرأس"[١٣].

قال ابن قتيبة:" «الأكواب»: الأباريق لا عُرى لها؛ ويقال: ولا خراطيمَ. واحدها: «كُوب»"[١٤].

وقال ابن فارس: "الكافُ والواوُ والباءُ: كلمةٌ واحدةٌ، وهي الكوبُ: القَدَحُ لا عُروَةَ له، والجمعُ: أكوابٌ، قال تعالى: {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} [الغاشية: ١٤]"[١٥].

---

(١) البيت له في اللسان: ١٧/١٠، وتاج العروس:٤٣/٢٥، "برق".

(٢) زاد المسير: ٢٢١/٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.

(٤)ورد البيت في ديوانه، تحقيق حنَّا نصر (ص:٣٦١)؛ كالآتي:

صَلِيفِيةٌ طَيِّباً طَعْمُهَا ... لَهَا زَبَدٌ بَينَ كُوبٍ وَدَنٍّ

والصليفية: الخمر المعتقة. والدنُّ: إناء فخاري تحفظ به الخمرة.

وورد البيت في العباب الزاخر، للصغاني، تحقيق: محمد آل ياسين (حرف الفاء: ٣٤٦)، كما ذكره الضحاك، وقال الصغاني: «وقيل: جعلها صَرِيفِيةً لأنها أُخِذت من الدَّنِّ ساعتئذ كاللبن الصَّريف».

(٥) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(١٢) معاني القرآن: ١٢٣/٣.

(١٣) مجاز القرآن: ٢٤٩/٢.

(١٤) غريب القرآن: ٤٠٠.

(١٥)مقاييس اللغة (٥:١٤٥)، وجاء في لسان العرب، مادة (كوب): «الكوبُ: الكوزُ الذي لا عُروةَ له، قال عديُ بنُ زيدٍ:

مُتَّكئاً تَصْفُقُ ألْوَانُهُ ... يَسْعَى بهَا العَبْدُ بالكُوبِ

والجمعُ أكوابٌ، وفي التنْزيلِ العزيز: {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} [الغاشية: ١٤]».

قال مقاتل:" بأيدي الغلمان أكواب، يعني: الأكواب العظام من فضة المدورة الرؤوس ليس لها عرى ولا خراطيم، وأباريق من فضة في صفاء القوارير، فذلك قوله في: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ} [الإنسان : ١]... {كَانَتْ قَوَارِيرَا(١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان : ١٥-١٦]"[١].

الثاني : أن الأكواب : مدورة الأفواه، والأباريق : التي يغترف بها. قاله قتادة[٢]، ومنه قول الشاعر[٣]:

فعدوا عليّ بقرقف ... ينصب من أكوابها

قال قتادة:" الأكواب: التي يغترف بها ليس لها خراطيم، وهي أصغر من الأباريق"[٤].

قال ابن كثير:" أما الأكواب فهي : الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان. والأباريق : التي جمعت الوصفين"[٥].

قوله تعالى:{وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} [الواقعة : ١٨]، أي:" وكأس من عين خمر جارية في الجنة"[٦].

قال الطبري:" وكأس خمر من شراب معين، ظاهر العيون، جار"[٧].

قال ابن كثير:" والكؤوس : الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية مَعِين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة "[٨].

قال أبو عبيدة:" المعين: الماء الطاهر"[٩].

قال مقاتل:" كل معين في القرآن فهو جار غير الذي في «تبارك الذي بيده الملك» : يعنى به زمزم، {إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك : ٣٠]، يعنى: ظاهرا تناله الدلاء، وكل شيء في القرآن كأس فهو الخمر"[١٠].

عن ابن عباس، قوله: {وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}، قال: الخمر"[١١].

قال الضحاك:" الكأس: الخمر"[١٢].

قال قتادة:" أي: من خمر جارية"[١٣].

قوله تعالى:{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ} [الواقعة : ١٩]، أي:" لا تُصَدَّعُ منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم"[١٤].

وفي قوله تعالى:{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا} [الواقعة : ١٩]، وجوه:

أحدها : معناه: لا يمنعون منها، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد[١٥].

الثاني : لا يفرّقون عنها، من قولك: صدَّعْتُه فانْصَدَع. حكاه ابن قتيبة[١٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٧/٤.
(٢) حكاه عنه في: النكت والعيون: ٤٥١/٥، وأخرج عنه الطبري: ١٠٢/٢٣ نحو هذا المعنى.
(٣) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥١/٥.
(٤) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٦) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٧) تفسير الطبري: ١٠٣/٢٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٩) مجاز القرآن: ٢٤٩/٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٧/٤-٢١٨.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٣.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.
(١٦) انظر: غريب القرآن: ٤٤٧.

قال ابن قتيبة:" لا أراه إلا من: الصُّداع الذي يعتري شرابَ الخمر في الدنيا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم -في وصف الجنة-: «وأنهار من كأسٍ ما إنْ بها صُدَاعٌ ولا ندامةٌ»[1]"[2].

الثالث : لا ينالهم من شربها وجع الرأس وهو الصداع، قاله سعيد بن جبير[3]، ومجاهد[4]، وقتادة[5]، والضحاك[6]، والسدي[7]، وعطية[8]، وأبو عبيدة[9]، والطبري[10]، وهذا قول الجمهور[11].

قال الطبري:" يقول: لا تصدع رءوسهم عن شربها فتسكر"[12].

قال ابن كثير:" أي : لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة"[13].

وروى الضحاك، عن ابن عباس، أنه قال : "في الخمر أربع خصال : السكر، والصداع، والقيء، والبول. فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال"[14].

وفي قوله تعالى:{وَلَا يُنْزِفُونَ} [الواقعة : ١٩]، وجوه:

أحدها : لا تنزف عقولهم فيسكرون، قاله سعيد بن جبير[15]، ومجاهد[16]، وقتادة[17]، والضحاك[18]، والقرظي[19]، وبه قال الفراء[20]، وأبو عبيدة[21].

قال سعيد بن جبير، وقتادة:" لا يغلب أحد على عقله"[22].

قال الفراء:" يقال للرجل إذا سكر: قَدْ نُزِف عقله، وإذا ذهب دمه وغشى عَلَيْهِ أوْ مات قيل: منزوف"[23].

الثاني : لا يملون، قاله عكرمة[24].

قال عكرمة:" أهل الجنة يأكلون ويشربون، ولا يُنزَفون كما يُنزَف أهل الدنيا إذا أكثروا الطعام والشراب. يقول: لا يَملُوا"[25].

الثالث : لا يتقيؤون ، قاله يحيى بن وثاب[26].

---

(١) قطعة من حديث، انظر: السنة لأبي نعيم(٦٣٦):ص٢٨٦/١.
(٢) غريب القرآن: ٤٤٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.
(٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٩/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٣.
(١١) حكاه عنهم ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٢١/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ١٠٣/٢٣.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣-١٠٥.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.
(١٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠٧):ص١٥١/٢.
(٢٠) انظر: معاني القرآن: ١٢٣/٣.
(٢١) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٩/٢.
(٢٢) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٣-١٠٥.
(٢٣) معاني القرآن: ١٢٣/٣.
(٢٤) الدر المنثور: ٨/ ٠، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٥) الدر المنثور: ٨/ ٠، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.

الرابع : -وهو تفسير من قرأ بكسر الزاي- لا يفنى خمرهم. ذكره الفراء[١]، ومنه قول الأبيرد[٢]:

لَعَمْري لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أو صَحَوْتُمُ ... لبِئْسَ النَّدامى أنتمُ آلَ أَبْجرا

قال الفراء:" والعرب تقول للقوم إذا فنى زادهم: قَدْ أَنْزَفُوا وأقتروا، وأنفضوا، وأرمَلوا، وأملقوا"[٣].

وروى الضحاك عن ابن عباس، قال : "في الخمر أربع خصال : السكر، والصداع، والقيء، والبول، وقد ذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال"[٤].

القرآن

{وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)} [الواقعة : ٢٠-٢٤]

التفسير:

ويطوف عليهم الغلمان بما يتخيرون من الفواكه، وبلحم طير ممَّا ترغب فيه نفوسهم. ولهم نساء ذوات عيون واسعة، كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالا؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا.

قوله تعالى:{وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ} [الواقعة : ٢٠]، أي:" ويطوف عليهم الغلمان بما يتخيرون من الفواكه"[٥].

قال الطبري: يقول: "ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التي يتخيرونها من الجنة لأنفسهم، وتشتهيها نفوسهم"[٦].

قال مقاتل:" يعني: يختارون من ألوان الفاكهة"[٧].

عن ابن عباس: {وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ} يقول: مما يشتهون"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار. وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك حديث "عِكْراش بن ذؤيب" الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي، رحمه الله، في مسنده...عن عبيد الله بن عِكْراش، عن أبيه عِكْراش بن ذؤيب، قال : «بعثني بنو مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار، وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى، قال : "من الرجل ؟ قلت : عِكْراش بن ذؤيب. قال : "ارفع في النسب"، فانتسبت له إلى "مرة بن عبيد"، وهذه صدقة "مرة بن عبيد". فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : هذه إبل قومي، هذه صدقات قومي. ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم إليها. ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة، فقال : "هل من طعام ؟" فأتينا بحفنة كثيرة الثريد والوذر، فجعل يأكل منها، فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليسرى على يدي اليمنى، فقال : "يا عِكْراش، كل من موضع واحد، فإنه طعام واحد". ثم أتينا بطبق فيه تمر، أو رطب - شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا - فجعلت آكل من بين يدي، وجالت

---

(١) انظر: معاني القرآن: ١٢٣/٣.

(٢) البيت في تفسير الطبري ٤٠/٢١، والصحاح واللسان والتاج (نزف)، وهو في تفسير القرطبي (١٥/ ٧٩) منسوب إلى الخطيئة.

«الأبيرد» انظر ترجمته في المعمرين رقم ٥٨ والأغاني ١٢/ ٩.

(٣) معاني القرآن: ١٢٣/٣.

(٤)النكت والعيون: ٤٥١/٥-٤٥٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٦) تفسيرا لطبري: ١٠٥/٢٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨/٤.

(٨) الدر المنثور: ٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق، وقال : "يا عِكْراش، كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد". ثم أتينا بماء، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ومسح بِبَلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا، ثم قال : "يا عِكْراش، هذا الوضوء مما غيرت النار»[١]"[٢].

عن ثابت، قال أنس : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثني عليه معروف، كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة فسمعت وَجبَة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسَمَّتْ اثني عشر رجلا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ - أو : البيذخ - قال : فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر، فأكلوا من بُسره ما شاؤوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية، فقال : كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان. حتى عد اثني عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فقال : "قصي رؤياك" فقصتها، وجعلت تقول : فجيء بفلان وفلان كما قال"[٣].

عن ثوبان، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة، عادت مكانها أخرى"[٤].

قوله تعالى:{وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة : ٢١]، أي:" وبلحم طير ممَّا ترغب فيه نفوسهم"[٥].

قال الطبري: " يقول: ويطوفون أيضا عليهم بلحم طير مما يشتهون من الطير الذي تشتهيه نفوسهم"[٦].

قال مقاتل:" إن شاءوا شواء، وإن شاءوا قديدا، كل طير ينعت نفسه لولى الله- تعالى"[٧].

قال ابن عباس:" يخْطر على قلبه لحمُ الطير، فيصير مُمثّلًا بين يديه على ما اشتهى"[٨].

قال الحسن:" لا يشتهي منها شيئًا إلا صار بين يديه، فيصيب منه حاجته، ثم يطير فيذهب[٩].

عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن طير الجنة كأمثال البخت، يرعى في شجر الجنة". فقال أبو بكر : يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة فقال : "أكلتها أنعم منها - قالها ثلاثا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها"[١٠].

عن ابن عمر، قال : «ذكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم طوبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا بكر، هل بلغك ما طوبى ؟" قال : الله ورسوله أعلم. قال : "طوبى شجرة في الجنة، ما يعلم طولها إلا الله، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا،

---

(١)سنن الترمذي برقم (١٨٤٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣٢٧٤) وعبيد الله بن عكراش تكلم فيه، وتكلم في حديثه هذا.
قال البخاري : "لا يثبت حديثه" ونقل العقيلي عنه أنه قال : "في إسناده نظر".
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٣)المسند للإمام أحمد (١٣٥/٣) ومسند أبي يعلى برقم (٣٢٨٩) (٤٤/٦) وقال الهيثمي في المجمع (١٧٥/٧) : "رجاله رجال الصحيح".
(٤)المعجم الكبير (١٠٢/٢) وفي إسناده عباد متكلم فيه.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٦) تفسيرا لطبري: ١٠٥/٢٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨/٤.
(٨)تفسير البغوي ٨/ ١٠.
(٩) الدر المنثور: ١٠/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٠)المسند (٢٢١/٣).

ورقها الحلل، يقع عليها الطير كأمثال البخت". فقال أبو بكر : يا رسول الله، إن هناك لطيرا ناعما ؟ قال : "أنعم منه من يأكله، وأنت منهم إن شاء الله"»[١].

وقال قتادة في قوله :{وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} : "ذكر لنا أن أبا بكر قال : يا رسول الله، إني أرى طيرها ناعمة كما أهلها ناعمون. قال : "من يأكلها - والله يا أبا بكر- أنعم منها، وإنها لأمثال البخت، وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر"[٢].

عن أنس بن مالك ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال : "نهر أعطانيه ربي، عز وجل، في الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر". فقال عمر : إنها لناعمة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "آكلها أنعم منها"[٣].

عن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن في الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض، فيخرج من كل ريشة - يعني : لونا - أبيض من اللبن، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير"[٤].

عن كعب، قال : "إن طائر الجنة أمثال البخت، يأكل مما خلق من ثمرات الجنة، ويشرب من أنهار الجنة، فيصطفقن له، فإذا اشتهى منها شيئا أتاه حتى يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء"[٥].

عبد الله بن مسعود، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا"[٦].

قوله تعالى:{وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، أي:" ولهم نساء ذوات عيون واسعة"[٧].

قال ابن عباس:" الحُور: سُود الحَدَق"[٨].

عن مجاهد: "{وَحُورٌ عِينٌ}، قال: يحار فيهنّ الطرف[٩].

قال مجاهد:" خلق الحُور العين من الزعفران"[١٠].

وقال الحسن البصري:" الحُور: صوالح نساء بني آدم"[١١].

عن ليث بن أبي سليم، قال: "بلغني أن الحور العين خُلقن من الزعفران"[١٢].

وفي «العين»، وجهان[١٣]:

أحدهما : أنهن بيض عين، عظام الأعين، قاله الضحاك[١٤]، قال الشاعر[١٥]:

---

(١) رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه "صفة الجنة"، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧، ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٦٤٩/٤).

(٢) مرسل، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧، وقد روى من طريق الحسن مرسلا أيضا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١٢).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا، كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧، وانظر: سنن الترمذي برقم (٢٥٤٢) وقال فيه : "حسن غريب.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧-٥٢٤ . وقال:" هذا حديث غريب جدا، والوَصَّافي وشيخه ضعيفان".

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٧، وقال:" صحيح إلى كعب".

(٦)جزء الحسن بن عرفة برقم (٢٢)، وحميد الأعرج منكر الحديث.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٨) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(١٣) انظر: انكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٣.

(١٥) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٢/٥.

إذا كبرت عيون من النساء ... ومن غير النساء فهن عين

الثاني : أنهن اللاتي سواد أعينهن حالك، وبياض أعينهن نقي ، وهو معنى قول الحسن[١]، كما قال الشاعر[٢]:

إذا ما العين كان بها احورار ... علامتها البياض على السواد

قال الحسن:" شديدة السواد: سواد العين، شديدة البياض: بياض العين"[٣].

وقال مقاتل:" يعني: البيضاء العيناء حسان الأعين"[٤].

وقوله :{وَحُورٌ عِينٌ} قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره : ولهم فيها حور عين[٥]. وقراءة الجر تحتمل معنيين[٦]:

أحدهما : أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله ؛ لقوله :{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ}، كَمَا قَالَ {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ} [المائدة : ٦]، وكما قال :{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} [الإنسان : ٢١].

الثاني : أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور، لا بين بعضهم بعضا، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين.

قوله تعالى:{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة : ٢٣]، أي:" كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالا"[٧].

وفي قوله تعالى:{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة : ٢٣]، وجهان[٨]:

أحدهما : معناه: هنّ في صفاء بياضهنّ وحسنهن، كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كِنٍّ. به قال الطبري[٩].

عن أمّ سلمة قالت: "قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله :{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}، قال: «صفاؤُهُن كَصَفاء الدُّرّ الَّذي فِي الأَصْدَافِ الَّذي لا تَمُسُّهُ الأَيْدي»"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه"[١١].

قال مقاتل:" فشبههم في الكنّ كأمثال اللؤلؤ المكنون في الصدف المطبق عليه، لم تمسه الأيدي، ولم تره الأعين، ولم يخطر على قلب بشر، كأحسن ما يكون"[١٢].

الثاني : أنهن كأمثال اللؤلؤ في تشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن، حكاه الماوردي[١٣]، وأنشد قول الشاعر[١٤]:

كَأَنَّمَا خُلِقَتْ فِي قِشْرِ لُؤْلُؤَةٍ ... فَكُلُّ أَكْنَافِهَا وَجْهٌ لِمِرْصَادِ

قوله تعالى:{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الواقعة : ٢٤]، أي:" جزاء لهم بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا"[١٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٣.
(٢) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(٣) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨/٤.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٧.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٨) انظر: انكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٧.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(١٤) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٢/٥، وتفسير القرطبي: ٤٥٢/٥.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٣٥.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثوابا لهم من الله بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، وعوضا من طاعتهم إياه"[١].
قال ابن كثير:" أي : هذا الذي اتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل"[٢].

القرآن
{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)} [الواقعة : ٢٥-٢٦]
التفسير:
لا يسمعون في الجنة باطلا ولا ما يتأثمون بسماعه، إلا قولا سالمًا من هذه العيوب، وتسليم بعضهم على بعض.
قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا} [الواقعة : ٢٦]، أي:" لا يسمعون في الجنة باطلا ولا ما يتأثمون بسماعه"[٣].
قال الطبري:" يقول: لا يسمعون فيها باطلا من القول ولا تأثيما، يقول: ليس فيها ما يُؤثمهم"[٤].
قال ابن كثير:" أي : لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيا، أي : غثا خاليا عن المعنى، أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف، كما قال :{لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً} [الغاشية : ١١]، أي : كلمة لاغية {وَلا تَأْثِيمًا}، أي : ولا كلامًا فيه قبح"[٥].
وفي قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا} [الواقعة : ٢٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : لا يسمعون فيها خُلفاً، أي: لا يتخالفون عليها كما يتخالفون في الدنيا ، ولا يأثمون بشربها ، كما يأثمون في الدنيا ، قاله الضحاك[٦].
الثاني : لا يسمعون فيها شتماً ولا مأثماً ، قاله مجاهد[٧].
قال مجاهد:" لا يَسْتَبُّون"[٨].
الثالث : لا يسمعون مانعاً لهم منها ، ولا مشنعاً لهم على شربها. حكاه الماوردي[٩].
الرابع : لا يسمعون في الجنة باطلاً ولا كذباً ، قاله ابن عباس[١٠]، ومجاهد-أيضا-[١١].
عن مجاهد :"{لغوا}، باطلًا، {تأثيما}: كذبًا"[١٢].
وقال الضحاك:" {لَغْوًا}، قال: الهذْرُ من القول، والتأثيم الكذب"[١٣].
قال السمعاني:" أي: كلاما باطلا، وكلاما يأثم به قائله، واللغو كل ما يلغى"[١٤].
قال ابن عطية:" اللغو: سقط القول من فحش وغيره. والتأثيم: مصدر، بمعنى: لا يؤثم أحد هناك غيره ولا نفسه بقول. فكان يسمع ويتألم بسماعه"[١٥].

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٧.
(٣) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٤) تفسير الطبري: ١٠٨/٢٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٧-٥٢٥.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(٨)تفسير مجاهد ص ٦٤١.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٧٧):ص٣٣٣٠/١٠.
(١١)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٤ - ٥٠٥ -.
(١٢)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٤ - ٥٠٥ -.
(١٣)أخرجه هناد (٦).
(١٤) تفسير السمعاني: ٣٤٧/٥.
(١٥) المحرر الوجيز: ٢٤٣/٥.

قوله تعالى:{إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة : ٢٦]، أي:" إلا قولا سالمًا من هذه العيوب، وتسليم بعضهم على بعض"[١].

قال الطبري: أي: " ولكنهم يسمعون سلاما سلاما"[٢].

قال عطاء:" يُحيي بعضهم بعضًا بالسلام"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة : ٢٦]، وجوه:

أحدها : لكن يسمعون قولاً ساراً وكلاماً حسناً[٤].

الثاني : يريد: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام. رواه عطاء عن ابن عباس[٥].

قال ابن كثير:" أي : إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، كما قال :{تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [إبراهيم : ٢٣] وكلامهم أيضًا سالم من اللغو والإثم"[٦].

وحكي الماوردي :"لكن يتداعون بالسلام على حسن الأدب وكريم الأخلاق"[٧].

قال الماوردي:" معناه: إلا قولهم السلام بعد السلام، والتحية بعد التحية"[٨].

الثالث : يعني: قولاً يؤدي إلى السلامة[٩].

الرابع : أن يقال لهم: هنيئاً. أفاده الماوردي[١٠].

الخامس: إلا خيرا خيرا. حكاه ابن أبي زمنين[١١]، وقال:" المعنى على هذا التفسير: لا يسمعون فيها إلا قيلا يسلم فيه من اللغو والإثم"[١٢].

الخامس : يعني: كثرة السلام من الملائكة، ومنه قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ(٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد : ٢٣-٢٤]. قاله مقاتل[١٣].

قال الزجاج:" {قِيلًا}، منصوب بقوله: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)} [الواقعة: ٢٥-٢٦]. فالمعنى: لا يسمعون إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا، مَنصوبٌ من جهتين:

إحداهما: أن يكون من نعت لـ {قِيلًا}، فيكون المعنى: لا يَسْمَعون إلا قيلاً يسلم فيه من اللغو والِإثم.

والوجه الثاني: أن يكونَ {سَلاَماً} منصوباً على المصدر، فيكون المعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يَقولَ بعضهُم لبعض: سَلَامًا سَلَامًا. ودليل هذا قوله تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}"[١٤].

قال الواحدي:" فالمفسرون: جعلوا السلام هاهنا بمعنى التحية والوجه ما قال الزجاج من أن المراد بالسلام أن قولهم يسلم من اللغو، ويدل على ذلك أن مسموع أهل الجنة لا يكون مقصورًا على التحية فقط، بل يسمعون غيرها مما لا لغو فيه ولا تأثيم"[١٥].

فوائد الآيات: [١٣-٢٦]:

١- تقرير البعث والجزاء بذكر أحوال الدار الآخرة.

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٠٨/٢٣.

(٣)تفسير البغوي ٨/ ١١.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(٥)انظر: "الوسيط" ٤/ ٢٣٤، ونسبه البغوي لعطاء، انظر: تفسير البغوي: ٨/ ١١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٤٧/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٣٨/٤.

(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٣٨/٤.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨/٤.

(١٤) معاني القرآن: ١١٢/٥.

(١٥) التفسير البسيط: ٢٢٧/٢١-٢٢٨.

٢- بيان شيء من نعيم أهل الجنة وخاصة السابقين منهم.
٣- بيان أن السابقين يكونون من سائر الأمم المسلمة.
٤-بيان فضل خمر الجنة على خمر الدنيا المحرمة.
٥- تقرير قاعدة أن الجزاء من جنس العمل.

القرآن

{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤)} [الواقعة : ٢٧-٣٤]

التفسير:

وأصحاب اليمين، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! هم في سِدْر لا شوك فيه، وموز متراكب بعضه على بعض، وظلٍّ دائم لا يزول، وماء جار لا ينقطع، وفاكهة كثيرة لا تنفَد ولا تنقطع عنهم، ولا يمنعهم منها مانع، وفرشٍ مرفوعة على السرر.

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، أي:" وأصحاب اليمين، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! "[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} وهم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين، الذي أعطوا كتبهم بأيمانهم يا محمد، {مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}، أي شيء هم وما لهم، وماذا أعد لهم من الخير"[٢].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى مآل السابقين - وهم المقربون - عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار -.. فقال :{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}، أي : أي شيء أصحاب اليمين ؟ وما حالهم ؟ وكيف مآلهم؟"[٣].

قال مقاتل:" يقول: ما لأصحاب اليمين من الخير"[٤].

قال قتادة:" أي ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم"[٥].

قال الماتريدي:" أصحاب اليمين هم المؤمنون"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، أقوال:

أحدها : أنهم أصحاب الحق ، قاله السدي[٧].

الثاني : أنهم دون منزلة المقربين ، قاله ميمون بن مهران[٨].

الثالث : أنهم من أعطي كتابه بيمينه، قاله يعقوب بن مجاهد[٩].

الرابع : أنهم من يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين، وذلك أمارة من نجا. حكاه النحاس[١٠].

الخامس : أنهم التابعون بإحسان ممن لم يدرك الأنبياء من الأمم ، قاله الحسن[١١].

السادس : ما رواه أسباط عن السدي : "أن الله تعالى مسح ظهر آدم فمسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء فقال لهم ادخلوا الجنة ولا أبالي، ومسح صفحة ظهره اليسرى

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٢) تفسير الطبري: ١٠٩/٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢٣.
(٦) تأويلات أهل السنة: ٤٩٣/٩.
(٧) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥.
(٨) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧.
(٩) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥. وحكاه النحاس في إعراب القرآن: ٢٢١/٤ دون نسبة.
(١٠) انظر: إعراب القرآن: ٢٢١/٤.
(١١) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥.

فأخرج ذرية كهيئة الذر سوداء، فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك هو قوله تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ}، وقوله :{وَأَصْحَابُ الْشِّمَال}"[1].

قال النحاس: وقيل:" أنهم الذين أقسم الله جل وعز أن يدخلهم الجنة"[2].

السابع : ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :«أصحاب اليمين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ثم تابوا بعد ذلك وأصلحوا»[3].

الثامن: أن أصحاب اليمين: أطفال المؤمنين. رواه عمرو عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-[4].

قوله تعالى:{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} [الواقعة : ٢٨]، أي:" هم في سِدْر لا شوك فيه"[5].

وفي «مخضود»، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه اللين الذي لا شوك فيه، قاله قتادة[6]، وعكرمة،[7] ومحمد بن عكرمة[8]، وقسامة بن زهير[9]، والسفر بن نُسَير[10]، وأبو الأحوص[11].

قال مقاتل:" يعني: الذي لا شوك له كسدر أهل الدنيا"[12].

قال قسامة:" خُضِد من الشوك، فلا شوك فيه"[13].

قال قتادة:" ليس فيه شوك"[14]. وفي رواية:" كنا نحدّث أنه المُوقَر الذي لا شوك فيه"[15].

قال النحاس: " أصح ما قيل فيه أنه خضد شوكه، وقيل: هو مخلوق كذا، والعرب تعرف الطلح أنه الشجر كثير الشوك، يجوز أن يكون في الجنة وقد أزيل عنه الشوك"[16].

الثاني : أنه الموقر حملاً ، قاله ابن عباس[17]، ومجاهد[18]، والضحاك[19]، وسعيد بن جبير[20].

عن مجاهد: "{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}، قال: الموقَر"[21].

قال مجاهد:" يقولون هذا الموقَرُ حَمْلً"[22].

قال سعيد بن جبير:" ثمرها أعظم من القِلال"[23].

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٥٣/٥.
(٢) إعراب القرآن: ٢٢١/٤.
(٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٥٣/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/٢٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨/٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٣.
(١٦) إعراب القرآن: ٢٢١/٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣.
(٢١) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.
(٢٢) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.
(٢٣) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.

قال ابن عباس:" خضده: وقره من الحمل، ويقال: خُضِد حتى ذهب شوكه فلا شوك فيه"[١].

قال الطبري:" يعني: في ثمر سدر موقر حملا قد ذهب شوكه"[٢].

قال ابن كثير:" الظاهر أن المراد هذا وهذا فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على عكس من هذا لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله"[٣].

وحكي الماوردي: أنها "المدلاة الأغصان، وخص السدر بالذكر لأن ثمره أشهى الثمر إلى النفوس طعماً وألذه ريحاً"[٤].

عن سليم بن عامر، قال : «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ قال : أقبل أعرابي يومًا فقال : يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما هي ؟". قال : السِّدر، فإن له شوكًا موذيًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أليس الله يقول :{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}، خَضَد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمرًا تَفَتَّق الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر"»[٥].

عن عُتْبة بن عبد السلمي قال : «كنت جالسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها ؟ يعني : الطلح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصْوَة التيس الملبود، فيها سبعون لونًا من الطعام، لا يشبه لون آخر"»[٦].

قال أبو العالية والضحاك: "نظر المسلمون إلى وج -وهو واد مخصب بالطائف - فأعجبهم سدرها وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية"[٧].

قوله تعالى:{وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ} [الواقعة : ٢٩]، أي:" وموز متراكب بعضه على بعض"[٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ} [الواقعة : ٢٩]، أقوال:

أحدها : أن الطلح: الموز، قاله ابن عباس[٩]، وعلي بن أبي طالب[١٠]، وأبو سعيد الخدري[١١]، وأبو هريرة ، ومالك[١٢]، والحسن[١٣]، ومجاهد[١٤]، وقتادة[١٥]، وعكرمة[١٦]، وعطاء[١]، وقسامة بن زهير[٢]، وأبو حرزة[٣]، والكلبي[٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٠٩/٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧.
(٤) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥.
(٥) رواه ابغوي كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٧٦/٢) من طريق الربيع، عن بشر بن بكر عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : كان أصحاب رسول الله فذكر مثله، وقال الحاكم : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
(٦)البعث لابن أبي داود برقم (٦٩) ورواه الطبراني في مسند الشاميين برقم (٤٩٢) وعنه أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٦) عن أبي زرعة عن أبي مسهر عن يحيى بن حمزة به، وقال الهيثمي في المجمع (٤١٤/١٠) : "رجاله رجال الصحيح".
(٧)ذكره القرطبي في "التفسير": ١٧ / ٢٠٧، والبغوي في التفسير": ١١/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢٣.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٧٨):ص٣٣٣٠/١٠.
(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٦٢):ص١٣٣/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥٤/٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٣٠/١٠. حكاه بدون إسناد.

قال مجاهد:" موزكم، لأنهم كانوا يُعجبون بوجٍّ وظلاله من طلحه وسدره"[٥].
قال ابن زيد:" الله أعلم، إلا أن أهل اليمن يسمون الموز الطلح"[٦].
قال النحاس: " وأهل التفسير يقولون: إن الطلح الموز. وسمعت علي بن سليمان يقول: يجوز أن يكون هذا مما لم ينقله أصحاب الغريب وأسماء النبت كثيرة حتى إن أهل اللغة يقولون: ما يعاب على من صحف في أسماء النبت لكثرتها"[٧].
الثاني : أنه الطلع ، قاله علي[٨]، وروي أنه كان يقرأ :«وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ»"[٩].
عن قيس بن سعد، قال: "قرأ رجل عند عليّ :{وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ}، فقال عليّ: ما شأن الطلح، إنما هو: {وطلْعٍ مَنْضُودٍ}، ثم قرأ: {طَلْعُهَا هَضِيمٌ}، فقلنا أولا نحوّلهُا، فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم، ولا يحوّل"[١٠].
قال ابن كثير:" فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك له، وأن طلعه منضود، وهو كثرة ثمره، والله أعلم"[١١].
الثالث : أنها شجرة عظام كثير الشوك، تكون باليمن وبالحجاز كثيراً تسمى طلحة ، قاله عبد الله بن حميد[١٢]، والمعمر بن المثنى[١٣]، وأبو عبيدة[١٤]، وبه قال ابن كثير[١٥]، ومنه قول الحادي[١٦]:
بَشَّرَهَا دَلِيلُها وَقالا ... غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ والحبالا
قال ابن كثير:" الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز، من شجر العضَاه، واحدته طلحة، وهو شجر كثير الشوك"[١٧].
قال أبو عبيدة:" زعم المفسرون أنه الموز، وأما العرب، الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك"[١٨].
قال الماوردي:" قيل: إنها من أحسن الشجر منظراً ، ليكون بعض شجرهم مأكولاً وبعضه منظوراً"[١٩].
وقال الزجاج:" «الطلح»: شجر أم غَيْلانَ أيضاً، وجائز أن يكون يعنى به ذلك الشجر، لأنَّ له نَوْراً طيب الرائحة جدًّا، فخوطبوا ووعدوا بما يحبُّونَ مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٣٠/١٠. حكاه بدون إسناد.
(٤) نقلا عن: معاني القرآن للفراء: ١٢٤/٣.
(٥) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٣.
(٧) إعراب القرآن: ٢٢١/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٤/٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣-١١٢.
(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٥٠/٢.
(١٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.
(١٦) من شواهد أبي عبيدة في "مجاز القرآن": ٢٥٠/٢، وانظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢٣، وهو منسوب فى القرطبي (١٧/ ٢٠٨) للجعدى.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.
(١٨) مجاز القرآن: ٢٥٠/٢.
(١٩) النكت والعيون: ٤٥٤/٥.
(٢٠) معاني القرآن: ١١٢/٥.

وفي «المنضود»، قولان:
أحدهما : المصفوف ، قاله السدي[1].
قال ابن عباس:" يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل"[2].
الثاني : متراكم الثمر، يذكر بذلك قريشًا ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ، وظلاله من طلح وسدر، قاله مجاهد[3].
قال ابن قتيبة:" المنضود» : الذي نضد بالحمل من أوله إلى آخره، أو بالورق والحمل، فليست له سوق بارزة"[4].
قوله تعالى:{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الواقعة : ٣٠]، أي:" وظلٍّ دائم لا يزول"[5].
قال أبو عبيدة:" ولا تنسجه الشمس، دائم يقال: للدهر الممدود والعيش إذا كان لا ينقطع قال لبيد[6]:
غَلَبَ العزاء وكنْتُ غَيْرَ مُغَلَّبَ ... دَهْرٌ طَويلٌ دائم مَمْدُود"[7].
قال الطبري:" يقول: وهم في ظلّ دائم لا تنسخه الشمس فتذهبه، وكل ما لا انقطاع له فإنه ممدود"[8].
قال الزجاج:" معناه: تام دائم"[9].
وقال الضحاك، والسُّدِّيّ، وأبو حَرْزَةَ في قوله :{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}:" لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حر، مثل قبل طلوع الفجر"[10].
قال الحسن: "لا ينقطع"[11].
وقال ابن مسعود:" الجنة سَجْسَج[12]، لا حرّ فيها ولا برد[13].
وفي رواية:" " الْجَنَّة سَجْسَجٌ، لَا قَرَّ فِيهَا وَلَا حَر"[14].
وقال ابن مسعود-في وراية- : "الجنة سَجْسَج[15]، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس"[16].
عن علقمة بن قيس قال: "إن الجنة سجسج لا حر فيها، ولا قر، وفيها ما اشتهت أنفسهم"[17].
وفي رواية:" الْجَنَّة سَجْسَجٌ لَا قَرَّ فِيهَا وَلَا حَر"[18].
وعن يحيى بن أبي كثير: أن ساعات الجنة تشبه الغداة الباردة في الصيف"[1].

---

(١) النكت والعيون: ٤٥٤/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.
(٢) نقا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.
(٣) النكت والعيون: ٤٥٤/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.
(٤) غريب القرآن: ٣٨٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٦)ديوانه: ١/ ٢٧، وتفسير الطبري ٢٧/ ٩٤، وفيه: البقاء" بدلا من "العزاء". وتفسير القرطبي: ١٧/ ٢٠٩.
(٧) مجاز القرآن: ٢٥٠/٢.
(٨) تفسير الطبري: ١١٤/٢٣.
(٩) معاني القرآن: ١١٢/٥.
(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٧.
(١١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤٩/٥.
(١٢)قوله: «سجسج» أي معتدل. انظر: (النهاية: ٢/ ٣٤٣).
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٢٨٠):ص٦١٢/٢، وابن المبارك في "الزهد والرقائق"(١٥٢٥):ص٥٣٤/١.
(١٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٣٩٧٠):ص٣٠/٧.
(١٥)قوله: «سجسج» أي معتدل. انظر: (النهاية: ٢/ ٣٤٣).
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٢٨٠):ص٦١٢/٢، وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٧.
(١٧) مسند ابن الجعد(٢٥١٥):ص٣٦٥.
(١٨) صفة الجنة أبي نعيم(٤٠):ص٧٢.

قال ابن عباس : "في الجنة شَجَر لا يحمل، يُستظلُّ به"[٢].

عن عمرو بن ميمون: "{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}، قال: خمس مئة ألف سنة"[٣]. وفي رواية:" مسيرة سبعين ألفَ سنة"[٤].

عن الحسن في قوله الله تعالى :{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} قال : "في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها"[٥].

عن أنس بن مالك، قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها"[٦].

عن أنس، أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «إنَّ فِي الجَنَّة لشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَة عامٍ لا يَقْطَعُها»[٧].

قال أبو حصين، قال: "كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق، يعني الضبيّ، فحدّث أبو صالح، فقال: حدثني أبو هريرة، قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما، فقال أبو صالح أتكذّب أبا هريرة، فقال: ما أكذّب أبا هريرة، ولكني أكذّبك؛ قال: فشقّ على القرّاء يومئذ"[٨].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَة سَنَةٍ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}»[٩].

وفي رواية:« وإنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَة عامٍ لا يَقْطَعُها، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}»[١٠].

وفي رواية: "وإنَّ فِي الجَنَّة لشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَة عامٍ لا يَقْطَعُها، لا يَقْطَعُها، شَجَرَةُ الخُلْدِ»[١١].

وفي رواية:«وإنَّ فِي الجَنَّة لشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا سَبْعِينَ أو مِئَة عامٍ، هيَ شَجَرَةُ الخُلْدِ»[١٢].

عن أبي هريرة، قال: " إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام، اقرءوا إن شئتم: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}، فبلغ ذلك كعبا، فقال: صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد، لو أن رجلا ركب حُقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها، حتى يسقط هَرِما، إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة"[١٣].

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب»[١٤].

عن ابن عباس قال : الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها، قدر ما يسير الراكب في نواحيها مائة عام. قال : فيخرج إليها أهل الجنة ؛ أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون

---

(١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤٩/٥.
(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٧.
(٦) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٣-١١٧.
(٩) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٣.
(١٤) سنن الترمذي برقم (٢٥٢٥)، ثم قال : "حسن غريب".

في ظلها. قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا[١].

قوله تعالى:{وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة : ٣١]، أي:" وماء جار لا ينقطع"[٢].

قال أبو عبيدة:" مصبوب سائل"[٣].

قال النحاس: " أي: لا يتعب في استقائه"[٤].

قال الزجاج:" يعنى به: أنه ماء لا يتعبون فيه، ينسكب لهم كيف يحبون"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره وفيه أيضا ماء مسكوب، يعني مصبوب سائل في غير أخدود"[٦].

عن ابن عباس:" {وماءٍ مَسْكُوبٍ}، يقول: مصبوب"[٧].

عن مجاهد:" {مَسْكُوبٍ}: جارٍ"[٨]. وروي عن ابن جريج مثله[٩].

عن سفيان: "{وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ}، قال: يجري في غير أخدود"[١٠].

قوله تعالى:{وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ} [الواقعة : ٣٢]، أي:" وفاكهة كثيرة متنوعة"[١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وفيها {فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ}"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} [البقرة : ٢٥] أي : يشبه الشكلُ الشكلَ، ولكن الطعم غيرُ الطعم. وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى قال : «فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلالَ هجر»[١٣]"[١٤].

عن يحيى بن صالح، يقول: "كُنّا نأتي إسماعيل بن عيّاش، فيُكرمنا ويبرّنا، ويُنزلنا أشرف المنازل، ويُقدّم إلينا من الفواكه ما نتحيّر فيه مِن ألوان التّفاحات والرّمان والسَّفرجل، ويُبَرِّد لنا الماء بالثّلج، ويقول لنا: كُلوا، يا سادتي؛ فإنّ الله تعالى وصف الجنة بصفة الصيف لفواكهها، لا بصفة الشتاء، فقال تعالى: {في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة}"[١٥].

عن عامر بن زيد البَكَّالي : أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض، وذكر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى» ، فذكر شيئا لا أدري ما هو؟ قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: «ليست تشبه شيئا من شجر أرضك» . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتيت الشام؟» فقال: لا، قال: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد، وينفرش أعلاها» ، قال: ما

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٧، قال ابن كثير:" هذا أثر غريب وإسناده جيد قَويّ حسن".

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٣) مجاز القرآن: ٢٥٠/٢.

(٤) إعراب القرآن: ٢٢١/٤.

(٥) معاني القرآن: ١١٢/٥.

(٦) تفسير الطبري: ١١٧/٢٣.

(٧) الدر المنثور: ٨/ ٤٢، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ـ.

(٩) الدر المنثور: ٨/ ١٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٧، والتفسير الميسر: ٥٣٥.

(١٢) تفسير الطبري: ١١٨/٢٣.

(١٣)صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧) وصحيح مسلم برقم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٧.

(١٥)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧١/ ٢٩٢.

عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك، ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما» قال: فيها عنب؟ قال: «نعم» قال: فما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع، ولا يفتر» ، قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما؟» قال: نعم، قال: " فسلخ إهابه فأعطاه أمك، قال: اتخذي لنا منه دلوا؟ " قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم وعامة عشيرتك» "[1].

عن ابن عباس قال : "خُسِفَت الشمس، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والناس معه، فذكر الصلاة. وفيه : قالوا : يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكع. قال : "إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا"[2].

عن جابر قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفوفنا في الصلاة، صلاة الظهر، أو العصر، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناول شيئا، ثم تأخر فتأخر الناس، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: شيئا صنعته في الصلاة لم تكن تصنعه قال: " عرضت علي الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض، لا ينقصونه شيئا، ثم عرضت علي النار، فلما وجدت سفعها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء اللاتي إن اؤتمن أفشين، وإن يسألن بخلن، وإن يسألن ألحفن - قال حسين: وإن أعطين لم يشكرن - ورأيت فيها لحي بن عمرو يجر قصبه في النار، وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الكعبي "، قال معبد: يا رسول الله، أيخشى علي من شبهه وهو والد؟ فقال: «لا، أنت مؤمن، وهو كافر» ، قال حسين: «وكان أول من حمل العرب على عبادة الأوثان» ، قال حسين: «تأخرت عنها ولولا ذلك لغشيتكم»"[3].

قوله تعالى:{لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة : ٣٢]، أي:" لا تنفَد ولا تنقطع عنهم"[4].

قال الطبري: أي:" لا ينقطع عنهم شيء منها أرادوه في وقت من الأوقات، كما تنقطع فواكه الصيف في الشتاء في الدنيا، ولا يمنعهم منها، ولا يحول بينهم وبينها شوك على أشجارها، أو بعدها منهم، كما تمتنع فواكه الدنيا من كثير ممن أرادها ببعدها على الشجرة منهم، أو بما على شجرها من الشوك، ولكنها إذا اشتهاها أحدهم وقعت في فيه أو دنت منه حتى يتناولها بيده"[5].

قال ابن كثير:" أي : لا تنقطع شتاء ولا صيفًا، بل أكلها دائم مستمر أبدًا، مهما طلبوا وجدوا، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء"[6].

عن ابن عباس:" {لا مَقْطُوعَةٍ} قال: لا تنقطع حينًا وتجيء حينًا مثل فاكهة الدنيا، {ولا مَمْنُوعَةٍ} كما تُمنع في الدنيا إلا بثمن"[7].

عن قتادة، قوله: "{لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ}، قال: لا يمنعه شوك ولا بعد"[8].

قوله تعالى:{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} [الواقعة : ٣٤]، أي:" وفرشٍ مرفوعة على السرر"[9].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولهم فيها فرش مرفوعة طويلة، بعضها فوق بعض، كما يقال: بناء مرفوع"[10].

قال أبو عبيدة:" مجازها: طويلة، يقال: بناء مرفوع، أي طويل"[11].

---

(١) المسند(١٧٦٤٢):ص١٩١/٢٩.
(٢)صحيح البخاري برقم (١٠٥٢) وصحيح مسلم برقم (٩٠٧).
(٣) المسند(١٤٨٠٠):ص١٠٩/٢٣.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٥) تفسير الطبري: ١١٨/٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٧.
(٧) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٨) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٣.
(٩) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(١٠) تفسير الطبري: ١١٨/٢٣.
(١١) مجاز القرآن: ٢٥٠/٢.

قال ابن كثير:" أي : عالية وطيئة ناعمة "[1].
قال مجاهد:" بعضها فوق بعض"[2].
علي بن أبي طالب: "مرفوعة على الأسِرّة"[3].
قال الحسن:" ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة"[4].
قال كعب الأحبار:" على مسيرة أربعين عامًا"[5].
قال ابن عباس:" لو طُرح مِن أعلاها شيءٌ ما بلغ قرارها مائة خريف"[6].
عن أبي سعيد، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- في قوله: "{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}، قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام»"[7]. وفي رواية:«إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام»[8].
عن أبي سهل - يعني : كثير بن زياد - عن الحسن ":{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} قال : ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة"[9].
وفي قوله تعالى:{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} [الواقعة : ٣٤]، وجهان:
أحدهما : أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، مرفوعة بكثرة حشوها زيادة في الاستمتاع بها. حكاه الماوردي[10].
الثاني : أنهم الزوجات لأن الزوجة تسمى فراشا ، ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الوَلَدُ لِلفرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ»[11]. قاله ابن بحر[12].
فعلى هذا يحتمل وجهين[13]:
أحدهما : مرفوعات في القلوب لشدة الميل إليهن .
الثاني : مرفوعات عن الفواحش والأدناس .

القرآن
{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)} [الواقعة : ٣٥-٣٨]
التفسير:
إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء، فجعلناهن أبكارًا، متحببات إلى أزواجهن، في سنٍّ واحدة، خلقناهن لأصحاب اليمين.
قوله تعالى:{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة : ٣٥]، أي:" إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء"[14].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنا خلقناهن خلقا فأوجدناهن"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٧.
(٢)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٤ - ٥٠٥ -.
(٣) الدر المنثور: ١٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٧، وانظر: الدر المنثور: ١٥/٨، وزاد نسبته إلى هناد.
(٥)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٤٠١ - ٤٠٢ (٣٦٤٨١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٧٩.
(٦)تفسير الثعلبي: ٩/ ٢٠٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٨٦):ص٣٣٣٢/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٣.
(٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٧.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.
(١١) المسند(٨٢٠):ص٥٢٢/١.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٣٥.

قال الزجاج:" يعني الحورَ، أنْشِئْنَ لأولياء الله عَزَّ وجل، لَيْسَ ممن وقعت عليه ولادة"[٢].

قال أبو عبيدة:" أعاد إلى النساء إلى حور العين"[٣].

قال الأخفش: " فأضمرهن ولم يذكرهن قبل ذاك"[٤].

قال ابن قتيبة:" ولم يذكر النساء قبل ذلك: لأن الفرش محل النساء؛ فاكتفى بذكر الفُرُش"[٥].

قال ابن كثير:" جرى الضمير على غير مذكور. لكن لما دل السياق، وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجَعن فيها، اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن، كما في قوله :{إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص : ٣١، ٣٢] يعني : الشمس، على المشهور من قول المفسرين"[٦].

عن الحسن:" {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً}، قال: النساء"[٧].

عن قتادة:" {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً}، قال: يعني: أزواج القوم"[٨].

عن قتادة، قوله: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة: ٣٥]، قال: "خَلَقْنَاهُنَّ خَلْقًا"[٩].

قال سعيد بن جبير:" خلقناهن خلقًا جديدًا"[١٠].

قال مجاهد:" خلقهن خلقًا غير خلقهن الأول"[١١].

وفي إنشائهن في الجنة، قولان:

أحدهما : يعني: إنشاءهن في القبور، قاله ابن عباس[١٢].

الثاني : إعادتهن بعد الشمط والكبر، صغاراً أبكاراً. قاله صفوان بن محرز[١٣]، والضحاك[١٤]، وروته أم سلمة مرفوعاً[١٥].

قال ابن كثير:" أي : أعدناهن في النشأة الآخرة بعدما كُنَّ عجائز رُمْصًا، صرن أبكارًا عربًا، أي : بعد الثيوبة عُدْن أبكارًا عُرُبًا، أي : متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة "[١٦].

عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله، أخبرني عن قول الله :{وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، قال : "حور : بيض، عين : ضخام العيون، شُفْر الحوراء بمنزلة جناح النسر". قلت : أخبرني عن قوله :{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة : ٢٣]، قال : "صفاؤهن صفاءُ الدر الذي في الأصداف، الذي لم تَمَسّه الأيدي". قلت : أخبرني عن قوله :{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} [الرحمن : ٧٠]. قال : "خَيّراتُ الأخلاق، حِسان الوجوه". قلت : أخبرني عن قوله :{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [الصافات : ٤٩]، قال : "رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر، وهو :

---

(١) تفسير الطبري: ١١٨/٢٣.
(٢) معاني القرآن: ١١٢/٥.
(٣) مجاز القرآن: ٢٥١/٢.
(٤)معاني القرآن: ٥٣٢/٢.
(٥) غريب القرآن: ٤٤٩.
(٦)تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٧.
(٧) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٨) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٩) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣١٣١):ص١٧٨/٣.
(١٠) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١١) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.
(١٣) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٣.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٠/٢٣.
(١٦)تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٧.

الغِرْقئُ". قلت : يا رسول الله، أخبرني عن قوله :{عُرُبًا أترَابًا}. قال : "هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمْصًا شُمطًا، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى عُرُبًا متعشقات محببات، أترابًا على ميلاد واحد". قلت : يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : "بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظّهارة على البطانة". قلت : يا رسول الله، وبم ذاك ؟ قال : "بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله، عز وجل، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مَجَامِرُهُنَّ الدُّرّ، وأمشاطهن الذهب، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كُنَّا له وكان لنا". قلت : يا رسول الله، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها ؟ قال : "يا أم سلمة، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقًا، فتقول : يا رب، إن هذا كان أحسن خلقًا معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة"[١].

عن أمّ سلمة، زوج النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أنها قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لأَصْحَابِ الْيَمِينِ}، قال: "هُنَّ اللَّوَاتي قُبِضْنَ فِي الدّنْيا عَجائِزَ رُمْصًا شُمْطا، خَلَقَهُنَّ الله بَعْدَ الكبر فَجَعَلَهُنَّ عَذارَى»"[٢].

عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم: {إنا أنشأناهن إنشاء}، قال: «عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا»[٣].

وفي رواية: «منهن العجائز اللاتي كن في الدنيا عمشا رمصا»[٤].

وفي رواية :«هن اللواتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا»[٥].

قال صفوان بن محرز:" واللهِ، إنّ منهنّ العُجُزَ الزُّحُفَ، صيَّرهنَّ الله كما تسمعون"[٦].

وروي عن الضحاك[٧] نحوه.

وفي رواية عن صفوان بن محرز، قال: "فهن العُجُز الرُّمْصُ"[٨].

قال قتادة:" كان صفوان بن محرز يقول: إن منهنّ العُجُزَ الرُّجَّف، صيرهنّ الله كما تسمعون"[٩].

قال قتادة:" إن منهن العُجُزَ الرُّجَّفَ، أنشأهن الله في هذا الخلق"[١٠].

عن سلمة بن يزيد، "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: {إنا أنشأناهن إنشاء}، قال: «من الثيب والأبكار»"[١١]. وفي رواية:" يعني: «الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا"[١٢].

قال مقاتل:" خلقهن في الآخرة خلقا بعد الخلق الأول في الدنيا"[١٣].

قال الفراء:" يَقُولُ: أنشأنا الصَّبية والعجوز، فجعلناهن أترابًا أبناء ثلاث وثلاثين"[١٤].

---

(١)المعجم الكبير (٣٦٨/٢٣) وقال الهيثمي في المجمع (١١٩/٧) : "فيه إسماعيل بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي".

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري:١٢٠/٢٣، وابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٣٥٥ (٣٦٣٠٣).

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.

(١٢) تفسير مجاهد: ٦٤٢.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٩/٤.

(١٤) معاني القرآن: ١٢٥/٣.

قال ابن قتيبة:" يقول: أنشأنا الصبيَّة والعجوزَ إنشاءً جديدًا"[1].

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة العجوز» قال: «فبكت عجوز» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبروها ليست يومئذ بعجوز، وأنها يومئذ شابة، إن الله عز وجل يقول: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة: ٣٥]»"[2].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا} [الواقعة : ٣٦]، أي:" فجعلناهن عذارى"[3].

قال ابن عباس:" هن من بني آدم، نساؤكنّ في الدنيا ينشئهنّ الله أبكارا عذارى عربا"[4].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا} [الواقعة : ٣٦]، وجوه:

أحدها : عذارى بعد أن كن غير عذارى، قاله الضحاك[5]، ويعقوب بن مجاهد[6].

قال الزجاج:" لَمْ يُطْمِثْنَ"[7].

عن الضحاك:" {أَبْكَارًا}، يقول: عذارى"[8]. وروي عن قتادة مثله[9].

عن الحسن البصري، قال: "أتتْ عجوزٌ، فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يُدخلني الجنة. فقال: «يا أمّ فلان، إنّ الجنة لا يدخلها عجوز». فولّت تبكي، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز. إنّ الله يقول: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا}"[10].

الثاني : لا يأتيها إلا وجدها بكراً، قاله ابن عباس[11].

قال ابن عطية:" قيل معناه: دائمات البكارة متى عاود الواطئ وجدها بكرا"[12].

قال ابن عباس: "إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحوراء سبعين سنة، لا يملها ولا تمله، كلما أتاها وجدها بكرا، وكلما رجع إليها عادت إليه شهوته، فيجامعها بقوة سبعين رجلا، لا يكون بينهما مني، يأتي من غير مني منه ولا منها"[13].

قال المسيّب بن شريك: "هنّ عجائز الدنيا، أنشأهنّ الله تعالى خلْقًا جديدًا، كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجَدُوهُنَّ أبكارًا. وذكر المسيّب عن غيره: أنهنَّ فُضِّلن على الحُور العين بصلاتهنّ في الدنيا "[14].

عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له : أنَطأ في الجنة ؟ قال : "نعم، والذي نفسي بيده دَحْمًا دحمًا، فإذا قام عنها رَجَعتْ مُطهَّرة بكرًا"[15].

وري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدن أبكارًا"[16].

عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء". قلت : يا رسول الله، ويطيق ذلك ؟ قال : "يعطى قوة مائة"[1].

---

(١) غريب القرآن: ٤٤٩.
(٢) تفسير مجاهد: ٦٤٢.
(٣) صفوة التفاسير: ٢٩١/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٠/٢٣.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.
(٧) معاني القرآن: ١١٢/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٠/٢٣.
(٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٧١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٠)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٤٢ - ، وعبد بن حميد -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٩ - ، والترمذي في الشمائل (٢٣٢)، والبيهقي في البعث (٣٨٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥، وزاد المسير: ٢٢٤/٤.، وتفسير القرطبي: ٤٥/١٥.
(١٢) المحرر الوجيز: ٢٤٥/٥.
(١٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٤٥/١٥.
(١٤)تفسير البغوي ٨/ ١٤.
(١٥)رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٦٣٣) "موارد" وأبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٩٣) من طريق ابن وهب به، ودراج متكلم فيه.
(١٦)المعجم الصغير (٩١/١) وفيه معلى بن عبد الرحمن وهو كذاب.

عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ قال : "إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء"[٢].

وفي حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله: قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والذي بعثني بالحق، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله، بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة، على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ، عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبده لها مرآة -يعني: وكبدها له مرآة-فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذكره، ولا تشتكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية، فبينما هو كذلك إذ نودي: إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل، إلا أن لك أزواجا غيرها، فيخرج، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك"[٣].

الثالث : أبكاراً من الزوجات، وهن الأوائل، لأنهن في النفوس أحلى والميل إليهن أقوى. ذكره الماوردي[٤]، وأنشد قول الشاعر[٥]:

أَتَانِيْ هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

قوله تعالى:{عُرُبًا أَتْرَابًا} [الواقعة : ٣٧]، أي:" متحببات إلى أزواجهن، في سنٍّ واحدة"[٦].

وفي قوله تعالى:{عُرُبًا} [الواقعة : ٣٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن العرب: اللاتي يشتهين أزواجهن. قاله سعيد بن جبير[٧]، والحسن[٨]، وعبدالله بن عبيدالله[٩]، وعبيد بن عمير[١٠].

قال الحسن:" المشتهية لبعولتهن"[١١].

قال عبد الله بن عبيد الله: "العرب: التي تشتهي زوجها"[١].

---

(١) مسند الطيالسي برقم (٢٠١٢) وسنن الترمذي برقم (٢٥٣٦)، وقال: صحيح غريب.

(٢)المعجم الصغير (٧٩٥):ص٦٨/٢. قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : هذا الحديث عندي على شرط الصحيح، والله أعلم". [انظر: تفسير ابن كثير٥٣٣/٧]:

(٣)الأحاديث الطوال للطبراني برقم (٣٦) وقد خولف فيه أحمد بن الحسن الأيلي، فرواه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة برقم (٣٨٧) من طريق إسحاق بن راهوية، والبيهقي في البعث والنشور برقم (٦٦٩) من طريق أبي قلابة الرقاشي كلاهما إسحاق- وأبو قلابة - من طريق أبي عاصم الضحاك، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة. به، وروى من طريق أخرى مدارها على إسماعيل بن رافع المدني، وقد ضعفه الأئمة وتركه الدارقطني.

وقال ابن عدي: "أحاديثه كلها مما فيه نظر".

قال ابن كثير:٢٨٨/٣:" هذا حديث مشهور وهو غريب جدا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة بعض ألفاظه نكارة. تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء".

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.

(٥) الشعر بلا نسبة في: النكت والعيون: ٤٥٥/٥، ولطائف الإشارات للقشيري: ٤٢/١.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣-١٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.

قال عبيد بن عمير:" العَربة: التي تشتهي زوجها؛ ألا ترى أن الرجل يقول للناقة: إنها لعَربة؟"[٢].

الثاني : أن «العرب»: المتحببات المتودّدات إلى أزواجهنّ. قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، والضحاك[٥]، وبه قال الزجاج[٦].

قال مجاهد-في رواية-:"العرب: المتحببات"[٧]. وروي عن الضحاك مثله[٨].

قال مجاهد:" متحببات إلى أزواجهن"[٩].

وحكي الماوردي عن عكرمة:" أنهن المتحببات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على إشاعته"[١٠].

وحكي الماوردي عن سعيد بن جبير ، والكلبي :"أن العرب المنحبسات على أزواجهن المتحببات إليهم"[١١].

قال الفراء:" واحدهن: عَروب، وهي المتحببة إلى زوجها الغَنِجة"[١٢].

قال ابن قتيبة:" هي: المُتَحَبِّبَةُ إلى زوجها"[١٣].

قال ابن عطية:" هي المتحببة إلى زوجها بإظهار محبته"[١٤].

وعن طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: "العرب: الملقة لزوجها"[١٥]. وفي رواية: "المَلَقَة"[١٦].

الثالث : الشَّكِلة-بلغة أهل مكة-، والغِنجة -بلغة أهل المدينة-، قاله أبو بريدة[١٧]، وابن زيد[١٨].

وقال عكرمة:" العرب: المغنوجة"[١٩]. وفي رواية:" هي المغنوجة"[٢٠]. وفي رواية:" غِنجات"[٢١].

الرابع : هن الحسنات الكلام. قاله ابن زيد –أيضاً-[٢٢].

قال ابن زيد:" العربة هي الحسنة الكلام"[٢٣].

الخامس : عواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون. قاله ابن عباس[١]، وسعيد بن جبير[٢]، والحسن[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، وعكرمة[٦].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣، ١٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(٦) انظر: معاني القرآن: ١١٢/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ١٢٢/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠) النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(١١) النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(١٢) معاني القرآن: ١٢٥/٣.
(١٣) غريب القرآن: ٤٤٩.
(١٤) المحرر الوجيز: ٢٤٥/٥.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٨٩):ص٣٣٣٢/١٠.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(١٩) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(٢٠) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(٢١) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣-١٢٢.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣، ١٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٩٢):ص٣٣٣٢/١٠.
(٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٩٢):ص٣٣٣٢/١٠.

قال قتادة:" عُشَّقا لأزواجهن"[٧].
قال قتادة:" يقول: عشَّق لأزواجهنّ، يحببن أزواجهنّ حبا شديدا"[٨].
قال الحسن:" العرب: العاشق"[٩].
عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سُئل الأوزاعيّ، عن {عُرُبًا}، قال: سمعت يحيى يقول: هنّ العواشق"[١٠].
قال الماوردي:" لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها"[١١].
عن أمّ سلمة، قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله: {عُرُبًا أَتْرَابًا}، قال: «عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبِّباتٍ، أترَابا على مِيلادٍ وَاحِدٍ»"[١٢].
عن بلال بن أبي بُردة، أنه قال لجلسائه: "ما العَروب مِن النساء؟ فماجوا، وأقبل إسحاق بن عبد الله بن الحارث النَّوفَليّ، فقال: قد جاءكم مَن يخبركم عنها. فسألوه، فقال: الخَفِرة، المتبذّلة لزوجها. وأنشد:
يُعْرِبن عند بُعولهن إذا خَلوا ... وإذا هم خرجوا فهن خِفار"[١٣].
قال مقاتل:" يعني: شوابا كلهن على ميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة"[١٤].
السادس : أنها الحسنة التبعُّل. قاله تميم بن حذلم[١٥]، وأبو عبيدة[١٦]، وأنشد قول لبيد[١٧]:
وفي الخُدورِ عَروبٌ غيرُ فاحِشةٍ ... رَيَّا الرَّوادِفِ يَعْشى دونَها البصَرُ
قال تميم بن حذلم:" العَربة: الحسنة التبعل. قال: وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعل: إنها لعَربة"[١٨].
قال الطبري: يقول:" فجعلناهنّ أبكارًا غنجات، متحببات إلى أزواجهنّ يحسن التبعل"[١٩].
قال الماوردي:" لتكون ألذ استمتاعاً"[٢٠].
السابع : ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «{عُرُباً}: كَلاَمُهُنَّ عَرَبِّي»[٢١].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٨٨):ص٣٣٣٢/١٠، وتفسير الطبري: ١٢١/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري :١٢٢/٢٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.
(١٣)أخرجه وكيع في الغرر (وهو أخبار القضاة ٢/ ٣٥)، وابن عساكر في تاريخه ٨/ ٢٤٢ - ٢٤٣.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٩/٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.
(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٥١/٢.
(١٧)ديوانه ١/ ٥٤، وتفسير الطبري ١٢١/٢٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢١١.
والحروج جمع حرج وهو مركب للنساء والرجال ليس له رأس. "اللسان" ١/ ٥٩٩ (حرج). وانظر: "تهذيب اللغة" ٢/ ٣٦٠، و"اللسان" ٢/ ٧٢٥ (عرب).
(١٨) أخرجه الطبري: ١٢٢/٢٣.
(١٩) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٣.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٩٣):ص٣٣٣٢/١٠.

الثامن: أن «العَرَب»: الشَّوْق. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[١].

وفي قوله تعالى:{أَتْرَابًا} [الواقعة : ٣٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد ، قاله السدي[٢].

الثاني : الأتراب: المستويات. قاله ابن عباس[٣]، والضحاك[٤]، والحسن[٥]، ومحمد[٦]،وعطاء الخراساني[٧]، والربيع بن أنس[٨].

عن الحسن ومحمد :{عُرُبًا أَتْرَابًا}، قالا: المستويات الأسنان، يأتلفن جميعًا، ويلعبن جميعًا"[٩].

قال الحسن:" الأتراب: المستويات"[١٠]، وفي رواية:" أقرانًا"[١١].

قال قتادة:" يعني: سنًّا واحدة"[١٢].

قال الربيع بن أنس:" على سِنٍّ واحد"[١٣].

عن مجاهد، قوله: "{أَتْرَابًا}، قال: أمثالا"[١٤].

وحكي الماوردي عن عطية، قال: "أقران"[١٥].

قال ابن قتيبة:" أي: شيئًا واحدًا وسنًّا واحدًا"[١٦].

قال ابن عباس:" في سن واحد ثلاثا وثلاثين سنة"[١٧].

عن أمّ سلمة، قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله: {عُرُبًا أَتْرَابًا}، قال: «عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبِبات، أترَابا على مِيلادٍ وَاحِدٍ»"[١٨].

قال الطبري:" يعني أنهنّ مستويات على سنّ واحدة، واحدتهنّ تِرْب، كما يقال: شَبَه وأشْبَاه"[١٩].

عن علي، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين، يرفعن أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكُنَّا له"[٢٠].

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن خَيِّرات حِسان، خُبِّئنا لأزواج كرام"[٢١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٣.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢٣.
(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٦/ ٣٢٢ -.
(٨) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(١٠) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى هناد، وعبد بن حميد.
(١١) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.
(١٣) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.
(١٥) النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(١٦) غريب القرآن: ٤٤٩.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٨٨):ص٣٣٣٢/١٠.
(١٨) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.
(١٩) تفسير الطبري: ١٢٤/٢٣.
(٢٠)سنن الترمذي برقم (٢٥٦٤)، قال :"هذا حديث غريب".
(٢١)ذكره الحافظ بن حجر في المطالب العالية (٤٠٢/٤) وعزاه لأبي يعلى، ونقل المحقق قول البصيري : "ورواه أبو يعلى وفيه راو لم يسم". ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم (٢٥٤) : حدثنا أبو خيثمة، حدثنا

قوله تعالى:{لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٣٨]، أي:" خلقناهن لأصحاب اليمين"[١].

قال الفراء:" أي: هذا لأصحاب اليمين"[٢].

قال ابن جرير الطبري:" يقول تعالى ذكره: أنشأنا هؤلاء اللواتي وصف صفتهنّ من الأبكار للذين يؤخذ بهم ذات اليمين من موقف الحساب إلى الجنة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : خلقنا لأصحاب اليمين، أو : ادخرن لأصحاب اليمين، أو : زوجن لأصحاب اليمين. والأظهر أنه متعلق بقوله :{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا أَتْرَابًا. لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين. وهذا توجيه ابن جرير، ويحتمل أن يكون قوله :{لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} متعلقًا بما قبله، وهو قوله :{أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ}، أي : في أسنانهم. كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، من حديث جرير، عن عُمَارة بن القعقاع، عن أبي زُرْعَة، عن أبي هُرَيرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دُرّيّ في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألُوّة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خَلْق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء»[٤]"[٥].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يدخل أهلُ الجنةِ الجنة جُردا مُردًا بيضًا جِعادًا مُكَحَّلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين، وهم على خَلْق آدم ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع"[٦].

عن مُعَاذ بن جَبَل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يدخل أهلُ الجنةِ الجنة جُردًا مُردًا مكحلين أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين سنة"[٧].

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير، يُرَدون بني ثلاث وثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار"[٨].

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاثٍ وثلاثين، جُردًا مُردًا مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم"[٩].

رُوِي عن أبي سليمان الدَّاراني - رحمه الله - قال : "صليتُ ليلة، ثم جلست أدعو، وكان البردُ شديدًا، فجعلت أدعو بيد واحدة، فأخذتني عيني فنمت، فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول : يا أبا سليمان، أتدعو بيد واحدة وأنا أُغدَّى لك في النعيم من خمسمائة سنة!"[١٠].

القرآن

{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩-٤٠]

التفسير:

إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس بن مالك به.

(١) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٢) معاني القرآن: ١٢٥/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٢٥/٢٣.

(٤)صحيح البخاري برقم (٣٣٢٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٤).

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٣٥/٧.

(٦)المسند (٢٩٥/٢) والمعجم الأوسط برقم (٤٨٩٤) "مجمع البحرين".

(٧)سنن الترمذي برقم (٢٥٤٥)، قال : حسن غريب.

(٨)سنن الترمذي برقم (٢٥٦٢) ورواه من طريق ابن وهب وأبو نعيم في صفة الجنة برقم (٢٥٩).

(٩)البعث لابن أبي داود برقم (٦٤) وانظر كلام المحقق الفاضل في سماع هارون بن رئاب عن أنس.

(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٣٥/٧.

وهم جماعة كثيرة من الأولين، وجماعة كثيرة من الآخرين.

قال ابن كثير:" أي : جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثُلَّتان، وهي جماعتان وأمتان وفرقتان: جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم. وجماعة من أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢].

قال الزجاج:" معناه - واللَّه أعلم - جماعة ممن تبع النبي - صلى الله عليه وسلم - وعاينه، وجماعة ممن آمن به وكان بعده"[٣].

عن مجاهد، في قوله: {ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ}، قال: "أمة"[٤].

عن الحسن: "{ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ}، من الأمم. {وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}: أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٥].

عن محمد ن سيرين:" {ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، قال: كانوا يقولون: كلّهم من هذه الأمّة"[٦].

قال ميمون بن مهران:" كثير من الأوّلين، وكثير من الآخرين"[٧].

عن بديل بن كعب أنه قال: "أهل الجنة عشرون ومئة صف، ثمانون صفا منها من هذه الأمة"[٨].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: "{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)}، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هما جميعا من أمتي»"[٩].

عن عبد الله بن مسعود قال: "تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى أكرينا في الحديث، ثم رجعنا إلى أهلينا، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرضت على الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها، فكان النبي يجيء معه الثلة من أمته، والنبي معه العصابة من أمته؛ والنبي معه النفر من أمته، والنبي معه الرجل من أمته، والنبي ما معه من أمته أحد من قومه، حتى أتى علي موسى بن عمران في كبكبة من بني إسرائيل؛ فلما رأيتهم أعجبوني، فقلت أي رب من هؤلاء؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بني إسرائيل فقلت رب، فأين أمتي؟ فقيل: انظر عن يمينك، فإذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت: من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء أمتك، فقيل: أرضيت؟ فقلت: رب رضيت رب رضيت قيل: انظر عن يسارك، فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقلت: رب من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء أمتك، فقيل: أرضيت؟ فقلت رضيت، رب رضيت؛ فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفا من أمتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم؛ قال: فأنشأ عكاشة بن محصن، رجل من بني أسد بن خزيمة، فقال: يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم أنشأ رجل آخر فقال: يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: فدى لكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني رأيت ثم

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٦/٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٢٥/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ١١٣/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٣-١٢٦.

(٥) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٣.

(٦)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٤٣ -.

(٧)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦٢٦ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٣. ورواه ابن عدي في الكامل (٣٨٧/١) من طريق محمد بن كثير، عن سفيان الثوري عن أبان بن أبي عياش به، وقال ابن عدي : "أبان بن أبي عياش له روايات غير ما ذكرت وعامة ما يرويه لا يتابع عليه".

أناسا يتهرشون[1] كثيرا، أو قال يتهوشون؛ قال: فتراجع المؤمنون، أو قال فتراجعنا على هؤلاء السبعين، فصار من أمرهم أن قالوا: نراهم ناسا ولدوا في الإسلام، فلم يزالوا يعلمون به حتى ماتوا عليه، فنمى حديثهم ذاك إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ليس كذاك، ولكنهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون - ذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: "إني لأرجو أن يكون من تبعني من أمتي ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا الشطر، فكبرنا، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]"[2].

عن قتادة، أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: نعم، قال والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم تلا هذه الآية: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]"[3].

فوائد الآيات: [٢٧-٤٠]:

١- بيان إكرام الله وإنعامه على المؤمنين المتقين.

٢- بيان أن العجوز في الدنيا إذا دخلت الجنة تصير شابة حسناء حوراء عروباً.

٣- تقرير أن ثمن الجنة الإيمان والتقوى، فلا دخل للحسب ولا للنسب والأول كالآخر على حد سواء فيها.

القرآن

{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)} [الواقعة : ٤١-٤٤]

التفسير:

وأصحاب الشمال ما أسوأ حالهم جزاءهم!! في ريح حارة من حَرِّ نار جهنم تأخذ بأنفاسهم، وماء حار يغلي، وظلٍّ من دخان شديد السواد، لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة : ٤١]، أي:" وأصحاب الشمال ما أسوأ حالهم جزاءهم!!"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره معجبا نبيه محمدا من أهل النار {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار {مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ} ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم"[5].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال :{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ}، أي : أي شيء هم فيه أصحاب الشمال؟"[6].

قال مقاتل:" يقول: ما لأصحاب الشمال من الشر"[7].

قال ابن عباس:" ما لهم، وما أعدّ لهم"[8].

---

(١)كذا في الأصل. وفي (النهاية: هرش) يتهارشون، هكذا رواه بعضهم، وفسره بالتقاتل. وهو في مسند أحمد بالواو بدل الراء، والتهاوش: الاختلاط. اهـ. (وقال في هوش) : وفي حديث الإسراء: فإذا بشر كثير يتهاوشون، الهوش: الاختلاط، أي يدخل بعضهم في بعض.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٦/٢٣-١٢٧.

(٣) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢٣-١٢٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٥) .تفسير الطبري: ١٢٨/٢٣

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٠/٤.

(٨) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال قتادة:" أي: ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم"[١].
قوله تعالى:{فِي سَمُومٍ} [الواقعة : ٤٢]، أي:" هم في ريح حارة من حَرِّ نار جهنم تأخذ بأنفاسهم"[٢].
قال الطبري:" يقول: هم في سّموم جهنم"[٣].
قال ابن كثير:" وهو : الهواء الحار"[٤].
قال مقاتل:" يعني: ريحا حارة تخرج من الصخرة التي في جهنم، فتقطع الوجوه وسائر اللحوم"[٥].
قال ابن عباس:" فيح نار جهنم"[٦].
عن الحسن:" {السَّمُومِ} اسم من أسماء النار، وطبقة من طبقات جهنم"[٧].
قوله تعالى:{وَحَمِيمٍ} [الواقعة : ٤٢]، أي:" وماء حار يغلي"[٨].
قال الطبري:" يقول: هم في حميم جهنم"[٩].
قال ابن كثير:" وهو : الماء الحار"[١٠].
قال مقاتل:" يعني: الحار الشديد الذي قد انتهى حره"[١١].
قال ابن عباس:" الماء: الجار الذي قد انتهى حره فليس فوقه حر"[١٢].
قال ابن عباس:" الحميم الحار الذي يحرق"[١٣].
عن الحسن:"{إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا}، قال: شَرابَيْن في النار؛ يقال لأحدهما: حميم، والآخر: غسّاق"[١٤].
قوله تعالى:{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} [الواقعة : ٤٣]، أي:" وظلٍّ من دخان شديد السواد"[١٥].
وفي قوله تعالى:{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} [الواقعة : ٤٣]، وجوه:
أحدهما: أن «اليحموم»: الدخان، والمعنى: أنهم في ظل من دخان جهنم. قاله ابن عباس[١٦]، وأبو مالك[١٧]، ومجاهد[١٨]، وعكرمة[١٩]، وأبو صالح[٢٠]، وقتادة[٢١]، والسدي[٢٢]، وابن زيد[٢٣]، وغيرهم.

---

(١) اخرجه الطبر]: ١٢٨/٢٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣٥.[بتصرف]
(٣) .تفسير الطبري: ١٢٨/٢٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٠/٤.
(٦) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧)تفسير البغوي ٧/ ٣٩١.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩) .تفسير الطبري: ١٢٨/٢٣.[بتصرف]
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٧.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٠/٤.
(١٢) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠٠):ص٣٣٩٥/١٠.
(١٤)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤١ (١٨٧) -.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٣.
(٢٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٧.
(٢١)انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٣.
(٢٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٧.
(٢٣)انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٣.

قال مجاهد:" من دخان حميم"[١].
قال مجاهد:" يقول: ظل من دخان جهنم أسود هو اليحموم"[٢].
عن عكرمة، {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}، قال: "الدخان"[٣].
عن ابن عباس: "{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}، قال: هو الدخان"[٤].
قال ابن عباس:" من دخان أسود"[٥]. وفي لفظ: "من دخان جهنم"[٦]. وفي لفظ:" من دخان حَميم"[٧].
مجاهد: {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}، قالا: "الدخان"[٨].
قال قتادة:" من دخان"[٩].
قال قتادة:" كنا نحَدَّث أنها ظلّ الدخان"[١٠].
قال ابن زيد:" ظلّ الدخان دخان جَهنم، زعم ذلك بعض أهل العلم"[١١].
قال الفراء:" اليحموم: الدخان الأسود"[١٢].
قال أبو عبيدة:" من شدة سواده يقال: أسود يحموم"[١٣].
قال ابن قتيبة:" اليحموم: الدّخان وهو سرادق أهل النار فيما ذكر المفسرون"[١٤].
قال ابن قتيبة:" أي: دخَانٍ أسودَ. واليحموم: الأسْود"[١٥].
قال الطبري: يعني: "وظل من دُخان شديد السواد. والعرب تقول لكلّ شيء وصفته بشدّة السواد: أسود يَحْموم"[١٦].
قال السمعاني:" أي: دخان أسود يغشي أهل النار، ويصيبهم من حره ما يغلي دماغهم"[١٧].
وقال مقاتل: "يعني: ظلا أسود كهيئة الدخان يخرج من جهنم، فيكون فوق رءوسهم وهم في السرادق ثلاث فرق، فذلك قوله: {انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} [المرسلات : ٣٠]، وهي في السرادق، وذلك قوله في الكهف أيضا: {أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف : ٢٩]، فيقيلون تحتها من حر السرادق فيأخذهم فيها الغثيان، وتقطع الأمعاء في أجوافهم والسرادق عنق يخرج من لهب النار فيدور حول الكفار، ثم يخرج عنق آخر من الجانب الآخر فيصل إلى الآخر فيحيط بهم السرادق، فذلك قوله: {أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف : ٢٩]، {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} [الواقعة : ٤٣] رءوسهم ثلاث فرق فيقيلون فيها قبل دخولهم جهنم، فذلك قوله في الفرقان: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ} [الفرقان : ٢٤] في الجنة مع الأزواج، {خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} [الفرقان : ٢٤] من مقيل الكفار في السرادق، تحت ظل من يحموم"[١٨].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(٢) تفسير مجاهد: ٦٤٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٩٥):ص٣٣٣٣/١٠.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٩٥):ص٣٣٣٣/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٢) معاني القرآن: ١٢٦/٣.
(١٣) مجاز القرآن: ٢٥١/٢.
(١٤) تأويل مشكل القرآن: ١٩٤.
(١٥) غريب القرآن: ٤٤٩.
(١٦) .تفسير الطبري: ١٢٨/٢٣.
(١٧) تفسير السمعاني: ٣٥٢/٥.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٠/٤.

قال الواحدي:" وكان للنعمان بن المنذر[١] فرس شديد السواد يسمى: يحمومًا، وهو الذي ذكره الأعشى في قوله[٢]:

ويأمر لليحموم كل عشية ... بقت وتعليق فقد كاد يسنق

والمفسرون جميعًا قالوا في «اليحموم»: أنه دخان جهنم، والمعنى: أنهم في ظل من دخان جهنم"[٣].

الثاني : أن «اليحموم»: جبل في جهنم، يستغيث إلى ظله أهل النار، فيصيبهم من حره ما يستغيثون منه، ويكون ذلك أشد عليهم مما كانوا فيه. حكاه الثعلبي عن ابن بريدة[٤].

الثالث: أن «اليحموم»: اسم من أسماء النار. قاله ابن كيسان[٥].

قال الزجاج:" «اليحموم»: الشديد السواد، وقيل: إنه الدخان الشديد السَّوَاد، وقيل: {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}، أي: من نار يعذبون بها، ودليل هذا قوله عزَّ وجلَّ: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}، إلا أنه موصوف في هذا الموضع بشِدة السواد"[٦].

قوله تعالى:{لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة : ٤٤]، أي:" لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارّ، لأنه دخان من سعير جهنّم، وليس بكريم لأنه مؤلم من استظلّ به، والعرب تتبع كلّ منفيّ عنه صفة حمد نفي الكرم عنه، فتقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ليس طيب الهبوب ولا حَسَن المنظر"[٩].

قال مقاتل: " {لا بارد} المقيل، {ولا كريم}، يعني: ولا حسن المنزل"[١٠].

قال مجاهد:" لا بارد المدخل ولا كريم"[١١].

قال قتادة:" لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر"[١٢].

قال الضحاك:" كلّ شراب ليس بعذب فليس بكريم"[١٣].

قال السعدي:" أي: لا برد فيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لضده"[١٤].

---

(١)النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة، وكان يكى أبا قابوس، وهو صاحب النابغة، قتل عبيد بن الأبرص وغيره من الشعراء. وكانت نهاية النعمان أن حبسه كسرى واسمه (أبرويز) بساباط ثم ألقي تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات. انظر: "المعارف" ص ٦٤٩ - ٦٥٠.

(٢)البيت في "ديوان الأعشى" ص ١١٩، و"تهذيب اللغة" ٤/ ١٩، و"اللسان" ١/ ٧٢٨ (حمم)، ٢/ ٢١٩ (سنق).

والقتُّ: الفصفصة، يكون رطبًا ويكون يابسًا واحدتها قتة "اللسان" ٢/ ١٠٤٤ (فتت).

والسنق: البشم. يقال: شرب الفصيل حتى سنق، وهي التخمة والشبع "اللسان" ٢/ ٢١٩ (سنق)، والتعليق ما تعلقه الدواب من الشعير ونحوه.

(٣) التفسير البسيط: ٢٣٩/٢١-٢٤٠.

(٤) انظر: الكشف والبيان: ٢١٣/٩، وانظر: تفسير السمعاني: ٣٥٢/٥.

(٥) نقلا عن: تفسير البغوي: ١٨/٨.

(٦) معاني القرآن: ١١٣/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٨) تفسيرا لطبري: ١٣٠/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٠/٤.

(١١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٥):ص٥٤/٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣-١٣١.

(١٤) تفسير السعدي: ٨٣٤.

القرآن
{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥)} [الواقعة : ٤٥]
التفسير:
إنهم كانوا في الدنيا متنعِّمين بالحرام، معرضين عما جاءتهم به الرسل.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال، كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم في الدنيا مترفين، يعني: منعمين"[١].
قال ابن كثير:" ذكر تعالى استحقاقهم لذلك، فقال تعالى :{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ}، أي : كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل"[٢].
قال السعدي:" أي: قد ألهتهم دنياهم، وعملوا لها، وتنعموا وتمتعوا بها، فألهاهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه"[٣].
وفي تفسير قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ} [الواقعة : ٤٥]، وجهان:
أحدهما : منعمين، قاله ابن عباس[٤].
الثاني : مشركين، قاله السدي[٥].
ويحتمل وصفهم بالترف وجهين[٦]:
أحدهما : التهاؤهم عن الإعتبار وشغلهم عن الإزدجار .
الثاني : لأن عذاب المترف أشد ألماً .

القرآن
{وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦)} [الواقعة : ٤٦]
التفسير:
وكانوا يقيمون على الكفر بالله والإشراك به ومعصيته، ولا ينوون التوبة من ذلك.
قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: وكانوا يقيمون على الذنب العظيم"[٧].
عن مجاهد: "{يُصِرّون}: يدمنون"[٨]. وفي لفظ:" يدهنون"[٩].
قال ابن زيد:" لا يتوبون ولا يستغفرون، والإصرار عند العرب على الذنب: الإقامة عليه، وترك الإقلاع عنه"[١٠].
وفي تفسير قوله تعالى: {عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} [الواقعة : ٤٦]، وجوه:
أحدها : أنه الشرك بالله ، قاله الحسن[١١]، والضحاك[١٢]، وعكرمة[١٣]، وقتادة-في رواية-[١٤]، وابن زيد[١٥]، والسدي[١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٣١/٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(٣) تفسير السعدي: ٨٣٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢٣.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(٧) تفسير الطبري: ١٣١/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٣.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.

قال الطبري:" يعني: على الذنب العظيم، وهو الشرك بالله"[٢].
قال ابن قتيبة:" أي يُقيمون على الحنث العظيم، ولا يتوبون عنه، و«الحنث»: الشِّرك؛ وهو: الكبير من الذنوب أيضًا "[٣].
قال ابن كثير:" أي : يُصَمِّمون ولا ينوون توبة {عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} وهو الكفر بالله، وجعل الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله "[٤].
عن قتادة، قوله: "{وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}، وهو الشرك"[٥].
قال ابن زيد:" الحنث العظيم: الذنب العظيم، قال: وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون"[٦].
الثاني : الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه، قاله قتادة[٧]، ومجاهد[٨].
عن مجاهد: "{عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}، قال: على الذنب"[٩]. وفي لفظ: "الذنب العظيم"[١٠].
وروي عن الحسن:" {عَلَى الحِنْثِ} على الذَّنب"[١١].
وقال قتادة:" على الذَّنب العظيم"[١٢].
قال السعدي:" أي: وكانوا يفعلون الذنوب الكبار ولا يتوبون منها، ولا يندمون عليها، بل يصرون على ما يسخط مولاهم، فقدموا عليه بأوزار كثيرة غير مغفورة"[١٣].
الثالث : هو اليمين الغموس، قاله الشعبي[١٤].
الرابع : الكبائر من الذنوب. قاله الشعبي[١٥].
قال الشعبي:" هي الكبائر"[١٦].
الخامس: أن الحنث العظيم نقض العهد المحصن بالكفر. أفاده الماوردي[١٧].

القرآن
{وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧)} [الواقعة : ٤٧]
التفسير:
وكانوا يقولون إنكارًا للبعث: أنُبعث إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية؟ وهذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكانوا يقولون كفرا منهم بالبعث، وإنكارًا لإحياء الله خلقه من بعد مماتهم: أئذا كنا ترابا في قبورنا من بعد مماتنا، وعظاما نخرة، أئنا لمبعوثون منها أحياء كما كنا قبل الممات"[١٨].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(٢) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(٣) غريب القرآن: ٤٤٩-٤٥٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١١) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٧٢، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٣٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(١٥) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٦) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(١٨) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٣.

قال ابن كثير: " يعني : أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه"[١].
قال السعدي :"وكانوا ينكرون البعث، فيقولون استبعادا لوقوعه: كيف نبعث بعد موتنا وقد بلينا، فكنا ترابا وعظاما؟ هذا من المحال"[٢].
عن قتادة: "{أإذا مِتنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا لَمَبْعُوثُونَ}: تكذيبًا بالبعث"[٣].

القرآن
{أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨)} [الواقعة : ٤٨]
التفسير:
أنُبعث نحن وآبناؤنا الأقدمون الذين صاروا ترابًا، قد تفرَّق في الأرض؟
قال الطبري: أي:" أو آباؤنا الأوّلون الذين كانوا قبلنا، وهم الأوّلون"[٤].
قال السمعاني:" أي: أو يبعث آباؤنا الأولون بعد أن صاروا ترابا ورمما"[٥].

القرآن
{قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)} [الواقعة : ٤٩-٥٠]
التفسير:
قل لهم -أيها الرسول-: إن الأولين والآخرين من بني آدم سيُجمَعون في يوم مؤقت بوقت محدد، وهو يوم القيامة.
عن ابن عباس:" {قُلْ}، يا محمد {إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}، قال: يوم القيامة"[٦].
قال الطبري: " يقول الله لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لهؤلاء إن الأوّلين من آبائكم والآخرين منكم ومن غيركم، لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم، وذلك يوم القيامة"[٧].
قال الشوكاني:" أي: قل لهم يا محمد إن الأولين من الأمم والآخرين منهم الذين أنتم من جملتهم لمجموعون بعد البعث إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة"[٨].
قال السعدي:" أي: قل إن متقدم الخلق ومتأخرهم، الجميع سيبعثهم الله ويجمعهم لميقات يوم معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة، ويريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف"[٩].
قال ابن كثير: " أي : أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عَرَصات القيامة، لا نغادر منهم أحدًا، كما قال :{ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ. يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود : ١٠٣ - ١٠٥]. ولهذا قال هاهنا :{لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}، أي : هو موقت بوقت مُحَدَّد، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص"[١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(٢) تفسير السعدي: ٨٣٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٥/٢١، وعلّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٨٢٦.
(٤) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٣.
(٥) تفسير السمعاني: ٣٥٣/٥.
(٦) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٣.
(٨) فتح القدير: ١٨٥/٥.
(٩) تفسير السعدي: ٨٣٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.

قال الزمخشري: أي: " إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والميقات: ما وقت به الشيء، أي: حدّ. ومنه مواقيت الإحرام: وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما "[1].

القرآن

{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥)} [الواقعة : ٥١-٥٥]

التفسير:

ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعيد الله ووعده، لآكلون من شجر من زقوم، وهو من أقبح الشجر، فمالئون منها بطونكم ; لشدة الجوع، فشاربون عليه ماء متناهيًا في الحرارة لا يَرْوي ظمأ، فشاربون منه بكثرة، كشرب الإبل العطاش التي لا تَرْوى لداء يصيبها.

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ} [الواقعة :٥١-٥٢]، أي:" ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعيد الله ووعده، لآكلون من شجر من زقوم، وهو من أقبح الشجر"[2].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لأصحاب الشمال: ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى، المكذّبون بوعيد الله ووعده، لآكلون من شجر من زقوم"[3].

قال السعدي:" {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ} عن طريق الهدى، التابعون لطريق الردى، {الْمُكَذِّبُونَ} بالرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق والوعد والوعيد. {لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ} وهو أقبح الأشجار وأخسها، وأنتنها ريحا، وأبشعها منظرا"[4].

قال الزمخشري: الخطاب: لأهل مكة ومن في مثل حالهم"[5].

قال الشوكاني:" وصفهم سبحانه بوصفين قبيحين، وهما الضلال عن الحق والتكذيب"[6].

قال ابن عباس:" الزقوم نابتة في أصل الجحيم - وكان ابن عباس يقول: إن الجحيم سقر، وفيه شجرة الزقوم –"[7].

قال الحسن:" أصلها في قَعْر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دَركاتها[8].

قال قتادة:" عُذِّبَتْ بالنار، ومنها خُلِقَتْ"[9].

عن أبي عمران الجوني، قال: "بلغنا: أنّ ابنَ آدم لا ينهش مِن شجرة الزقوم نهشةً إلا نهشَتْ مِنه مثلَها"[10].

قوله تعالى:{فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ} [الواقعة : ٥٣]، أي:" فمالئون منها بطونكم ; لشدة الجوع"[11].

قال ابن عباس:" يملؤون من الزَّقوم بطونهم"[12] .

---

(١) الكشاف: ٤٦٣/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٣) تفسير الطبري: ١٣٤/٢٣.
(٤) تفسير السعدي: ٨٣٤.
(٥) الكشاف: ٤٦٣/٤.
(٦) فتح القدير: ١٨٥/٥.
(٧) أخرجه الطبري(١٤٠٤):ص٢٧٥/٢.
(٨)تفسير الثعلبي ٨/ ١٤٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤٢.
(٩)أخرجه الطبري: ٥٢/٢١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(١٠)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤١ (١٨٨) -. وعزاه السيوطي إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد، وابن المنذر.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١٢) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال الطبري: " يقول: فمالئون من الشجر الزَّقوم بطونهم"[١].

قال السعدي:" والذي أوجب لهم أكلها -مع ما هي عليه من الشناعة- الجوع المفرط، الذي يلتهب في أكبادهم وتكاد تنقطع منه أفئدتهم. هذا الطعام الذي يدفعون به الجوع، وهو الذي لا يسمن ولا يغني من جوع"[٢].

قال ابن كثير: " وذلك أنهم يقبضون ويُسَجَرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم، حتى يملؤوا منها بطونهم "[٣].

قوله تعالى:{فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ} [الواقعة : ٥٤]، أي:" فشاربون عليه ماء متناهيًا في الحرارة لا يَرْوي ظمأ"[٤].

قال ابن عباس:" يقول: على الزّقوم الحميم"[٥] .

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فشاربٌ أصحابُ الشمال على الشجر من الزَّقوم إذا أكلوه، فملئوا منه بطونهم من الحميم الذي انتهى غليه وحرّه، وقد قيل: إن معنى قوله: {فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ}: فشاربون على الأكل من الشجر من الزقوم"[٦].

قال السعدي:" وأما شرابهم، فهو بئس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء الحميم الذي يغلي في البطون"[٧].

قال الشوكاني:" الحميم: الماء الذي قد بلغ حره إلى الغاية، والمعنى: فشاربون على الزقوم عقب أكله من الماء الحار"[٨].

قوله تعالى:{فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} [الواقعة : ٥٥]، أي:" فشاربون منه بكثرة، كشرب الإبل العطاش التي لا تَرْوى لداء يصيبها"[٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} [الواقعة : ٥٥]، وجوه:

أحدها : أنها الأرض الرملة التي لا تروى بالماء، وهي هيام الأرض، قاله ابن عباس-في رواية عمرو بن دينار-[١٠]، والضحاك[١١]، وسفيان[١٢]، والكلبي[١٣]، وابن كيسان[١٤].

عن سفيان: "{فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}، قال: السِّهْلَةُ"[١٥].

قال الفراء:" يقول: يشرب أهل النار كما تشرب السهلة"[١٦].

قال الطبري:" يقال: إن الهيم: الرمل، بمعنى أن أهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء"[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ١٣٤/٢٣.
(٢) تفسير السعدي: ٨٣٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٥) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) تفسير الطبري: ١٣٤/٢٣.
(٧) تفسير السعدي: ٨٣٤.
(٨) فتح القدير: ١٨٥/٥.
(٩) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١٠) انظر: التفسير البسيط: ٢٤٤/٢١، والنكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(١١) حكاه عنه الثعلبي في" الكشف والبيان": ٢١٤/٩، والواحدي في "التفسير البسيط": ٢٤٤/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٦/٢٣.
(١٣) حكاه عنه والواحدي في "التفسير البسيط": ٢٤٤/٢١.
(١٤) حكاه عنه الثعلبي في" الكشف والبيان": ٢١٤/٩.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٣.
«السهلة»: رمل خشن ليس بالدقاق الناعم. يقول عز وجل: يشرب أهل النار، كما تشرب السهلة- اللسان: «سهل» و«هيم».
(١٦) معاني القرآن: ١٢٨/٣.
(١٧) تفسير الطبري: ١٣٥/٢٣.

الثاني : أنها الإبل التي يواصلها الهيام وهو داء يحدث عطشاً فلا تزال الإبل تشرب الماء حتى تموت، قاله عكرمة ابن عباس-أيضا-[١]، وعكرمة[٢]، والسدي[٣]، ومنه قول قيس بن الملوح[٤]:

يُقَالُ بِهِ دَاءُ الْهُيَامِ أَصَابَهُ ... وَقَدْ عَلِمَتْ نَفْسِيْ مَكَانَ شِفَائِيَا

قال عكرمة:" الإبل يأخذها العُطاش، فلا تزال تشرب حتى تهلك"[٥]. وفي لفظ:" هي الإبل يأخذها العطاش"[٦].

قال ابن عباس:" الإبل يأخذها داء يقال له الهيام فلا تروى من الماء. قال: فشبه شرب أهل النار من الحميم بشرب الإبل الهيم"[٧].

قال ابن عباس:" يقول: شرب الإبل العطاش"[٨]. وفي لفظ:" الإبل الظماء"[٩]. وفي لفظ:" هي الإبل العطاش"[١٠].

قال الضحاك:" الهيم: الإبل العطاش، تشرب فلا تروى يأخذها داء يقال له الهُيام"[١١].

قال قتادة:" داء بالإبل لا تَرْوَى معه"[١٢].

وعن مجاهد قال:" الإبل الهيم"[١٣]. وفي لفظ:" الهيم: «الإبل الظمأى»"[١٤].

عن الحسن ، قال: "{الهيم} الإبل العِطاش"[١٥].

قال عكرمة:" هي الإبل المِراضى، تَمُصّ الماء مَصًّا ولا تَرْوَى"[١٦].

وعن أبي مجلز:" {فَشارِبُونَ شُرْبَ الهيم}، قال: كان المِراض تمصّ الماء مصًّا، ولا تَروى""[١٧].

قال مقاتل:" يعنى بـ«الهيم»: الإبل يأخذها داء يقال له: الهيم، فلا تروى من الشراب، وذلك أنه يلقى على أهل النار العطش كل يوم مرتين حتى يشربوا الشراب الهيم"[١٨].

قال الفراء:" الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء، واحدها: أهيم، والأنثى: هيماء"[١٩].

الثالث : أن الهيم: الإبل الضوال، لأنها تهيم في الأرض لا تجد ماءً فإذا وجدته فلا شيء أعظم منها شرباً. حكاه الماوردي[٢٠].

الرابع : أن شرب الهيم هو أن تمد الشرب مرة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثًا، وهذا قول خالد بن معدان[٢١].

---

(١) انظر: مسائل نافع بن الأزرق((١٩١) هـ ي م [الهيم])/:ص٢٢٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/٢٣.
(٣) انظر: انكت والعيون: ٤٥٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥، وتفسير القرطبي: ٢١٥/١٧.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(٧) مسائل نافع بن الأزرق((١٩١) هـ ي م [الهيم])/:ص٢٢٢.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(١٤) تفسير مجاهد: ٦٤٤.
(١٥) الدر المنثور: ٢٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.
(١٧) الدر المنثور: ٢١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.
(١٩) معاني القرآن: ١٢٨/٣.
(٢٠) انظر: انكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(٢١) انظر: انكت والعيون: ٤٥٧/٥.

وعن خالد بن معدان : "أنه كان يكره أن يشرب شُرْبَ الهيم عَبَّة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثًا"[١].

قال الماوردي:" فوصف شربهم الحميم بأنه كشرب الهيم، لأنه أكثر شرباً فكان أزيد عذاباً"[٢].

قرأ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ :«شرب الهيم»، بضم الشين، وباقي السبعة بفتحِها[٣].

القرآن

{هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)} [الواقعة : ٥٦]

التفسير:

هذا الذي يلقونه من العذاب هو ما أُعدَّ لهم من الزاد يوم القيامة. وفي هذا توبيخ لهم وتهكُّم بهم.

عن ابن عباس: {هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ}، قال: " كرامة يوم الحساب"[٤].

عن قتادة:{ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"[٥].

وقال مجاهد: "يوم الحساب"[٦].

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفت لكم أيها الناس، أن هؤلاء المكذّبين الضالين يأكلونه من شجر من زقوم، ويشربون عليه من الحميم، هو نزلهم الذي ينزلهم ربهم يوم الدين، يعني: يوم يدين الله عباده"[٧].

قال ابن قتيبة:" أي: رزقُهم وطعامهم"[٨].

قال الزجاج:" أي: هذا غذاؤهم يوم الجزاء أي يوم يجازَوْنَ بأعمالهم"[٩].

قال النحاس:" أي: الذي ينزلهم الله إياه يوم القيامة وهو يوم الدين الذي يجازي الناس فيه بأعمالهم"[١٠].

قال ابن أبي زمنين:" {نزلهم}، أي: رزقهم وطعامهم"[١١].

قال الثعلبي:" رزقهم وغذاؤهم وما أعدّ لهم {يَوْمَ الدِّين}"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال في حق المؤمنين :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نزلا} [الكهف : ١٠٧] أي : ضيافة وكرامة"[١٣].

قال السعدي:" {هَذَا} الطعام والشراب {نزلُهُمْ} أي: ضيافتهم {يَوْمَ الدِّين} وهي [ص:٨٣٥] الضيافة التي قدموها لأنفسهم، وآثروها على ضيافة الله لأوليائه"[١٤].

قال السمعاني:" فإن قيل: «النزل» إنما يستعمل في الإكرام والإحسان؟

الجواب: أنه لما جعل هذا في موضع النزل لأهل الجنة سماه نزلا، وهو كما أنه سمى عقوبتهم ثوابا، ووعيدهم بشارة، والمعنى فيه ما بينا"[١].

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(٢) انكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(٣) انظر: السبعة في القراءات: ٦٢٣.
(٤)الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(٧) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٣.
(٨) غريب القرآن: ٤٥٠.
(٩) معاني القرآن: ١١٣/٥.
(١٠) إعراب القرآن: ٢٢٥/٤.
(١١) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٤١/٤.
(١٢) الكشف والبيان: ٢١٤/٩.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٧.
(١٤) تفسير السعدي: ٨٣٤.

فوائد الآيات: [٤١-٥٦]:
١- أصحاب الشمال يدخل فيهم كل كافر وجد على وجه الأرض فإنهم في التقسيم ثلث الناس وفي الواقع هم أضعاف أضعاف السابقين وأصحاب اليمين لأن أكثر الناس لا يؤمنون.
٢- التنديد بالترف والتنعم في هذه الحياة الدنيا فإنه يقود إلى ترك التكاليف الشرعية فيهلك صاحبه لذلك لا لكون طعامه وافراً وشرابه لذيذاً.
٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بما لا مزيد عليه من العرض والوصف لحال الناس.

القرآن
{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧)} [الواقعة : ٥٧]
التفسير:
نحن خلقناكم -أيها الناس- ولم تكونوا شيئًا، فهلا تصدِّقون بالبعث.
قوله تعالى:{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ} [الواقعة : ٥٧]، أي:" نحن خلقناكم -أيها الناس- ولم تكونوا شيئًا"[٢].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لكفار قريش والمكذّبين بالبعث: نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئًا، فأوجدناكم بشرا"[٣].
قال ابن كثير:" يقول تعالى مُقررًا للمعاد، وردًّا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين قالوا :{أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [الصافات : ١٦]، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال :{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ}، أي : نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى"[٤].
روي عن مجاهد: {ولقد خلقناكم} [الأعراف: ١١] يعني: «خلق آدم»"[٥]. وروي عن قتادة مثله[٦].
قوله تعالى:{فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ} [الواقعة : ٥٧]، أي:" فهلا تصدِّقون بالبعث"[٧].
قال الطبري: يقول :" فهلا تصدّقون من فعل ذلك بكم في قيله لكم: إنه يبعثكم بعد مماتكم وبلاكم في قبوركم، كهيأتكم قبل مماتكم"[٨].
قال ابن كثير:" أي : فهلا تصدقون بالبعث!"[٩].
قال ابن عباس:" يقول: أفلا تُصدِّقون"[١٠].

القرآن
{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩)} [الواقعة : ٥٨-٥٩]

---

(١) تفسير السمعاني: ٣٥٤/٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٣) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٥٣٩/٧.
(٥) تفسير مجاهد: ٣٣٣.
قال الطنطاوي في "الوسيط"(١٧٤/١٤-١٧٥):" فالمراد بقوله- تعالى-: خَلَقْناكُمْ: خلقهم من سلالة من طين، ثم جعلهم نطفة في قرار مكين كما قال- تعالى-: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً، فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ".[سورة المؤمنون الآيات ١٢- ١٤]
(٦) تفسير عبدالرزاق(٨٨٦):ص٧٤/٢.
(٧) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٨) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٥٣٩/٧.
(١٠)الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

التفسير:
أفرأيتم النُّطَف التي تقذفونها في أرحام نسائكم، هل أنتم تخلقون ذلك بشرًا أم نحن الخالقون؟
قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ} [الواقعة : ٥٨]، أي:" أفرأيتم النُّطَف التي تقذفونها في أرحام نسائكم"(١).
قال ابن عباس:" هذا ماء الرجل"(٢).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث: أفرأيتم أيها المُنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم - النطف التي تمنون في أرحام نسائكم-؟"(٣).
قال مقاتل:" ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا فقال: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ}، يعني: النطفة الماء الدافق"(٤).
قوله تعالى:{أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} [الواقعة : ٥٩]، أي:" هل أنتم تخلقون ذلك بشرًا أم نحن الخالقون؟"(٥).
قال الطبري: يقول :" أنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون؟"(٦).
قال ابن كثير:" أي : أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك؟"(٧).
عن حُجْر المَدَريّ، قال: "بتُّ عند عليٍّ، فسمعتُه وهو يُصلّي بالليل يقرأ، فمرّ بهذه الآية: {أَفَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخالِقُونَ}. قال: بل أنتَ، يا ربّ. ثلاثًا. ثم قرأ: {أأنتم تزرعونه}. قال: بل أنتَ، يا ربّ. ثلاثًا. ثم قرأ: {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ}. قال: بل أنتَ، يا ربّ. ثلاثًا. ثم قرأ: {أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها}. قال: بل أنت، يا ربّ. ثلاثًا"(٨).

القرآن
{نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)} [الواقعة : ٦٠-٦١]
التفسير:
نحن قَدَّرنا بينكم الموت، وما نحن بعاجزين عن أن نغيِّر خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال.
قوله تعالى:{نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ} [الواقعة : ٦١]، أي:" نحن قضينا وحكمنا عليكم بالموت وساوينا بينكم"(٩).
قال ابن كثير:" أي : صرفناه بينكم"(١٠).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت، فعجَّلناه لبعض، وأخَّرناه عن بعض إلى أجل مسمى"(١١).
قال مقاتل:" فمنكم من يموت صغيرا، ومنكم من يموت كبيرا، أو يموت شابا، أو شيخا، أو يبلغ أرذل العمر"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٢)الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٦) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٥٣٩/٧.
(٨)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٠٥٣)، والحاكم ٢/ ٤٧٧، والبيهقي في سننه ٢/ ٣١١.
(٩) صفوة التفاسير: ٢٩٤/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٥٣٩/٧.
(١١) تفسير الطبري: ١٣٧/٢٣.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.

عن مجاهد، قوله: "{قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ}، قال: المستأخر والمستعجل"[١]. وفي لفظ:" يعني: المتأخر منكم والمستعجل"[٢].

قال الضحاك : "ساوى فيه بين أهل السماء والأرض"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} [الواقعة : ٦٠-٦١]، أي:" وما نحن بعاجزين عن أن نغيِّر خلقكم يوم القيامة"[٤].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} أيها الناس في أنفسكم وآجالكم، فمفتات علينا فيها في الأمر الذي قدّرناه لها من حياة وموت بل لا يتقدم شيء من أجلنا، ولا يتأخر عنه. وقوله: {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} يقول: على أن نُبَدّل منكم أمْثالَكُمْ بعد مهلككم فنجيء بآخرين من جنسكم"[٥].

قال الزجاج:" أي: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ذلك"[٦].

عن ابن عباس:" {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} فيقول: نذهب بكم، ونجيء بغيركم"[٧].

قوله تعالى:{وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الواقعة : ٦١]، أي:" ولسنا بعاجزين أيضاً وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال"[٨].

قال الطبري: " يقول: ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لا تعلمون منها من الصور"[٩].

قال أبو عبيدة:" نبدّلكم عما تعلمون من أنفسكم"[١٠].

قال الزجاج:" أي: إن أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فَاتَنا ذلك"[١١].

قال ابن كثير:" أي : من الصفات والأحوال"[١٢].

عن مجاهد، قوله: "{وَنُنْشِئَكُمْ}: في أي خلق شئنا"[١٣].

قال السدي:" {ونُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ} نخلُقكم في سوء خلقكم"[١٤].

عن ابن عباس:" {ونُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ} يقول: نخلقكم فيما لا تعلمون؛ إن نشأ خلقناكم قِردة، وإن نشأ خلقناكم خنازير"[١٥].

قال سعيد بن المسيّب: "{ونُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ} يعني: في حواصل طير، تكون بِبَرَهُوت، كأنها الخطاطيف. وبَرَهُوت: وادٍ باليمن"[١٦].

قال الحسن:" {ونُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ} أي: نبدّل صفاتكم، ونجعلكم قِردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٣.
(٢) تفسير مجاهد: ٦٤٤.
(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير:٥٣٩/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٥) تفسير الطبري: ١٣٧/٢٣.
(٦) معاني القرآن: ١١٤/٥.
(٧)الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٨) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٩) تفسير الطبري: ١٣٧/٢٣.
(١٠) مجاز القرآن: ٢٥١/٢.
(١١) معاني القرآن: ١١٤/٥.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٧.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٣.
(١٤)تفسير الثعلبي: ٩/ ٢١٥.
(١٥)الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٦)تفسير الثعلبي: ٩/ ٢١٥، وتفسير البغوي: ٨/ ٢٠.
(١٧)تفسير الثعلبي: ٩/ ٢١٥، وتفسير البغوي: ٨/ ٢٠.

القرآن

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)} [الواقعة : ٦٢]

التفسير:

ولقد علمتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئًا، فهلا تذكَّرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى} [الواقعة : ٦٢]، أي:" ولقد علمتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئًا"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئًا"(٢).

قال ابن كثير:" أي : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة"(٣).

قال الزجاج:" أي: قد علمتم ابتداء الخلق فلم أنكرتم البعث"(٤).

عن مجاهد، قوله: {النَّشْأَةَ الأولى}، قال: "إذ لم تكونوا شيئًا"(٥).

قال قتادة وأبو عمران الجوني:" هو خلق آدم"(٦).

قال قتادة:" يعني: خلق آدم لستَ سائلا أحدًا من الخلق إلا أنبأك أن الله خلق آدم من طين"(٧).

عن أبي عمران الجَوْني -من طريق جعفر بن سليمان- يقرأ هذه الآية: {ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى}، قال: هو خلْق آدم"(٨).

عن الضحاك:" {ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى} قال: خلْق آدم وخلْقكم"(٩).

قال مقاتل:" يعنى: الخلق الأول حين خلقتم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ولم تكونوا شيئا"(١٠).

قوله تعالى:{فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} [الواقعة : ٦٢]، أي:" فهلا تذكَّرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى"(١١).

عن الضحاك:"{فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ}، فهلّا تصدّقون"(١٢).

قال الزجاج: أي: " هلَّا تذكرون"(١٣).

قال مقاتل:" في البعث أنه قادر على أن يبعثكم، كما خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئا"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(٢) تفسير الطبري: ١٣٨/٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٧.
(٤) معاني القرآن: ١١٤/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٣.
(٨)أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال ٦/ ١٧٥ (٩٤).
(٩)جاء في طبعة الكتاب بتحقيق: د. رضاء الله المباركفوري ص ١٤٣ (٩٥) طمس مكان القائل، وقال المحقق: لعل المطموس: عن الضَّحّاك. وفي طبعة الكتاب بتحقيق: أبي بكر سعداوي ٣/ ٢٧١ (٢٠٩) روى الأثر عن الضَّحّاك دون إسناد.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١٢)جاء في طبعة الكتاب بتحقيق: د. رضاء الله المباركفوري ص ١٤٣ (٩٥) طمس مكان القائل، وقال المحقق: لعل المطموس: عن الضَّحّاك. وفي طبعة الكتاب بتحقيق: أبي بكر سعداوي ٣/ ٢٧١ (٢٠٩) روى الأثر عن الضَّحّاك دون إسناد.
(١٣) معاني القرآن: ١١٤/٥.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فهلا تذكرون أيها الناس، فتعلموا أن الذي أنشأكم النشأة الأولى، ولم تكونوا شيئا، لا يتعذّر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء"[1].

قال ابن كثير: أي :" فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة - وهي البَداءة - قادر على النشأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى، وكما قال :{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]، وقال :{أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا} [مريم : ٦٧]، وقال :{أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس : ٧٧ - ٧٩]، وقال تعالى :{أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} ؟ [القيامة : ٣٦ - ٤٠]"[2].

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الرابع والثلاثون من التفسير، ويليه الجزء الخامس والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٦٣) من سورة «الواقعة».

---

(١) تفسير الطبري: ١٣٨/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٧.